

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. [يقول
عبد الله سبحانه عبد الرحمن بن كمال الدين السيوطي عفا الله عنه وغفر له ولوالديه ولجميع
المسلمين إنه أرحم الراحمين]^(١) : الحمد لله الذي جعل مُعْجَزَاتِ هذه الأُمَّة عَقْلِيَّةً ؛
لَهْرَاطِ ذِكْرِهِمْ ، وَكَمَالِ أَفْهَامِهِمْ ، وَفَضْلِهِمْ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَهُمْ ؛ إِذْ مُعْجَزَاتُهُمْ
حِسِّيَّةٌ لِبِلَادَتِهِمْ ، وَقَلَّةٌ بِصَيْرُثِهِمْ ، نَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ عَلَى قَوْلِهِ لِرَسُولِهِ^(٢) : « وَأَنْزَلْنَا
إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ » ؛ وَخَصَّهُ بِالْإِعَانَةِ عَلَى التَّبْلِيغِ فَلَمْ
يَقْدِرْ أَحَدٌ^(٣) مِنْهُمْ عَلَى مَعَارَضَتِهِ بَعْدَ تَعَدِّيهِمْ ؛ وَكَانُوا أَفْصَحَ الْفُصَحَاءِ وَأَبَاحَ
الْبَلَاءِ ؛ وَأَمْسَلَهُمْ طَوْلَ السِّنِينَ فَعَجَزُوا . وَقَالُوا^(٤) : « لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ
مِنْ رَبِّهِ ؛ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ ، وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ . أَوْ لَمْ
يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ » .

فَأخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ الْكِتَابَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِهِ قَائِمٌ مُتِمٌّ مَعْجَزَاتٍ غَيْرُهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ
لَفَنَاءُهَا بِفَنَائِهِمْ . وَكَانُوا أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى إِطْفَاءِ نُورِهِ ، وَإِخْفَاءِ أَمْرِهِ ؛ فَلَوْ
كَانَ فِي مَقْدَرَتِهِمْ مَعَارَضَتُهُ لَعَدُّوا إِلَيْهَا تَقْوِيَةً لِحُجُبِهِمْ ؛ بَلْ عَدُّوا إِلَى الْعِنَادِ
نَارَةً وَإِلَى الْاسْتِهْزَاءِ أُخْرَى ؛ فَتَارَةً قَالُوا : سَاحِرٌ . وَتَارَةً قَالُوا : أَسَاطِيرُ
الْأَوَّلِينَ . كُلُّ ذَلِكَ مِنْ تَحْيِيرِهِمْ ؛ ثُمَّ رَضُوا بِتَحْكِيمِ السَّيْفِ فِي أَعْنَاقِهِمْ ، وَسَبَّحِي

(٢) النحل : ٤٤ .

(٤) الضكيات : ٥٠ ، ٥١ .

(١) من ١ .

(٣) ي : واحد .

ذَرَارِيهِمْ ، وَحُرْمِهِمْ ، وَاسْتِباحَةِ أَمْوَالِهِمْ ؛ فَصَبَّ لَهُمُ الْحَرْبُ وَصَبَّوْا لَهُ ، وَقَتْلُ
مِنْ عَمَلِيَّتِهِمْ وَأَعْلَامِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَبَنَى أَعْمَامَهُمْ ؛ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَحْتَجُّ عَلَيْهِمْ بِأَنْ
يَأْتُوا بِسُورَةٍ وَاحِدَةٍ وَأَيَّاتٍ يَسِيرَةٍ ؛ إِذْ هِيَ أَتَقَضُّ لِقَوْلِهِ . وَأَفْسَدُ لَأَمْرِهِ ،
وَأَبْلَغُ فِي تَسْكَذِيبِهِ ، وَأَسْرَعُ فِي تَفْرِيقِ أَتْبَاعِهِ مِنْ بَذْلِ نَفْسِهِمْ وَخُرُوجِهِمْ مِنْ
أَوْطَانِهِمْ ، مَعَ أَنَّهُمْ أَشَدُّ الْخَلْقِ أَتْفَةً ، وَأَكْثَرُهُمْ مَفَاخِرَةً ؛ وَالْكَلَامُ سَيِّدُ
عَمَلِهِمْ ؛ فَخِينٌ لَمْ يَحْدُوا حِيلَةً وَلَا حِجَّةً قَالُوا لَهُ : أَنْتَ تَعْرِفُ مِنْ حَالِ
الْأُمَمِ مَا لَا نَعْرِفُ ؛ فَلِذَلِكَ يُمْكِنُكَ مَا لَا يُمْكِنُنَا . فَقَالَ لَهُمْ : هَاتُوا مِثْقَالَ مِثْقَلٍ
تَشْكِيَّتِهِمْ ؛ فَلَمْ يَرْمُ ذَلِكَ خَطِيبٌ ، وَلَا طَمَعُ فِيهِ شَاعِرٌ ، وَلَا طَمَعٌ ^(١) مِنْهُ أَوْ
تَكَلُّفٌ ، وَلَوْ تَكَلَّفَهُ لَظَهَرَ ذَلِكَ ، وَلَوْ ظَاهِرٌ لَوْجَدَ مَنْ يَسْتَجِيرُهُ وَيَحْمِيهِ ، نُصْرَةً
لِدِينِهِمْ ؛ بَلْ أَظْهَرَ اللَّهُ دِينَهُ ، وَخَرَقَ الْعَادَةَ فِي أَسْلُوبِ كَلَامِهِ وَبِلَاغَتِهِ وَحِلَاوَتِهِ ،
حَتَّى التَّدَاوَا بِسَمَاعِهِ أَلَدَ مِنْ أَهْلِ النَّهْرِ فِي لَهْوِهِمْ ، وَأَبْقَى ذَلِكَ فِيهِ إِلَى صَفْحَاتِ
الدَّهْرِ لِبَرَاهِمِ ذَوِّ الْبَصَائِرِ ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) : مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ ^(٣)
إِلَّا أُعْطِيَ [مِنَ الْآيَاتِ] ^(٤) مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ ؛ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْهُ
وَحْيًا أَوْحَاهُ ^(٥) إِلَى ، فَارْجُوا أَنْ أَكُونَ أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

فصلواتُ الله وسلامه على هذا النبي الكريم الذي أدى الأمانة ، ونصح
أُمَّتَهُ إِلَى رُشْدِهِمْ وَهَدَايَتِهِمْ ؛ فَهُوَ أَوَّلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَرَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى
عَنْ أَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ الَّذِينَ نَصَرُوهُ بِأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ .

أَبْسَدَ قَبْلَ إِبْطَالِ السَّلَفِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى كَلَامِ اللَّهِ أَنَّهُ مَحْفُوظٌ
فِي الصُّدُورِ ، مَتْرُوكٌ بِالْأَلْسِنَةِ ، مَكْتُوبٌ فِي الْمَصَاحِفِ هُوَ بِطَرِيقِ الْحَقِيقَةِ [٢]

(١) مِنْ طَمَعِ النَّفْسِ وَالسَّيْفِ وَغَيْرِهَا : مَآغِة .

(٢) صَحِيحُ مُسْلِمَ : ١٣٤ (٣) فِي مُسْلِمَ : مِنْ نَبِيٍّ

(٤) مِنْ مُسْلِمَ . (٥) فِي مُسْلِمَ : أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ .

لا بطريق المجاز ؛ وليس يعنون بذلك حوت كلام الله تعالى النديم في هـ — هذه
الأجرام ، تعالى الله عن ذلك ؛ وإنما يريدون أن كلامه جل وعلا مذكور مدلول
عليه بتلاوة اللسان ، وكلام الجنان ، وكتابة البنان ، فهو موجود فيها حقيقة
وعلمًا لا مدلولًا ؛ لأن الشيء له وجودات أربع : وجود في الأذهان ، ووجود
في الأعيان ، ووجود في اللسان ، ووجود بالبنان ، أي بالكتابة بالأصابع ؛
فالوجود الأول الذات الحقيقي ، وسائر الوجودات إنما هي باعتبار الدلالة والفهم .
وبهذا تعرف أن التلاوة غير المتلو ، والقراءة غير المقرء ، والكتابة غير
المكتوب ؛ لأن الأول من كل قسمين من هذه الأقسام حادث ، والثاني منها قديم
لا نهاية له .

[إعجاز القرآن]

وقد أفرد علماءنا رضي الله عنهم بتصنيف إعجاز القرآن ، وخاضوا في وجوه
إعجازه كثيرًا ، منهم الخطابي^(١) ، والرماني^(٢) ، والزمخشري^(٣) ، والإمام الرازي^(٤) ،
وابن سريّة ، والقاضي أبو بكر البلاقلائي^(٥) . وأنهى بعضهم وجوه إعجازه
إلى ثمانين .

والصواب أنه لا نهاية لوجوه إعجازه كما قال السكاكي في المفتاح^(٦) : اعلم

(١) كتاب إعجاز القرآن للخطابي طبع في دار التأليف سنة ١٢٧٢ هـ . وهو محمد بن محمد
ابن إبراهيم البستي ولد سنة ٣١٩ هـ ، وتوفي سنة ٣٨٨ هـ ، وهو من أعلام الفكر الإسلامي في
القرن الرابع .

(٢) هو علي بن عيسى الرماني الحضرمي ولد سنة ٢٧٦ هـ . ومات سنة ٣٨٤ هـ . له رسالة
في إعجاز القرآن طبعت في دار المعارف . وله أيضاً النكت في إعجاز القرآن طبع في دمشق
سنة ١٩٣٤ .

(٣) وكتابه إعجاز القرآن معروف مشهور .

(٤) البرهان : ١ - ٣١١ .

أن إعجاز القرآن يدرك ولا يمكن وصفه ، كاستقامة الوزن تُدرك ولا يمكن وصفها ؛ وكالملاحه . وكما يدرك طيبُ النغم العارض لهذا الصوت ؛ ولا يدرك تحصيله لغير ذوى القطر السليمة إلا بإتقان على المعانى والبيان والتمرين فيهما .

وقال الأصبهاني في تفسيره^(١) : اعلم أن إعجاز القرآن ذكر من وجهين : أحدهما إعجاز يتعلق بنفسه . والثاني بصرف الناس عن معارضته ؛ فالأول إما أن يتعلق بفصاحته وبلاغته أو بمعناه . أما الإعجاز المتعلق بفصاحته وبلاغته فلا يتعلق بعنصره الذى هو اللفظ والمعنى ، فإن الفاظه ألقاظهم ؛ قال تعالى^(٢) : « قُرْآنًا عَرَبِيًّا » . « بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ » . ولا بمعانيه ؛ فإن كثيراً منها موجود فى الكتب المتقدمة ؛ قال تعالى^(٣) : « وَإِنَّهُ لَنفى زُبُرِ الْأَوَّلِينَ » . وما هو فى القرآن من المعارف الإلهية وبيان البدأ والمعاد ، والإخبار بالغيب ؛ فإعجازه ليس براجع إلى القرآن من حيث هو قرآن ؛ بل لكونها حاصلة من غير سبق تعليم وتعلم ، ولكون الإخبار بالغيب إخباراً بالغيب سواء كان بهذا النظم أو بغيره موزعاً^(٤) بالعربية أو بلغة أخرى ، بعبارة أو إشارة ؛ فإذا فالنظم المخصوص صورة القرآن ، واللفظ والمعنى عنصره ؛ وباختلاف الصور يختلف حكم الشيء واسمه لا بعنصره ، كاقترط والخاتم والسوار ، فإنه باختلاف صورها اختلفت أسماؤها ، لا بعنصرها الذى هو الذهب والفضة والحديد ؛ فإن الخاتم المتخذ من الذهب ومن الفضة ومن الحديد يسمى خاتماً ، وإن كان العنصر مختلفاً . وإن اتخذ خاتم وقُرْط وسوار من ذهب أو من أسماؤها باختلاف صورها وإن كان العنصر واحداً . قال : فظهر من هذا أن الإعجاز المختص بالقرآن يتعلق بالنظم المخصوص .

(٢) يوسف : ٢ .

(٤) الشعراء : ١٩٦ .

(١) الإتيان : ٤ - ١٠ .

(٣) الشعراء : ١٩٥ .

(٥) فى الإتيان : مؤدى .

[إعجاز نظمه]

وبيان كون النظم معجزاً يتوقف على بيان نظم الكلام ، ثم بيان أن هذا النظم مخالف لما عداه من النظم .

ف نقول : مراتب تأليف الكلام خمس :

الأولى : ضم الحروف البسطة بعضها إلى بعض لتحصل الكلمات الثلاث : الاسم والقفل والحرف .

والثانية : تأليف هذه الكلمات بعضها إلى بعض ، فحصل الجمل المفيدة ، وهو النوع الذي يتداوله الناس جميعاً في مخاطباتهم وقضاء حوائجهم ، ويقال له المشور من الكلام .

والثالثة : ضم بعض [ذلك إلى بعض]^(١) ضمّاً له مبادٍ ومقاطع ، ومداخل ومخارج ، ويقال له المنظوم .

والرابعة : أن يعتبر في أواخر الكلام مع ذلك تسجيع ، ويقال له السجع .

والخامسة : أن يحمل له مع ذلك وزن ، ويقال له الشعر .

والمنظوم إما محاوره ، ويقال له الخطابة ، وإما مكاتبة [١٣] ويقال له الرسالة ؛ فأنواع الكلام لا تخرج عن هذه الأقسام ؛ ولكل من ذلك نظم مخصوص . والقرآن جامع لحاسن الجميع على غير نظم شيء منها ؛ يدل على ذلك أنه لا يصح أن يقال له رسالة أو خطابة أو شعر أو سجع ، كما يصح أن يقال هو كلام ؛ والبلغ إذا قرع سمعه فصل بينه وبين ما عداه من النظم . ولهذا قال تعالى^(٢) : « وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ » ؛

تفسيها على أن تأليفه ليس على هيئة نظم يتعاطاه البشر، فيمكن أن يغير بالزيادة والنقصان كحالة الكتب الأخرى .

قال : وأما الإعجاز المتعلق بصرف الناس عن معارضته فظاهر أيضاً إذا اعتبر؛ وذلك أنه ما من صناعة كانت محمودة أو مذمومة إلا وبينها وبين قوم مناسبات خفية واتفاقات ضمنية^(١)، بدليل أن الواحد يؤثر حرفة من الحرف^(٢) فيشرح صدره بملابستها، وتغايحه قواه في مباشرتها، فيقبلها بانسراح صدره ويزاومها^(٣) بقلبه .

فلما دعا الله أهل البلاغة والخطابة الذين يهيئون في كل واد من المعاني بسلاطة لبائهم إلى معارضة القرآن، وعجزوا عن الإتيان بمثله، ولم يتصدوا لمعارضته، فلم يخف على ذوي البلاغة أن صارفاً إلهياً صرفهم عن ذلك . وأى إعجاز أعظم من أن يكون كافة البلاء عجزوا في الظاهر عن معارضة، مصروفة في الباطن عنها .

[بم يعلم إعجاز القرآن ؟]

فإن قلت : هل يعلم إعجاز القرآن ضرورة أم لا ؟

فالجواب ظهور ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم يعلم [ذلك]^(١) ضرورة، وكونه معجزاً يعلم بالاستدلال .

قال أبو الحسن الأشعري : والذي نقوله إن الأعجمي لا يمكنه أن يعلم إعجازه إلا استدلالاً . وكذلك من ليس ببلغ . فأما البليغ الذي أحاط بمذاهب العرب وغرائب الصنعة فإنه يعلم من نفسه ضرورة عجزه وعجز غيره عن الإتيان بمثله .

فإن قلت : إنما وقع العجز في الإنس دون الجن . فالجواب إن الجن ليسوا

(٢) في ١ : حرفاً من الحروف - تحريف .

(٤) ليس و .

(١) في الإتيان : حيلة .

(٣) في الإتيان : باتساع قلب .

من أهل اللسان العربي الذي جاء القرآن على أساليبه ؛ وإنما ذكروا في قوله تعالى^(١) : « قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ... » الآية تعظيماً لشأنه ؛ لأن للهيئة الاجتماعية من القوة ما ليس للأفراد ، فإذا فرض اجتماع الثقلين ، وظاهر بعضهم بعضاً ، وعجزوا عن المعارضة كان الفريق الواحد أعجز .

وقال بعضهم : بل وقع للجن أيضاً والملائكة منويون في الآية ؛ لأنهم لا يقدرُونَ أيضاً على الإتيان بمثل القرآن .

وقال السكري^(٢) في غرائب التفسير : إنما اقتصر في الآية على ذكر الجن والإنس ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثاً إلى الثقلين دون الملائكة .
فإن قلت : قد قال تعالى^(٣) : « وَلَوْ كَانْ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا » . وقد وجدنا فيه اختلافاً وتفاوتاً في الصلحة ؛ بل نجد فيه الأوضح والاصحح . والجواب أنه لو جاء القرآن على غير ذلك لكان على غير النمط المعتاد في كلام العرب من الجمع بين الأوضح والاصحح ، فلا تتم الحجة في الإعجاز ، فجاء على نمط كلامهم المعتاد ليم ظهور العجز عن معارضته ولا يقولوا مثلاً : أتيت بما لا قدرة لنا على جنبه ، كما لا يصح للبصير^(٤) أن يقول للأعمى : قد غلبتك بنظري ؛ لأنه يقول له : إنما تم لك الغلبة لو كنت قادراً على النظر ، وكان نظري أقوى من نظرك . فأما إذا قد أصل النظر فكيف تصح من المعارضة .

[تنزيه القرآن عن الشعر]

وقيل : إن الحكمة في تنزيه القرآن عن الشعر الموزون — مع أن الشعر

(١) الإسراء : ٨٨ .

(٢) هو أبو القاسم برهان الدين محمود بن حمزة بن نصر السكري الشافعي ، يلقب تاج

القرآن . توفي بعد سنة ٥٠٠ (بنية الوفاة : ٤٨٧) .

(٣) في ١ : من البصير .

(٤) النساء : ٨٢ .

الموزون من الكلام رُتِبَتْه فوق رتبة غيره - أن القرآن منبع الحق ، ومجمع الصدق ؛ وقصارى أمر الشاعر التخيل^(١) بتصور الباطل في صورة الحق ، والإفراط في الإطراء ، والمبالغة في الذم والإيذاء ، دون إظهار الحق ، وإثبات [٣ ب] الصدق ؛ ولهذا نزه الله نبيه صلى الله عليه وسلم عنه ؛ ولأجل شهرة الشعر بالكذب سمي أصحاب البرهان القياسات المؤدية في أكثر الأمر إلى البطلان والكذب - شعريّة .

وقال بعض الحكماء : لم ير مُتَدَيِّن صادقُ اللهجة مُفْلَق في شعره ؛ وأما ما وُجِد في القرآن مما صورته صورة الموزون فالجواب عنه أن ذلك لا يسمى شعراً ؛ لأن من شرط الشعر التقصد ، ولو كان شعراً لكان من اتفق له في كلامه شيء موزون شاعراً ؛ فكان الناس كلهم شعراء ؛ لأنه قل أن يخلو كلام أحد عن ذلك .

وقد ورد ذلك على التصحاه ، فلو اعتقدوه شعراً لبادروا إلى معارضته والطمع عليه ، لأنهم كانوا أحرص شيء على ذلك ؛ وإنما يقع ذلك لبلوغ الكلام الغاية المقصوى في الانسجام . وقيل البيت الواحد وما كان على وزنه لا يسمى شعراً . وأقل الشعر بيتان فصاعداً . وقيل الرجز لا يسمى شعراً أصلاً . وقيل : أقل ما يكون من الرجز شعراً أربعة أبيات ؛ وليس ذلك في القرآن بحال^(٢)

[الاختلاف وتريه القرآن عنه]

قال الترمذى : الاختلاف لفظ مشترك بين معان ، وليس المراد نفي [اختلاف

(١) و ب : التخيل .

(٢) في أحكام القرآن صفحة ١٥٩٢ حديث طويل في الشعر ، وما في القرآن من وزن ، وهو حديث يثنى الفقه في موضوعه ، فأرجع إليه إن شئت .

الناس فيه ؛ بل نرى [١] الاختلاف عن ذات القرآن ؛ يقال : هذا كلام مختلف ؛ أى لا يشبه بعضه بعضاً ، أو لا يشبه أوله آخره [٢] ، أو بعضه يدعو إلى الدين وبعضه يدعو إلى الدنيا ؛ وهو مختلف النظم ؛ فبعضه على وزن الشعر وبعضه منزح [٣] ، وبعضه على أسلوب مخصوص في الجزالة ، وبعضه على أسلوب يخالفه ؛ وكلام الله مَنزَّهٌ عن هذه الاختلافات ؛ فإنه على منهاج واحد في النظم يناسب أوله آخره ، وعلى درجة واحدة في الفصاحة ؛ فليس يشتمل على الفث والسهين ، ومسوق بمعنى واحد ؛ وهو دعوة الخلق إلى الله تعالى ، وصرفهم عن الدنيا إلى الدين ، وكلام الآدميين يتطرق إليه هذه [٤] الاختلافات ؛ إذ كلام الشعراء والمراسلين [٥] إذا قيس عليه ويُجد فيه اختلاف في منهج النظم ، ثم اختلاف في درجات الفصاحة ، ثم في أصل الفصاحة ، حتى يشتمل على الفث والسهين ، ولا تتساوى رسالتان ولا قصيدتان ؛ بل تشتمل قصيدة على أبيات فصيحة وأبيات سخيفة ، وكذلك تشتمل القصائد والأغراض [٦] على أغراض مختلفة ؛ لأن الشعراء والقصحاء في كل واحد يهيمون ؛ فتارة يمدحون الدنيا ، وتارة يذمونها ، وتارة يذمون الجبن ويسمونهم ضَعَفَاء ، وتارة يمدحونه ويسمونهم حَزَمَاء [٧] ، وتارة يمدحون الشجاعة ويسمونهم صرامة ، وتارة يذمونهم ويسمونهم تهوراً .

ولا ينفك كلام آدمي عن هذه الاختلافات ؛ لأن منشأها اختلاف الأغراض والأحوال .

(١) من الإتيان .

(٢) في الإتيان : أو لا يشبه أوله آخره في الفصاحة ، أو هو مختلف ، أى بعضه ...

(٣) هذا بالأسول . وفي القاموس : والزحاف - ككتاب - في الشعر : أن يسقط بين

الحرفين حرف فيزحف أحدهما إلى الآخر ، والشعر مزاحف - بفتح الميم (زحف) .

(٤) و ١ : هذا الاختلاف . (٥) في الاتقان : والترسلين .

(٦) في الاتقان : والأشعار . (٧) هذا في الأسول ، والإتيان .

والإنسان تختلف أحواله فتعده القصاحة عند انبساط الطبع وفرحه ، وتعذر عليه عند الانقباض ؛ وكذلك تختلف أغراضه فيميل إلى الشيء مرة ويميل عنه أخرى ، فيوجب ذلك اختلافا في كلامه بالضرورة ، فلا يصادفُ إنسان يتكلم في ثلاث وعشرين سنة - وفي مدة^(١) نزول القرآن - فيتكلم على غرض واحد ومنهاج واحد .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم بشراً تختلف أحواله ؛ فلو كان هذا كلامه أو كلام غيره من البشر لوجدوا فيه اختلافا كثيرا .

[هل غير القرآن معجز ؟]

فإن قلت : هل يقال إن غير القرآن من كلام الله معجز ؛ كالنوراة والإنجيل ؟
فالجواب ليس شيء من ذلك معجزا في النظم والتأليف ، وإن كان معجزا كالقرآن فيما يتضمن من الإنجبار بالغيوب . وإنما لم يكن معجزا لأن الله لم يصفه بما وصف به القرآن ، ولأننا قد علمنا أنه لم يقع التحدى إليه كما وقع في القرآن ؛ ولأن ذلك اللسان لا يتأتى فيه من وجوه القصاحة ما يقع به التفاضل الذي ينتهي إلى حد الإعجاز .

وقد ذكر ابن جني في الخاطريات في قوله تعالى^(٢) : « يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى » أن العلول عن قوله : وإما أن تلقى لغرضين : أحدهما - لفظي ، وهو المزوجة لموسى الآي . والثاني - معنوي ، وهو أنه تعالى أراد أن يخبر عن قوة أنفاس السحرة واستطاعتهم على موسى ؛ فجاء عنهم باللفظ [١٤] أنهم وأوفى منهم^(٣) في إستادهم العمل إليه .

(٢) طه : ٦٥ .

(١) في الإتيان : وهي مدة ...

(٣) في الإتيان : مع .

ثم أورد سؤالاً ؛ وهو أنا علم أن السحرة لم يكونوا أهل لسان ؛ فنذهب بهم هذا الذهب من صنعة الكلام .

وأجاب بأن جميع ما ورد في القرآن حكاية عن غير أهل اللسان من القرون الخالية إنما هو معرّب عن معانيهم ، وليس هو بحقيقة أفعالهم . ولهذا لا يشك أن قوله تعالى ^(١) : « قَالُوا إِنَّ هَٰذَيْنِ سَٰحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى » - إن هذه القصة لم تخرج على لغة العجم .

[موضع الإعجاز من القرآن]

قال أبو حيان التوحيدى ^(٢) : « سُئِلَ بُنْدَارٌ ^(٣) القارمى عن موضع الإعجاز من القرآن ^(٤) . فقال : هذه مسألة فيها حيف على المفتى ؛ وذلك أنه شيء بقولكم ^(٥) موضع الإنسان من الإنسان ، فليس للإنسان موضع من الإنسان ، بل متى أشرت إلى جملة فقدت ^(٦) حقيقته وذلك على ذاته ؛ كذلك القرآن أشرفه لا يُشار إلى شيء منه إلا وكان ذلك المعنى آية في نفسه ومعجزة لحاويله ، وأعدى ^(٧) لقائله ؛ وليس في طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله في كتابه ؛ فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده .

[فائدة ذكر وجوه الإعجاز]

فإذا علمت عجز الخلق عن تحصيل وجوه إعجازه فما فائدة ذكرها ؟ لكننا نذكر بعضها تحفلاً على من سبق ، فإن كنت لا بمن أجول في ميدانهم ، ولا أعد

(١) طه : ٦٣ . (٢) البرهان : ١ - ١٠٣ . (٣) في باب : أبو بندار .

(٤) في البرهان : لم اسمع كلاماً ألقى بالقلب ، وأطلق باللسان من فصل تكلم به .

(٥) في البرهان : ما وضع . (٦) في البرهان : قد حقت .

(٧) في البرهان : وعدى .

من فرسانهم لَعَنُوكَ بْنَ دَارٍ كَرِيمِ أَبْنَاءَ الدُّنْيَا تَتَحَمَّلُ مِنْ تَطْفُلٍ عَلَيْهِ فَكَيْفَ
بِأَكْرَمِ الْأَكْرَمِينَ وَأَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ ؟ وَإِنْ كَانَتْ بَعْضُ الْأَوْجِهَةِ لَا تَعْدُ مِنْ إِعْجَازِهِ
فَإِنَّمَا ذَكَرَتْهَا لِلإِطْلَاعِ عَلَى بَعْضِ مَعَانِيهِ ؛ فَيُتْلَجُ ^(١) لَهُ صَدْرُكَ ، وَتَبْهَجُ نَفْسُكَ .
فَإِنْ وَجَدْتَ لَهُ حِلَاوَةً فَلَا تَنْسَ أَخَاكَ الْفَرِيقَ بِدَعْوَةِ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ فِي دَارِ
كَرَامَتِهِ بِمَخْلُقٍ تَمَّعَ وَقُوَّةً حَتَّى يَدْرِكَ بِهِ كَلَامَهُ الْقَدِيمَ ، فَإِنَّهُ مِنْهُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَوِيَّةِ لَقَدْ لَدَّ الْمُنَاجَاةُ لَهُ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِ ؛ مَصْدَاقُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ^(٢) : « سَأَصْرِفُ عَنْ
آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ » .

وَانْظُرْ إِلَى مَا صَحَّ عَنْ كَلِيمِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ كَانَ يَسُدُّ أُذُنَيْهِ لئَلَّا يَسْمَعَ
كَلَامَ الْخَلْقِ ؛ إِذَا صَارَ عِنْدَهُ كَأَنَّ مَا يَكُونُ مِنْ أَصْوَاتِ الْبِهَائِمِ الْمُنْكَرَةِ ، حَتَّى
لَمْ يَكُنْ يَسْتَطِيعُ سَمَاعَهُ مَعْدِنَانِ ^(٣) مَا ذَاقَ مِنَ اللَّذَاتِ الَّتِي لَا يَحَاطُ بِهَا وَلَا تَكْفَى
عِنْدَ سَمَاعِ كَلَامٍ مِنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ . جَلَّ وَعَلَا .

وَلَوْلَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَفِيهِ عَمَّا ذَاقَ عِنْدَ مُنَاجَاتِهِ عَمَّا لَا يَتَدَّرُّ عَلَى وَصْفِهِ لَمَا أُمِكنَ
أَنْ يَأْنَسَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْخَلُوقَاتِ أَبَدًا ، وَلَمَا انْتَفَعَ بِهِ أَحَدٌ ، فَسُبْحَانَهُ مِنْ لَطِيفٍ ،
مَا أَوْسَعَ كَرَمَهُ وَأَعْظَمَ جَلَالَهُ !

وَمَنْ أَعْجَبَ الْأَمْرُ فِي هَذَا عَدَمِ ذَوْبَانِ اللَّذَاتِ وَتَلَاشِيهَا حَتَّى تَصِيرَ عَدَمًا
مَحْضًا عِنْدَ إِطْلَاعِهَا مِنْ ذِي الْجَلَالِ عَمَّا اطَّلَعَتْ عَلَيْهِ ، لَوْلَا أَنَّهُ أَثْبَتَهَا وَأَمْسَكَهَا ،
يَشْهَدُ لِهَذَا مَا صَحَّ عَنْ ابْنِ الْأَثَمِ - وَكَانَ مِنَ الْأَبْدَالِ ^(٤) - أَنَّهُ رَأَى مَرَّةً فِي نَوْمِهِ
حُورَاءَ كَلِمَتِهِ فَبَقِيَ نَحْوَ شَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْمَعَ كَلَامًا إِلَّا تَتَيَّاهُ .

(١) التَّجَلَّى كَتَمَرٍ وَفَرَحٍ . (٢) الْأَعْرَافُ : ١٤٦ .

(٣) حَدَّثَنَا الْأَمْرُ - بِالْكَسْرِ : أَوَّلُهُ (الْقَامُوسُ) .

(٤) فِي الْقَامُوسِ : الْأَبْدَالُ قَوْمٌ بِهِمْ بَقِيَّةُ عِزِّ وَجَلِّ الْأَرْضِ ، لَا يَمُوتُ أَحَدُهُمْ إِلَّا قَامَ مَقَامُهُ
آخَرُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ (بَدَل) .

فانظر هذا الأمر كيف صار كلامُ الناس بالنسبة إلى كلام الحوراء الذي هو من جنس كلامهم أدنى وأقبح من صوت الحير والكلاب بالنسبة إلى كلام الناس؛ إذ لا نجد من يتقياً من سماع صوت الحير أو الكلاب، ولو سمعته إثر سماعك أفصح كلام وأعذب، فكيف نسبة كلام الخلق إلى كلام الخالق الذي جازى عن المثل في ذاته وصفاته وأفعاله .

وقال أيضاً رضى الله عنه : دخلت مسجد نبيء بالإسكندرية بالديمان^(١) ، فوجدت النبيء المدفون هناك قائماً يعلى ، عليه عباءة مخططة ، فقال : تقدم فصل . قلت له : تقدم أنت فصل . قال : إنكم من أمة نبيء لا ينبغي لنا التقدم عليه . قل : قالت له : بحق هذا النبيء - وقد وضع فمه على فمى إجلالاً للفظه النبيى كي لا تبرز في الهواء . قال : فتقدمت وصليت .

فانظر إلى هذا المصاب الحال بنا في عدم احترامنا لذكر هذا الرسول والكتاب المنزل عليه ، قف به على قدم الاعتذار ، واكشف رأس التَّجَبُّر والاستكبار ، ونادِ بلسان الاضطرار^(٢) : « رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ » لعلك تسمع كلامه إذ تشفتَ إليه بكلامى فأنت من المقبولين ، وتنال بذلك القوز مع الذين أنعم الله عليهم [٤ ب] من النبيين والصديقين ، وحاشاك نسيان أخيك الجالب لك من أسرار كلامه تعالى ما يزيد فيه حلاوته والنظر فيه يزيدك له محبة .

الوجبة الأولى من : جوده : مجازة

[العلوم المستنبطة منه]

وكيف لا وقد احتوى على علوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب ، ولا أحاط بعلمها أحدٌ في كلمات قليلة وأحرف معدودة. قال تعالى ^(١) : « مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ » . وقال ^(٢) : « وَزَيَّنَّا لَكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ » . وقال صلى الله عليه وسلم : ستكون فتن. قيل : وما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله ؛ فيه نبأ ما قبلكم ، وخير ما بعدكم ، وحكم ما بينكم . أخرجه الترمذى وغيره .

وأخرج سعيد بن منصور ، عن ابن مسعود ، قال : من أراد العلم فليبه بالقرآن ؛ فإن فيه علم الأولين ^(٣) والآخرين ^(٤) .

قال البيهقي ^(٥) : يسمى أصول العلم :

وأخرج البيهقي عن الحسن ، قال : أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب ، أودع علومها أربعة منها : التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والفرقان ؛ ثم أودع علوم الثلاثة في الفرقان .

وقال الإمام الشافعى رضى الله عنه : جميع ما تقوله الأمة شرح لسنة ، وجميع السنة شرح للقرآن .

وقال أيضا : جميع ما حكم به النبي صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن .

(١) الأنعام : ٣٨ .

(٢) النحل : ٨٩ .

(٣) في الإتيان : خبر

(٤) هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله البيهقي ، صاحب كتاب السنن ،

ودلائل النبوة ، وغيرها . توفي سنة ٤٥٨ (طبقات الشافعية : ٣ - ٣) .

ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم : إني لا أحِلَّ إلا ما أحلَّ الله في كتابه ، ولا أُحَرِّم إلا ما حرم الله في كتابه . أخرجه بهذا اللفظ الشافعي في الأم .

وقال سعيد بن جبَّير : ما بلغني حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه إلا وجدتُ مصداقة في كتاب الله .

وقال ابن مسعود : إذا حدثتكم بحديث أنبأتكم بتصديقه من كتاب الله . أخرجهما ابن أبي حاتم .

وقال الشافعي أيضا : لَيْسَتْ تَنْزِيلُ بِأَحَدٍ فِي الدِّينِ نَازِلَةٌ إِلَّا وَفَى كِتَابُ اللَّهِ الدَّلِيلُ عَلَى سَبِيلِ الْهُدَى فِيهَا .

فإن قيل : من الأحكام ما ثبت ابتداء بالسنة ؟ قلنا : ذلك مأخوذ من كتاب الله في الحقيقة ؛ لأن كتاب الله أوجب علينا اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفرض علينا الأخذ بقوله !

وقال الشافعي مرة بمكة : سَلَوْنِي عَمَّا شَتَمَ أَخْبَرَكُمْ عَنْهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ . فقيل له : ما تقول في المحرم يقتل الزنبور ؟ فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ^(١) ، « وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » .

وحدثنا سفيان بن عُيينة عن عبد الملك بن عُمر ، عن ربيع بن حِرَاش ^(٢) ، عن حُذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : اقتدوا باللذين من بعدي : أبو بكر وعمر .

وحدثنا سفيان عن مسعر بن كِدَّام ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب ، عن عمر بن الخطاب — أنه أمر بقتل المحرم الزنبور .

(١) الحشر : ٧ .

(٢) جاء مهلة . كسورة وراء مفتوحة وشين معجمة (الإكمال ١ - ١٩٧) .

وأخرج البخاري عن ابن مسعود أنه قال^(١) : لعن الله الواشمة والمستوشمة ،
والتمصّات والتفليجات^(٢) للحسن ، الفخيرات خلق الله . فبلغ ذلك امرأة من
بنى أسد^(٣) ، قالت له : بلغني أنك لعنت كيت وكيت ! فقال : وما لي لا ألعن
مَنْ لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله ؟ قالت : لقد قرأت
ما بين الأوحين فما وجدت فيه ما تقول . قال : إن كنت قرأته فقد وجدته .
أما قرأت^(٤) : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .
قالت : بلى . قال : فإنه قد نهى عنه .

وحكى ابن سُرّة في كتاب الإعجاز عن أبي بكر بن مجاهد - أنه قال :
ما شيء في العالم إلا وهو في كتاب الله عز وجل ؛ قيل^(٥) : فأين ذكر
الخطائت ؟ قال في قوله عز وجل^(٦) : « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا
غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ » . فهي الخطائت . وقال ابن بُرجان^(٧) :
ما قال النبي صلى الله عليه وسلم من شيء فهو في القرآن أو فيه أصله قَرُب أو بُد ،
فَهَمَةٌ مِنْ فَهْمَةٍ ، وَعَمِيَّ عَنْهُ مِنْ عَمِيَّ^(٨) ، وكذا كل ما حكم أو قضى به ،
وإنما يدركه الطالب من ذلك بتدبر اجتهاده وبذل وسعه ومقدار فهمه .

(١) صحيح مسلم : ١٦٧٨ .

(٢) الواشمة : فطة الوشم . والطالبة للوشم مستوشمة . والتمصّة : التي تزيل الشعر من
الوجه . والتمصّة : هي التي تطلب فتل ذلك بها . والمفليجات المراد مفليجات الأسنان بأن تبرد
ما بين أسنانها الثياب والرياحيات ، وهو من الفلج ، وتصل تلك المجوز ومن قاربها في السن
إظهاراً للصبر وحسن الأسنان .

(٣) في مسلم : يقال لها أم بطوب . (٤) الحضر : ٧ .

(٥) في ١ : قتال . (٦) التور : ٢٩ .

(٧) في ١ : جرجان ، وفي الإتيان : برمان - تصحيف ، وهو عبد السلام بن عبد الرحمن
أحد أئمة الفقه والنحو في زمانه توفي سنة ١٢٧ (بنية الوعاة ٢٠٦) .

(٨) في ١ : وعنه عنه من عمه . والصلة بحركة : التردد في الضلال والتعبر في مازعة أو طريق ،
أو الأيعرف الحجة .

وقال غيره : ما من شيء إلا يمكن استخراجُه من القرآن لمن فهمه الله ، حتى إن بعضهم استنبط عمر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وستين سنة من قوله في سورة المنافقين ^(١) : « وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا » . فإنها رأس ثلاث ^(٢) وستين سورة وأعقبها بالتناين ^(٣) في قده .

وقال ابن أبي القمطر المرسى ^(٤) : جمع القرآن علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحيط بها علماً حقيقة إلا واهبها والتكلم بها ، ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا ما استأثر به سبحانه [١٥] ؛ ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم ، مثل الخلفاء الأربعة ، وابن مسعود ، وابن عباس ، حتى قال : لو ضاع لي عقل بعير لوجدته في كتاب الله .

[استنباط العلوم منه]

ثم ورث عنهم التابعون بإحسان ، ثم تناصرت لهم ، وفترت المزامم ، وتضائل أهل العلم ، وضعفوا عن حل ما حله ^(٥) الصحابة والتابعون من علومه وبنائهم فنونه ، فنوعوا ^(٦) علومه ، وقامت كل طائفة بفن من فنونه ، فاعنى قوم بضبط لغاته ، وتحرير كلماته ، ومعرفة مخارج حروفه ، وعد ^(٧) كلماته وآياته وسوره ، وأحزابيه ، وأنصافه وأرباعه ، وعدد سجدهاته ، والتعليم عند كل عشر آيات إلى غير ذلك ؛ من حصر الكلمات المتشابهة ، والآيات المتماثلة ، من غير تعرض لمعانيه ، ولا تدبر لما أودع فيه ، فبهوا القراء .

(٢) في ١ : فإنه ثلاث .

(١) آية ١١

(٣) في الإتيان ، وأعقبها بالتناين . يظهر التناين في قده . وسورة المنافقون هي السورة الثالثة والستون ، وسورة التناين جاءت بعدما .

(٤) في تفسيره (الإتيان : ١٢٦) .

(٦) في ب : فبدعوا .

(٥) في ١ : عن حل ما أحله ...

(٧) في ١ : وعد . وفي الإتيان : وعددهما .

واعنى النحاة بالعرب منه والى من الأسماء والأفعال ، والحروف العامة
وغيرها ، وأوسموا الكلام فى الأسماء وتوابعها ، وضروب الأفعال واللازم والمتحدى ،
ورسوم خط الكلمات ، وجميع ما تفاق به ، حتى إن بعضهم أعرب مشكله ،
وبعضهم أعربه كلمة كلمة .

واعنى المفسرون بالمعاني ، فوجدوا منه لفظاً يدل على معنى واحد ، ولفظاً
يدل على معنيين ، ولفظاً يدل على أكثر ، فأجروا الأول على حكمه ، وأوضحوا معنى
الخفى منه ، وخاضوا فى ترجيح أحد محتملات معنى المعنيين والمعانى ، وأعمل كل فكره
وقل يقتضى نظره .

واعنى الأصوليون بما فيه من الأدلة العقلية ، والثبوت الأصلية والنظرية ؛
مثل قوله ^(١) : « لَوْ كُنْ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَنَسَدْتَنَا » . إلى غير ذلك من
الآيات الكريمة ، فاستنبطوا منه أدلة على وحدانية الله ووجوده ، وقدمه ، وبقائه ،
وقدرته وعلمه ، وتنزيهه عما لا يليق به ؛ وسموا هذا العلم بأصول الدين .

وتأملت ^(٢) طائفة منهم معانى خطابه ، فرأت منها ما يقتضى الصوم ، ومنها
ما يقتضى الخصوص إلى غير ذلك ؛ فاستنبطوا منها أحكام الثقات من الحقيقة
والجواز ، وتكلموا فى التخصيص والإخبار ، والنص والظاهر والجمل ، والمحكم
والنشابه ، والأمر والنهى ، والسخ ، إلى غير ذلك من أنواع الأهمية ، واستصحب
الحال والاستبراء ، وسموا هذا الفن أصول الفقه .

واحكمت طائفة صحيح النظر وصادق الفكر فيما فيه من الحلال والحرام ،
وسائر الأحكام ؛ فأسروا ^(٣) أصوله ، وفرعوا فروعه ، وبسطوا القول فى ذلك
بسطاً حسناً ؛ وسموه بعلم الفروع وبالفقه أيضاً .

(٢) فى ب : وبات . وفى ا : وتناولت .

(١) الأنبياء : ٢٢

(٣) فى ب : فاستنبطوا .

وَتَلَمَّحَتْ طَائِفَةٌ مَا فِيهِ مِنْ قِصَصِ التَّمَرُونِ السَّابِقَةِ وَالْأُمَمِ الْخَالِيَةِ ، وَتَلَوْا أَحْبَرَهُمْ . وَدَوَّنُوا آثَارَهُمْ وَوَقَائِعَهُمْ حَتَّى ذَكَرُوا بَدْءَ الدُّنْيَا وَأَوَّلَ الْأَشْيَاءِ ، وَسَمَوْا ذَلِكَ بِالتَّارِيخِ وَالْقِصَصِ .

وَتَبِعَ آخَرُونَ لِمَا فِيهِ مِنَ الْحُكْمِ وَالْأَمْثَالِ وَالْمَوَاعِظِ الَّتِي تَنْتَقِلُ قُلُوبَ الرِّجَالِ ، وَتَسْكَدُ تَذَكُّدُكَ الْجِبَالِ ؛ فَاسْتَنْبَطُوا مِمَّا فِيهِ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ، وَالتَّحْذِيرِ وَالتَّبَشِيرِ ، وَذِكْرِ الْمَوْتِ وَالْمَعَادِ ، وَالتَّشْرِ وَالْحَشْرِ ، وَالْحَسَابِ وَالْعِقَابِ ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، مَصُولًا مِنَ الْمَوَاعِظِ ، وَأَصُولًا مِنَ الزَّوَاجِرِ ؛ فَسَمَوْا بِذَلِكَ الْخُطْبَاءَ وَالْوَعَاظَ .

وَاسْتَنْبَطَ قَوْمٌ مِمَّا فِيهِ مِنْ أَصُولِ التَّبْيِيرِ مِثْلَ مَا وَرَدَ فِي قِصَّةِ يُوسُفَ فِي الْبَقَرَاتِ السَّمَانِ . وَفِي مَنَامِي صَاحِبِ الْحُجْنِ ، وَفِي رُؤْيَا الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّجُومِ سَاجِدَةً ؛ وَسَمَوْهُ تَبْيِيرَ الرُّؤْيَا ؛ وَاسْتَنْبَطُوا تَفْسِيرَ كُلِّ رُؤْيَا مِنَ الْكِتَابِ ^(١) ؛ فَإِنْ عَزَّ عَلَيْهِمْ خَرُاجُهَا مِنْهُ فَمِنْ السَّنَةِ الَّتِي هِيَ شَارِحَةٌ لِلْكِتَابِ ، فَإِنْ عَسَرَ كَمِنْ الْحُكْمِ وَالْأَمْثَالِ ، نَظَرُوا إِلَى اصْطِلَاحِ ^(٢) الْعَرَامِ فِي مُحَاطَبَاتِهِمْ وَعَرَّفُوا عَادَاتِهِمْ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا التَّرَاثُ . فَقَوْلُهُ ^(٣) : « وَأَمْرٌ بِالْعُرْفِ » .

وَأَخَذَ قَوْمٌ مَا فِي آيَةِ الْوَارِيثِ مِنْ ذِكْرِ السَّهَامِ وَأَرْبَابِهَا وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَسَمَوْهُ عِلْمَ الْفَرَائِضِ ، وَاسْتَنْبَطُوا مِنْهَا مِنْ ذِكْرِ النِّصْفِ وَالثُّلُثِ وَالرُّبْعِ وَالسُّدُسِ وَالْأُثْمَنِ حَسَابَ الْفَرَائِضِ وَمَسَائِلِ الْعَوَّلِ ، وَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ أَحْكَامَ التَّوَصِّيَا .

وَنَظَرَ قَوْمٌ إِلَى مَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى الْحُكْمِ الْبَاهِرَةِ ، فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَمَنَازِلِهِ ، وَالنَّجُومِ وَالْبُرُوجِ ؛ وَغَيْرِ ذَلِكَ ؛ فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ عِلْمَ الْمَوَاقِيتِ .

(١) ن : ١ : إصلاح .

(١) ن : ب : الكتب .

(٢) الأعراف : ١٩٩

ونظر الكتب والشراء إلى ما فيه من جزالة اللفظ ، وبديع النظم ، وحسن
السياق ، واللباس [ب • ب] والمقاطع ، والخالص ، والتلون في الخطب ، والإطناب
والإيجاز ، وغير ذلك ؛ فاستنبطوا منه المعاني والبيان والبديع .

ونظر فيه أرباب الإشارات وأصحاب الحقيقة فلاح لهم من ألقاظه معان ودقائق
جلوا لها أعلاماً اصطلاحوا عليها ، مثل التناء والبقاء والحضور ، والخوف ، والمية ،
والأنس والوحشة ، والتمبض والبسط ، وما أشبه ذلك - ^(١) هنما لقنونا التي أخذتها
الملة الإسلامية منه .

وقد احتوى على علوم آخر من علوم الأوائل ، مثل الطب ، والجندل ،
والهيئة ، والهندسة ، والجبر ، والمقالة ، والنجامة ، وغير ذلك .

أما الطب فدلره على حفظ نظام الصحة واستحكام القوة ؛ وذلك إنما يكون
باعتدال المزاج بتفاعل الكيفيات المتضادة . وقد جمع ذلك في آية واحدة ، وهي
قوله ^(٢) : « وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا » .

وعرفنا فيه بما يفيد نظام الصحة بعد اختلاله ، وحدث الشفاء للبدن
بعد اختلاله في قوله ^(٣) : « ثُمَّ رَأَى تَحْتَلِفُ أَلْوَانُهُ فَبَدَأَ شِفَاءً لِلنَّاسِ » . ثم زاد
على طب الأجداد طب القلوب وشفاء الصدور .

وأما الهيئة ففى تضاعف سوره من الآيات التي ذكر فيها ملكوت السموات
والأرض وما بث فيها في العالم العلوي والسفلي من المخلوقات .

وأما الهندسة ففى قوله ^(٤) : « انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب ... »
الآية .

(١) هي كنهك في الأصول ، والاعيان . (٢) الفرقان : ٦٢
(٣) النور : ٦٩
(٤) الرسائل : ٣٠

وأما الجدال فقد حوت آياته من البراهين والمقدمات والنتائج ، واتمول بالوجب والمعارضة ، وغير ذلك ، شيئاً كثيراً . ومناظرة^(١) إبراهيم ثم رُود ومحااجة قومه أصل في ذلك عظيم .

وأما الخبر والمقابلة فقد قيل : إن أوائل السور فيها ذكر مدد وأيام وأعوام لتواريخ أمم سائلة ، وإن فيها تاريخ بقاء^(٢) هذه الأمة ، وتاريخ مدة الدنيا ، وما مضى ، وما بقي ، مضروب بعضها في بعض .

وأما النجاة ففي قوله^(٣) : « أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ » . وقد فسر به بذلك ابن عباس .

وفيه أصول الصنائع وأسماء الآلات^(٤) التي تدعو الضرورة إليها ؛ كالخياطة - قوله^(٥) : « وَطَفِقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا » . والحِذَادَةُ^(٦) : « آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ » . « وَالنَّارَ^(٧) لَهُ الْحَدِيدُ » . والبناء في آيات . والتجارة^(٨) : « وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا » . والتزل^(٩) : « تَقَضَّتْ عَرَّتُهَا » . والتسج^(١٠) : « كَذَلِ الْمَسْكُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا » . والفلاحة^(١١) : « أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ... » الآيات . والصيد في آيات . والقوص^(١٢) : « كُلُّ^(١٣) بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ » .^(١٤) « وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا » . والصياغة^(١٥) : « وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ » . والزجاجة^(١٦) : « صَرَّخَ مُعَرَّذٌ مِنْ قَوَارِيرٍ » .^(١٧) « مِصْبَاحٌ لِلصَّبَاحِ فِي زُجَاجَةٍ » . والفخارة^(١٨) : « فَأَوْقِدْ

(١) الآية ٢٥٨ ، والآية ٢٦٠ من سورة البقرة .

(٢) في ١ : ولد فيها بقاء تلويح (٣) الأحقاب : ٤

(٤) في ١ : الآيات (٥) الأعراف : ٢٢ ، طه : ١٢١ (٦) الكهف : ٩٦

(٧) سبأ : ١٠ (٨) هود : ٢٧ (٩) النمل : ٩٢

(١٠) النمل : ٤١ (١١) الواقعة : ٦٣ (١٢) في ب : والنوم .

(١٣) من : ٣٧ (١٤) النمل : ١٤ (١٥) الأعراف : ٤٨

(١٦) النمل : ٤٤ (١٧) النور : ٣٥ (١٨) القصص : ٢٨

إِ يَٰ هَٰمَانَ عَلَى الطين . . . والملاحه ^(١) : « أما السفينة . . . الآية .
والكتابة ^(٢) : « علم بالعلم . . . والتخبر ^(٣) : « أشعل فوق رأسى خبزاً . . . والطبخ ^(٤) :
« يجعل حنيداً . . . والنسل ^(٥) : « وثيابك فطهر » . . . والقصاره ^(٦) : « قال الحواريون » ؛
وهم التصارون . . . والجزارة ^(٧) : « إلا ما ذكَّيتم » . . . والبيع والشراء في آيات .
والصبغ ^(٨) : « صبغة الله » . ^(٩) « جدّد يبيض ويحمر » . . . والحجارة ^(١٠) :
« وتنجثون من الجبال بيوتاً » ، والكيلة والوزن في آيات . والرمنى ^(١١) :
« وما رميت إذ رميت » . ^(١٢) « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

وفيه من أسماء الآلات وصروب المأكولات والمشروبات والمنسكحات ،
وجميع ما وقع ويقع في السكائنات ما يحقق معنى قوله تعالى ^(١٣) : « ما فرطنا في
الكتاب من شيء » . انتهى من كتاب الرسمى ملخصاً .

وقال ابن سراج في ^(١٤) وجوه إعجاز القرآن : ما ذكر الله فيه من أعداد
الحساب والجمع والقسمة والضرب ، والنواعة والتأليف ، وللناسبة والتصنيف ،
والمضاعفة ، ليعلم بذلك أهل العلم بالحساب أنه صلى الله عليه وسلم صادق في قوله :
إن القرآن ليس من عنده ؛ إذ لم يكن ممن خالط القلاسفة [١٦] ولا تلقى أهل
الحساب وأهل الهندسة .

وقال الراغب : إن الله تعالى كما جعل نبوة النبيين بنياناً ومولانا محمد صلى الله
عليه وسلم غنمة وشرائعهم ^(١٥) بشرعته من وجه منسوخة ، ومن وجه متممة مكلة

(١) الكهف : ٧٩ (٢) الطق : ٤

(٣) يوسف : ٣٦ (٤) هود : ٦٩ (٥) الملقم : ٤

(٦) آل عمران : ٥٢ (٧) المائدة : ٤ (٨) البقرة : ١٣٨

(٩) فاطر : ٢٢ (١٠) الأعراف : ٧٤ ، الشعراء : ١١٩

(١١) الأغال : ١٧ (١٢) الأفعال : ٦٠ (١٣) الأنعام : ٣٨

(١٤) في الاثنان : من بعض وجوه الإعجاز والحجث في ا ، ب .

(١٥) في ا ، ب : وشرائعهم .

جعل كتابه النزل عليه متضمنا لشجرة كتبه التي أولها : أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون . وقوله ^(١) : « يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ » .

وجعل من معجزة هذا الكتاب أنه — مع قوة الحجم — متضمن للمعنى الجم ، بحيث تقصر الأبواب البشرية عن إحصائه ، والآلات الدنيوية عن استيفائه ، كما به عليه بقوله ^(٢) : « وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ » . فهو وإن كان لا يخلو الماظر فيه من نور ما يوريه وتفتح ما يوليه ^(٣) :

كالبدر من حيث التفت رأيتَه يَهْدِي إِلَى عَيْبِكَ بَوْرًا ثاقِبًا
كالشمس في كبد السماء وضوءُها يَفْشَى الْبِلَادَ مِثْلَ مِثْقَالِهَا

وأخرج أبو نعيم وغيره عن عبد الرحمن بن زياد بن أنس ^(٤) ، قال : قيل لموسى عليه السلام : يا موسى ، إنما مثل كتاب أحمد في الكتب المنزلة بمنزلة وعاء فيه لبن كلما تحضته أخرجت زبدته .

[علوم القرآن]

وقال القاضي أبو بكر بن العربي في قانون التأويل : علوم القرآن خمسون علماً وأربعمئة علم وسبعة آلاف علم وسبعون ألف علم ، على عدد كليم القرآن مضروبة في أربعة ؛ إذ لكل كلمة ظهير وجن ، وحد ومتطع . وهذا مطابق دون اعتبار تركيب وما بينهما من روابط ؛ وهذا مما لا يحصى ولا يعلله إلا الله . وأم العلوم

(١) البينة : ٢ . (٢) لقمان : ٢٧ .

(٣) النجان للفتي في ديوانه : ١ - ١٣٠ .

(٤) بنتم أوله وسكون النون وضم العين (التريب) .

القرآن ثلاثة^(١) : توحيد، وتذكير، وأحكام . فالتوحيد يدخل في معرفة المخوفات، ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله . والتذكير منه الوعد والوعيد ، والنجاة والنار ، وتصفية الظاهر والباطن . والأحكام منها التكاليف كلها ، وتبيين المنافع والمضار ، والأمر والنهي والتلبس ؛ ولذلك كانت القامحة أم القرآن ؛ لأن فيها الأقسام الثلاثة . وسورة الإخلاص ثلثه ؛ لاشتمالها على أحد الأقسام الثلاثة ، وهو التوحيد .

[أحكام القرآن]

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في كتاب « الإمام في أدلة الأحكام » :
معظم آي القرآن لا تخلو عن أحكام مشتملة على آداب حسنة وأخلاق جميلة .

ثم من الآيات ما صرح فيها بالأحكام ، ومنها ما يؤخذ بطريق الاستنباط إما بلا ضم إلى آية أخرى ، كاستنباط صحة أنكيحة الكفار من قوله^(٢) :
« وامرأته حَالَةً الحَطَب » . وصحة صوم الجنب من قوله^(٣) : « فَأَلَا نَبَأِيرُوهُنَّ » . إلى قوله : « حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الحَلِيطُ ... » الآية ؛ وإما به^(٤) كاستنباط أن أقل الحمل ستة أشهر من قوله^(٥) : « وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا » . مع قوله^(٦) : « وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ » .

قل : ويستدل على الأحكام بآية بالصيغة وهو ظاهر ، وتارة بالإخبار مثل :
« أَجِلٌ لَّكُمْ » ، « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ » ، « كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ » .
وتارة بما رتب عليها في العاجل والآجل من خير وشر ، أو نفع أو ضرر .

(١) في ١ ، ب : ثمانية - تحريف ، فالذكور بعد ثلاثة ، وسواء يبد ما يؤيد ما أنبتا .

(٢) ثبت (البد) : ٤ (٣) البقرة ١٨٧ (٤) أي بالضم .

(٥) الأحطاف : ١٥ (٦) لقمان : ١٤ (٧) بقرة : ١٨٧ ، المائدة : ٥ .

(٨) المائدة : ٣ (٩) البقرة : ١٨٣

وقد نوع الشارع ذلك أنواعاً كثيرة؛ ترغيباً لعباده ، وترهيباً وتثريباً إلى أفهامهم ؛ فكل فعل عظمه الشرع أو مدحه أو مدح فاعله لأجله ، أو أحبه أو أحب فاعله أو رضى به ، أو رضى عن فاعله ، أو وصفه بالاستقامة أو البركة أو الطيب ، أو أقسم به أو بفاعله ؛ كالإقسام بالشفع والوتر ، وبخيل المجاهدين ، وبالنفس اللوامة ؛ أو نصبه سبياً لذكره لعبده ، أو لمحبه ، أو لثواب عاجل أو آجل ، أو لشكره ، أو لهدايته إياه ، أو لإرضاء فاعله ، أو لمغفرة ذنبه وتكفير سيئاته ، أو لقبوله ، أو لتضررة فاعله ، أو بإشارته ^(١) ؛ أو وصف فاعله بالطيب ، أو وصف الفعل بكونه معروفاً ، أو نقي الحزن والخوف عن فاعله ، أو وعده بالأمن ، أو نصب سبياً لولايته ؛ أو أخبر عن دعاء الرسول لحصوله ؛ أو وصفه بكونه قرينة ، أو بصفة مدح [٦ ب] ؛ كالحياة والنور والشفاء - فهو دليل على مشروعته المشتركة بين الوجوب والتدب .

وكل فعل طلب الشارع تركه أو ذمه ، أو ذم فاعله ، أو عتب عليه ، أو مقت فاعله ، أو لعنه ، أو نقي محبته أو محبة فاعله أو الرضا به ، أو عن فاعله ، أو شبه فاعله بالبهايم أو الشياطين ، أو جعله مانعاً من الهدى ، أو من القبول ، أو وصفه بسوء أو كراهة أو استعاذ الأنبياء منه أو أبغضوه ، أو جعل سبياً لنفي القلاح أو لعذاب عاجل أو آجل ، أو لدم أو لوم ، أو ضلالة أو معصية ، أو وصف بخت أو رجس أو نجس ، أو بكونه فيسقا أو إثمياً ، أو سبياً لإثم أو رجس ، أو آمن أو غضب ، أو زوال نعمة أو حلول نقمة ، أو حد من الحدود ، أو قسوة أو خزي ، أو ارتهان نفس ، أو لمداوة الله ومحاربته ، أو الاستهزاء به أو سخريته ، أو جعله سباً سببه فاعله ، أو وصف نفسه بالصبر عليه ، أو بالحلم ، أو بالصفح عنه ،

أو دعا إلى التوبة منه ، أو وصف فاعله بنجس أو احتلار ، أو نسبته إلى عمل الشيطان ، أو تزينه أو تولى الشيطان لفاعله ؛ أو وصفه بصفة ثم ككونه ظالماً أو بغيّاً ، أو عدواناً أو إنمّاً ، أو تبرّأ الأنبياء منه أو من فاعله ، أو شكوا إلى الله من فاعله ، أو جاهروا فاعله بالسداوة ، أو نهوا عن الأسى والحزن عليه ، أو نصب سباً لحينة فاعله [عاجلاً أو آجلاً ، أو رتب عليه حرمان الحق وم فيه . أو وصف فاعله]^(١) بأنه عدوّ الله أو بأن الله عدوه ، أو أعلم فاعله بحرب من الله ورسوله ، أو حمل فاعله إثم غيره ، أو قيل فيه : لا ينبغي هذا أو لا يكون ، أو أمره بالتقوى عند السؤال عنه ، أو أمر بفعل مضادّه أو بهجر فاعله ؛ أو تلاعن فاعله في الآخرة ، أو تبرّأ بعضهم من بعض ، أو دعا بعضهم على بعض ، أو وصف فاعله بالضلالة وأنه ليس من الله في شيء ، أو ليس من الرسول وأصحابه ، أو جعل اجتنابه سبباً للفلاح ، أو جعله سبباً لإيقاع السداوة والبغضاء بين المسلمين ، أو قيل : هل أنت منتقم ، أو نهى الأنبياء عن الدعاء لفاعله ، أو رتب عليه إباداً أو طرداً ، أو لحظة قتال من فاعله ، أو قتله الله ، أو أخبر أن فاعله لا يكلمه الله في الآخرة ولا ينظر إليه ولا يزكّيه ، ولا يصلح عمله ولا يهدي كيده . أو قيضه الشيطان ، أو جعل سبباً لإدانة قلب فاعله ، أو صرفه عن آيات الله وسؤاله عن علة الفعل ؛ فهو دليل على المنع من الفعل ؛ ودلائله على التحريم أظهر من دلالته على مجرد الكراهة .

وتستفاد الإباحة من لفظ الإحلال ، ونقي الجتلح والخرج والإثم والمواخذة ، ومن الإذن فيه والنفو عنه ، ومن الامتنان بما في الأعيان من المنافع ، ومن السكوت عن التحريم ، ومن الإنسكار على من حرم الشيء ، ومن الإخبار بأنه خلق أو جعل لنا ؛ والإخبار عن صل من قبل غير داه لهم عليه ؛ فبن اقترن بإخبار

مَدْحٌ دَلَّ عَلَى مَشْرُوعِيَّتِهِ وَجُوبًا أَوْ اسْتِحْبَابًا . انتهى كلام الشيخ عز الدين ابن عبد السلام .

وقال غيره : وقد يستنبط من السكوت .

وقد استدلل جماعة على أن القرآن غير مخلوق بأن الله ذكر الإنسان في ثمانية عشر موضعاً وقال : إنه مخلوق ؛ [وذكر القرآن في أربعة وخمسين موضعاً ولم يقل إنه مخلوق] ^(١) . ولما جمع بينهما غير ، فقال ^(٢) : «إِنَّا نَحْنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ» . فهذا أحد وجوه إعجازه .

• • •

الوجبة الثانية من وجوه إعجازه

كونه محفوظاً عن الزيادة والقصان، محروساً عن التبديل والتغيير على تطاول الأزمان ، بخلاف سائر الكتب . قال تعالى ^(٣) : «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ، وَإِنَّا لَهُ لَنَافِظُونَ» . فلم يقدر أحد بمحمد الله على المتجاسر عليه .

• • •

وجبة ثالثة من وجوه إعجازه

حُسْنُ تَأْلِيْفِهِ ، وَالتَّامُّ كَلِمُهُ ، وَفَصَاحَتُهُ ، وَوَجُوهُ إِعْجَازِهِ وَبِلَاغَتُهُ الْخَلْقَ عَادَةً الْعَرَبَ الَّذِينَ هُمْ فَرَسَانُ الْكَلَامِ وَأَرْبَابُ هَذَا الشَّأْنِ . فجاء نطقه المعجيب ، وأسلوبه الغريب مخالفاً لأساليب كلام العرب ومنهاج نظمها ونثرها الذي جاءت عليه ، ووقفت عليه مقاطع آياته ، وانتهت إليه فواصل كلماته ، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له . قال ابن عطية ^(٤) : الصحيح والذي عليه الجمهور والخلاق في وجوه إعجازه

(١) من الاتقان : ٢ - ١٤١ (٢) الرحمن : ١ ، ٢ ، ٣ (٣) الحجر : ٩

(٤) البرهان . ٢ - ٩٧ . وابن عطية هو عبد الحق بن غالب ، وله تفسير معروف

بالحرر الوجيز ، تولى سنة ٥٦٤ (الهياج المذهب : ١٧٤) .

أه^(١) ينظم وصحة معانيه وتوالت فصاحة ألفاظه ؛ وذلك أن الله أحاط بكل شيء علماً ، وأحاط بالكلام [١٧] كلمة علماً ، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أى لفظة تصلح أن تلى الأولى وتبين المعنى بعد المعنى ؛ ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره . والبشر محل الجهل والسيان والذهول ، ومعلوم ضرورة أن أحداً من البشر لا يحيط بذلك ؛ فلذلك جاء نظم القرآن في الفصاحة القصوى من الفصاحة ؛ وبهذا يبطل قول من قال : إن العرب كان في قدرتها الإتيان بذلك ، صريحاً عن ذلك .

والصحيح أنه لم يكن في قدرة أحد قط ؛ ولهذا ترى البليغ ينقح التصيد أو الخطبة حولاً ، ثم ينظر فيها ، ثم يغير فيها ، وهلم جرا . وكتاب الله سبحانه لو رعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم يوجد ؛ ونحن نقين لنا البراعة في أكثره ، ويحقق علينا وجهها في مواضع ؛ لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الفوق وجودة التريخ . وقامت الحجة على العالم بالعرب ؛ إذ كانوا أرباب الفصاحة وفطنة^(٢) الحارضة ، كما كانت الحجة في معجزة موسى بالسحر ، وفي معجزة عيسى بالأطباء ؛ فإن الله إنما جعل معجزات الأنبياء بالوجه الشهير أبدع^(٣) ما تكون في زمان النبي الذي أراد إظهاره ؛ فكان السحر في^(٤) مدة موسى إلى غايته ، وكذلك الطب في زمان عيسى ، والفصاحة في زمان محمد صلى الله عليه وسلم .

قل حازم^(٥) في منهاج البقاء : وجه الإعجاز في القرآن من حيث استعرت

(١) أه : أى الإعجاز .

(٢) في الأتقان ، والبرهان : ومعة . والمجت في : ب .

(٣) والبرهان : أخرج ما تكون .

(٤) في الأتقان ، والبرهان . قد انتهى في مدة موسى .

(٥) هو حازم بن محمد القرطاجي توفي سنة ٦٨٤ (بنية الوعاة : ٢١٤)

القصاحة والبلاغة فيه في جميع أمحائها في جميعه استمر لولا لا يوجد له قرة، ولا يقدر عليه أحد من البشر . وكلام العرب ومن تكلم بانهم لا تستمر القصاحة والبلاغة في جميع أمحائها في العالي منه إلا في الشيء البير الطود ، ثم تعرض^(١) القترات الإنسانية ؛ فيقطع طيب الكلام وروقه ؛ فلا تستمر لتلك القصاحة في جميعه ؛ بل توجد في تشاريق وأجزاء منه .

[فواصل الآي]

قال الجعبري^(٢) : لمعرفة^(٣) فواصل الآي طريقان : توقيفي وقياسي ؛ أما التوقيفي فما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم وقف عليه دائماً تحققنا أنه فاصلة ، وما وصله دائماً تحققنا أنه ليس بفاصلة ؛ وما وقف عليه مرة ووصله أخرى احتمال الوقف أن يكون لتعريف الفاصلة أو لتعريف الوقف التام أو للاستراحة . والوصل أن يكون غير فاصلة ، أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها .

وأما القياسي فهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص [بالمنصوص]^(٤) لمناسب ، ولا محذور في ذلك ؛ لأنه لا زيادة فيه ولا قصان ؛ وإنما غايته أنه محال فصل أو وصل . والوقف على كل كلمة جائز ، ووصل القرآن كله جائز ، فاحتاج القياسي إلى طريق تعرفه ؛ فنقول : فاصلة الآية كترينة السجع في النثر ، وقافية البيت في الشعر^(٥) .

(١) في الاتقان : تعرض .

(٢) هو إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجعبري ، صاحب شرح الناطبة لمسي كثر الحاني ، وعمود الجمان ، وروضة الطراف في رسم المصاحف وغيرها ، توفي سنة ٧٣٢ (الهجري)
الكلمة : ١ - ٥٠)

(٣) من البرهان ، والاتقان .

(٤) البرهان : ١ - ٩٨

(٥) في البرهان : في النظم .

ومما يذكر من عيوب القافية من اختلاف المد^(١) والإشباع والتوجيه ، فليس
يسبب في القاصلة ؛ وجاز الانتقال في القاصلة والقرينة وقافية الأرجوزة من نوع
إلى آخر بخلاف قافية القصيدة^(٢) . ومن ثم ترى « يرجعون » مع « عليم »^(٣)
و « البعاد » مع « الثواب »^(٤) ، والطارق مع الثاقب^(٥) .

والأصل في القاصلة والقرينة المتجردة في الآية والسجدة المساواة ؛ ومن
ثم أجمع المأذون على ترك عدّ : « وَيَأْتِ بِآخِرِينَ »^(٦) . « وَلَا »^(٧) اللانكحة
المقربون - في النساء ، و « كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ »^(٨) في سبحان ، و « اتَّبَشَّرُ بِهِ
الْمُتَّقِينَ »^(٩) بمریم ، و « لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ »^(١٠) بعه - و « مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ »^(١١)
و « أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »^(١٢) بالطلاق حيث لم يُشاكل طرفيه .

وعلى ترك عدّ : « أَفَغَيْرِ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ »^(١٣) . « أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ
يَبْتَغُونَ »^(١٤) . وعدوا نظائرهما للناسبة ؛ نحو : « لأولى الأبواب » بآل
عمران^(١٥) . و « على الله كذبا » بالكهف^(١٦) . و « الدَّأْوَى » بعه^(١٧) .

(١) و الاثنان : حركة . وفي البرهان : اختلاف الحذو . والحذو والاشباع والتوجيه من
عيوب القافية التي تدرج تحت اسم السناد . وسناد الحذو : اختلاف حركة الحرف التي قبل
الروى المطلق .

(٢) في البرهان : القصيدة .

(٣) من قوله تعالى : آمَنُوا بِالَّذِي أَنزَلَ عَلَى الْقَبْلِينَ آمَنُوا وَجْهَ الْبَهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ . مع قوله تعالى : قُلْ إِنْ الْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (سورة
آل عمران : ٧٢ ، ٧٣) .

(٤) من قوله تعالى : وَلَا تَحْزَنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْبِعَادَ . مع قوله : وَاللَّهُ عِنْدَهُ
حَسَنُ الثَّوَابِ (آل عمران : ١٩٤ ، ١٩٥) .

(٥) من قوله تعالى : وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ . وما أدراك ما الطارق . النجم الثاقب (سورة
الطارق : ١ - ٣) .

(٦) النساء : ١٣٣ (٧) آية ١٧٢ من السورة نفسها (٨) أي الاسراء : ٥٩

(٩) ٩٧ (١٠) ١١٣ (١١) ١١ ، ١٢ (١٢) آل عمران : ٨٣

(١٣) النجاة : ٥٠ (١٤) ١٩٠ (١٥) الكهف : ١٥ (١٦) ٨٠ (١٧)

وقال غيره^(١) : تقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها ، وهي الطريقة التي يبين القرآن بها سائر الكلام ، وتسمى فواصل ؛ لأنه ينفصل عندها^(٢) الكلامان ، وذلك أن آخر الآية فصل ما بينها وبين ما بعدها ، وأخذنا من قوله تعالى^(٣) : « كتاب فصلت آياته » .

ولا يجوز تسميتها قوافي إجماعاً ؛ لأن الله تعالى لما سلب عنه اسم الشعر وجب سلب القافية عنه أيضاً ؛ لأنها منه وخاصة به في الاصطلاح . وكما يمتنع استعمال القافية فيه يمتنع استعمال الفاصلة [٧ ب] في الشعر ؛ لأنها صفة لكتب الله فلا تتعداه .

وهل يجوز استعمال السجع في القرآن ؟ خلاف : الجمهور [على المنع]^(٤) ؛ لأن أصله من سجع الطير ، فشرف القرآن أن يستعمل شيء منه لفظ أصله مهمل ، ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في وصفه بذلك ، ولأن القرآن من صفاته تعالى ؛ فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها .

[هل في القرآن سجع ؟]

قال الرماني في إعجاز القرآن : ذهب الأشعرية إلى امتناع أن يقول^(٥) في القرآن سجع ؛ وفرقوا [بينهما]^(٦) بأن السجع هو الذي يقصد في حقه ثم يحال المعنى عليه ؛ والفواصل التي تتبع المعاني ، ولا تكون مقصودة في نفسها . قال : ولعلك كانت الفواصل بلاغة والسجع عيباً ؛ وتبعه على ذلك أبو بكر الباقلائي^(٧) .

(٢) في ب : منه - تحريف .

(٤) من الاطلاق : ٢ - ٩٧

(٦) من اليرمان : ١ - ٥٤

(١) اليرمان : ٥٤

(٣) فصلت : ٣

(٥) في الاطلاق : أن يقال .

(٧) الإعجاز : ٥٢

وقال الخفاجي في سر القصاحة^(١) : قول الرماني : إن السجع عيب والقواصل بلاغة غلط ؛ فإنه إن أراد بالسجع ما يتبع المعنى - وهو^(٢) غير مقصود فذلك بلاغة ؛ والقواصل مثله . وإن أراد به ما تقع المعاني تابعة له - وهو مقصود متكلف - فذلك عيب . والقواصل مثله .

قل : وأظن القدي دعاهم إلى تسمية كل ما في القرآن فواصل ، ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعاً - رغبتهم في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بخيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم ، وهذا غرض في التسمية قريب .
والحقيقة ما قلناه .

قل : والتحرير أن الأسجاع حروف متماثلة في مقاطع القواصل .
قال : فإن قيل : إذا كان عندكم أن السجع محمود فهل ورد القرآن كله مسجوعاً ؟ وما الوجه في ورود بعضه مسجوعاً وبعضه غير مسجوع ؟
قلنا : إن القرآن نزل بلسان العرب ، وعلى عرفهم وعاداتهم ؛ وكان القصيح منهم لا يكون كلامه كله مسجوعاً ؛ لما فيه من أمارات التكلف والاستكراه لاستماع^(٣) طول الكلام ، فلم يرد كله مسجوعاً جرياً منهم على عرفهم في اللطيفة التالية^(٤) من كلامهم ، ولم يخل من السجع ؛ لأنه يحسن في بعض الكلام على الصفة الساجدة .

[مراعاة المناسبة]

وقد ألف الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفي كتاباً سماه « إحكام الرأي

(١) سر القصاحة : ١٦٦ وما بعدها (٢) في البرهان : وكأنه .

(٣) في الاتقان : ٩٩ ، والبرهان : ٩ - ٥٨ : لا سيما فيما يطول الكلام .

(٤) في سر القصاحة : في الطبقة العالية . وفي البرهان : في الطبقة العالية .

في أحكام [١٦] الآي « قال فيه : اعلم أن المناسبة أمر مصوب و اللغة العربية يُرتكب بها أمور من مخالفة الأصول .

قال : وقد ثبتت الأحكام التي وقعت في آخر الآي مراعاةً للمناسبة فثبت منها على ما ينف على الأربعين حكماً :

١ - تقديم المفعول إما على المولم^(١) نحو^(٢) : « أهولاء إياك كانوا يعبّدون » . قيل : ومنه^(٣) : « وإياك نستعين » . أو مفعول آخر أصله التقديم ، نحو^(٤) : « ليريك من آياتنا الكبرى » إذا أعربنا « الكبرى » مفعول نرى . أو على الفاعل ، نحو^(٥) : « ولقد جاء آل فرعون النذر » . ومنه تقديم خبر كان على اسم ، نحو^(٦) : « ولم يكن له كفواً أحد » .

٢ - تقديم ما هو متأخر في الزمان ، نحو^(٧) : « قلل الآخرة والأولى » . ولولا مراعاة المواضع لقدمت « الأولى » ؛ كقوله^(٨) : « هُ التَّحْدُ في الأولى والآخرة » .

٣ - تقديم الفاضل على الأقل ، نحو^(٩) : « يربّ هارون وموسى » . وتقدم ما فيه .

٤ - تقديم الضمير على ما يفسره ، نحو^(١٠) : « فأوحى في قلبه خيفة موسى » .

(١) وإيقان : تامل	(٢) حباً : ٤٠	(٣) مخالفة : ٥
(٤) من : ٢٣	(٥) القصر : ٤١	(٦) الإخلاص : ٤
(٧) نجم : ٢٥	(٨) التمس : ٧٠	(٩) طه : ٧٠
(١٠) طه : ٦٧		

٥ - تقديم الصفة الجملة على الصفة المفرد ، نحو^(١) : « وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا » .

٦ - حذف ياء المنقوص المعرف ؛ نحو^(٢) : « الْكَبِيرُ الْمَتَالُ » . « يَوْمٌ^(٣) الْقَادِ » .

٧ - حذف ياء الفعل غير المجزوم ؛ نحو^(٤) : « وَالْقَلِيلِ إِذَا بَسَرَ » .

٨ - حذف ياء الإضافة ؛ نحو^(٥) : « فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٌ » . « فَكَيْفَ كَانَ عِقَابٌ » .

٩ - حرف^(٦) اللام ، نحو : الظُّنُونَا ، والرسولا ، والسيلا . ومنه إبقاؤه مع الجازم ؛ نحو^(٧) : « لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى » . « سَنَقَرُ نُّكَ فَلَا تَنْتَسَى » ، على القول بأنه تنسى .

١٠ - صرف ما لا ينصرف ، نحو^(٨) : « قَوَارِيرًا . قَوَارِيرًا » .

١١ - إظهار تذكير^(٩) الجنس ؛ كقوله^(١٠) : « أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَمِرٍ » .

١٢ - إظهار تانيث ، نحو^(١١) : « أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ » وتظير هذين قوله في القمر^(١٢) « وَكُلٌّ صَغِيرٌ وَكَبِيرٌ مُسْتَطَرٌ » . وفي الكهف^(١٣) : « لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا » .

١٣ - الاتصاف على أحد الوجهين الجائزين اللذين قرئ بهما في السبع

(١) الإسراء : ١٣	(٢) الرعد : ١٠	(٣) المؤمن : ٣٢
(٤) القمر : ٤	(٥) القمر : ١٨	(٦) الرعد : ٣٢
(٧) في ب : حذف حرف اللام . وفي الاثنان : زيادة حرف اللام . والكتب في ١ .		
(٨) طه : ٧٧	(٩) الأعلى : ٦	(١٠) الألسان : ١٥ ، ١٦
(١١) في الاثنان : تذكير اسم الجنس .	(١٢) القمر : ٢٠	
(١٣) المائدة : ٧	(١٤) القمر : ٥٣	(١٥) الكهف : ٤٩

في غير ذلك، كقوله^(١) : « فَأُولَئِكَ تَعَرَّوْا رَشَدًا » ؛ [ولم يحىء رَشْدًا في السبع ، وكذا : « وَهَيَّئْ »^(٢) لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا]^(٣) ؛ فإن القواصل في السورتين محركة الوسط ، وقد جاء في^(٤) : « وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ » . وبهذا يبطل ترجيح القارسي قراءة التحريك [٨ ١] بالإجماع عليه فيما تقدم . ونظير ذلك قراءة^(٥) : « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ » بفتح الهاء وسكونها ، ولم يقرأ : « سَبَطْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ » إلا بالفتح لمرعاة الفاصلة .

١٤ - إيراد الجملة التي ورد بها ما قبلها على غير وجه المطابقة في الاسمية والتملية ، كقوله تعالى^(٦) : « وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ » لم يطابق بين قولهم « آمَنَّا » وبين ما رد به فيقول : لم يؤمنوا ، أو ما آمنوا لذلك .

١٥ - إيراد أحد القسمين غير مطابق للآخر كذلك ، نحو^(٧) : « فليعلمنَّ الله الذين صدقوا وليعلمنَّ الكاذبين » . ولم يتل الذين كذبوا .

١٦ - إيراد أحد جزأى الجملتين على غير الوجه الذي أورد نظيرها من الجملة الأخرى ، نحو^(٨) : « أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ » .

١٧ - إيراد أغرب اللفظتين ، نحو^(٩) : « قِسْمَةٌ ضِيزَى » ، ولم يقل جائزة . و^(١٠) « كَيْفَ بَدَنٌ فِي الْحَطْمَةِ » ، ولم يقل جهنم أو النار . وقال في المدثر^(١١) : « سَأَصْلِيحُ سَفَرًا » . وفي سأل^(١٢) : « إِنِّهَا لَطَلَى » ، وفي القارعة^(١٣) : « قَائِمَةٌ هَاجِرَةٌ » ؛ لمرعاة قواصل كل سورة .

(١) الجن : ١٤ .	(٢) الكهف : ١٠ .	(٣) من الإعتل
(٤) الأعراف : ١٤٦ .	(٥) الهب : ٣ .	(٦) البقرة : ٨ .
(٧) المنكوت : ٤٤ .	(٨) البقرة : ١٧٧ .	(٩) النجم : ٢٥ .
(١٠) الهنزة : ٤٠ .	(١١) الطغرى : ٢٦ .	(١٢) المخرج : ١٥ .
(١٣) القارعة : ٤ .		

١٨ - اختصص كل من المشتركين موضع ، نحو^(١) . « ونذكر أولو
الأنبياء » . وفي سورة طه^(٢) : « إن في ذلك لآياتٍ لأولِي النِّسَى » .
١٩ - حذف القسور ، نحو^(٣) : « فَأَمَّا مَنْ أَغْطَى وَاتَّقَى » .
« مَا^(٤) وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى » . ومنه حذف متعلق أفضل التفضيل ، نحو :
« يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى » . « خَيْرٌ^(٥) وَأَبْقَى » .
٢٠ - الاستغناء بالإفراد عن التثنية ، نحو^(٦) : « فَلَا يُخْرِجَنَّكُمْ
مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى » .

٢١ - الاستغناء به عن الجمع ؛ نحو^(٧) : « وَاجْعَلْنَا لِمُسْتَقِينَ إِمَامًا » ، ولم
يقل أئمة ، كما قال^(٨) : « وَجَعَلْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا » .^(٩) « إِنِ التَّائِبِينَ فِي جَنَاتٍ
وَنَهْرٍ » : أي أنهار .

٢٢ - الاستغناء بالتثنية عن الإفراد ، نحو^(١٠) : « وَإِمِنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ
جَنَّتَانِ » . قل القراء : أراد جنة ؛ كقوله^(١١) : « فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى » .
فتنى لأجل الفاصلة .

قال : والقوافي تحتمل [من]^(١٢) الزيادة والنقصان ما لا يحتمله سائر
الكلام . وتظهر ذلك قول القراء أيضاً في قوله^(١٣) : « إِذَا نَبَّهْتَ اشْقَاهَا » ،
فإنهما رجلان قُذِّرَا وآخر معه ولم يقل أشقيها للفاصلة .

وقد أنكر ذلك ابن قتيبة وأغلظ فيه . وقال : إنما يجوز في ردوس الآي
زيادة هاء السكت أو الألف أو حذف همزة أو حرف ، فأما أن يكون الله وعد

(١) إبراهيم : ٥٢	(٢) طه : ١٢٨	(٣) البقر : ٥
(٤) الضحى : ٢	(٥) طه : ٧	(٦) طه : ٧٣ ، ١٣١
(٧) طه : ١١٧	(٨) امرئ : ٧٤	(٩) الأنبياء : ٧٣
(١٠) النمل : ٥٤	(١١) الرحمن : ٤٦	(١٢) التزممت : ٤١
(١٣) من الإقنان ، والبرهان (١٤) الشمس : ١٢		

جنتين فيجعلهما جنة واحدة لأجل رؤوس الآي فعاذ الله ! وكيف هذا وهو يصفهما بصفات الاثنين . قال ^(١) : « وَآنَا أَفْنَانٍ » ، ثم قال : « فِيهِمَا » .

وأما ابن الصائغ فإنه ^(٢) قلل عن القراء أنه أراد جنات ، فأطلق الاثنين على الجمع لأجل الفاصلة ، ثم قال : وهذا غير بعيد . قال : وإنما أعاد الضمير بعد ذلك بصيغة التثنية مراعاة لفظ ، وهذا هو الثالث والمثرون .

٢٤ — الاستثناء بالجمع عن الإفراد ، نحو ^(٣) : « لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلَالِ » ، أي ولا خلّة ، كما في الآية الأخرى ، وجمع مراعاة لفاصلة .

٢٥ — إجراء غير العاقل بحرى العاقل ، نحو ^(٤) : « رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ » . « كُلُّ فِي فَكِّ يَسْبَعُونَ » .

٢٦ — إمالة ما لا يعال ، كما في طه والنجم .

٢٧ — الإتيان بصيغة المبالغة ، كقدير ، وعليم ؛ مع ترك ذلك في نحو ^(٥) : « هُوَ الْقَادِرُ » . و ^(٦) « عَالِمُ الْغَيْبِ » . ومنه ^(٧) : « وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا » .

٢٨ — إظهار بعض أوصاف المبالغة على بعض ، نحو ^(٨) : « إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ » . أوثر على عجيب لذلك .

٢٩ — الفصل بين المطلق والمطلق عليه ، نحو ^(٩) : « وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفَزَاكُمْ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى » .

٣٠ — إقناع الظاهر موقع الضمير ، نحو ^(١٠) : « وَالَّذِينَ يُسْكُونُ » .

(١) الرحمن : ٤٨	(٢) ف ب : فتل	(٣) إبراهيم : ٣١
(٤) يوسف : ٤	(٥) الأنبياء : ٢٣	(٦) الأنعام : ٦٥
(٧) المؤمنون : ٩٢	(٨) مريم : ٦٤	(٩) ص : ٥
(١٠) طه : ١٢٩	(١١) الأعراف : ١٢٠	

بالكتب وأقاموا الصلاة إنا لا نغنيج أجر المصلحين . وكذا آية الكهف .

٣١ - وقوع مفعول موقع فاعل ، كقولہ ^(١) : « حجباً مستوراً » .
« كان وعدة مائتاً » ، أى سائراً [، وآتياً] ^(٢) .

٣٢ - وقوع فاعل موقع مفعول ، نحو ^(٣) « عيشة راضية » . « ماء » ^(٤) دائق .

٣٣ - الفصل بين الموصوف والصفة ، نحو ^(٥) : « أخرج الرعى فبعله غشاء أحوى » . إن أغرب أحوى صفة للرعى ، أى حالاً .
٣٤ - إيقاع حرف مكان غيره ، نحو ^(٦) : « بأن ربك أوحى لها » . والأصل إليها .

٣٥ - تأخير الوصف غير الأبلغ عن الأبلغ . ومنه : الرحمن الرحيم .
يوسف رحيم ؛ لأن الألف أبلغ من الرحمة .

٣٦ - حذف الفاعل ونباية المفعول [٨ ب] نحو ^(٧) : « وما لأحد عنده من نعمة تجزى » .

٣٧ - إثبات هذه السكت ، نحو : ماله . سلطانیه . ماهیه .

٣٨ - الجمع بين المجزوات ، نحو ^(٨) : « ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيها » ؛ فإن الأحسن الفصل بينهما ، إلا أن مراعاة القاصلة اقتضت عدمه ^(٩) .

(١) الاسراء : ٤٥	(٢) مريم : ٦١	(٣) من الايمان .
(٤) الطارعة : ٧	(٥) الطارق : ٦	(٦) الأعلى : ١٠٥
(٧) الزلزلة : ٥	(٨) القيل : ١٦	(٩) الاسراء : ٦٩

(١٠) في ١ : عدمه . وفي الايمان : اقتضت عدمه وتأخير تبيها .

٣٩ — البدول عن صيغة المفعى إلى صيغة الاستقبال ، نحو^(١) : « ففريقا كذبتهم وفريقا تقتلون » . الأصل قتلتم .

٤٠ — تغيير ينية الكلمة ، نحو^(٢) : « وطور سينين » . والأصل طور سيناء .

قال ابن الصائغ : لا يمتنع في توجيه الخروج عن الأصل في الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة ، فإن القرآن العظيم — كما جاء في الأثر — لا تنقض عجائبه .

[لا تخرج الفواصل عن أحد أربعة]

وقال ابن أبي الإصبع : لا تخرج فواصل القرآن عن أحد أربعة أضياء : التمكن ، والتصدير ، والتوشيح ، والإيغال .

[التمكن]

والتمكن^(٣) — ويسمى اختلاف القافية : أن يمهّد النائر للقريئة أو الشاعر للقافية تمهيداً تأتي به القافية أو القريئة متمكنة في أماكنها مستقرة في قرارها ، مطمئنة في مواضعها ، غير نافرة ولا قلقة ، ومتعاقبة معناها بمعنى الكلام كله تعاقباً تاماً ، بحيث لو طُرِحَتْ لاختل المعنى واضطرب الفهم ، وبحيث لو سكنت عنها كلمة السامع بطبعه .

ومن أمثلة ذلك قوله^(٤) : « يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ ... » الآية ، فإنه لما تقدم في الآية ذكر العبادة وتلاه ذكر التصرف في الأموال اتضح ذلك

(١) التين : ٢

(٢) هود : ٨٢

(٣) البقرة : ٨٧

(٤) في الاعلان : فالتمكن .

ذكر الحلم والرشد على الترتيب ؛ لأن الحلم يناسب العبادات ، والرشد يناسب الأموال . وقوله ^(١) : « أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ... » إلى قوله : « أَفَلَا يُبْصِرُونَ » . فأتى في الآية الأولى بـ « يَهْدِ لَهُمْ » ، وختمها بـ « يَسْمَعُونَ » ؛ لأن الموعظة فيها مسموعة وهي أخبار القرون . وفي الثانية يروا ، وختمها ببصرون لأنها مرئية .

وقوله ^(٢) : « لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ، وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ » ؛ فإن اللطيف يناسب ما لا يدرك بالبصر ، والخبير يناسب ما يدركه .
وقوله ^(٣) : « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ » إلى قوله : « فَبَارِكْ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ » ، فإن في هذه القاصلة التمكن التام للناسب لما قبلها .

وقد بادر بعض الصحابة حين نزل أول الآية إلى ختمها بها قبل أن يسمع آخرها ؛ فأخرج ابن أبي حاتم من طريق الشعبي عن زيد بن ثابت ؛ قال : أُمِّلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةُ : « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ » إلى قوله : « خَلَقْنَا آخِرَ — قَالِ مَعَاذُ بَنِي جَبَلٍ : فَبَارِكْ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ؛ فَضَحَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ مَعَاذُ : مِمَّ ضَحَكْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : بِهَا خُتِمَتْ .

وحكى أن أعرايا سمع قرأنا يقرأ ^(٤) : « فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فاعلموا أن الله غفور ^(٥) رحيم » . ولم يكن يقرأ القرآن ، فقال : إن هذا ليس بكلام الله ؛ لأن الحكيم لا يذكر القرآن عند الزلل ، لأنه إغراء عليه .

(١) المائدة : ٢٦ ، ٢٧ (٢) الأنعام : ١٠٣ (٣) المؤمنون : ١٢ — ١٤

(٤) البقرة : ٢٠٩ (٥) صفة الآية : فاعلموا أن الله غفور حكيم . البقرة : ٢٠٩

تنبيهات

الأول - قد^(١) تجتمع فواصل في موضع واحد ، ويختلف بينها ؛ كقواطل النحل ؛ فإنه تعالى بدأ بذكر الأفلاك ، قال^(٢) : « خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ » ، ثم ذكر خلق الإنسان « من نُطْقَةٍ » ؛ ثم ذكر خلق « الأنعام » ، ثم عجائب النبات ، قال^(٣) : « هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ . يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ . . . » الآية . فصل مطلع هذه الآية الضمير ؛ لأنه استدلال بحدوث الأنواع المخلقة من النبات على وجود الإله القادر^(٤) .

ولما كان هـ مظنة سؤال ؛ وهو أنه : لِمَ لا يجوز أن يكون المؤثر فيه طابع اقصور وحركات الشمس والقمر ؟ وكان الدليل لا يتم إلا بإجواب عن هذا السؤال - كان محال التفكير والنظر والتأمل باقياً ؛ فأجاب عنه تعالى من وجهين : أحدهما - أن تغيرات العالم السفلي^(٥) مربوطة بأحوال حركات الأفلاك ، فلك الحركات [١٩] كيف حصلت ؟ فإن كان حصولها بسبب أفلاك أخرى ؛ التسلسل ؛ وإن كان من الخالق الحكيم فذلك إقرار بوجود الإله تعالى ؛ وهو المراد بقوله^(٦) : « وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ سَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ » . فصل مطلع هذه الآية العقل ؛ وكأنه قيل : إن كنت عاقلاً فاعلم أن التسلسل باطل ، فوجب انتهاء الحركات إلى حركة يكون موجدتها غير متحرك ، وهو الإله القادر المختار .

(٢) ٤

(٢) النحل : ٣

(١) الرحمن : ١ - ٨٤

(٥) في البرهان ، والاعتقاد : القادر المختار .

(٤) ١٠ ، ١١

(٢) النحل : ١١

(٦) في البرهان : الأسفل .

والثاني — أن نسبة الكواكب والطبائع إلى جميع أجزاء الورقة الواحدة والحبة الواحدة — واحدة ، ثم إنا نرى الورقة الواحدة من الورد أحد وجهيها في غاية الحمرة والآخر في غاية السواد ، فلو كان المؤثر موجباً بالذات لامتنع حصول هذا التفاوت في الآثار ؛ فلما أن المؤثر قادر مختار . وهذا هو المراد من قوله ^(١) : « وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ » . كأنه قال : اذكر ما يرسخ في عقلك أن الواجب ^(٢) بالطبع والذات لا يختلف تأثيره ، فإذا نظرت حصول هذا الاختلاف علمت أن المؤثر ليس هو الطبائع ، بل الفاعل المختار ؛ فلهذا جعل مقطع الآية التذكير .

ومن ذلك قوله تعالى ^(٣) : « قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ . . . » الآيات . فإن الأولى ختمت بقوله : « لَكُمْ تَعْقُونَ » ، والثانية بقوله : « لَكُمْ تَذَكَّرُونَ » . والثالثة بقوله : « لَكُمْ تَتَّقُونَ » ؛ لأن الوصايا التي في الآية الأولى إنما يحمل على تركها عدم العقل الغالب على الهوى ؛ لأن الإشرار بالله لعدم استكمال العقل الدال على توحيده وعظمته . وكذلك عقوب الوالدين لا يقتضيه العقل لسبق إحسانهما إلى الولد بكل طريق . وكذلك قتل الأولاد من الإملاق مع وجود الرازق الخي الكريم ؛ وكذلك إتيان الفواحش لا يقتضيه عقل . وكذلك قتل النفس لغيظ أو غضب في القاتل ؛ فحسن بعد ذلك يعقون . وأما الثانية ، فلتعاقبها بالحقوق المالية والقولية ؛ فإن من علم أن له أيتاماً يخلفهم من بعده لا يليق به أن يعامل أيتام غيره إلا بما يجب أن يعامل به أيتامه . ومن يكيل أو يزن أو يشهد نعيه لو كلف ذلك الأمر له لم يجب أن يكون فيه خيانة

(١) النحل : ١٣

(٢) في البرلمان : أن الواجب .

(٣) الأنعام : ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣

ولا تجس . وكذا من وعد له وعد لم يجب أن يُخلف ، ومن أحب ذلك عامل الناس به ليأملوه بمثله ، فترك ذلك إنما يكون لغفلة عن تدبر ذلك وتأمله ؛ فلذلك ناسب الختم بقوله : لعلكم تذكرون .

وأما الثلاثة فلأن ترك اتباع شرائع الله الدينية يؤدي إلى غضبه وإلى عقابه فحسن « لعلكم تتقون » ؛ أى عقاب الله بسببه .

ومن ذلك قوله تعالى فى الأنعام أيضا^(١) : « وهو الذى جعل لكم النجوم ... » الآيات ، فإنه ختم الأولى بقوله : « لعلكم تعلمون » ، والثانية بقوله : « لعلكم يفتقرون » ؛ والثالثة بقوله : « لعلكم يؤمنون » . وذلك لأن حسب النجوم والاعتداء بها يختص بالعلماء من ذلك ، فناسب ختمه يعلمون . وإنشاء الخلائق من نفس واحدة وقلمهم من صلب إلى رحم ثم إلى الدنيا ثم إلى حياة وموت ، والنظر فى ذلك والتفكر فيه أدق ؛ فناسب ختمه يفتقرون ؛ لأن الحق فهم الأشياء الدقيقة . ولما ذكر ما أنعم به على عباده من سعة الأتوات والأرزاق والثمار وأنواع ذلك ناسب ختمه بالإيمان الداعى إلى شكره تعالى على نعمه .

ومن ذلك قوله تعالى^(٢) : « وما هو بقول شاعر قليل ما تؤمنون . ولا بقول كاهن قليل ما تذكرون » . حيث ختم الأولى بتؤمنون والثانية بتذكرون . ووجهه أن مخالفة القرآن لنظم الشعر ظاهرة وواضحة لا تخفى على أحد ؛ فقول من قال شعر عناد وكفر محض ، فناسب ختمه بقوله : قليل ما تؤمنون . وأما مخالفة لنظم الكهان وألقاظ السجع فاحتاج إلى تدبر وتذكر ؛ لأن كلا منهما نثر ، فليست مخالفته لهما فى وضوحها لكل أحد كمخالفة

الشعر ؛ وإنما تظهر بتدبر ما في القرآن من القصاحة والبلاغة والبدايع والمعاني
الأنينة [٩ ب] فحسن ختمه بقوله : قليلاً ما تذكرون .

[اختلاف الفاصلتين في موضعين]

ومن ^(١) بديع هذا النوع اختلاف الفاصلتين في موضعين والمحدث عنه واحد
لنكتة لطيفة ؛ كقوله تعالى في سورة إبراهيم ^(٢) : « وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ
لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفَآوُمْ كَفَّارٌ » ، ثم قال في سورة النحل ^(٣) : « وَإِنْ
تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ » . قال ابن المنير ^(٤) : كأنه
يقول : إذا حصلت النعم الكثيرة فانت أخذها وأنا مُعطئها ؛ فحصل لك عند
أخذها وصفان : كونك ظالماً ، وكونك كفّاراً ، يعني لعدم وفائك بشكرها ،
ولي عند إعطائها وصفان ^(٥) ، وهما إني غفور رحيم ، أقابل ظلمك بغفراني وكفرك
برحمتي ، فلا أقابل تصيرك إلا بالتوفير ، ولا أجازي جفك إلا بالوفاء .

وقال غيره : إنما خمس سورة إبراهيم يوصف النعم عليه ، وسورة النحل
يوصف النعم ؛ لأنه في سورة إبراهيم في حقائق وصف الإنسان . وفي سورة النحل
في حقائق صفات الله وإجابات الوحيته .

وتظيره قوله في الباقية ^(٦) : « مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَلْيَا
نَمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تَرْجَعُونَ » . وفي فصلت ختم بقوله ^(٧) : « وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ
لِّمَعْيِدٍ » - ونكتة ذلك أن قبل الآية الأولى : « قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا

(٢) ١٨

(١) البرهان : ١ - ٨٦ . (٢) ٣٤

(٤) هو القاضي ناصر الدين أبو الباس أحمد بن محمد بن منصور الجفائي ، المعروف
بإبن المنير ، له تجميع سطح البحر الكبير في غيب الضرير ، وكتاب الاختصار من الكشاف ،
توفي سنة ٦٨٣ هـ .

(٧) فصلت : ٤٦

(٦) ١٥

(٥) ن ب : وجهان .

للذين لا يَرْجُونَ أيام الله ، . فتاسب الختام بفاصلة البعث ؛ لأن قبله وصفهم
بـنكاره . وأما الثانية فالتخام بما فيها مناسب ؛ لأنه لا يَضِيعُ عملاً صالحاً ولا يزيد
على من عمل سيئاً .

وقال في سورة النساء^(١) : « إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا » . ثم أعادها وختم
بقوله^(٢) : « وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا » .

ونكتة ذلك أن الأولى نزلت في اليهود ، وهم الذين اقترؤا على الله ما ليس
في كتابه ، والثانية نزلت في المشركين ولا كتاب لهم وضلالهم أشد .

وقوله في المائدة^(٣) : « وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ
الْكَافِرُونَ » . ثم قال في الثانية : « فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » . ثم قال في الثالثة :
« فَاُولَئِكَ هُمُ الْقَاسِتُونَ » .

ونكتته أن الأولى نزلت في حكام المسلمين . والثانية ، في اليهود ؛ والثالثة ،
في الصاري . وقيل الأولى فيمن جحد ما أنزل الله ؛ والثانية فيمن خالفه مع علمه
ولم ينكره ، والثالثة ، فيمن خالفه جاهلاً . وقيل الكافر والظالم والقاسق كلها بمعنى
واحد . عبر عنه بالفاظ مختلفة لزيادة القائدة واحسب التكرار .

وعكس هذا اتفاق التماسين والمحدث عنه مختلف ، كتوله في سورة النور^(٤) :
« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَآذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ . . . » إلى قوله :
« كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » . ثم قال^(٥) : « وَإِذَا بَلَغَ

(١) النساء : ٤٨ (٢) ١١٦ من السورة نفسها . (٣) ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧
(٤) النور : ٥٨ (٥) ٥٩

الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْخَلَمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ^(١).

التفسير الثاني : من مشكلات القواصل : قوله تعالى^(٢) : « إِنَّ تَعَذُّبَهُمْ قَالَهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَتَغَيَّرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » . فإن قوله : « وَإِنْ تَتَغَيَّرَ لَهُمْ » يقتضى أن تكون الفاصلة النور الرحيم . وكذا قلت عن مصحف أئى ، وبها قرأ ابن كثير ، وذكر فى حكمة أنه لا يتغير لمن استحق العذاب إلا من ليس قوته أحد يرد عليه حكمة ، فهو العزيز أى الغالب . والحكيم هو الذى يضع الشئ فى محله . وقد يحنى وجبه الحكمة على بعض الضعفاء فى بعض الأحوال فيتوهم أنه خارج عنها^(٣) ، وليس كذلك ؛ فكان فى الوصف بالحكيم احترام الحكيم حسن [أى]^(٤) وإن تَغَيَّرَ لَهُمْ مع استحقاقهم العذاب فلا يترضى عليك أحد فى ذلك . والحكمة فيما قلته .

وتظهر ذلك فى سورة التوبة قوله^(٥) : « أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » . وفى سورة المتحة^(٦) : « وَاعْتَرَفْنَا بِرَبِّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » . وفى النور^(٧) : « وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَإِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ » . فإن بآدى رأى يقتضى ثواب رحيم ؛ لأن الرحمة متلصة للتوبة ، لكن عبر به إشارة إلى فائدة مشروعية اللعان وحكمته ، وهى السر عن هذه القلعة العظيمة .

من نسي ذلك أيضاً قوله تعالى فى سورة البقرة^(٨) : « هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ

(١) فى البرهان (٨ — ٨٨) : قال ابن عبد السلام : فى الأولى علم بمصالح عباده حكيم فى بيان مراده . وقال فى الثانية علم بمصالح الآدمى ، حكيم ببيان الأحكام .

(٢) المائدة : ١١٨ (٣) أى عن الحكمة . (٤) من البرهان (٩ — ٨٩) .

(٥) (٦) المتحة : ٥ (٧) النور : ١٠

(٨) البقرة : ٢٩

مَا فِي الْأَرْضِ جِبَاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ [١١٠] وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . وَفِي آلِ عِمْرَانَ ^(١) : « قُلْ إِنْ تُخَفُّوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْغِدُوا يُخْلَقُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . فَإِنْ الْمُتَبَادَّرَ إِلَى الذَّهْنِ فِي آيَةِ الْيَمْرِ الْخَتْمُ بِالْقُدْرَةِ ، وَفِي آلِ عِمْرَانَ الْخَتْمُ بِالْعِلْمِ .

والجواب أن آية البقرة لما تضمنت الإخبار عن خلق الأرض وما فيها على حسب حاجات أهلها ومنافعهم ومصالحهم ، وخلق السموات خلقاً مستوياً محكماً من غير تفاوت ؛ والخالق على الوصف المذكور يجب أن يكون عالماً بما فعله كلياً وجزئياً ، مجللاً ومفصلاً - ناسب ختمها بصفة العلم . وآية آل عمران لما كانت في سياق الوعيد على موالاة الكفار ، وكان التعبير بالعلم فيها كناية عن المجازاة بالثواب والعقاب ناسب ختمها بصفة القدرة .

ومن ذلك قوله تعالى ^(٢) : « وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا » . فالتختم بالحلم والخبرة عقب تسبيح الأشياء غير ظاهر في بادى الرأي ؛ وذكر في حكمتنا أنه لما كانت الأشياء كلها تسبح ولا عصيان في حقها وأنت تعصون ختم بها مراعاةً للمقدّر ^(٣) في الآية وهو العصيان ، كما جاء في الحديث : لولا بهائم رُبع ، وشيوخ رُكع ، وأطفال رُضع لعُصِبَ عليكم البلاء صبا .

وقيل : التذير : حلماً عن تقويط المسبحين غفوراً لذنوبهم .

وقيل : حلماً عن الخطاطين الذين لا يفقهون التسبيح بإلهام النظر في الآيات والبر ليرفوا حقه بالأمل فيما أودع في مخلوقاته مما يوجب تنزيهه .

التيه الثالث : من ^(١) القواصل ، لا نظير له في القرآن ^(٢) ، كقوله عتب ^(٣)
 النض في سورة التور ^(٤) : « إِنَّ اللَّهَ حَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ » . وقوله عتب الأمر
 بالدعاء والاستجابة ^(٥) : « لِيُطِيعُوا يُرْشِدُونَ » . وفيه تعريض بلبلة القدر حيث
 ذكر ذلك عتب ذكر رمضان ، أي ليعلمهم يرشدون إلى معرفتها .

[التصدير]

وأما التصدير فهو أن تكون تلك اللفظة بينها تقدمت في أول الآية ،
 ويسمى أياً رد المعز على الصدر . وقال ابن المعتز هو ثلاثة أقسام :
 الأول — أن يوافق آخر القاصلة آخر كلمة في الصدر ، نحو ^(٦) : « أَنْزَلَهُ سُلَيْمٌ
 وَاللَّائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً » .

والثاني — أن يوافق أول كلمة منه ، نحو ^(٧) : « وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً
 إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ » . « قَالَ ^(٨) : إِنْ يَئِسَ لِمَاسِكُمْ مِنَ الْهَالِكِينَ » .

الثالث — أن يوافق بعض كلماته ، نحو ^(٩) : « وَقَدْ اسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ
 مِنْ قَبْلِكَ فَخَفَى بِقَدْرِنَ سَخِرُوا مِنْهُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ » . « انْظُرْ ^(١٠)
 كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُ عَلَى الْبَعْضِ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَتٍ وَأَكْبَرُ تَفْصِيلاً » .
 « قَالَ ^(١١) لَهُ مُوسَى وَيَسْأَلُكُمْ لَا تَنْفَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً ... » إلى قوله :
 « وَقَدْ خَلَبَ مَنْ انْفَرَى » .

(٢) البرهان : ١ - ٩٣

١ في القواصل

(٤) ٣٠

(٣) في البرهان : عتب الأمر بالنض .

(٦) آل عمران : ٨

(٦) النساء : ٦٦

(١٠) البقرة : ١٨٦

(١٠) الإسراء : ٢١

(٩) الأنعام : ١٠

(٨) الشعراء : ١٦٨

(١١) طه : ٦١

[التوشيح]

وَأما التوشيح فهو أن يكون في أول الكلام ما يستلزم القافية . والفرق بينه وبين التصدير أن هذا دلالة معنوية ، وذلك لفظية ؛ كقوله تعالى ^(١) : « إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ ... » الآية ؛ فإن اصطفي يدل على أن القاصلة السالين لا باللفظ ؛ لأن « السالين » غير لفظ « اصطفي » ، ولكن بالمعنى ؛ لأنه يعلم أن من لوازم اصطفا ^(٢) شيء أن يكون مختلراً على جنسه ، وبجس هؤلاء المصطفين « السالين » . وكقوله ^(٣) : « وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ... » الآية . قل ابن أبي الإصبع : فإن من كان حافظاً لهذه السورة متفطناً إلى أن مقاطع آيها النون المردفة ، وسمع في صدر الآية انسلخ النهار من الليل علم أن القاصلة مظلومون ؛ لأن من انسلخ النهار عن ليله أظلم ؛ أي دخل في الظلمة ؛ ولذلك سمي توشيحاً ^(٤) ؛ لأن الكلام لما دل أوله على آخره نزل المعنى منزلة الوشاح ، ونزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشع الذين يحول عليها الوشاح ^(٥) .

[أقسام السجع والفواصل]

وقسم البديعون السجع ومثله الفواصل إلى أقسام : مطرف ، ومتواز ؛ ومتوازن ، ومرصع ، ومتماثل .
فالمطرف : أن تختلف القاصلتان في الوزن وتنقيا في حروف السجع ؛ نحو ^(٦) :
« مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً » .

(٢) في ب : اصطفي - تحريف .

(١) آل عمران : ٣٣

(٣) طائع القرآن : ٩١

(٢) يس : ٣٧

(٥) لم يذكر القسم الرابع وهو الإجمال وفي الإتيان : وأما الإيضاح فذكر في الإمداد .

(٦) وح : ١٢ ، ١٣

(٧) في نسخة القرآن ()

والتوازي : أن يتفقا وزناً وتقفية ، ولم يكن ما في الأولى مقابلاً [١٠ ب]
لما في الثانية في الوزن والتقفية ؛ نحو ^(١) : « فيها سرور مرفوعة واكواب
موضوعة » .

والتوازن : أن يتفقا في الوزن دون التقفية ؛ نحو ^(٢) : « ومارق مصفوفة .
وزراني مبنوثة » .

والمرصع : أن يتفقا وزناً وتقفية ، ويكون ما في الأولى مقابلاً لما في الثانية
كذلك ؛ نحو ^(٣) : « إن إلينا إيابهم . ثم إن علينا حسابهم » . ^(٤) « إن الأبرار
لني نسيم وإن القجار لني جحيم » .

والمائل : أن يتساويا في الوزن دون التقفية ، ويكون أفراد الأولى مقابلة
لما في الثانية ، فهو بالنسبة إلى المرصع كالتوازن بالنسبة إلى التوازي .
نحو ^(٥) : « وآتيناهم الكتاب المستبين ، وهديناهما الصراط المستقيم » .
فالكتاب والصراط متوازنان ، وكذا المستبين والمستقيم ، واختلفا في الحرف الأخير .

فصل

بقي نوعان بديعيان متممات بالقواصل : أحدهما التشريع ، وسماه ابنه أبي الإصبع ^(٦)
التوأم ، وأصله أن يبنى الشاعر بيتاً على وزن من أوزان العروض ، فإذا سقط
منها جزء أو جزآن صار الباقي بيتاً من وزن آخر ، ثم زعم قوم اختصاصه به .
وقال آخرون : بل يكون في التثر بأن يبنى على سجتين لو اقتصر على الأولى
منها كان الكلام تاماً مفيداً ، وإن ألحق به السجدة الثانية كان في التام
والإفادة على حاله مع زيادة معنى ما زاد في اللفظ .

(١) الناقبة : ١٤ ، ١٣ (٢) الناقبة : ١٦ ، ١٥ (٣) الناقبة : ٢٥
(٤) الاعتذار : ١٤ (٥) الحملات : ١١٧ ، ١١٨
(٦) دمع المراكمة : ٢٢١

قال ابن أبي الإصبع : وقد جاء من هذا الباب معظم سورة الرحمن ، فإن آياتها لو انصرف فيها على أولى القاصدين دون « قَبَائِرِ آلِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ » لكان الكلام تاماً مقيداً ، وقد كلل بالثانية ، فأفاد معنى زائداً من التقرير والتوبيخ .

قلت : التحليل غير مطابق ، هو الأولى بأن يمثل بالآيات التي في أثناءها ما يصلح أن يكون فاصلة ، كقوله ^(١) : « لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً » .

الثاني : الالتزام ، ويسمى لزوم ما لا يلزم ؛ وهو أن يلزم في الشعر أو النثر حرف أو حرفان فصاعداً قبل شرط الزوى بشرط عدم الكلفة ؛ مثال التزام حرف : « فَاثْمًا ^(٢) الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ » . التزام الهاء قبل الراء . ومثله ^(٣) : « أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ » ... الآية التزم فيها الراء قبل الكاف . « فَلَا ^(٤) أَقْسِمُ بِالْخُنُفِ . الْجَوَارِ الْكُنُفِ » . التزم فيها النون الشددة قبل السين . « ^(٥) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ، وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ » .

ومثال التزام حرفين : « وَالطُّورِ ^(٦) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ . فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ » . « مَا ^(٧) أَمَرَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْعُونٍ ، وَإِن لَّكَ لِأَجْرًا غَيْرَ مَسْنُونٍ » . « بَنَفَتَ ^(٨) التَّرَاقِي . وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ . وَظَنَّ أَنَّهُ الْقِرَاقِ » .

ومثال التزام ثلاثة أحرف : « نَذَرَ كُرُوءًا ^(٩) فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ . وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي شَيْءٍ تَمَّ لَا يُقْصِرُونَ » .

(١) الطلاق : ١٢	(٢) الضحى : ٩	(٣) الانشقاق : ١٧ ، ١٨
(٤) الضحى : ١	(٥) البكره : ١٦ ، ١٧	(٦) القباية : ٢٦ ، ٢٧
(٦) الطور : ١	(٧) النظم : ٢	
(٨) الأعراف : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢		

تجويدات

الأول - قل أهل البديع : أحسن السجع ما تساوت قرائته ، نحو^(١) :
« في سِدْرٍ مَخْضُودٍ . وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ . وَظِلٍّ مَمْدُودٍ » .

وبليه ما طالت قرينته الثانية نحو^(٢) : « والنَّجْمِ إِذَا هَوَى . مَا ضَلَّ
صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى » . والثالثة نحو^(٣) : « خُذُوهُ فَغُلُّوهُ . ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلُّوهُ .
ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ... » الآية .

وقال ابن الأثير : الأحسن في الثانية المساواة ، وإلا فأطول قليلا ، وفي الثالثة
أن تكون أطول .

وقال الخفاجي : لا يجوز أن تكون الثانية أقصر من الأولى .

الثاني - قالوا : أحسن السجع ما كان قصيرا ، لدلالته على قوة النشوء ،
وأقله كلمتان نحو^(٤) : « يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ... » الآيات . و « الْمُرْسَلَاتِ^(٥)
عُرْفًا ... » الآيات . و « الذَّارِيَاتِ^(٦) ذَرَوْنَ ... » الآيات . و « الْعَادِيَاتِ^(٧)
ضَبْحًا ... » الآيات . والطويل ما زاد على العشرة كغالب الآيات ؛ وما بينهما
متوسط كآيات سورة القمر^(٨) .

الثالث : قال الزمخشري في كشانه التقديم^(٩) : لا تحسن المحافظة على التماسك

(١) الواقعة : ٢٨ (٢) النجم : ١ (٣) الحاقة : ٢٢

(٤) المدثر : ٨ (٥) المرحلات : ١ (٦) الذاريات : ١

(٧) العاديات : ١

(٨) هي : القدرت الساعة وانتق القمر ، ولا يروا آية يرمصوا ويلولوا سحر مستر .

(٩) للبرهان : ١ - ٢٢ .

لمجردها إلا منع بقاء المعاني على سردها^(١) على النهج الذي يقتضيه حسن السطو
والقوافي^(٢) ، فأما أن تهمل المعاني ويهتم بتحسين اللفظ وحده ، غير منظور فيه
إلى مؤداه ، فليس من قبيل البلاغة ، ونرى على ذلك أن التذم في^(٣) : « وبالآخر .
هم يُورقون » - ليس لمجرد القاصلة : بل لرعاية الاختصاص .

الرابع : مبى القواصل على الوقف ، ولهذا ساغ مقابلة الرفوع بالجرور ،
وبالعكس ، كقوله^(٤) : « إنا خلقناهم من طين لازب » . مع قوله^(٥) :
« عَذَابٌ وَأَصِيبٌ » ، و « شَهَابٌ^(٦) [١١ ١] ثَاقِبٌ » وقوله^(٧) :
« بِمَاءٍ مَّهِينٍ » ، مع قوله^(٨) : « قَدْ قُدِّرَ . وَسِخْرٍ^(٩) مُّشْتَرٍ . وقوله^(١٠) :
« وما لهم من دونه من وال » . مع قوله^(١١) : « وَيُنْشِئُ السَّعَابَ
النَّقَالَ » .

الخامس - كثر في القرآن ختم القواصل بحروف المد واللين والحقاق النون .
وحكته وجود التمكن مع التطريب بذلك ، كما قال سيويه : إيهم إذا ترعموا
يلحقون الألف والياء والنون ؛ لأنهم أرادوا مد الصوت ؛ ويتركزون ذلك
إذا لم يترعموا ، وجاء القرآن على أسهل موقف وأعظم منقطع .

السادس - حروف القواصل إما متباعدة ، وإما متقاربة ؛ فالأول مثل^(١٢) :
« والطور . وكتاب مسطور . في رفق منشور . والبيت المسور » .

(١) في البرهان ، والإشفاق : والتثامه .
(٢) السكات : ١١
(٣) الصالحات : ١٠
(٤) القمر : ٢٢
(٥) الرعد : ١١
(٦) الطور : ١٢

(١) في البرهان : على سدادها .
(٢) البقرة : ٤
(٣) الصالحات : ٩
(٤) القمر : ١١
(٥) القمر : ٢
(٦) الرعد : ١٢

والثاني مثلاً : «^(١) الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين » . «^(٢) والقرآن المجيد ، بل عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ قَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ » .

قال الإمام فخر الدين وغيره : إن فواصل القرآن لا تخرج عن هذين القسمين ؛ بل تنحصر في المماثلة والمقاربة ، قال : وبهذا يرجع مذهب الشافعي على مذهب أبي حنيفة في عد القامعة سبع آيات من البسملة وجعل صراط الذين ... إلى آخرها آية ؛ فإن من جل آخر الآية : «أنمت عليهم» مردود بأنه لا يشابه فواصل سائر آيات سورة لا بالمماثلة ولا بالمقاربة ؛ ورعاية التشابه في القواصل لازمة .

السابع - كثر في القواصل التضمن والإبطاء ؛ لأنها لما يعين في التثنية وإن كانا يعين في النظم . فالتضمن أن يكون ما بعد القامعة متعلقاً بها ، كقوله تعالى ^(٣) : «وإنكم لتمرّون عليهم مصّحين . وبالليل أفلا تعقلون » . والإبطاء تكرار القامعة بلفظها ؛ كقوله ^(٤) تعالى : [^(٥) - في الإسراء : «هل كنت إلا بشراً رسولاً » . وختم بذلك الآيتين بعدها ^(٦) .



الوجه الرابع من وجوه الجمع

مناسبة آياته وسوره وإرتباط بعضها ببعض ، حتى تكون كالكلمة الواحدة ، متصلة المعاني ، منتظمة الباني .

وبدأ ألف عذوقنا في أسرارها توافيق كثيرة مهم العلامة أبو جعفر بن الزبير ^(٧)

(١) القامعة : ٤ (٢) ق : ١ ، ٢ (٣) الصافات : ١٣٧ ، ١٣٨

(٤) الإسراء : ٩٣ (٥) من الاثنان : ١٠٨ (٦) هما الآيتان : ٩٤ ، ٩٥

(٧) هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي النحوي الحافظ صاحب كتاب الترتيب على الصلة . وذكر السيوطي في الاثنان أن اسم كتابه ومسابات الألف هو «البرهان في مناسبة ترتيب سور الفرق» . توفي سنة ٨٠٧ (الهدر السكتة ١ - ٨٤) .

شيخ أبي حيان في كتاب سماه «البرهان» في مناسبة ترتيب سور القرآن . ومن أهل العصر الشيخ رمان الدين البقاعي^(١) في كتاب سماه نظم الدرر في تناسب الآي والسور . وكتابي الذي صنفه في أضرر التنزيل كافل بذلك . جامع لمناسبات السور والآيات مع ما تضمنه مرتباً^(٢) من جميع وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة ، وقد خلصت منه مناسبات السور خاصة في جزء لطيف سمته تناسق الدرر في تناسب السور .

وعلم^(٣) المناسبة علم شريف قلّ اعتناء المفسرين به لدقته ، ومن أكثر منه الإمام فخر الدين ، وقال في تفسيره : أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط .

وأول من سبق إلى هذا العلم الشيخ أبو بكر النيسابوري ، وكان كبير العلم في البشرية والأدب ، وكان يقول عني الكرسي إذا قرئت^(٤) عليه الآية : لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه ؟ وما لحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة ؟ وكان يزري على علماء بغداد ، لعدم علمهم بالمناسبة .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام^(٥) : المناسبة علم حسن . لكن يشترط

(١) هو إبراهيم بن عمر برمان الدين البقاعي ، منسوب إلى البقاع ، من بلاد سورية ، مؤرخ أديب ، تولى سنة ٨٨٥ (ليل الطالع : ١٠ - ١١) .

(٢) في الإتيان : مع ما تضمنه من بيان وجوه الإعجاز .

(٣) البرهان : ١ - ٢٥

(٤) في الإتيان : إذا قرئ . وفي البرهان : إذا قرئ . عليه الآية .

(٥) هو الإمام عبد العزيز بن عبد السلام الشهير بالمر ، ولد سنة ٥٧٧ هـ ، وتوفي

سنة ٦٦٠ (ملقات الناصية : ٥ - ٨٠) .

في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متعدد مرتبط أوله بآخره^(١). فليس هو على أسباب مختلفة لم يقع فيه لارتباط . ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا بد من عبء إلا بربط ركيك يصلح عن مثله حسن الحديث ، فصلا عن أحسنه ؛ فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ، شرعت لأسباب مختلفة ، وما كان كذلك لا يتأتى ربط معه بعض .

وقال الشيخ ولي الدين الملقى : قدوم من قال . لا يطلب الآية^(٢) الكريمة مناسبة : لأنها على حسب الوقائع المتفرقة . وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا ، وعلى حسب الحكمة ترتيبا ، وتأصيلا ، فالمصحف على وفق اللوح المحفوظ مرتبة سورة كلها وآياته بالترتيب ، كما أنزل جملة إلى بيت العزة . ومن المعجز البين أسلوبه ، ونظمه الباهر ؛ والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها نكلة لما قبلها أو مستقلة ؛ ثم المستقلة [١١ ب] ما وجه مناسبتها لما قبلها ؟ ففي ذلك [علم]^(٣) جم . وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سقت له .

وقال الإمام الرازي في سورة البقرة : ومن تفكر في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة الفاظه وشرف معانيه فهو أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته ، ولعل الذين قالوا إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك ، إلا أن رأيت جمهور المفسرين مرضين عن هذه اللطائف ، غير متبينين لهذه الأسرار ، وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل :

والنجم تستمر الأبصار مسورة

والدنب الطرف لا يستمر في الصر

(١) في البرهان : لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر

(٢) في البرهان : للآي . (٣) من الإيهام والبرهان .

[المناسبة]

المناسبة في اللغة المشاكلة والمقلدة ، ومرحبها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط
بينها عام أو خاص ، عقل أو حسي أو خيالي . أو غير ذلك من أنواع علاقات
التلازم الذهني ، كالسبب والمسبب ، و [السلسلة و]^(١) العلول ، والتفجيرين
والصدين ونحوه .

وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعتاق بعض ، فيقوى بذلك
الارتباط ، ويصير التأليف حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء فنقول :

ذكر الآية بعد الأخرى إما أن يكون ظاهر الارتباط لتعلق الكلام بعضه
ببعض وعدم تمامه في الأولى ، فواضح ؛ وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على وجه
التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البديل ، وهذا القسم لا كلام فيه .

وإما ألا يظهر الارتباط ، بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى ، وأنها
خلاف النوع البدوي به ؛ فإما أن تكون معطوفة على الأولى بحرف من حروف
المطف الشركة في الحكم ، أو لا . فإن كانت معطوفة فلا بد أن يكون بينهما
جهة جامعة على ما سبق تسميته ، كقوله تعالى^(٢) : « يَلْمِزُكَ فِي الْأَرْضِ
وَمَا يُخْرِجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَرْجُ فِيهَا » . وقوله^(٣) : « وَاللَّهُ
يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » . للتضاد بين القبض والبسط ، والولوج
والخروج ، والنزول والارتفاع ، وشبه التضاد بين السماء والأرض .

ومما السلاقة فيه التضاد ذكر الرحمة جد ذكر العذاب ، وارتغبة بعد الرهبة .

وقد جرت عادة القرآن العظيم إذا ذكر أحكاماً ذكر بعدها وعداً أو وعيداً ؛
لتسكون بليلاً على الصل بما سبق ، ثم يذكر آيات توحيد وتنزيه ؛ ليعلم عظم
الأمر الناهي .

وتأمل سورة البقرة والنساء والمائدة تجده كذلك .

وإن لم تكن مطبوعة فلا بد من جماعة تؤذن باتصال الكلام ، وهي قرائن
مسنوية تؤذن بالربط ^(١) .

[أسباب الربط]

وله أسباب :

أحدها : التنظير ؛ فإن إلحاق التنظير بالتنظير من شأن القسلا .
كقوله ^(٢) : « كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ » - عَقِبَ قَوْلِهِ ^(٣) :
« أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ » ؛ فإنه تعالى أمرهم بعبادة الله أن يعصى لأمره في المنام
على كونه من أصحابه ، كما يعصى لأمره في حروجه من بيته لطلب العير أو القتال
وهم له كارهون . والقصد أن كراهتهم لما فعله من قسم المنام ككراهتهم للخروج .
وقد تبين في الخروج الخير من النصر والظفر والتنمية وعز الإسلام ، فكذا يكون
فيما فعله في القصة ، فليطيموا ما أمروا به ويتركوا ما هوى أنفسهم .

الثاني : المضادة ، كقوله في سورة البقرة ^(٤) : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ
عَلَيْهِمْ ... » الآية . فإن أول السورة كان حديثاً عن القرآن ، وأن من شاء
الهداية للثوم الوصوفين بالإيمان . فلما أكل وصف المؤمنين عقب بحديث

(١) في جرحان (١ - ١٦) . والأول مزج لفظي ، وهذا مزج سموي ، ونزل الآية
من الأولى مرة جرحاً كان . (٢) الأفعال .

الكافرين ؛ فبينهما جامع وهمي بالتضاد من هذا الوجه . وحكته التشويق والتبوت على الأول ، كما قيل : وبضلعها تتبين الأشياء .

فإن قيل : هذا جامع بعيد ؛ لأن كونه حديثاً عن المؤمنين [١١٢] بالعرض ^(١) لا بالذات ، والمقصود بالذات الذي هو مساق الكلام إنما هو الحديث عن القرآن ؛ لأنه مستح القول .

قيل : لا يشترط في الجامع ذلك ؛ بل يكفي التعلق على أى وجه كان ، ويكفى في وجه الربط ما ذكرنا ؛ لأن القصد تأكيد أمر القرآن ، والعمل به ، والحث على الإيمان ؛ ولهذا لما فرغ من ذلك قل ^(٢) : « وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا » — فرجع إلى الأول .

الثالث : الاستطراد ؛ كقوله تعالى ^(٣) : « يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ ... » الآية .

قال الزمخشري : هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقب ذكر بدو السَّوآت ، وخَصَفَ الورق عليها ، إظهاراً للفة فيما خلق من اللباس ، ولما في العراء ^(٤) وكشف المورة من المهابة والقضيعة ؛ وإشعاراً بأن السر باب عظيم من أبواب التقى .

وقد خرجت على ^(٥) الاستطراد قوله تعالى ^(٦) : « لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ » ؛ فإن أول الكلام ذكر فيه الرد على النصارى الزاعمين بنوة المسيح ، ثم استطراد الرد على العرب الزاعمين بنوة الملائكة .

(١) في ب : بالعرض . (٢) البقرة : ٢٣ (٣) الأعراف : ٣٦
(٤) والرحان : العري . (٥) لها : عن (٦) النساء : ١٧٢

وقرب من الاستطراد حتى لا يكاد يلاحظ^(١) يفرقان حسن التخصيص : وهو أن
يختل عما ابتأ به الكلام إلى التصود على وجه سهل يختلف اختلافاً دقيقاً للمنى ،
بحيث لا يشر السامع بالاعتدال من المنى الأول إلا وقد وقع عليه الثانى لشدة
الالتصام بينهما .

وقد غلط أبو اللؤلؤ محمد بن غنم في قوله : لم يقع منه في القرآن شيء ، لما فيه من
التكلف ؛ وقال : إن القرآن إنما وقع رداً على الافتضاب الذى هو طريق العرب
من الاعتدال إلى غير ملائم .

[التخصيص]

وليس كما فعل ؛ فبه من التخصيصات الجيدة ما يحير العقول . وانظر إلى سورة
الأعراف كيف ذكر فيها الأنبياء والقرون الماضية والأمم الساقية ، ثم ذكر موسى
إلى أن قص حكاية السجين رجلاً ودعائه لهم وللسائر أمة بقوله^(٢) : **وَإِكْتُبْنَا**
فِي هَذِهِ الدِّينَارَةِ فِي الْآخِرَةِ ، وجوابه تعالى عنه ، ثم تخلص بمناقب
سيد المرسلين بعد تخلصه بقوله لأمة^(٣) : **وَقُلْ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي**
وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ نَسْأَلُكُمْ كِتَابَ الَّذِينَ ، من صفاتهم كيت وكيت ، وهم الذين
يتبعون الرسول النبي الأمى ؛ وأخذ في صفاته الكريمة وفضائله .

وفي سورة الشعراء حكى قول إبراهيم^(٤) : **وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ** .
فتخلص منه إلى وصف للملاد بقوله : **يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ... الخ** .
وفي سورة الكهف حكى مد^(٥) ذو القرنين : **قَوْلُهُ** : **فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ**

(١) لا يكاد يلاحظ . (٢) الأعراف ١٥٦ (٣) الشعراء ٥٧
(٤) الكهف : ٩٨

ربي جملة ذكائه : فتخلص منه إلى وصف حالهم بعد ذكر الذي هو من أشرط الساعة ثم التفت في الصور ، وذكر الحشر ، ووصف حال الكفار والمؤمنين .

[الفرق بين التخلص والاستطراد]

وقال بعضهم : الفرق بين التخلص والاستطراد أنك في التخلص تركت ما كنت فيه بالكلية ، وأقلت على ما تخلصت إليه . وفي الاستطراد تمر بذكر الأمر الذي استطردت إليه مروراً كالبرق الخاطف ثم تنوّه وتعود إلى ما كنت فيه . كأنك لم تنصده ، وإنما عرض عروضاً .

قال : وبهذا يظهر أن ما في سورة الأعراف والشعراء من باب الاستطراد لا التخلص ؛ لعوده في الأعراف إلى قصة موسى بقوله ^(١) : « ومن قوم موسى أمة ... » الخ . وفي الشعراء إلى ذكر الأنبياء والأمم .

ويقرب من حسن التخلص الانتقال من حديث إلى آخر تشبيهاً للسامع مفصولاً ^(٢) بهذا ؛ كقوله في سورة ص - بعد ذكر الأنبياء ^(٣) : « هذا ذكركم وإنّ للضعفين أحسن مأب » . قال : هذا القرآن نوع من الذكر لما انتهى ذكر الأنبياء ، وهو نوع من التنزيل ، أراد أن يذكر نوعاً آخر وهو ذكر الجنة وأهلها ، ثم لما فرغ قال ^(٤) : « هذا وإنّ للطاغين لشر مأب » . فذكر النار وأهلها .

قال ابن الأثير ^(٥) : هذا في هذا المقام من الفصل الذي هو أحسن من الوصل ، وهي علاقة وكيدة بين الخروج من كلام إلى آخر [١٢ ب] .

(١) الأعراف : ١٥٩ (٢) ب : حصولاً . (٣) ص : ٤٩ (٤) ٥٥

(٥) : « وأبو الفتح نصراف بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الواحد خذاه المصنف ابن الأثير . حطب كتاب « الملل النثر » ، نول سنة ٦٣٧ .

[حسن الطلب]

وتقرب منه أيضاً حسن الطلب . قل الزجاني والطبي : وهو أن يخرج إلى
العرض بعد تلبية^(١) الوسيلة ؛ كقولك^(٢) : « يَاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين » .
قل الطبي : وما اجتمع فيه حسن التخصيص والطلب ما قوله تعالى - حكاية
عن إبراهيم^(٣) : « قَالَهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبُّ الْمَالِينَ . الَّذِي خَلَقَنِي ... » إلى قوله :
« رَبُّهُ بَلَىٰ حَكَمًا وَالْحَقُّنِي بِالصَّالِحِينَ » .

قاعدة

لبعض التأخرين : الأمر الكلي المقيد لعرفان مناسبة الآيات في جميع القرآن
هو أنك تنظر العرض الذي سيقت له السورة ، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك العرض
من المقدمات ، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب ،
وتنظر عند انجرول الكلام في مقدمات إلى ما تستنبه من استشراف نفس السامع
إلى الأحكام ولوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع غناء
الاستشراف إلى الوقوف عليها ؛ فهذا هو الأمر الكلي الثابت على حكم الربط
بين جميع أجزاء القرآن ، فإذا فلتت بينك وجه النظم منفصلاً بين كل آية وآية
في كل سورة وسورة .

تنبيه

من الآيات ما أشكلت مناسبتها لما قبلها ؛ من ذلك قوله تعالى في سورة
القيامة^(٤) : « لَا تَحْرُكَ يَوْمَئِذٍ إِلَهُكَ لِيَتَّبِعَ بِهِ ... » الآيات ؛ فمن وجه مناسبتها
لأول السورة وأثرها غير جاد ؛ فمن السورة كلها في أحوال القيامة ،

(٣) الشعراء : ٥٧

(٢) القاموس : ١١

(١) في الإجمال : نعم .

(٤) القيامة : ١١

حتى رغم بعض الرافضة أنه سقط من السورة شيء ، وحتى زعم النفاذ^(١) فيها حكاية
 القهر الرادى إلى أنها نزلت في الإنسان المذكور قبل ، في قوله^(٢) : « يُنَبِّئُ
 الإنسانُ يومئذ بما قَدَّمَ وأَخَّرَ » . قال : يعرض عليه كتابه ، فإذا أخذ في القراءة
 تلجلج خوفاً ، فأسرع في القراءة ، فيقال له : لا تحرك به لسانك لتجبل به إن علينا
 أن نجمع عملك وأن نقرأ عليك ، فإذا قرأناه عليك فاتبع قرآنه بالإقرار بأنك
 فعلت ، ثم إن علينا بيان أمر الإنسان وما ينطق بقوبته .

وهذا يخالف ما ثبت في الصحيح أنها نزلت في تحريك النبي صلى الله عليه وسلم
 لسانه حالة نزول الوحي .

وقد ذكر الأئمة لها مناسبات ؛ منها أنه تعالى لما ذكر القيامة ، وكان من شأن
 من يقصر عن العمل لها حب العاجلة ، وكان من أصل الدين أن المبادرة إلى أفضل
 الخیر مطلوبة ، فنبه على أنه قد يعترض على هذا المطلوب ما هو أجل منه ؛ وهو
 الإصغاء إلى الوحي وتفهم ما يراد منه ، والتشاغل بالحفظ قد يصد عن ذلك ، فأمر
 بالأياد إلى التحفظ ؛ لأن تحفيظه مضمون على ربه ، وليصنى إلى ما يرد عليه
 إلى أن يقضى ، فيتبع ما اشتمل عليه . ثم لما انقضت الجملة المعترضة رجع الكلام
 إلى ما يتعاق بالإنسان المبدأ بذكره ، ومن هو من جنسه ؛ قال^(٣) : « كلا » ،
 وهي كلمة ردع ، كأنه قال : بل أتم يا بني آدم لكونكم خلقت من عجل تعجلون
 في كل شيء ؛ ومن ثم تحبون العاجلة .

ومنها أن عادة القرآن إذا ذكر الكلام^(٤) المشتمل على عمل البعد حيث يعرض

(١) هو أبو بكر محمد بن إسماعيل الطبري الناصري المعروف بالمتنالك الكبير . توليته ٤٦٥

(شهران الذب ٢ - ٥٢) . وفي الإتيان : حتى ذهب ...

(٢) القيامة : ٢٠ ، كلا بل تحبون العاجلة .

(٣) القامة ١٢

(٤) والإتيان : الكتاب .

يوم القيامة أردفه ذكر الكتاب المشتمل على الأحكام الدينية و الأدب التي نشأ
عنها الطلبة عملاً و تركاً ، كما قل في الكهف^(١) : « وَوَصَّيغُ الْكِتَابُ قُرَى
الْجُرْمِينَ مُشْتَقِينَ بِمَا فِيهِ ... » إلى أن قل^(٢) : « وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ
لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ... » الآية .

وقل في طه^(٣) : « يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَنخِشُ الْجُرْمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ... »
إلى أن قل^(٤) : « فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى
إِلَيْكَ وَحْيُهُ . »

ومنها أن أول سورة التوبة لما نزل إلى^(٥) : « وَلَوْ أَتَقَى مُعَازِيرَهُ » صادف
أنه صلى الله عليه وسلم في تلك الحلة يادر إلى تحفظ الذي نزل ، وتحرك به لسانه
من عجلته خشية من تقلته ، فنزل : لا تحرك به لسانك ... إلى قوله : ثم إن علينا
بيان ، ثم عاد الكلام إلى تكملة ما ابتدئ به .

قال الصخر الرازي : ومحوه ما لو أتى المدرس على الطالب مسألة فتشغل
الطالب بشيء عرض له ، فقال له : أتق إلى بالك ، وتفهمها أقول . ثم كل المسألة ،
فمن لا يعرف السبب يقول : ليس هذا الكلام [١٣ ١] مناسباً للمسألة بخلاف
من عرف ذلك .

ومنها أن « النفس » لما قلده ذكرها في أول السورة عدل إلى ذكر نفس
المصطفى ، كأنه قل : هذا شأن النفوس ، وأنت يا محمد نفسك أشرف النفوس ؛
فلتأخذ بكل الأحوال .

ومن ذلك قوله تعالى^(٦) : « يَسْأَلُكَ عَنِ الْآيَةِ ... » الآية ، قد قيل :

(٣) طه : ٢ : ١
(٦) طه : ١٨٩

(٥) ٩ : ٥١
(٥) التوبة : ١٠٠

(١) الكهف : ٩٩
(٢) (٢) : ١٩١

أى رابط بين أحكام الأئمة وبين حكم إتيان البيوت من أبوابها ؟ وأجيب بأنه من باب الاستطراد؛ لما ذكر أنها موافقة للحج، وكانت هنا من أفضلهم في الحج - كما ثبت في سبب نزولها - ذكر منه من باب الزيادة في الجواب على ما في السؤال على حسد : مثل عن ماء البحر ، قال : هو الطهور ماؤه الحل ميتته .

ومن ذلك قوله تعالى^(١) : « وَفِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ نَبَاتٌ تَأْكُلُ مِنْهُ الشَّجَرُ » الآية . قد يقال : ما وجه اتصاله بما قبله ، وهو قوله^(٢) : « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ... » الآية . قال الشيخ أبو محمد الجويني^(٣) في تفسيره : سمعت أبا الحسن الإلهي يقول : وجه اتصاله هو أن مغرب بيت المقدس قد سبق ؛ أى فلا يحرم منكم ذلك واستنبوه ، فإن الله المشرق والمغرب .

فصل

من هذا النوع مناسبة السور . وقد أفردت فيه جزءاً لطيفاً سميت مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع^(٤) .

وانظر إلى سورة القصص كيف بدئت بأمر موسى ونصرته ، وقوله^(٥) : « فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ » . وخروجه من وطنه . وختمت بأمر النبي صلى الله عليه وسلم ألا يكون ظهيراً للكافرين ، ونسبته عن إخراجهم من مكة ، ووعده بالعود إليها ، لقوله في أول السورة^(٦) : « إِنَّا رَأَوْنَاهُ إِلَيْكَ » .

(١) البقرة : ١١٥

(٢) البقرة : ١١٥

(٣) هو أبو المعالي عبد الملك بن أبي عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني العراقي ، شيخ

الغزالي ، توفي سنة ٤٧٨ (ابن خلكان : ١ - ٢٧٨) .

(٤) في باب : المقاطع والمطالع . (٥) القصص : ١٧ (٦) القصص : ٢

(م - ٥ - في إحياء القرآن)

قال الزمخشري : وقد جعل الله فاتحة سورة [المؤمنون] ^(١) : « قد ^(٢) أفلح المؤمنون » وأورد في خاتمتها ^(٣) : « إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ » . فستان ما بين الفاتحة والخاتمة .

وذكر الكيرماني في العجائب مثله ، وقال في سورة ص : بدأها بالذكر ^(٤) وختمها بقوله ^(٥) : « إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ » . وفي سورة ن بدأها بقوله ^(٦) : « مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٌ » . وختمها بقوله ^(٧) : « وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ » .

ومنه مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ^(٨) التي قبلها ، حتى إن منها ما يظهر تطابقاً به لفظاً ، كما في ^(٩) : « فَجَعَلْنَاهُمْ كَصَفِّ نَارٍ كَوَّلَ » . « ^(١٠) لَا يَلَابِثُ قُرَيْشٌ » . قد قال الأخفش : اتصلها به من باب قوله ^(١١) : « فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا » .

وقال الكواشي ^(١٢) في تفسير اللامعة : لما ختم سورة النساء أمراً بالتوحيد والعدل بين العبد كد ذلك بقوله ^(١٣) : « يَتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ » . وقال غيره : إنما اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها ، ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى ، كافتتاح سورة الأنعام بالحمد ، فإنه

-
- (١) من البرهان . (٢) المؤمنون : ٢ (٣) ١١٧ .
 (٤) أول السورة : ص ، والقرآن في الذكر .
 (٥) من الآية ٨٧ ، ومن قبل آخر آية من السورة .
 (٦) ٢ .
 (٧) ٥١ ، ومن الآية التي قبل الأخيرة من السورة .
 (٨) في ١ : لخاتمتها . (٩) آخر سورة القيل . (١٠) قرئ : ١ .
 (١١) يوسف : ١١ .
 (١٢) هو أحمد بن يوسف مولى الممن الكواشي الموصلي الثاني توفي سنة ٦٨٠ هـ .
 وله كتابان في الفقه أحدهما التبصرة والآخر الطلبيس ، ذكرها صاحب كشف القنون .
 (١٣) اللامعة : ١ .

مناسب لختم المائدة من فصل القضاء ، كما قال تعالى ^(١) : « وَقَفَّيْ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » .

وكافتح سورة قاطر بالحمد أيضاً ، فإنه مناسب لختم ما قبلها من قوله تعالى ^(٢) : « وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ، كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَعِهِمْ مِنْ قَبْلَ » ؛ كما قال تعالى ^(٣) : « قَطِّعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » .

وكافتح سورة الحديد بالتسبيح ، فإنه مناسب لختم ^(٤) سورة الواقعة ^(٥) بالأمر به .

وكافتح سورة البقرة بقوله تعالى ^(٦) : « آلم . ذَلِكَ الْكِتَابُ » . فإنه إشارة إلى الصراط في قوله ^(٧) : « لَقَدْ جَاءَ الصَّرَاطَ السَّيِّمُ » ، كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط قيل لهم : ذلك الصراط السقيم الذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب .

وهذا معنى حسن يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالقائمة .

ومن لطائف سورة الكوثر أنها كالمقابلة للتي قبلها ^(٨) ؛ لأن السابقة وصف الله المتألق فيها بأربعة أمور : البخل ، وترك الصلاة ، والرياء فيها ، ومع الزكاة ؛ فذكر فيها ^(٩) في مقابلة البخل : إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ؛ أي الخير الكثير . وفي مقابلة ترك [١٣ ب] الصلاة فصلٌ ؛ أي قَدَّمَ ^(١٠) عليها . وفي مقابلة الرياء لربك

(١) الزمر : ٦٩ (٢) آخر سبأ : ٥٤ (٣) الأنعام : ٤٥
(٤) خام سورة الواقعة : فصح باسم ربك العظيم . وأول سورة الحديد : بجمع ما في السموات والأرض .
(٥) في الأصلين : البقرة ، والصواب في الاطمان .
(٦) البقرة : ١٠ (٧) القائمة : ٦ (٨) أتى فيها سورة الأعراف .
(٩) أي في سورة الكوثر . (١٠) في الاطمان : دم عليها .

أى رضا لا للثمن وفى مقابلة (١) منع المساعون وانحر ، وأراد به التصديق بلحم الأضاحى .

[أسباب ترتيب السور فى المصحف]

وقال بعضهم (٢) : لترتيب وضع السور فى المصحف أسباب تطلع (٣) على أنه توفيق صادق عن حكيم :

أحدها - بحسب الحروف ، كما فى المواتم .

الثانى - لموافقة أول السورة لآخر ما قبلها . كآخر الحمد فى المعنى وأول البقرة .

الثالث - للوزان فى اللفظ ، كآخر « بَيَّت » وأول « الإخلاص » .

الرابع - لمساوية حلة السورة لجملة أخرى كالضحى و « ألم شرح » .

قال بعض الأئمة : وسورة الفاتحة تضمنت الإقرار بالربوبية والالتجاء إليه

فى دين الإسلام ، والصليانة عن دين اليهودية والمصرية . وسورة البقرة تضمنت

قواعد الدين . وآل عمران تكملة للتصود : فالقرة بمنزلة إقامة الدين على الحكم ،

وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم ؛ ولهذا ورد فيه (٤) ذكر التشابه

لما تمسك به النصارى . وأوجب الحج فى آل عمران . وأما فى البقرة فذكر أنه

مشرع وأمر باتباعه بعد الشروع فيه ، وكان خطاب النصارى فى آل عمران

أكثر ، كما أن خطاب اليهود فى البقرة أكثر ؛ لأن التوراة أصل والإنجيل

فرع لها ، والنبي صلى الله عليه وسلم لما جبر إلى المدينة دعا اليهود وجاعدهم ، وكان

(١) من الامتنان . (٢) البرهان : ١ - ٢٦ (٣) فى ١ : مجمع .

(٤) عريد الجواب . وفى البرهان : ولهذا قرن بها ذكر التشابه .

جهاده للنصارى فى آخر الأمر ؛ كما كان دعاؤه لأهل الشرك قبل أهل الكتاب ؛ ولهذا كانت السور المكية فيها الدين الذى اتفق عليه الأنبياء ، فخطب به جميع الناس ، والسور المدنية فيها خطاب من أقر بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين ؛ فخطبوا بأهل الكتاب ، يا بنى إسرائيل ، يا أيها الذين آمنوا .

وأما سورة النساء فتضمنت أحكام الأسباب التى بين الناس ، وهى نوعان : مخلوقة لله تعالى ، ومنندرة لهم ؛ كالنسب والصهر ؛ ولهذا افتتحت بقوله (١) : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها أزواجها » . ثم قال : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » . فنظر هذه المناسبة المعجبية بالافتتاح وبراعة الاستهلال ، حيث تضمنت الآية المفتحة بها نظير السورة فى أحكامه من نكاح النساء ومحرماته ، والوارث المتعلقة بالأرحام ؛ وإن ابتداء هذا الأمر كان بخلق آدم ثم بخلق زوجه منه ، ثم بث منها رجالا كثيرا ونساء فى غاية الكثرة .

وأما المائدة فقد تضمنت بين تمام الشرائع ، وتكملات الدين ، والوفاء بعهود الرسول ، وما أخذ على الأمة ، وبها تم الدين ؛ فهى سورة التكميل ؛ لأن فيها تحريم الصيد على المحرم الذى هو من تمام الإحرام ، وتحريم الخمر الذى هو من تمام حفظ العقل والدين ، وعقوبة المعتدين من السراق والمحاربين الذى هو من تمام حفظ الدماء والأموال ، وإحلال الطيبات الذى هو من تمام عبادة الله ؛ ولهذا ذكر فيها ما يختص بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ كالوضوء ، والتميم ، والحكم بالقرآن على كل دى دين ؛ ولهذا أكثر فيها من لفظ الإتمام والإكمال ،

وذكر فيها أن من ارتد عَوْضَ اللَّهِ بخير منه ، ولا يزال هذا الدين كاملاً ، ولمنا
ورد فيها أنها آخر ما نزل ، لما فيها من إشارات الختم والتمام .
وهذا الترتيب بين هذه السور الأربع المدنية ^(١) من أحسن الترتيب .

وقال أبو جعفر بن الزبير : حكى الخطابي أن الصحابة لما اجتمعوا على جمع
القرآن ، ووضعوا سورة « القدر » عقب « العلق » ، استدلوا بذلك على أن
للمراد بذلك ^(٢) الكساية في قوله : « إنا أنزلناه في ليلة القدر » الإشارة إلى قوله اقرأ .
قال القاضي أبو بكر بن العربي : وهذا بديع ^(٣) جداً .

فصل

[افتتاح السور بالحروف المقطعة]

قال في البرهان ^(٤) : ومن ذلك افتتاح السور بالحروف المقطعة واختصاص
كل واحدة بما بدئت به ، حتى لم تكن ترد آلم في موضع آر ولا حم
في موضع طس ؛ قل : وذلك أن كل سورة بدئت بحرف منها ؛ فإن أكثر
كلماتها وحروفها [١ ١٤] مماثل له ، فحق لكل سورة منها ألا ينسبها غير
الوارد فيها ، فلو وضع « ق » موضع « ن » ؛ لم يمكن ؛ لعدم التناسب الواجب
مراعاته في كلام الله . وسورة « ق » بدئت به لما تكرر فيها من الكلمات بلفظ
القاف ، من ذلك القرآن ، والخلق ، وتكرر القول ، ومراجعتهم مراراً ، والقرب
من ابن آدم ، وتلقى المسكين ، وقول السيد والرقب ، والسابق ، والإلتواء في جهنم ،

(١) البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والألعة .

(٢) في ١ : بيد .

١١٢ : بها .

(٤) من ١ : ١٦٩ - ١٧١

والتقدم بالوعد ، وذكر المتقين ، والقلب ، والقرون ، والتنقيب في البلاد ، وتشتق الأرض ، وحقوق^(١) الوعد ، وغير ذلك .

وقد تكررت الراء في سورة يونس من الكلام الواقع فيها إلى مائتي كلمة أو أكثر ، فلها افتتحت بالراء .

واشتملت سورة « ص » على خصومات متعددة ، فأولها خصومة النبي صلى الله عليه وسلم مع الكفار وقولهم^(٢) : « أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا » . ثم اختصاص الخالصين^(٣) مع داود ، ثم تخاصم أهل النار ، ثم اختصاص الملأ الأعلى ، ثم تخاصم إبليس في شأن آدم ، ثم في شأن بنيه وإخوانهم .

وآلم جمعت الخارج الثلاثة الخلق واللسان والشفعتين على ترتيبها ؛ وذلك إشارة إلى البداية التي هي بدء الخلق والنهاية التي هي المعاد والوسط^(٤) الذي هو المعاش من التشريع بالأوامر والنواهي .

وكل سورة افتتحت بها فهي مشتملة على الأمور الثلاثة .

وسورة الأعراف زيد فيها الصاد على آلم لما فيها من شرح القصص : قصة آدم فمن بعده من الأنبياء ، ولما فيها من ذكر^(٥) : « فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ » ، ولهذا قال بعضهم : معنى آلمص : ألم نشرح لك صدرك . وزيد في الرعد لأجل قوله^(٦) : « رَفَعَ السَّمَاوَاتِ » ، ولأجل ذكر الرعد والبرق وغيرها .

واعلم أن عادة القرآن العظيم في ذكر هذه الحروف أن يذكر بعدها ما يتعلق

(١) في البرهان : وخوف الوعد . (٢) ص : ٤

(٣) في البرهان : عند داود (٤) في الإنشائين : التي هي بدء المعاد والوسط .

(٥) الأعراف : ٢ (٦) الرعد : ٢

بالقرآن ، كقوله تعالى^(١) : « ألم . فلك الكتاب » . « نزل^(٢) عليك الكتاب » . « المع^(٣) . كتاب أنزل إليك » : « آل^(٤) » ، تلك آيات الكتاب . « طه^(٥) . ما أنزلنا عليك القرآن لتشتق^(٦) » . « طسم^(٧) . تلك آيات الكتاب المبين » . « يس . والقرآن » . « ص . والقرآن » . « حم^(٨) . تنزيل الكتاب » . « ق . والقرآن » . إلا في ثلاث سور : المنكبوت^(٩) ، والروم^(١٠) ، ون ، ليس فيها ما يتعلق به ، وقد ذكرت حكمة ذلك في أسرار التنزيل .

[أنزل القرآن على سبعة أحرف]

وقال الخليلي^(١١) : في معنى حديث : أنزل القرآن على سبعة أحرف : زاجر ، وأمر ، وحلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمنال .

اعلم أن القرآن نزل عند انتهاء الخلق ، وكما كل الأمر بدءاً ، فكان للخلق به جامعاً لانتهاء كل خلق ، وكما كل أمر ، فكذلك هو صلى الله عليه وسلم قيم^(١٢) الكون ، وهو جامع الكل ؛ ولذلك كان خاتماً وكتابه كذلك . وبدأ العاد من حين ظهوره ، فاستوفى هذه الجوامع الثلاث التي قد خلت في الأولين بداياتها ، وتمت عنده غاياتها ؛ بُعث لأتمم مكارم الأخلاق ، وهي صلاح الدين

-
- (١) أول البقرة . (٢) آل عمران : ٣ (٣) أول آل عمران .
 (٤) أول الرعد . (٥) أول طه . (٦) أول الشعراء ، وأول القصص .
 (٧) أول غافر . (٨) أولها : ألم . أحب للناس أن يتركوا .
 (٩) أولها : ألم . غلبت الروم .
 (١٠) هو أبو الجحيم هل بن أحمد بن الحسن النجيب ، صاحب الضمير العظيم . وله أيضاً شرح الموطأ ، والشفا ، وفتح الباب المحفل وغيره ما توفي سنة ٦٢٧ (شفرات الذهب : ١٨٩ - ١٩٠) .
 (١١) في الإعتان : قيم .

والمعاد التي جمعها قوله صلى الله عليه وسلم : اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمةُ أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي . وفي كل صلاح إقدام وإحجام ؛ فتصير الجوامع الثلاثة ستة هي حروف القرآن الستة . ثم وُهب حرفاً جامعاً شاملاً فرداً لا زوج له ، فتمت سبعة .

فأدنى تلك الحروف هو صلاح الدنيا ، فلها حرفان : حرف الحرام الذي لا تصلح النفس والبدن إلا بالتطهر منه ، لبعده عن تقويمها . والثاني حرف الحلال الذي تصلح النفس والبدن عليه لموافقته تقويمها ؛ وأصل هذين الحرفين في التوراة ، وتعلمهما في القرآن . وبلى ذلك حرفاً صلاح المعاد : أحدهما حرف الزجر والنهي الذي لا تصلح الآخرة إلا بالمطهر منه لبعده عن حسناتها^(١) ، والثاني حرف الأمر الذي لا تصلح الآخرة إلا عليه لتقاضيه لحسناتها^(٢) ؛ وأصل هذين الحرفين في الإنجيل وتعلمهما في القرآن . وبلى ذلك حرفاً صلاح الدين : أحدهما حرف الحكم الذي بان لمبدئه خطابُ ربه . والثاني حرف التشابه الذي لا يقين لمبدئه فيه - طلب ربه من جهة تصور عقله عن إدراكه ؛ فالحروف [١٤ ب] الحسة للاستعمال . وهذا الحرف السادس للوقوف والاعتراف بالمعجز ؛ وأصل هذين الحرفين في الكتاب لتقدمة كليهما ، وتعلمهما في القرآن . ويختص القرآن بالحرف السابع ؛ وهو حرف الملئمين للنمل الأعلى .

ولما كان هذا الحرف هو الحمد افتتح الله به القرآن ، وجمع به جوامع الحروف السبعة التي شها في القرآن ؛ فالآية الأولى تشتل على حرف الحمد للشماع ، والثانية تشتل على حرفي الحلال والحرام اللذين أقلت الرحمانية بهما الدنيا والرحمية الآخرة .

(١) في الإتيان : حسناتها .

والثالثة تشتمل على أمر الملك القيم على حرفي الأمر والنهي الذين يبدوا أمرهما في الدين .

والرابعة تشتمل على حرفي المحكم في قوله : إِيَّاكَ نَعْبُدُ ، والتشابه في قوله : وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ . ولما اختص أم القرآن بالسابع^(١) الجامع الوهوب ابتدئت البقرة بالساحس المجوز عنه ، وهو للتشابه . انتهى كلام الحرالي .

والتصود منه هو الأخير . على أني أقول : المناسبة في ابتداء البقرة بآلم أحسن مما قل ، وهو أنه لا ابتدئت القاعة بالحرف المحكم الظاهر لكل أحد الذي لا يُمَذَّر أحد في فهمه . ابتدئت البقرة بمقابلته ، وهو الحرف التشابه البعد التأويل أو المستحيل .

ومن هذا النوع مناسبة أسماء السور لمقاصدها .

وفي الجانب الكرماني : إنما سُمِّيت السور السبع « حم » على الاشتراك في الاسم لما بينهما من التشاكُل الذي اختصت به ، وهو أن كل واحدة منها استغنت بالكتيب أو صفة الكتاب ، مع تفاوت^(٢) المقادير في الطول ، والقصر ، وتشاكل الكلام في النظام .

...

الوجه الخامس من وجوه الإعجاز

افتتاح السور^(٣) وخواتمها

وهو من أحسن البلاغة عند البيانين . وهو أن يتأنق في أول الكلام ، لأنه أول ما يقرع السمع ، فإن كان محرراً قبل السمع^(٤) قبل الكلام ووعاء ،

(١) في ١ ، ب : بالفتح .

(٢) في الإحسان : مع تلرب .

(٣) في ١ : سور .

(٤) في الإحسان : قبل الاسم على الكلام ووعاء .

والأعزى عنه ، وإن كان في نهاية الحسن ؛ فينبى أن يؤتى فيه بأعذب اللفظ وأرق ، وأجزله وأسله ، وأحسنه نظاماً وسبكاً ، وأصحه معنى وأوضحه ، وأخلاه من التعقيد والتقديم والتأخير المُلَبِّس ، أو الذي لا يناسب . قالوا : وقد أتت فواتح جميع السور على أحسن الوجوه وأكملها ؛ كالتحميدات ، وحروف النداء ، والمهجاء ، وغير ذلك .

[براعة الاستهلال]

ومن الانتداء الحسن نوع أخص منه يسمى براعة الاستهلال، وهو أن يشتد أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ، ويشير إلى ما سبق الكلام لأجله ؛ والعلم الأسنى في ذلك سورة القامحة التي هي مطلع القرآن ؛ فإنها مشتملة على جميع مقاصده ؛ لأنه افتتح فيها^١ فنبه في القامحة على جميع مقاصد القرآن . وهذا هو الغاية في براعة الاستهلال . مع ما شتمت عليه من الألفاظ الحسة ، والمقاطع المستحسنة وأنواع الالاعة .

[خواتم السور]

وخواتم السور مثل الفواتح في الحسن ؛ [^(١)] ، فلها جاءت متضمنة للمعاني البديعة ، مع إيذان السامع بانتهاء الكلام ، حتى لا يبقى معه للنفوس تشوف إلى ما يذكر [بعد] ^(٢) ؛ لأنها بين أدمية ووصايا ، وفرائض ، وتحميد وتهليل ومواعظ ، ووعد ووعيد ؛ إلى غير ذلك ، كغصيل جملة المطلوب في خاتمة القامحة ؛ إذ المطلوب الأعلى الإيمان المحفوظ من المعاصي السيئة لِمَنْضَبِ الله والضلال ، فحصل جملة ذلك بقوله : الذين أنعمت

(٢) من الإغنان .

(١) من الإغنان .

عليهم . والمراد المؤمنون ؛ ولذلك أطلق الإنعام ولم يقيد ليتناول كل إنعام ؛ لأنَّ مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بنعمة الإيمان فقد أنعم عليه بكل نعمة ؛ لأنها مسببة لجميع النعم ، ثم وصفهم بقوله : غير المغضوب عليهم ولا الضالّين . يعنى أنهم جمعوا بين النعم المطلقة - وهى نعمة الإيمان - وبين السلامة من غضب الله والضلال المتسببين عن معاصيه وتعدي حدوده ، وكالدعاء الذى اشتملت عليه الآيتان من آخر سورة البقرة^(١) ، وكالوصايا التى ختمت بها سورة آل عمران ، والقرائض التى ختمت بها سورة النساء ، وحسُنَ انْتِخَامُهَا لما فيها من أحكام الموت الذى هو آخر كل امرئ . حتى ؛ والآخر ما نزل من الأحكام [١٥ ١] وكالتبجيل والتعظيم الذى خُتِمَتْ بِهِ المائدة . وكالوعد والوعيد الذى ختمت به الأنعام . وكالتعريض على العبادة بوصف حال الملائكة الذى ختمت به الأعراف . وكالحض على الجهاد وصلة الأرحام الذى ختمت به الأنفال . وكوصف الرسول ومدحه والتهليل الذى ختمت به براءة . وتسليته عليه السلام التى ختم بها سورة يونس . ومثلها خاتمة هود . ووصف القرآن ومدحه الذى ختم به يوسف . والرد على من كذب يوسف والرد على من كذب الرسول الذى ختم به الرعد .

ومن أوضح ما آذن بانتهاء خاتمة إبراهيم : « هذا بلاغ للناس ... » الآية . ومثلها خاتمة الأحقاف ، وكذلك خاتمة الحجر : « واغْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ » ، وهو مُفسَّرٌ بللوت ، وهو فى غاية البراعة .

وانظر إلى سورة الزلزلة كيف بدئت بأحوال القيامة ، وختمت بقوله^(٢) : « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ » ... الآية .

وانظر إلى براعة آخر آية نزلت، وهي قوله^(١) : « وَأَنْتُمْ أَيُّهَا يَوْمًا تَرْجِعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ » ، وما فيه من الإشعار بالآخيرية المستلزمة للوفاة ، وكذا آخر سورة نزلت ، وهي سورة النصر ، فيها الإشعار بالوفاة ، كما قال ابن عباس ، كأنه قال له : إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ فَذَلِكَ عَلَامَةُ أَجَلَكَ . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ز ٣٤] إِنْ كَانَ تَوَابًا : وواقعه همر على ذلك .

[ختم القرآن بالمعوذتين]

بلني قلت : ما الحكمة في ختم هذا القرآن العظيم بالمعوذتين ؟ والجواب ما قاله ابن جرير في تفسيره عن شيخه ابن الزبير : ثلاثة أمور :

الأول — لما كان القرآن العظيم من أعظم نعم الله على عباده ، والنعم مظنة الحمد ، فتم بما يطفى ، الحمد من الاستعاذة بالله .

الثاني — إنما ختم بها لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيها : أَنْزَلْتُ عَلَى آيَاتٍ لَمْ أَرَ مِثْلَهُنَّ قَطُّ ، كما قال في مناعة الكتب : لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها ، فافتتح القرآن بسورة لم ينزل مثلها ، واختم بسورتين لم ير مثلها ؛ ليجمع حسن الافتتاح والاختتام .

الآ ترى أن الخطب والقصائد وغير ذلك من أنواع الكلام إنما تُنظر فيها إلى حسن افتتاحها واختتامها .

الثالث — أنه لما أمر القاريء أن يفتتح قراءته بالتعوذ من الشيطان الرجيم ختم القرآن بالمعوذتين لتحصل الاستعاذة بالله عند أول القراءة وعند آخر ما يقرأ

من القرآن : فتكون الاستعادة اشتملت على طرفي الابتداء والانهاء ؛ ليكون القارىء محفوظاً بحفظ الله الذى استعاض به من أول الأمر إلى آخره .

[علوم القرآن]

قال السيوطى فى شعب الإيمان : أخبرنا أبو القاسم بن حبيب ، حدثنا محمد ابن صالح بن هانى ، محدثنا الحسين بن الفضل ، حدثنا عثمان بن مسلم ، عن الربيع ابن صبيح ، عن الحسن ، قال : أنزل الله مائة وأربعة كتب أودع علومه منها أربعة : التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والفرقان ، ثم أودع علم التوراة والإنجيل والزبور فى الفرقان ، ثم أودع علوم القرآن فى الفصل ، ثم أودع المفصل قاعة الكتاب ؛ فمن علم تفسيرها كان كمن علم^(١) جميع الكتب المنزلة .

وقد وُجّه ذلك بأن العلوم التى احتوى عليها القرآن وقلبت بها الأديان أربعة : علم الأصول ؛ ومداره على معرفة الله وصفاته ؛ وإليه الإشارة برب العالمين الرحمن الرحيم . ومعرفة النبوات ؛ وإليه الإشارة بالذين أنصت عليهم . ومعرفة المساد ؛ وإليه الإشارة بمآلِك يوم الدين . وعلم الساعات ؛ وإليه الإشارة بإيّاك نَسَبُ . وعلم السلوك ؛ وهو تحلُّ النفس على الآداب الشرعية ، والاعتقاد لرب البرية ؛ وإليه الإشارة بإيّاك نستعين . اعْدِنَا الصُّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . وعلم التخصّص ، وهو الاطلاع على أخبار الأمم السابقة والقرون الماضية ؛ ليُعلم المطلع على ذلك سعادة من أطلع الله [١٥ ب] وشقوة من عصاه ؛ وإليه الإشارة بقوله : صرّاط الذين أنصت عليهم غير المضروب عليهم ولا الضالين .

فيه فى الجامعة على جميع مقاصد القرآن ؛ وهذا هو القاموس فى براعة الاستهلال

(١) والإيمان : كمن علم جميع الكتب .

مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة والقاطع المستحسنة وأنواع البلاغة .
وكذلك أول سورة اقرأ لكونها أول ما نزل من القرآن ؛ فإن فيها الأمر
بالقراءة والبدء فيها باسم الله ؛ وفيه الإشارة إلى علم الأحكام ، وفيها ما يتعلق
بتوحيد الرب ، وإثبات ذاته وصفاته ، من صفات ذات وصفة ^(١) ؛ وفي هذا
الإشارة إلى أصول الدين . وفيها ما يتعلق بالأخبار من قوله ^(٢) : **يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ**
مَا لَمْ يَعْلَمْ ؛ ولهذا قيل : إنها جديرة أن تُسمى عنوان القرآن ؛ لأن عنوان
الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله .

[في فوائده السور ^(٣)]

والكلام في هذا الوجه عريض ، أفردته بالتأليف ابن أبي الإصبع في كتاب
سماه « الخواطر السوانح في أسرار القوانح » ، وهأنا ألخص هنا ما ذكره
مع زوائد من غيره ، طالباً ممن نظر فيه دعوة خالصة في وقت استجابة أن ينفعنا
بهذا القرآن العظيم بحاميه عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم :
أعلم أن الله تعالى افصح القرآن بعشرة أنواع من الكلام لا يخرج شيء
من السور عنها :

الأول — الثناء عليه تعالى ؛ والثناء قيمان : إثبات لصفات المدح ، ونفي
وتنزيه عن صفات النقص ؛ فالأول التحميد في خمس سور ، و « تبارك »
في سورتين ^(٤) .

(١) في الكلام : من صفة ذاته وصفة فعله . (٢) الضم :

(٣) وضعت هذا العنوان ، لأن الحديث فيها يأتي في فوائده السور ، وهو في الإجمال .

(٤) في القرآن : تبارك الذي نزل القرآن . وفي اللغة : تبارك الذي يسبغ الملك (من

والثاني التيسيع^(١) في سبع سور .

قال الكرماني في متشابه القرآن : التيسيع كلمة استأثر الله بها ، فبدأ بالصدر في بني إسرائيل ؛ لأنه الأصل ، ثم بالماضي في الحديد والحشر^(٢) ؛ لأنه أسبق الزمانين ، ثم بالمضارع في الجمعة والتغابن ، ثم بالأمر في الأعلى ؛ استنباهاً لهذه الكلمة من جميع جهاتها .

الثاني — حروف الهجى في تسع وعشرين سورة ، وسيأتى الكلام عليها في وجه تشابهه ، ومضى في وجه مناسبة سورته^(٣) .

الثالث — النداء في عشر^(٤) سور؛ خمس ببدء الرسول صلى الله عليه وسلم : الأحزاب ، والطلاق ، والتحریم ، والزمل ، والذئثر . وخمس ببدء الأمة : النساء ، والمائدة ، والحج ، والحجرات ، والمتحة .

الرابع — الجمل الخبرية ، نحو : « يسألونك عن الأنفال » . « برأية^(٥) من الله ورَسُولِهِ . أَمَّا^(٦) أَمْرُ اللَّهِ . اقْرَب^(٧) للناسِ حسابهم . قد أفلح المؤمنون . سُورَةُ^(٨) أَنْزَلْنَاهَا . تَنْزِيلَ^(٩) الْكِتَابِ . الَّذِينَ كَفَرُوا . إِنَّا فَتَحْنَا . اقْتَرَبَتْ^(١٠) السَّعَةُ . الرحمن علم القرآن . قد^(١١) تيسع . الحلقة . سأل سائل . إِنَّا أَرْسَلْنَا^(١٢) نُوحًا . لَا أَقْسَمُ^(١٣) فِي مَوْضِعِينَ . عِيسَى . إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ . لَمْ يَكُن^(١٤) . قَارِعَةً . هَآكُم . إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ . فَلَكَ ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ سورة .

الخامس — القسم في خمس عشرة : سورة أقسم فيها باللائكة وهي :

- | | | |
|---|--------------------------|----------------------|
| (١) في البرهان : والتزيه . | (٢) في البرهان : والصف . | (٣) صفحة ٣٧ |
| (٤) في ١ ، ب : خمس عشرة - ورة - تحريف . والصواب في البرهان والافتان . | (٥) التوبة : ١ | (٦) الحل |
| (٧) الأنبياء | (٨) التور | (٩) الزمر |
| (١٠) القدر | (١١) نوح | (١٢) القيامة ، والبد |
| (١٣) القيامة | (١٤) القيامة | |

والصافات . وسورتان بالأفلاك : البروج . والطارق . وست سور بلوازمها :
في النجم أقسم بالثريا . واتجر بمبدأ النهار . والشمس بآية النهار . والليل بشرط
الزمان . والضحى بشرط النهار . والمصر بشرط الآخر ؛ أو بجملة الزمان .
وسورتان بالمهواء الذي هو أحد العناصر : والذاريات . والمرسلات . وسورة
بالترية التي هي منها أيضاً ؛ وهي الطور . وسورة بالنبات وهي : والتين . وسورة
بالحيوان الناطق ، وهي : والنازعات . وسورة بالبهائم ، وهي : والعاديات .

السادس - الشرط في سبع سور : الواقعة . والناقون . والتكوير .
والاعطار . والانشقاق . والزلزلة . والنصر .

السابع - الأمر في ست ^(١) سور : قل أوحى . اقرأ . قل يا أيها الكافرون .
والإخلاص . والمودنتين .

الثامن - الاستفهام في ست : هل آتى ^(٢) . عم يتساءلون . هل أتاك ^(٣) .
الم نشرح . ألم تر . أرايت ^(٤) .

التاسع - الدعاء في ثلاث : وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ [١٦] . وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ
نَبَتْ [يَدَا] ^(٥) .

العاشر - التعليل في : لإيلاف قريش . هكذا جمع أبو شامة ^(٦) ، قل :
وما ذكرناه في قسم الدعاء يجوز أن يذكر مع الخبر ، وكذا التاء كله خبر ،

(١) ل : ١ : سبع - تحريف . (٢) القمر . (٣) التلقية .

(٤) الناقون . (٥) ليس ل : ١

(٦) هو عبد الرحمن بن اسماعيل بن إبراهيم بن عثمان الشافعي الملقب ، الحروف بأبشامة ،
شارح الشافية ، وصاحب كتاب القيل على الروضتين . توفي سنة ٦٦٥ (حفوات الذهب :

• (٣١٨ -) •

(٦ - ل : إجاز القرآن)

إلا سُبِّحَ فإنه يدخل في قسم الأمر ، وسبحان يحتمل الأمر والخبر ؛ ثم نظم ذلك في بيتين (١) :

أثنى على نفسه سبحانه بشبو

تِ المَدِّ واللبِّ لَمَّا لَمَسَتْهُ السُّورَا

والأمرُ شرطُ لَمَّا التَّحْلِيلُ والقسَمُ الـ

دعا حروفُ التهجِّي استغفر الخبرا

وسئل الشيخ الإمام تاج الدين السبكي عن الحكمة في افتتاح سورة الإسراء بالتسبيح، والكهف بالتحميد . فأجاب بأن التسبيح حيث جاء مقدم على التحميد ؛ نحو : فسبح بحمد ربك . سبحانه الله والحمد لله .

وأجاب ابن الزمكاني بأن سورة سبحان لما اشتملت على الإبراء الذي كذب المشركون به النبي صلى الله عليه وسلم ، وتكذيبه تكذيبٌ لله تعالى — أتى بسبحان لتزويه الله عما تُنسب إليه ولتبيته من الكذب .

وسورة الكهف لما أزيلت بعد سؤال المشركين عن قصة أصحاب الكهف وتأخير الوحي نزلت مبينة أن الله تعالى لم يقطع نسته عن نبيه ولا عن المؤمنين ؛ بل أتم عليهم النعمة بإزالة الكتاب ، فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة . وفي تفسير الخوئي (٢) : افتتحت القامحة بقوله : الحمد لله رب العالمين ، فوصف بأنه مالك جميع الخلقين . وفي الأنعام والكهف وسبأ وفاطر لم يوصف بذلك ، بل بفرد من أفراد صفاته وهو خلق السموات والأرض : والظلمات والنور في الأنعام . وإزالة الكتاب في الكهف . ومالك ما في السموات وما في الأرض

(١) الرمان : ١ - ١٨١

(٢) الخوئي هو أبو الحسن علي إبراهيم الخوئي المصري ، تولى سنة ١٤٣٠ هـ ، ونسبه هو محمد بن علي بن عبد الرحمن .

في سبأ . وخلقهما في قاطر ؛ لأن القاعة أم القرآن ومطلعه ، فحسب الإنيان فيها بأبلغ الصفات وأهمها وأشملها .

قال الأستاذ ابن الزبير^(١) : وأما منسبة الوصف للورد في سورة الأنعام فمن حيث ما وقع فيها من الإشارة إلى من عبد الأنوار ، وأعاد سبحانه ذكر ما فيه الدلالة البينة على بطلان مذهب من عبد النيرات أو شيئاً منها في قوله تعالى^(٢) : « وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ... » الآية . قال^(٣) : « فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا » . ثم قال عليه السلام على جهة القرض وإحالة المجبة على قومه : « هَذَا رَبِّي » ، فلما أفل قال : لا أَيْبُ الْآخِلِينَ . ثم قال في الشمس والقمر نمستدلاً بتغيرهما وتقلبهما في الطلوع والغروب على أنها حادثين مربوبين مسخرين طالمين^(٤) لوجودهما المنزَّه عن سمات الخير والحدوث ؛ فقال عليه السلام عند ذلك لقومه^(٥) : « إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ » ؛ فأخبر عن حاله قبل هذا الاعتبار وبعبارة . قال تعالى^(٦) : « مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا... » الآية .

وفي على قوله : وما كان من المشركين تنزيهه عن عبادة النيرات وغيرها مما سواه تعالى ؛ وبيان من هذا كله ما اقتضت به السورة من إفرادته تعالى بخلق السموات والأرض ، والظلمات والنور ؛ فوضع التلازم والتناسب .

وأما سورة الكهف فإنها لما انطلت على التعريف بقصة أهل الكهف ، ولقاء موسى عليه السلام والخضر ، وما كان من أمرهما ، وذكر للرجل الطواف

(١) مؤلفه ابن إبراهيم بن الزبير الأنطلي النحوي الملقب بملك كعب القليل من الصلة ، وكتابه في مناسبات الآي ، اسمه « البرهان في مناسبات ترتيب سور القرآن » ، تولى سنة ٥٠٧ هـ (القدر السكتة ١ - ٨٤) .

(٢) الأنعام : ٧٦ من السورة تسماً ٧٠ (٣) مكنيا بالأمور .

(٦) آي عمران : ٦٢

(٥) ٧٨

وبلغته نطلع الشمس ومغربها ، وبنياه مدًّا يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ، وكل هذا إخبار بما لا مجال للمقل فيه ، ولا تُعَرَّفُ حقيقته إلا بالوحي والإِجاء بالصدق ^(١) الذي لا عِوَجَ فيه ولا إِمْتِرَاءَ ولا زِيغَ - ناسب ذكر افتتاح السورة المعروفة بذلك بالوحي المقطوع به قوله تعالى ^(٢) : « الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عِوَجًا » . والناسب في هذا أوضح من أن يتوقف فيه .

وأما سورة مَبَاقِلَاتُصِفَتْ مَا مَنَحَ سَبْعَانَهُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ تَسْخِيرِ الْجِبَالِ وَالطَّيْرِ وَالرَّيْحِ وَالْأَنْعَامِ الْحَدِيدِ ناسب ذلك ما به افتتحت السورة من أن الكل ملكه وخلقته ، فهو المسخر لها والمتصرف في الكل بما شاء ، قال تعالى ^(٣) : « الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة » . وهذا أوضح الناسب .

وأما سورة لِلْمَلَائِكَةِ فَنَاسِبَةٌ وَصِفَةٍ تَعَالَى بِاخْتِرَاعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لِمَا ذَكَرَهُ مِنْ خَلْقِ عَالَمٍ فِي السَّمَوَاتِ مِنْ [١٦ ب] الْمَلَائِكَةِ وَجَعَلَهُمْ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ ، وَإِسَّاكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَزُولَا - آتَيْنِ شَيْءًا وَأَوْضَحَهُ : وليس شيء من هذه الأوصاف العلية مما سب لغير موضعه لمخاسبته موضعه الوارد منه . فقد بان بجيء كل منها في موضعه ملائمة لما اتصل به . والله أعلم .

قال الكيرماني ^(٤) في السجائب : إن قيل كيف جاء يسألون أربع مرات بغير واو ^(٥) : « يسألونك عن الأهلة » . « يسألونك ^(٦) ماذَا يُنْفِقُونَ » . « يسألونك ^(٧) عن الشهر الحرام » . « يسألونك ^(٨) عن الحمر » . ثم جاء ثلاث مرات

(١) ن ١ : الصدق . (٢) أول للكهف . (٣) أول سبأ .

(٤) هو محمود بن حمزة الكيرماني ، المعروف بنتاج القراء . وكتابه السجائب في نصب القراءات .

(٥) البقرة : ١٨٦ . (٦) البقرة : ٢١٥ . (٧) البقرة : ٢١٧ .

(٨) البقرة : ٢١٩ .

بالواو : ويسألوك^(١) ماذا يُنْفَتون . ويسألوك^(٢) عن الْبَتَّامِي . ويسألوك^(٣) عن اللَّحِيض .

قلنا : لأنَّ سؤالهم عن الحوادث الأول وقع متفرقاً ، وعن الحوادث الآخر وقع في وقت واحد ؛ فجاء بحرف الجمع دلالة على ذلك .

فإن قيل : كيف جاء^(٤) : « ويسألوك عن الجبال قُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا » . وعادة القرآن يجيء قل في الجواب بلافاء ؟ أجاب الكرماني بأن التقدير لو مثلت عنها قُلْ .

فإن قيل : كيف جاء^(٥) : « وإذا سألك عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ » ؟ وعادة السؤال يجيء جوابه في القرآن بِقُلْ .

قلنا : حُذِفَت للإشارة إلى أن الصِدْق في حَقِّ الدعاء في أشرف اللغات ، لا واسطة بينه وبين مولاه .

ورد في القرآن سورتان ؛ أولهما يأيها الناس في نصفه الأول ، وهي تشمل على شرح المبدأ ، والتي في النصف الثاني على شرح الحاد .

• • •

الوجه السادس من وجوه المجازة

مُشْتَبِهَات آيَاتِهِ

وذلك أن القصة الواحدة ترد في سور شتى وفواصل مختلفة بأن يأتي في موضع واحد متصلاً وفي آخر مؤخراً ، كقولها في البقرة^(٦) : « وادخلوا البابَ سُجَّداً

(١) البقرة : ٢١٩ (٢) البقرة : ٢٢٠ (٣) البقرة : ٢٢٢

(٤) طه : ١٠٥ (٥) البقرة : ١٨٦

(٦) البقرة : ٥٨ . وحقة : صدر خط ، ومسته : اجلط مع جلاله .

وقولوا حطة . وفي الأعراف^(١) : « وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً .
وفي البقرة^(٢) : « وما أهل بـ لغير الله ، وسأمر القرآن^(٣) : « وما أهل
لغير الله به . »

وفي موضع زيادة وفي موضع بدونها ؛ نحو^(٤) : « سواء عليهم أأنذرتهم .
وفي يس^(٥) : « وسواء . » وفي البقرة^(٦) : « ويكفون الدين لله . » وفي
الأحقاف^(٧) : « كلفه الله . »

وفي موضع معرفة وفي آخر منكر . أو مفرداً وفي آخر جماعاً . أو بحرف
وفي آخر بحرف آخر . أو مدغماً أو مفككاً . وهذا النوع يتداخل مع نوع
المناسبات ؛ وقد أفرده بالتصنيف جماعة أولهم فيما أحسب الكسائي ، ونظمه
السخاوي^(٨) ، وألف في توجيه الكرماني كتابه البرهان في مشابه القرآن .
وأحسن منه درة التنزيل وغرة التأويل لأبي عبد الله الرازي . وأحسن منها كلها
ملاك التأويل في مشابه التنزيل لأبي جعفر بن الزبير . وللقاضي بدر الدين
ابن جماعة في ذلك كتاب لطيف سماه كشف اللعان عن مشابه المثاني . وفي كتابي
أسرار التنزيل للسي قطف الأزهار في كشف الأسرار من ذلك الجمل
التفصيل ، لكننا نشير هنا إلى توجيه أمثلة منها تنبها للقائمة :

قوله في البقرة^(٩) : « هدى للتقين » ؛ لأنه لما ذكر هنا مجموع الإيمان مناسب

(١) الأعراف : ١٦١ (٢) البقرة : ١٢٣

(٣) لقائمة : ٣ ، الأنعام : ١٤٥ ، النحل : ١١٥

(٤) البقرة : ٦ . (٥) يس : ١٠ . (٦) البقرة : ١٩٣

(٧) الأحقاف : ٣٩

(٨) هو علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي ؛ صاحب كتاب مناهج الترتيب في التفسير .

وهو منظومة تعرف بالسخاوية . توفي سنة ١٤٤٣ (ابن خلكان : ١ - ٢١٠) .

(٩) البقرة : ١٧٧

المتقين ، ولما ذكر في لقمان الرحمة ناسبه : هدى ورحمة للمحسنين .

وإنما ذكر في البقرة (١) : « وَكَلَّا بِالْوَاوِ ، وَفِي الْأَعْرَافِ (٢) : « فَكَلَّا » —
بالبقاء ؛ لأن المراد بالسكنى في البقرة الإقامة ، وفي الأعراف اتخاذ المكن ؛
فلما ناسب القول إليه تعالى (٣) : « وَقُلْنَا يَا آدَمُ » ناسب زيادة الإكرام بالولو
الدالة على الجمع بين السكنى والأكل ؛ ولما قال فيه رغدا ، وقال : حيث شئنا ؛
لأنه أعم . وأتى في الأعراف : يا آدم ، فأتى بالبقاء الدالة على ترتيب الأكل على
السكنى المأمور باتخاذها ؛ لأن الأكل بعد الاتخاذ . ومن حيث لا يسطى عموم
« حيث شئنا » .

قوله في البقرة (٤) : « وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ » . وقال بعد ذلك (٥) :
« وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ » ؛ ففيه تقديم وتأخير ؛ والتعبير بقبول
الشفاعة تارة وبالنفي أخرى ، وذكر في حكمته أن الضمير في منها راجع في الأولى
إلى النفس الأولى ، وفي الثانية إلى النفس الثانية ، فيبين في الأولى أن النفس الشافعة
الجازية عن غيرها لا تقبل منها شفاعاة ولا يؤخذ منها عدل ؛ وقدمت الشفاعة لأن
الشافع يقدم [١٧ ١] الشفاعة على بذل العدل عنها .

ويبين في الثانية أن النفس المطلوبة مجرُماً لا يقبل منها عدل عن نفسها ،
ولا تنفعها شفاعاة شافع فيها ؛ وقدم العدل لأن الحاجة إلى الشفاعة إنما تكون عند
رده ؛ ولذلك قال في الأولى : لا يقبل منها شفاعاة ؛ وفي الثانية : ولا تنفعها شفاعاة ؛
لأن الشفاعة إنما تقبل من الشافع ؛ وإنما تنفع الشفوع له .

قوله تعالى في البقرة (٦) : « يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ » . وفي إبراهيم (٧) : « وَيُذَبِّحُونَ »

(١) البقرة : ٣٥	(٢) الأعراف : ١٩	(٣) البقرة : ٢٥
(٤) البقرة : ١٧٣	(٥) البقرة : ١٧٣	(٦) البقرة : ٤٩
(٧) إبراهيم : ٦		

بالواو ؛ لأن الأولى من كلامه تعالى لهم فلم يعدد عليهم الحن تكرماً في الخطاب .
والثانية من كلام موسى فمدحها في الأعراف^(١) : « يَقْتُلُونَ » ، وهو من بدیع
الإنفاظ المسمى بالفتن .

قوله تعالى^(٢) : « وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ » ، وفي آية الأعراف
اختلاف الإنفاظ ؛ ونسبته أن آية البقرة في معرض ذكر العم عليهم حيث قال^(٣) :
« يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ » ... الخ . فناسب نسبة
القول إليه تعالى ، ونسب قوله رغداً ؛ لأن النعم به أتم ، وناسب تقديم : وادخلوا
الباب سجداً ، وناسب خطاياكم لأنه جمع كثرة ، وناسب الواو في : وسنزيد
الحسنين لادلائها على الجمع بينهما ، وناسب القاء في فكلوا ؛ لأن الأكل قريب^(٤)
من الدخول .

وآية الأعراف انصحت بما به توبيخهم ؛ وهو قوله^(٥) : « اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا
كَما لَهُمْ آلِهَةٌ » . ثم اتخذهم السبل ؛ فناسب ذلك : وإذا قيل لهم ؛ وناسب
ترك « رَغَدًا » ؛ والسكنى تجامع الأكل قائل : وكلوا ؛ وناسب تقديم مغفرة الخطايا ،
وترك الواو في سنزيد . ولما كان في الأعراف تبيين الهادين بقوله^(٦) : « وَمِنْ
قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْتَدُونَ بِالْحَقِّ » ناسب تبيين الظالمين بقوله : الذين ظلموا منهم ،
ولم يتقدم في البقرة إشارة إلى سلامة غير الذين ظلموا لتصريحه بالإزالة عن التصفين
بالظلم . والإرسال أشد وقفاً من الإزالة ، فناسب سياق ذكر [النعمة في البقرة
كلك ، وختم آية البقرة يفتنون . ولا يلزم منه الظلم ، والظلم يلزم منه التمسق ؛
فناسب كل لفظ منها سياقه .

(١) الأعراف : ١٤١ (٢) البقرة : ٥٨ (٣) البقرة : ١٠
(٤) في الإنفاظ : مرتب على الدخول . (٥) الأعراف : ١٣٨
(٦) الأعراف : ١٥٩

كذا في البقرة « فأنفجرت » وفي الأعراف : انفجست ؛ لأن الانفجار أبلغ في كثرة الماء ، فناسب ذكر ^(١) النعم التصير به .

قوله تعالى في البقرة ^(٢) : « وقالوا لن نؤمن بالنار إلا أياماً معدودة » . وفي آل عمران ^(٣) : معدودات .

قال ابن جماعة : لأن قائل ذلك فرقتان من اليهود : إحداهما قالت إنما نُنْزَبُ بالنار سبعة أيام عدد أيام الدنيا . والأخرى قالت : إنما نُنْزَبُ أربعين يوماً ، عدة أيام عبادة آبائهم العجل ، فأية البقرة تحتمل قسداً القرقة الثانية حيث عبر بجمع الكثرة ، وآل عمران القرقة الأولى حيث آتى بجمع القلة .

وقال أبو عبد الله الرازي : إنه من باب التضمن .

قوله في البقرة ^(٤) : « إِنَّ هُدًى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى » . وفي آل عمران ^(٥) : « إِنَّ الْهُدَى هُدًى اللَّهِ » ؛ لأن الهدى في البقرة المراد به تحويل القبلة ؛ وفي آل عمران المراد به الدين ، لتقدم قوله : « لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ » ؛ ومعناه دين الإسلام .

قوله تعالى في البقرة ^(٦) : « رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا » . وفي إبراهيم ^(٧) عرفته ، لأن الأول دعا به قبل مصيره بلداً عند ترك هاجر وإسماعيل به وهو واد ، فدعا بأن يصير بلداً . والثاني دعا به بعد عوده وسكنى جرهم به ومصيره بلداً فدعا بأمنه . وقيل : لأن التكررة إذا تكررت صارت معرفة . وقيل تنديده في البقرة : هذا البلد بلداً آمناً ، فحذف البلد اكتفاء بالإشارة ؛ ف تكون الآيات سواء ؛ وهذا يقتضي أنه دعا بهذا الدعاء مرتين .

(١) من الإنفاق . (٢) البقرة : ٨٠ (٣) آل عمران : ٢٤

(٤) البقرة : ١٢٠ (٥) آل عمران : ٧٣ (٦) البقرة : ١٢٦

(٧) إبراهيم : ٣٥ ، وإذا قل إبراهيم وبه اجعل هذا بلداً آمناً .

والظاهر أنه مرة حكى لفظه فيها على وجهين .

قوله تعالى^(١) : « وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَ مَا بَدَأَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ » ؛
فبطل الذي مكان قوله فيما بعد^(٢) : « مَا » ؛ وزاد « من » لأن العلم في الآية الأولى
علم بالكمال الذي ليس وراءه علم ؛ لأن معناه بعد الذي جاءك من العلم بالله وصفاته ،
فكان لفظ الذي أليق به من لفظ « ما » ، لأنه في التعريف أبلغ وفي الوصف أقصد ؛
لأن « الذي » تعرفه صفة ولا يتنكر قط ، ويتقدمه أسماء الإشارة ، نحو قوله^(٣) :
« أَمِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدُكُمْ » . « أَمِنْ » هذا الذي يَرْزُقُكُمْ » ، فيكتفه
بياناً ؛ الإشارة والصلة ويلزمه الألف واللام ، ويثنى ويجمع ، وليس لـ « ما »
شيء من ذلك ؛ لأنه يتنكر مرة ويتعرف أخرى ، ولا يقع وصفاً لأسماء الإشارة ،
ولا يدخله الألف واللام ، ولا يثنى ولا يجمع .

وخص الثاني بما لأن المعنى من بعد ما جاءك من العلم بأن قبلة الله هي الكعبة ،
وذلك قليل من كثير من العلم^(٤) . وزيد معه [١٧ ب] « من » التي هي لا ابتداء
الغاية ؛ لأن تديره من الوقت الذي جاءك العلم فيه بالكعبة ؛ لأن القبلة الأولى
نُسخت بهذه الآيات ، وليس الأول موقفاً بوقت .

وقال في سورة الرعد^(٥) : « وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَ مَا بَدَأَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ » .
فصبر بما ؛ ولم يزد من هنا لأن العلم ما هنا هو الحكم العرفي ؛ أي القرآن ، فكان
بعضاً من الأول ولم يزد من لأنه غير موقت .

وقريب من معنى القبلة ما في آل عمران^(٦) : « مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ »
قوله تعالى^(٧) : « قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ » .

(١) البقرة : ١٢٠	(٢) في البقرة أيضاً ١٤٥ ، والرعد ٣٧
(٣) الملك : ٢٠	(٤) الملك : ٢١
(٥) الرعد : ٣٧	(٦) آل عمران : ٦١
	(٧) البقرة : ١٣٦

وفي آل عمران^(١) : « وما أنزل علينا » ؛ لأن الأولى خطاب للمسلمين ، والثانية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله : « قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ » ، « وإلى » أن ينتهي [به]^(٢) من كل جهة ، و « على » لا ينتهي به إلا من جهة واحدة وهي الملو . والفرقان يأتي المسلمين من كل جهة يأتي مُبَلِّغُهُ لإمام^(٣) . وإنما أتى النبي صلى الله عليه وسلم من جهة الملو خاصة ، فناسب قوله « علينا » ؛ ولهذا أكثر ما جاء في جهة النبي صلى الله عليه وسلم جلّي ، وأكثر ما جاء في جهة الأمة يالّي .

قوله تعالى في البقرة^(٤) : « وَمَا أَوْتَى النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ » . وحذف ما في آل عمران^(٥) ؛ لأنه تقدم فيها ذكر ذلك : قوله تعالى^(٦) : « لَمَّا آتَيْنَكُمْ » .

قوله^(٧) : « قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ » . إنما كرر هذه الآيات^(٨) ثلاث مرات ؛ لأن الأولى لتسخ القبلة ، والثانية للسبب ، وهو قوله : وإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ . والثالثة للعلّة وهي قوله^(٩) : لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ .

وقيل الأولى في مسجد المدينة ، والثانية خارج المسجد ، والثالثة خارج البلد .

(١) آل عمران : ٨٤ (٢) ليس في ١ (٣) في الإخوان : إمام منها .

(٤) البقرة : ١٢٦

(٥) آية البقرة : وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم . وآية آل عمران : ٨٤ : وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم . فظهر الفرق .

(٦) آية ٨١ من سورة آل عمران ، وهي : وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ أَنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ ...

(٧) البقرة : ١٤٤ ، وبألفها : فقلوبك قلباً نرضاهم ، قوله وجهك ظهر المسجد الحرام .

(٨) المقصود تكرير : قوله وجهك . وهي آية البقرة السابقة . واثنان : ومن حيث خرجت فقل وجهك . آية ١٤٩ . وثالثة : ومن حيث ما كنتم تقولوا وجهكم منظره .

آية ١٥٠

(٩) البقرة : ١٥٠

وقيل في الآية خروجان : خروج إلى مكان ترى فيه السكبة ، وخروج إلى مكان لا ترى أى الحالتين فيه سواء .

قوله تعالى ^(١) : « إِيَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأُصْلَحُوا » . إنما لم يزد هنا « من بعد ذلك » كما في غيرها ^(٢) ؛ لأن قبله من بعد ما بيناه للناس في الكتاب ، فلو أعاده لالتبس .

قوله تعالى ^(٣) : « وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَتَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا » ؛ لأنه ذكر في البقرة الاتباع متبوعاً بما هو دون العلم لتكون كل دعوى متبوعاً ^(٤) بما يلائمه . ولما ذكر في المائدة إتمام النهاية بلفظ حَسْبُنَا ^(٥) نفى ذلك بالعلم الذي هو أبلغ درجة من العقل ؛ ولهذا جاز وصفه تعالى بالعلم ، ولم يحز وصفه بالعقل ، ولكن لما كان دعواهم في المائدة أبلغ لقولهم : « حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا » ، وكذلك في سورة لقمان ^(٦) ، لأن وجدت يتعدى مرة إلى مفعول واحد ؛ تقول : وجدت الضالة ، ومرة إلى مفعولين : وجدت زيدا جالاً ؛ فأتى في آية البقرة بالقيت ؛ لأنه يتعدى إلى مفعولين ؛ تقول أقيت زيدا قائماً ؛ وأتى في المائدة بما هو أعم .

قوله تعالى ^(٧) : « وَمَا أَهْلُ بَيْتِ لَقَيْرٍ إِلَّا عَدُوٌّ لِرَبِّكَ ، هَٰؤُلَاءِ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » . هدم ضمير المجرور في البقرة ، وآخره في المائدة والأنعام والنحل ^(٨) ؛ لأن تقديم الباء الأصل بأنه ^(٩) مجرى مجرى

(١) البقرة : ١٦٠

(٢) في سورة آل عمران مثلاً ، آية : ٨٩ : « إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأُصْلَحُوا » .

(٣) البقرة : ١٧٠ (٤) هنا في الأصول .

(٥) آية ١٠٤ من سورة المائدة : « هَٰؤُلَاءِ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا » .

(٦) لقمان : ٢١ (٧) البقرة : ١٧٣

(٨) في المائدة آية ٤ ، والأنعام آية ١٤٥ ، والنحل ١١٥

(٩) في الإحسان : لأنه .

الأنف والتشديد في التطهير، فكان كحرف من العمل، وكان الموضع الأول أولى بما هو الأصل؛ ليعلم ما يقتضيه اللفظ. وأما ما عدا هذه السورة فاختاره لأنه قدم ما هو المستنكر وهو الذبح لغير الله؛ وتقدم ما هو بالعرض أولى؛ ولهذا جاز تقديم المفعول على الفاعل، والحال على ذى الحال، والغارف على العمل فيه؛ إذا كان أكثر العرض في الإخبار؛ وزاد في هذه السورة: فلا إثم عليه، وفي السور الثلاث تضييهاً، لأن قوله: «غفور رحيم» يدل على أنه لا إثم عليه. وإنما ختم في الأنعام بذكر الرب؛ لأنه تكرر فيها مرات، فكان لفظ الرب بها أليق.

قوله تعالى^(١): «تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا». وقف بعد ذلك^(٢): «فَلَا تَعْتَدُوهَا»؛ لأن الأولى وردت بعد نواه، فناسب النهي عن قربانها؛ والثانية بعد أوامر، فناسب النهي عن تعديها وتجاوزها بأن يوقف عندها.

قوله تعالى^(٣): «تَزَلَّ عَلَيْكَ الْكِتَابُ»، وقال^(٤): «وَأَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ»؛ لأن الكتاب أنزل منجماً، فناسب الإتيان بنزل الدالة على التكرير؛ بخلافهما فإنهما أنزلا دفعة واحدة.

قوله تعالى^(٥): «وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ». وفي الإسراء^(٦): «خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ»؛ لأن الأولى خطاب للقراء المقربين، أي لا تشعروا من قهركم، نحن نرزقكم ما يزول به [١٨ ١] بإملاككم. ثم قال: وإياهم^(٧). والثانية خطاب للأغنياء؛ أي خشية قهر يحصل لكم بسبيهم، ولهذا حسن: نحن نرزقهم وإياكم.

(٢) ٢٢٩ من آية سورة نصر (٣) آية عمران: ٢

(٥) الإسراء: ٢٦

(١) البقرة: ١٨٧

(٤) الأنعام: ١٥١

قوله تعالى^(١) : « فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » . وفي ضلكت^(٢) : السبع
العلم ؛ لأنها نزلت ثانياً فحسن التبريد ؛ أي هو السبع العلم الذي تقدم ذكره .
عند نزول الشيطان .

قوله تعالى^(٣) : « لِلنَّاقُورِ وَالنَّاقُاتِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ » . وقال في
المؤمنين^(٤) : « بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ » ؛ [وفي الكفار^(٥) : « وَالَّذِينَ كَفَرُوا
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ »]^(٦) لأن الناقين ليسوا متناصرين على دين معين وشرعية
ظاهرة ، وكان بعضهم يهوداً وبعضهم مشركين ، قتال : من بعض ؛ أي في الشرك
والنفاق . وكان المؤمنون متناصرين على دين الإسلام . وكذلك الكفار المقاتلون
بالكفر كلهم أعوان بعضهم ومجتسمون^(٧) على التناصر بمختلف الناقين ، كما قل
تعالى^(٨) : « تَغْسِبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى » .

فهذه أمثلة يستغناء بها ، ويأتي منها كثير في وجه التقديم والتأخير ، وتقدم
في نوع القواصل ؛ وهذا بحر لا ساحل له ؛ فلنرجع إلى المقصود .

...

الوجه السابع من وجوه المجازة

ورود مشكله حتى يوم التعارض بين الآيات .

وكلامه تعالى منزّه عن ذلك ؛ بل فيه إعجاز الكلام كما صنف في الحديث .
ويبين ذلك الجمع بين الأحاديث المتعارضة ، وقد تكلم في ذلك ابن عباس ،
وحكى عنه التوفيق في بعضها .

(٢) الحرة : ٦٧

(٣) ٢٦

(١) الأعراف : ٢٠٠

(٦) من الإيمان .

(٥) الأعراف : ١٣٦

(٤) الأعراف : ٧٧

(٧) في الأسر : ومجتسمين . (٨) المؤمن : ٢٤

[سؤال وجوابه]

قال عبد الرزاق^(١) في تفسيره : أخبرنا معمر عن رجل عن النبال بن عمرو عن سعيد بن جبير ، قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال : رأيت أشياء تختلف على من القرآن ؟ فقال ابن عباس : ما هو ؟ أشك ؟ قال : ليس بشك ؛ ولكنه اختلاف . قال : هات ما اختلف عليك من ذلك . قال : أسمع الله يقول^(٢) : « ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين » . وقال^(٣) : « ولا يكتنون الله حديثاً » . قد كنتموا .

واسمه يقول^(٤) : « فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » . ثم قال^(٥) : « وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون » .

وقال^(٦) : « أنتم لتكفرون بالذي خالق الأرض في يومين ... » حتى بلغ : « طائفين » . ثم قال في الآية الأخرى^(٧) : « أم السماء بناها » . ثم قال^(٨) : « والأرض بعد ذلك دحاها » .

واسمه يقول : « كان الله » . ما شأنه يقول : « وكان الله » ؟

قال ابن عباس : أما قوله : ثم لم تكن فتنتهم فأنهم لما رأوا العذاب يوم القيامة ، وأن الله يغفر لأهل الإسلام ويغفر الذنوب ولا يغفر شركاً ، ولا يتعاضله ذنب أن يغفروه ، جعله المشركون رجاء أن يغفر لهم ؛ فقالوا : والله ربنا ما كنا مشركين . فحتم الله على أفواههم ، وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ؛

(١) هو عبد الرزاق بن عام المعتز . (٢) الأنعام : ٢٣

(٣) النساء : ٤٢ (٤) المؤمنون : ١٠١

(٥) العافات : ٢٧ ، والطور : ٢٥ (٦) فصلت : ٩

(٧) التارغوت : ٢٧ (٨) التارغوت : ٣٠

فَعِنْدَ ذَلِكَ يُوَدِّعُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرِّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ
اللَّهُ حَدِيثًا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ — فَإِنَّهُ إِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ
فَنُصِّقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ
عِنْدَ ذَلِكَ ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ، وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ
يَتَسَاءَلُونَ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ فَإِنَّ الْأَرْضَ خُلِقَتْ قَبْلَ السَّمَاءِ ، وَكَانَتْ
السَّمَاءُ دُخَانًا فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ بَعْدَ خَلْقِ الْأَرْضِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا : يَقُولُ : جَعَلَ فِيهَا جِبَالًا ، وَجَعَلَ فِيهَا
أَنْهَارًا ، وَجَعَلَ فِيهَا أَشْجَارًا ، وَجَعَلَ فِيهَا بَحَارًا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : كَانَ اللَّهُ قَبْلَ اللَّهِ كَانَ وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ ، وَهُوَ كَذَلِكَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
عَلِيمٌ قَدِيرٌ ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ ؛ فَاسْتَخْلَفَ عَلَيْكَ مِنَ الْقُرْآنِ فَهُوَ بِشَبهِ
مَا ذَكَرْتُ لَكَ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَنْزِلْ شَيْئًا إِلَّا وَقَدْ أَصَابَ بِهِ الَّذِي أَرَادَ ، وَلَكِنْ
أَكْثَرَ النَّاسُ لَا يَعْلَمُونَ .

وَأَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ وَصَحَّحَهُ ، وَأَصْلُهُ فِي الصَّحِيحِ . قَالَ ابْنُ حَبَرٍ
فِي شَرْحِهِ : حَاصِلُ مَا فِيهِ السُّؤَالُ عَنْ أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ :

الأول — نَقَى الْمَسْأَلَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاثْبَاتِهَا .

الثاني — كِتَابَانِ الْمُشْرِكِينَ حَالَهُمْ وَنِقَاتُهُ .

الثالث — خَلْقَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَيْهَاتِهِمَا تَقْدِيمًا .

الرابع — الْإِثْنَانِ بِحَرْفِ « كَانَ » الدَّالَّةِ عَلَى الْمَعْنَى مَعَ [١٨ ب] أَنْ

الصفة لازمة .

وحاصل جواب ابن عباس عن الأول أن نقي المسامة فيما قبل النفخة الثانية ،
وإثباتها فيما بعد ذلك .

وعن [الثاني] أنهم يكتمون بالسهم فتطق أيديهم وأرجلهم .

وعن [(١)] الثالث أنه بدأ خلق الأرض في يومين غير مدحوة ، ثم خلق
السموات ، فسواهن في يومين ، ثم دحا الأرض بعد ذلك وجعل فيها الرواسي
وغيرها في يومين ؛ فلك أربعة أيام للأرض .

وعن الرابع بأن « كان » وإن كانت للمضي لكنها لا تستلزم الاقطاع ؛
بل المراد أنه لم يزل كذلك .

فأما الأول فقد جاء فيه تفسير آخر : إن نقي المسامة عند تشاغلهم بالعمق
والحاسبة والجواز على الصراط ، وإثباتها فيما عدا ذلك ، وهو منقول عن السدي ،
أخرجه ابن جرير من طريق علي بن طلحة عن ابن عباس أن نقي المسامة عند النفخة
الأولى ؛ وإثباتها بعد النفخة الثانية . وقد تأول ابن مسعود نقي المسامة على معنى
آخر ، وهو طلب بعضهم من بعض الغزو ؛ فخرج ابن جرير من طريق زاذان ،
قال : [أثبت ابن مسعود قال] (٢) : يؤخذ بيد السيد يوم القيامة فينادي :
هذا فلان ابن فلان ، فمن كان له حق قبله فليأت . قال : فخذ المرأة يومئذ
أن يكون (٣) لها حق على أبيها أو ابنها أو أخيها أو زوجها ، فلا أنساب بينهم
يومئذ ولا يتساءلون .

ومن طريق آخر قال : لا يسأل يومئذ أحد بنسب شيئاً ، ولا يتساءلون به
ولا يمت برحم .

وأما الثاني فقد ورد بأبسط منه فيما أخرجه ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم :

(١) ساقط في ب . (٢) من الإعلان . (٣) في ١ : مثبت .
(٢ - في إيجاز القرآن)

إن نافع ابن الأزرق أتى ابن عباس فقال : قول الله : ولا يكتُمون الله حديثاً ، وقوله : والله ربما ما كنا مشركين . فقال : إني أخشيك قت من عند أصحابك قلت لهم : أتى ابن عباس النبي عليه من شبه القرآن ، فأخبرهم أن الله إذا جمع الناس يوم القيامة قال المشركون : إن الله لا يقبل إلا من وحده ، فيسلمهم فيقولون : والله ربما ما كنا مشركين . قال : فيختم على أفواههم ويستنطق جوارحهم .

ويؤيده ما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة في أثناء حديث ، وفيه : ثم يأتي الثالث فيقول : يا رب ، آمنت بك وبكتابك ورسولك ، ويؤذني ما استطاع ؛ فيقول : الآن نبث عليك شاهداً ، فيقول في نفسه : من الذي يشهد علي ! فيختم على فيه وتنطق جوارحه .

وأما الثالث فيه أجوبة أخر ؛ منها : أن ثم بمعنى الواو ، فلا إيراد . وقيل : المراد ترتيب الخبر^(١) لا الخبر به ؛ كقوله^(٢) : « ثم كان من الذين آمنوا » . وقيل على بابها ؛ وهي لتفاوت ما بين الخلقين لا لتراخي في الزمان . وقيل خاق بمعنى قَدَّر .

وأما الرابع وجواب ابن عباس عنه فيحتل كلامه أنه أراد سَمِيَ نفسه غموراً رحماً ؛ وهذه التسمية مضت ؛ لأن التعلق انقضى . وأما الصفتان فلا تزالان كذلك لا تنقطعان ؛ لأنه إذا أراد المغفرة أو الرحمة في الحال أو الاستقبال وقع مراده ؛ قاله الشمس الكرماني^(٣) ؛ قال : ويحتمل أن يكون ابن عباس أجاب بجوابين : أحدهما أن التسمية هي التي كانت واقعت ؛ والصفة لا نهاية لها ، والآخر

(١) في ١ : الخبر لا الخبر . (٢) البلد : ١٧

(٣) هو محمد بن يوسف شمس الدين الكرماني ، أحد علماء الحديث ، وشارح البخاري ، وصاحب كتابه ضياء القرآن . توفي سنة ٧٨٦ (الدور السكينة : ٤ - ٣١٠) .

أن معنى كان للدوام ؛ فإنه لا يزال كذلك ، ويحتمل أن يحمل السؤال على
مسلكين والجواب على دفتها ؛ كأن يقال هذا اللفظ يُشِيرُ بأنه في الزمان الماضي
كان غفوراً رحباً مع أنه لم يكن هناك من يغفر له أو يرحم ، وبأنه ليس في الحال
كذلك لما يُشِيرُ به لفظ « كان » .

والجواب عن الأول بأنه كان في الماضي نسي به . وعن الثاني بأن « كان »
تعطى معنى الدوام .

وقد قال النحاة : كان لثبوت خبرها ماضياً دائماً أو منقطعاً .

وقد أخرج ابن أبي حاتم من وجه آخر عن ابن عباس أن يهودياً قال : إنكم
ترهون أن الله كان عزيزاً حكماً ، فكيف هو اليوم ؟ فقال : إنه كان في نفسه
عزيزاً حكماً .

موضع آخر توقف فيه ابن عباس : قال أبو عبيد^(١) : حدثنا إسماعيل
عن أيوب ، عن ابن أبي مليكة ، قال : سألت رجلاً من عباس عن^(٢) « يوم كان
مقداره ألف سنة » . وقوله^(٣) : « يوم كان مقداره [٢٩] خمسين ألف سنة » .
قال ابن عباس : ما يومان ذكرهما الله في كتابه ، والله أعلم بهما .

وأخرجه ابن أبي حاتم من هذا الوجه ، وزاد : ما أدري ما هما ، وأكره أن
أقول فيها ما لا أعلم .

قال ابن أبي مليكة : فضرب الدهر حتى دخلت على سعيد بن المسيب فسأل
عن ذلك فلم يدر ما يقول . فقلت : ألا أخبرك ؟ حضرت عن ابن عباس .
فأخبرته . قال ابن المسيب للسائل : هذا ابن عباس قد اتقى أن يقول فيها ،
وهو أعلم مني .

(١) المارح : ٤٠

(٢) السجدة : ٥

(٣) الإعراب أبو عبيدة .

وروى عن ابن عباس أيضاً أن يوم الألف هو مقدار سبعمائة وعروجه
إليه ، ويوم الألف في سورة الحج أحد الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات .
ويوم الحسنيين ألفاً هو يوم القيامة ؛ فأخرج ابن أبي حاتم عن طريق سمك عن
عكرمة عن ابن عباس أن رجلاً قال له : حدثني ما هؤلاء الآيات : في يوم كان مقداره
خمس مائة سنة . وإن ^(١) يوماً عند ربك كألف سنة . [فقال :] ^(٢) يوم
القيامة حساب الحسنيين ألف سنة . والسموات في ستة أيام كل يوم يكون ألف
سنة . « ويدبر ^(٣) الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرجُ إليه في يوم كان مقداره
ألف سنة » . قال ذلك مقدار السبع .

وذهب بعضهم إلى أن المراد بهما ^(٤) يوم القيامة ، وأنه باعتبار حال المؤمن
والكافر ، بدليل قوله : يوم عسير على الكافرين غير يسير .

فصل

[للاختلاف أسباب]

قال الزركشي في البرهان ^(٥) : للاختلاف أسباب :

أحدها - وقوع الخبر به على ^(٦) أحوال مختلفة وتطورات شتى ؛ كقوله في خلق
آدم مرة ^(٧) : « مِنْ تُرَابٍ » ، ومرة ^(٨) : « مِنْ تَحْمَاتِ مَسْنُونٍ » ، ومرة ^(٩) :
« مِنْ طِينٍ لَازِبٍ » ، ومرة ^(١٠) : « مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ » ؛ فهذه ألفاظ
مختلفة ومعانيها في أحوال مختلفة ؛ لأن الصلصال غير الحما والحما غير التراب ،

(١) الحج : ٤٧	(٢) من الإنفاق .	(٣) السجدة : ٥
(٤) في الإنفاق : بها .	(٥) البرهان : ٢ - ٥٤	(٦) في ب : عن .
(٧) آل عمران : ٥٩	(٨) الحجر : ٢٦	(٩) الصافات : ١١
(١٠) الرحمن : ١٤		

إلا أن مرجعها كلها إلى جوهر وهو التراب ؛ ومن التراب تدرجت هذه الأحوال .

وكقوله^(١) : « فَإِنَّمَا هِيَ تُعَبِّدُكَ » في موضع . وفي موضع^(٢) : « تَهْتَرِزُ كَأَنَّهَا جَانٌّ » ؛ والجنان الصغير من الحيات ، والتعبان الكبير منها ؛ وذلك لأن خلقها خلق التعبان العظيم ، واعتزازها وحركتها [وخفتها]^(٣) كاهتزاز الجان وحركته وخفته .

الثاني - لاختلاف الموضوع ؛ كقوله^(٤) : « وَقَوْمٌ أَنَّهُمْ مُسْتَوُونَ » . وقوله^(٥) : « فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ لِلرُّسُلِينَ » - مع قوله^(٦) : « فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ » . قل الحليمي^(٧) : فحمل الآية الأولى على السؤال عن التوحيد وتصديق الرسل . والثانية على ما يستلزمه الإقرار بالنبوءات من شرائع الدين وفروعه . وحمله غيره على اختلاف الأماكن ؛ لأن في القيامة مواقف كثيرة ؛ ففي موضع : يسألون ، وفي موضع آخر : لا يسألون . وقيل : إن السؤال للثبوت سؤال تبكيك وتوبيخ ، وللنفي سؤال المصنعة وبين الحجة .

وكقوله^(٨) : « اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ » - مع قوله^(٩) : « فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ » .

(١) الشعراء : ٢٢ (٢) القصص : ٢١ (٣) من الإهتان والبرهان .

(٤) السافات : ٢٤ (٥) الأعراف : ٦ (٦) الرحمن : ١٩

(٧) الحليمي - جنت الماء : هو عبد الله بن حسن بن الحسن الحليمي تافس صاحب المنهاج على شعب الإيمان المتوفى سنة ٤٠٣ (كشف الظنون) .

(٨) آل عمران : ١٠٢ (٩) التاجين : ١٦

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي^(١) : الآية الأولى على^(٢) التوحيد، بدليل قوله بعدها : « ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون » . والثانية على الأعمال .
وقيل : بل الثانية ناسخة للأولى .

وكتوله^(٣) : « فإن خِفْتُمْ أَلا تَعْدِلُوا فواحدة » . [مع قوله :]^(٤) « ولن تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ »^(٥) . فالأولى تفهيم إمكان العدل ، والثانية تنفيه .

والجواب أن الأولى في توفية الحقوق . والثانية في الميل القلبي ، وليس في قدرة البشر .

وكتوله^(٦) : « إن الله لا يأمر بالفحشاء » ، مع قوله^(٧) : « أمرنا مؤثريها فَنَسَوْنَهَا فِيهَا » . فالأولى في الأمر الشرعي ، والثانية في الأمر الكوني بمعنى القضاء والتقدير .

الثالث - لاختلافهما في جهتي الفعل ؛ كقوله^(٨) : « فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ، وَبَارَأَ مِنْهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى » ؛ فأضاف الفعل^(٩) إليهم والرمي إليه صلى الله عليه وسلم على جهة الكسب والمباشرة ، وفاء عنهم وعنه باعتبار التأثير .

الرابع - لاختلافهما في الحقيقة والمجاز ؛ كقوله^(١٠) : « وَتَرَى النَّاسَ

(١) هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الإدريسي ، من صوفية الإسكندرية توفى سنة ٩٥٦ (التاج - شذله) .

(٢) في البرهان : فعل الآية الأولى على التوحيد .

(٣) النساء : ٣ (٤) من الإعتان والبرهان . (٥) النساء : ١٢٩

(٦) الأعراف : ٢٨ (٧) الإسراء : ١٦ (٨) الأعراف : ١٧

(٩) في البرهان : القتل . (١٠) الحج : ٢

مُسْكَارَى وَمَا هُمْ بِمُسْكَارَى هـ . أى مسكارى من الأحوال مجازاً ، لا من الشراب، حقيقة .

الخامس - بوجهين واعتبارين ؛ كقوله ^(١) : « فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ هـ . مع قوله ^(٢) : « خَاشِعِينَ مِنَ اللَّهِ يُنْظَرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيِّ هـ . قال طُطْرُب : فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ ، أى عِلْمُكَ ومعرفةُك بها قوية . من قوله : يَبْصُرُ بِكَذَا أى علم ، وليس المراد رؤية العين .

قال [١٩ ب] القامسى : ويدل على ذلك قوله : « فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ هـ .

وكقوله ^(٣) : « الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ هـ . مع قوله ^(٤) : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ هـ . قد غُلِنَ أن الوجل خلاف الطمانينة .

وجوابه أن الطمانينة تكون بانسراح الصدر بمعرفة التوحيد . والوجل يكون عند خوف الزين واللعاب عن الهدى فتوجل التوب لذلك ، وقد جمع بينهما فى قوله ^(٥) : « تَقْشِيراً مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ هـ .

ومما استشكلوه قوله تعالى ^(٦) : « وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْمَذَلُّ قُبُلًا هـ . فإنه يدل على حصر المانع من الإيمان فى أحد هذين الشئيين . وقال فى آية

(٢) الرعد : ٢٨

(٦) الكهف : ٥٥

(٢) الثورى : ٤

(٥) الزمر : ٢٣

(١) فى : ٢٢

(٤) الأنفال : ٢

أخرى^(١) : « وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا : أبغث الله بشراً رسولاً » . فهذا حصر آخر في غيرها .

وأجاب ابن عبد السلام بأن معنى الآية : وما منع الناس أن يؤمنوا إلا إرادة أن تأتيهم سنة الأولين من الخسف أو غيره ، أو يأتيهم العذاب قبل في الآخرة . فأخبر أنه أراد أن يصيبهم أحد الأمرين . ولا شك أن إرادة الله مانعة من وقوع ما يتنافى المراد ، فهذا حصر في السبب الحقيقي ، لأن الله هو المانع في الحقيقة .

ومعنى الآية الثانية : وما منع الناس أن يؤمنوا إلا استغراب بعثه بشراً رسولاً ، لأن قولهم ليس مانعاً من الإيمان ؛ لأنه لا يصلح لذلك ، وهو يدل على الاستغراب بالالتزام ، وهو المناسب للمناعة ، واستغرابهم ليس مانعاً حقيقياً ، بل عادياً ، لجواز وجود^(٢) الإيمان معه بخلاف عادة الله ؛ فهذا حصر في المانع العادي ، والأول حصر في المانع الحقيقي ، فلا تنافي ... انتهى .

[وما استشكل]

وما استشكل قوله تعالى^(٣) : « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً » .^(٤) : « ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ... » .^(٥) « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ منع مساجد الله ... » إلى غير ذلك من الآيات .

ووجه أن المراد هنا بالاستغراب النفي ، والمعنى لا أحد أظلم ، فيكون خبراً ، وإذا كان خبراً وأخذت الآيات على ظاهرها أدى إلى التناقض .

وأجيب بأوجه : منها تخصيص كل موضع بمعنى صلته ؛ أي لا أحد من المانعين

(١) الإسراء : ٩٤ (٢) في البرهان : خلو . والتبث في الإيمان أيضاً .
(٣) هود : ١٨ (٤) الكهف : ٥٧ (٥) الفرق : ١١٤

أظلم ممن منع مساجد الله . ولا أحد من المقترين أظلم ممن اقترى على الله . وكذا
بأقيها ، وإذا تخصص بالصلوات زال التناقض .

ومنها أن التخصيص بالنسبة إلى السبق آت لم يسبق أحد إلى مثله حكم عليهم
بأنهم أظلم ممن جاء بعدهم سالكاً طريقهم ؛ وهذا يؤول معناه إلى ما قبله ؛ لأن
المراد السبق إلى المانعة والاقتوائية .

ومنها - وادعى أبو حيان أنه الصواب : أن نفي الأظلمية لا يستدعي نفي
الظلمية ؛ لأن نفي المقيد لا يدل على نفي المطلق ، وإذا لم يدل على نفي الظلمية لم يلزم
التناقض ؛ لأن فيها إثبات التسمية^(١) في الأظلمية ، ثم لم^(٢) يكن أحد وُصف بذلك
يزيد على الآخر ؛ لأنهم يتساوون في الأظلمية ، وصار المعنى لا أحد أظلم ممن اقترى ،
ومن^(٣) منع ونحوها^(٤) ؛ ولا إشكال في تساوي هؤلاء في الأظلمية ، ولا يدل
على أن أحد هؤلاء أظلم من الآخر ، كما إذا قلت لا أحد أظلم منهم ... انتهى .
وحاصل الجواب أن نفي التفضيل لا يلزم منه نفي المساواة .

وقال بعض المتأخرين : هذا استفهام مقصود به التهويل والتخفيف من غير
تعدد إثبات الأظلمية للمذكور حقيقة ، ولا نفيها عن غيره .

وقال الخطابي^(٥) : سمعت ابن أبي هريرة يحكي عن أبي^(٦) العباس بن مريج ،
قال : سأل رجل بعض العلماء عن قوله^(٧) : « لا أقسم بهذا البلد » . فأخبر أنه

(١) في الإتيان : التسوية .

(٢) في الاتقان : وإذا ثبت التسوية فيها لم . . ممن وصف ...

(٣) في ١ : ومن . (٤) في ١ : ونحوها .

(٥) هو محمد بن محمد بن إبراهيم أبو خليفان شارح سنن أبي داود ، ومؤلف كتاب بيان

إعجاز القرآن وغيره ، توفي سنة ٤٨٨ (ابن خلكان : ١ - ١٦٦) .

(٦) (٧) البلد : ١

(٦) في ب : ابن العباس ...

لا يقسم به ؛ ثم أقسم به في قوله ^(١) : « وهذا البلد الأمين » ، قال : إنما أحب إليك أجيئك ثم أطلقك ^(٢) ، أو أطلقك ثم أجيئك ؟ قال : أطلقني ثم أجيئني . قال له : أعلم أن هذا القرآن نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرة رجال وبين ظهري قوم ، وكانوا أحرموا الخلق على أن يجلدوا فيه مَغْمَزاً وعليه مَطْمَأً ، فلو كان هذا عندهم مناقضة لملقوا به وأسرعوا بالرد عليه ؛ ولكن القوم علموا وجهلت ، فلم ينكروا منه ما أنكرت ؛ ثم قال له : إن العرب قد تدخل لا في أثناء كلامها وتنتهي [٢٠ ١] معانها وأنشد فيه آياتاً .

ومما استشكلوه أيضاً قوله تعالى في سورة سبحان ^(٣) : « وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر كان يئوساً » . وفي سورة فصلت ^(٤) : « وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض » . ومن لوازم الإيلاس نفي مطلق الدعاء ، وأثبتته في سورة فصلت .

وقد رام بعض المتأخرين الجمع بينهما في تأليف بديع ، مقتضاه أن الدعاء العريض في أول الأمر والإيلاس في ثاني الحال .

تنبيه

قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني ^(٥) : إذا تعارضت الآي وتنفرد فيها الترتيب والجمع طلب التاريخ ، وترك المتقدم بالتأخر ، ويكون ذلك نسخاً . وإن لم

(١) البين : ٣ (٢) في الاتقان : ثم أطلقك أو أطلقك ثم أجيئك ؟

(٣) الاسراء : ٨٣ (٤) فصلت : ٥١

(٥) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإسفراييني المروفي بالأستاذ ، صاحب كتاب جامع الخلف في أصول الدين والرد على الملحدين . توفي ببغداد سنة ٤١٨ هـ (ابن خلكان : ١ - ٤) .

، وكان الإجماع على العمل بإحدى الآيتين علم بإجماعهم أن الناسخ ما أجمعوا على العمل بها .

قال : ولا يوجد في القرآن آيتان متعارضتان ^(١) تخلوان عن هذين الوصفين .

قال غيره : وتعارض القراءتين بمنزلة تعارض الآيتين ، نحو ^(٢) : « وأرجلكم » - بالنصب والجر ؛ ولهذا جمع بينهما بحمل النصب على النسل ، والجر على مسح الخلف .

وقال الصيرفي : جماع الاختلاف والتناقض أن كل كلام صح أن يضاف بعض ^(٣) ما وقع الاسم عليه إلى وجه من الوجوه فليس فيه تناقض ؛ وإنما التناقض في اللفظ ما ضاده من كل جهة ؛ ولا يوجد في الكتاب والسنة شيء [من ذلك] ^(٤) أبداً ؛ وإنما يوجد فيه التسخ في وقتين .

وقال القاضي أبو بكر : لا يجوز تعارض آي القرآن والآثار ^(٥) وما يوجه العقل ؛ فلذلك لم يحمل قوله ^(٦) : « الله خالق كل شيء » . معارضاً لقوله ^(٧) : « وتخلقون إفكاً » . « وإذ ^(٨) تخلق من الطين » ؛ لقيام الدليل العقلي أنه لا خالق له غير الله ؛ فتعين تأويل ما عارضه ، فيؤول مخلوقون على تكذيبون ، وتخلق على تصور .

وذكر الكرماني عند قوله تعالى ^(٩) : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » ؛ الاختلاف على وجهين ؛ اختلاف تناقض . وسر ما يدعو فيه أحد الشيئين إلى خلاف الآخر ، وهذا هو المتنوع على القرآن .

(١) في « معارضتين » . (٢) المائدة : ٦ (٣) في ب : بعد .
(٤) من الآيتين ، ويريد . (٥) في ب : والآي ... (٦) الرعد : ١٦
(٧) المائدة : ١٧ (٨) المائدة : ١١٠ (٩) النساء : ٨٢

واختلاف تلازم ؛ وهو ما يوافق الجانبين ؛ كاختلاف وجوه القراءات واختلاف مقادير السور والآيات ، واختلاف الأحكام من النسخ والتسوخ ، والأمر والنهي ، والوعد والوعيد .

• • •

الوجوب الثامن من وجوه المجسازة

وقوع ناسخه ومنسوخه

وهو مما نُصِت به هذه الأمة لحكم ، منها التيسير . وقد أجمع المسلمون على جوازها ؛ وأنكروا اليهود غنائاً منهم أنه بداء كالذي يرى الرأي ثم يبدو له أنه باطل ؛ لأنه يبان مدة الحكم ؛ كالإحياء بعد الإماتة وعكسه ؛ والمرض بعد الصحة وعكسه ، والقر بعد النفي وعكسه ؛ وذلك لا يكون بداء^(١) ، فكذا الأمر والنهي .

[اختلاف العلماء فيه]

واختلاف العلماء قيل : لا يُنسخ القرآن إلا بقرآن ؛ لقوله تعالى^(٢) : « مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا » . قالوا : ولا يكون مثل القرآن وخيراً منه إلا قرآن .

وقيل : بل يُنسخ القرآن بالسنة ؛ لأنها أيضاً من عند الله ، قال تعالى^(٣) : « وما ينطق عن الهوى » . وجعل منه آية الوصية الآتية .

والثالث إذا كانت السنة بأمر الله من طريق الوحي نسخت ، وإن كانت باجتهاد فلا ؛ حكاه ابن حبيب النيسابوري في كتابه التفسير .

وقال الشافى : حيث وقع نسخ القرآن بالسنة فعها قرآن عاضد لها ، وحيث وقع نسخ السنة بالقرآن فعها سنة عاضدة له ؛ [لينين]^(١) توافق القرآن والسنة . وقد بسطت هذه المسألة فى شرح منظومة جمع الجوامع فى الأصول .

وقد أفرد بالتصنيف فى هذا الفن خلائق لا تحصى ، منهم : أبو عبيد القاسم ابن سلام ، وأبو داود السجستانى ، وأبو جعفر النحاس ، وابن الأنبارى ، ومكى ، وابن العربى ، وآخرون .

[مسائل فى النسخ]

[معنى النسخ]

لكن فى هذا النوع مسائل :

الأولى — يَرِدُ النسخ بمعنى الإزالة ، ومنه قوله^(٢) : « فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْفِى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُخَكِّمُ اللَّهُ » .

وبمعنى التبديل ؛ ومنه^(٣) : « وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ » .

وبمعنى التحويل ، كتناسخ المواريث ، بمعنى تحويل الميراث من واحد إلى واحد .

وبمعنى النقل من موضع إلى موضع ، ومنه نسخت الكتاب : إذا نقلت ما فيه حاكياً لفظه وخطه . قال مكي : وهذا الوجه لا يصح أن يكون فى القرآن [٢٠ ب] ؛ وأنكر على النحاس إجازته ذلك محتجاً بأن النسخ فيه لا يأتى بلفظ المتسوخ ، وأنه إنما يأتى بلفظ آخر .

وقال السعدي^(١) : يشهد لما قاله النحاس قوله^(٢) : « إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » ، وقال^(٣) : « وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ » .
ويعلم أن ما نزل من الوحي نجوماً جميعه في أم الكتاب ، وهو اللوح المحفوظ ، كما قال تعالى^(٤) : « فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ، لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ » .

[أين يقع النسخ]

الثانية — لا يقع النسخ إلا في الأمر والنهي ، ولو بلفظ الخبر ؛ أما الخبر الذي ليس بمعنى الطلب فلا يدخله النسخ ، ومنه الوعد والوعيد . وإذا عرفت ذلك عرفت فساد مُصَنِّع من أدخل في كتاب^(٥) النسخ كثيراً من آيات الإخبار والوعد والوعيد .

[أقسام النسخ]

الثالثة — النسخ أقسام :

أحدها — نسخ المأمور به قبل امتثاله ، وهو النسخ على الحقيقة ، كآية النجوى^(٦) .

الثاني — ما نسخ مما كان شرعاً لمن قبلنا كآية شرع القصاص^(٧) والدية . أو كان أمراً به أمراً مجلياً ؛ كنسخ التوجه إلى بيت المقدس بالكعبة ، وصومه عاشوراء برمضان ، وإعما يسمى هذا نسخاً مجزئاً .

الثالث — ما أمر به لسبب ثم يزول السبب ؛ كالأمر — حين القاة

(١) في البرهان : السعدي . واثبت في الإقنان أيضاً .

(٢) المجانية : ٢٩ (٣) الزخرف : ٤ (٤) الواقعة : ٧٨ ، ٧٩

(٥) في الإقنان : كذب .

(٦) المجادلة : ١٢ ، ١٣ : إذا ناجيت الرسول فقدموا بين يدي مجراً ثم صدقه . ثم صدقه سبحانه بقوله : أأصغتم ...

(٧) هي قوله تعالى في سورة التوبة : ١٧٨ : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ

وَالْقَتْلُ .

والضعف - بالصبر والصلح^(١)، ثم تُنسخ بإيجاب القتال؛ وهذا في الحقيقة ليس نسخاً، بل من قسم المنسأ، كما قال تعالى: «أَوْ نُنسِهَا» ، فالنسا هو الأمر بالقتال إلى أن يقوى المسلمون . وفي حال الضعف يكون الحكم^(٢) وجوب الصبر على الأذى، وبه يضعف ما لهيج^(٣) به كثيرون من أن الآيات في ذلك منسوخة بآية السيف، وليس كذلك، بل هي من المنسا، بمعنى أن كل أمر وردَّ يجب امتثاله في وقت ما لعله تقتضى ذلك الحكم، ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر، وليس بنسخ؛ إنما التسخ الإزالة للحكم حتى لا يجوز امتثاله.

وقال مكي: ذكر جماعة أن ما ورد من الخطاب مُشعراً بالتوقيت والغاية مثل قوله في البقرة^(٤): «فَاعْتَبُوا وَلْيَعْتَبُوهَا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ» - بحكم غير منسوخ، لأنه يؤجل بأجل، والمؤجل بأجل لا نسخ فيه.

الرابعة - قل بعضهم: سور القرآن باعتبار التسخ والمنسوخ أقسام: قسم ليس فيه نسخ ولا منسوخ، وهي ثلاث وأربعون سورة: القاتحة، ويوسف، ويس، والحجرات، والرحمن، والحديد، والصف، والجمعة، والتحريم، والملك، والحاقة، ونوح، والجن، والمرسلات، وعم، والنازعات، والافطار، وثلاث بعدها، والفجر وما بعدها إلى آخر القرآن، إلا التين والعصر والكافرون.

وقسم فيه التسخ والمنسوخ؛ وهو خمس^(٥) وعشرون: البقرة، وثلاث بعدها، والحج، والنور، وتالياها، والأحزاب، وسبا، والمؤمن، وشورى، والذاريات، والطور، والواقعة، والمجادلة، والمزمل، والمدثر، وكوثر، والعصر.

(١) في الإتيان: والصفح. وفي البرهان: والمنفرة للذين يرجون لقاء الله.

(٢) في ب: المحكم. (٣) في ١: ما نسخ. (٤) البقرة: ١٠٩.

(٥) في البرهان: إحدى وثلاثون سورة.

وقسم فيه النسخ قط ، وهو ستة : التمتع ، والحشر ، والناقصون ، والتعاني ، والطلاق ، والأعلى .

وقدم فيه المنسوخ قط ، وهو الأربعون الباقية ، كذا قال .
وفيه نظر يُعرف مما يأتي .

الخامسة — قال مكي : النسخ أقسام : فرض نسخ فرضاً ، ولا يجوز العمل بالأول ؛ كنسخ الحبس للزواني^(١) بالحد .

وفرض^(٢) نسخ فرضاً ، ويجوز العمل بالأول كآية المصاهرة .

وفرض نسخ ندباً ؛ كالقتال ، كان ندباً ثم صار فرضاً .

وندب نسخ فرضاً ؛ كالقيام^(٣) نسخ بالقراءة في قوله^(٤) : « فاتقوا الله ما تيسر من القرآن » .

السادسة — النسخ في القرآن على ثلاثة أضرب : أحدها ما نسخ تلاوته وحكمه مما ؛ قالت عائشة : كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات فتُسخن بخمس معلومات ، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي فيما يقرأ من القرآن . ورواه الشيخان ، وقد تسكلموا في قولها : وهي مما يقرأ من القرآن ؛ فإن ظاهره بقاء التلاوة ؛ وليس كذلك .

وأجيب بأن المراد قلب الوفاة ، وأن^(٥) التلاوة نُسخت أيضاً ، ولم يبلغ ذلك كل الناس إلا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوفي وبعض الناس يقرأها .

(١) في ب : الزاني . (٢) في أ : ونسخ . والثبت في أ ، والإتيان .

(٣) في الامتحان : كقيام الليل . (٤) الزمل : ٢٠

(٥) في البرهان : والأظهر أن التلاوة ...

قال أبو موسى الأشعري : نزلت ثم رُفِعت . وقال مكي : وهذا المثال فيه المنسوخ غير المتلو ، والناسخ أيضاً غير متلو ، ولا أعلم له نظيراً .

الضرب الثاني : ما نسخ حكمه دون تلاوته ؛ وهذا الضرب [١٢١] هو الذي فيه الكتب المؤلفة ، وهو على الحقيقة قليل جداً ، وإن أكثر الناس من تعديد الآيات فيه ؛ فإن المجتدين منهم كالتأضي أبي بكر بن العربي ميز ذلك وأنتنه .

واللهي أقوله : إن الذي أورده المكثرون أقسام :

قسم ليس من النسخ في شيء ، ولا من التخصيص ، ولا له علاقة بهما بوجه من الوجوه ؛ وذلك مثل قوله تعالى ^(١) : « وما رزقناهم يُنْفِقُونَ » . ^(٢) « وَأَنْفِقُوا بما رَزَقْنَاكم » ؛ ونحو ذلك ، قالوا : إنه منسوخ بآية الزكاة ، وليس كذلك ؛ بل هو باق . أما الأولى فإنها خبر في معرض الثناء عليهم بالإففاق ، وذلك يصلح أن يفسر بالزكاة وبالإففاق على الأهل وبالإففاق في الأمور المندوبة ؛ كالإعانة والضيافة ، وليس في الآية ما يدل على أنها شقة واجبة غير الزكاة .

والآية الثانية تصح ^(٣) كلها على الزكاة ؛ وقد فسرت بذلك .

وكذا قوله ^(٤) : « أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ » . قيل : إنها مما نسخ بآية السيف ، وليس كذلك ؛ لأنه تعالى أحكم الحاكمين أبداً ؛ لا يتبدل هذا الكلام النسخ ، وإن كان معناه الأمر بالتفويض وترك المعاقبة .

وقوله في البقرة ^(٥) : « وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا » - عده بعضهم من المنسوخ بآية السيف . وقد غلطه ابن الحصار بأن الآية حكاية مما أخذ على بني إسرائيل من الميثاق ، فهو خبر ؛ فلا نسخ فيه . ففس على ذلك .

(١) البقرة : ٣

(٢) المائدة : ١٠

(٣) البقرة : ٨٣

(٤) التين : ٨

(٥) - في إعجاز القرآن

وقسم هو من قسم المخصوص لا من قسم المنسوخ . وقد احتج ابن العربي بتجريد^(١) ، فأجاد ؛ كقوله^(٢) : « إن الإنسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا » .
«^(٣) وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ » . «^(٤) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا » . «^(٥) فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ » . وغير ذلك من الآيات التي خصت باستثناء أو غاية .

وقد أخطأ من أدخلها في المنسوخ ، ومنه قوله تعالى^(٦) : « وَلَا تَسْكِحُوا الْمُرَكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ » . قيل نسخ بقوله^(٧) : « وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ » . وإنما هو مخصوص به .

وقسم رفع ما كان عليه من الأمر في الجاهلية أو في شرائع من قبلنا ، أو في أول الإسلام ولم ينزل في القرآن ؛ كإبطال نكاح نساء الآباء ، ومشروعية القصاص ، والدية ، وحصر الطلاق في الثالث^(٨) . وهذا إدخاله في قسم النسخ قريب ، ولكن عدم إدخاله أقرب ، وهو الذي رجحه مكي وغيره ؛ ووجهه بأن ذلك لو عد في النسخ لمد جميع القرآن منه ؛ إذ كله أو أكثره رافع لما كان عليه الكفار وأهل الكتاب .

وقالوا : وإنما حق النسخ والمنسوخ أن تكون آية نسخت آية ... انتهى . نعم النوع الآخر منه - وهو رافع ما كان في أول الإسلام - بإخاله أوجب^(٩) من القسمين قبله .

إذا علت ذلك قد خرج من الآيات التي أوردتها المكثرون^(١٠) من الجم

-
- | | |
|----------------------------|--|
| (١) في الإخانة : بتحريره . | (٢) النصر : ٢ |
| (٣) الشعراء : ٢٢٤ ، ٢٢٧ | (٤) البقرة : ١٠٩ |
| (٥) البقرة : ٢٢١ | (٦) الثالثة : ٥ |
| (٨) في : أوجب . | (٧) في الإخانة : المثلث . |
| | (٩) في : لا تان : المكثرون الجم النصير . |

التغير مع آيات الصانع^(١) والمفرد إن قلنا إن آية سيف لم تنسخها ، وبقي ما يصح
لذلك عدد يسير .

وقد أفردته بأدلته في تأليف لطيف ، وها أنا أوردته هنا محمداً :

[من البقرة]

من البقرة قوله تعالى^(٢) : « كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ ... » الآية . قيل
منسوخه بآية الميراث ، وقيل بحديث : لا وصية لوارث . وقيل بالإجماع ؛ حكاه
ابن العربي^(٣) .

قوله تعالى^(٤) : « وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ » - قيل منسوخة
بقوله^(٥) : « فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ » . وقيل بحكمة و« لا » مقدرة .
قوله تعالى^(٦) : « أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ » - ناسخة
لقوله^(٧) : « كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ » ؛ لأن مقتضاها الواقعة فيما كان
عليهم من تحريم الأكل والوطء بعد النوم . ذكره ابن العربي ، وحكى قولاً آخر
أنه نسخ لما كان بالسنة .

قوله تعالى^(٨) : « بِسْأَلِكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ... » الآية منسوخة
بقوله^(٩) : « وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً » . أخرجه ابن جرير عن عطاء
ابن ميسرة .

قوله تعالى^(١٠) : « وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً ... » إلى قوله :

(١) في الاثنان : الصفح .	(٢) البقرة : ١٨٠	(٣) أحكام القرآن : ١-٧١
(٤) البقرة : ١٨٤	(٥) البقرة : ١٨٥	(٦) البقرة : ١٨٧
(٧) البقرة : ١٨٣	(٨) البقرة : ٢١٧	(٩) التوبة : ٣٦
(١٠) البقرة : ٢١٠		

« متاعاً إلى الخول » - منسوخة بآية : أربعة^(١) أشهر وعشراً . والوصية منسوخة بالبراث . والسكنى ثابتة عند قوم منسوخة عند آخرين بحديث : ولا سكنى .

قوله تعالى^(٢) : « وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَخَافُكُمْ بِهِ اللَّهُ » منسوخة بقوله جلده^(٣) : « لَا يُكَافُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا » .

[من آل عمران]

ومن آل عمران قوله تعالى^(١) : « اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ » - قيل إنه منسوخ بقوله^(٢) : « فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ » [٢١ ب] . وقيل : لا ، بل هو محكم ؛ وليس فيها آية يصح فيها دعوى النسخ غير هذه الآية .

[من النساء]

ومن النساء قوله تعالى^(١) : « وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ ... » الآية . منسوخة بقوله^(٢) : « وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ » . قوله تعالى^(٣) : « وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ ... » الآية . منسوخة . وقيل : لا ، ولكن تهاون الناس في العمل بها .

قوله تعالى^(٤) : « وَاللَّائِي يَأْتِيَنَّ الْقَاحِشَةَ ... » منسوخة بآية النور .

[من المائدة]

ومن المائدة قوله تعالى^(١) : « وَلَا الشُّهُرُ الْحَرَامُ » . منسوخة بإباحة القتال فيه .

(١) البقرة : ٢٣٤	(٢) البقرة : ٢٨٤	(٣) البقرة : ٢٨٦
(٤) آل عمران : ١-٢	(٥) النجاشين : ١٦	(٦) النساء : ٣٣
(٧) الأعراف : ٧٥	(٨) النساء : ٨	(٩) النساء : ١٤
(١٠) المائدة : ٢		

قوله تعالى^(١) : « فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ » . منسوخة بقوله^(٢) : « وَإِنْ لَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ » .
قوله تعالى^(٣) : « أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ » . منسوخ بقوله^(٤) : « وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ » .

[من الأنفال]

ومن الأنفال قوله تعالى^(٥) : « إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ ... » .
الآية منسوخة بالآية بعدها .

[من التوبة]

ومن براءة قوله تعالى^(٦) : « أَتُحِبُّونَ خِيفًا وَثِقَالًا » . منسوخة بآية المذرة ؛
وهي قوله^(٧) : « لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ... » الآية . وقوله^(٨) : « لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ ... » الآيتين ؛ وقوله^(٩) : « وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً » .

[من النور]

ومن النور قوله تعالى^(١٠) : « الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً » . منسوخ بقوله^(١١) : « وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ » .
قوله تعالى^(١٢) : « لِيَتَفَزَّحَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ... » الآية .
قيل : منسوخة . وقيل : لا ، ولكن تهلون الناس في السبل بها .

(١) المائة : ٤٢	(٢) المائة : ٤٩	(٣) المائة : ١٠٦
(٤) الطلاق : ٢	(٥) الأنفال : ٦٥	(٦) التوبة : ٤٩
(٧) النور : ٦١	(٨) التوبة : ٩١	(٩) التوبة : ١٢٣
(١٠) النور : ٣٤	(١١) النور : ٣٢	(١٢) النور : ٥٨

[من الأحزاب]

ومن الأحزاب قوله تعالى^(١) : « لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ ... » الآية .
منسوخة بقوله تعالى^(٢) : « إِنَّا أَخْلَقْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ ... » الآية .

[من المجادلة]

ومن المجادلة قوله تعالى^(٣) : « إِذَا فَاجِئْتُمُ الرِّسُولَ فَدُئُوا بَيْنَ يَدَيْ
تَجْوَاكُمُ صَدَقَةٌ » . منسوخة بما بعدها .

[من المتحنة]

ومن المتحنة قوله تعالى^(٤) : « فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ
مَا أَنْقَضُوا » . قيل منسوخ بآية السيف . وقيل بآية التنية . وقيل بحكم .

[من الزمّل]

ومن الزمّل قوله تعالى^(٥) : « قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا » — منسوخ بآخر
السورة ، ثم نسخ الآخر بالصلاة المحسنة .

فهذه إحدى وعشرون آية منسوخة على خلاف في بعضها لا يصح دعوى النسخ
في غيرها . والأصح في آية الاستئذان والقصة الإحكام ؛ فصارت تسع عشرة .
ويضم إليها قوله تعالى^(٦) : « فَإِنَّمَا تَوَلَّوْا قَوْمٌ وَجْهُ اللَّهِ » . على رأى ابن عباس
[أنها منسوخة]^(٧) بقوله :^(٨) « فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ » ،
فتم عشرين .

(١) الأحزاب : ٥٢	(٢) الأحزاب : ٥٠	(٣) المجادلة : ١٢
(٤) المتحنة : ١١	(٥) الزمّل : ٢	(٦) البقرة : ١١٥
(٧) من الإخفاء .	(٨) البقرة : ١٤٩	

وقد نظمتها قلت :

قد أكثر الناس في النسخ من عدد
 وأدخلوا فيه آياتاً ليس تنحصر
 وهما تحرير أي لا مزيد لها
 عشرين حرماً الحذاق والكبير
 أي التوجه حيث المرء كان وأن
 يؤم لأهله عند الموت محتضر
 وحرمة الأكل بعد النوم مع رفث
 وفدية لطيق الصوم مشهور
 وحق تقواه فيما صنع في أثره
 وفي الحرام حال للأولى كفروا
 والاعتداد بحمول مع وصيتها
 وأن يذنب حديث النفس والسكر
 والخلق والحبس للزاني وترك ألى
 كفر ، وإشهادهم والصبر والنفر
 ومنع عقد زان أو زانية
 وما على المصطفى في العقد محظور^(١)
 ودفع مهر لمن جاءت وآية نجر
 واه كذا قيام الليل مستطير

وزيد آية الاستسذان من ملكت

وآية التمسة الفضلى لمن حَضَرُوا

[الحكمة في رفع الحكم وإبقاء التلاوة]

فإن قلت : ما الحكمة في رفع الحكم وإبقاء التلاوة ؟ فالجواب من وجهين :
أحدهما - أن الفرقان^(١) كما يتلى ليعرف الحكم منه والعمل به فيُتلى لكونه
كتاب^(٢) الله ، فيثاب عليه ، فتركت التلاوة لهذه الحكمة .

والثاني - أن النسخ غالباً يكون للتخفيف ، فأبقيت التلاوة تذكيراً للرحمة^(٣)
ورفع المشتة . وأما ما ورد في القرآن ناسخاً لما كان عليه الجاهلية ، أو كان في
شرع من قبلنا ، أو في أول الإسلام ، فهو أيضاً [٢٢ ١] قليل العدد ؛ كنسخ
استقبال بيت المقدس بآية القبلة ، وصوم عاشوراء بصوم رمضان ، في أشياء آخر
حررتها في كتابي المشار إليه .

[فوائد مشورة]

قال بعضهم : ليس في القرآن ناسخ إلا والنسخ قبله في الترتيب إلا آيتين :
آية العدة في البقرة^(٤) ، وقوله^(٥) : « لَا يَحِلُّ لَكَ النَّسَاءُ » كما تقدم .

وزاد بعضهم ثالثة ، وهي آية الحشر في القىء على رأى من قال إنها منسوخة
بآية الأنفال^(٦) : « وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ » .

وزاد قوم رابعة ؛ وهي قوله^(٧) : « خُذِ الْقَوَّاءَ » - يعنى القفْض من أموالهم
على رأى من قال إنها منسوخة بآية الزكاة .

(١) في آء من : القرآن . والمثبت في البرهان . (٢) في البرهان : كلام الله .

(٣) في الإعلان : بالتمسكة . (٤) البقرة : ٢٣٤ (٥) الأحزاب : ٥٢

(٦) الأنفال : ٤١ (٧) الأعراف : ١٩٨

وقال ابن العربي^(١) : كل ما في القرآن من الصفح عن الكفار والتولي والإعراض والكف عنهم فهو منسوخ بآية السيف ؛ وهي^(٢) : « فَإِذَا انْسَدَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ... » الآية ؛ نسخت مائة وأربعاً وعشرين آية ، ثم نسخ آخرها أولها^(٣) .

وقال أيضاً^(٤) : من عجيب المنسوخ قوله تعالى^(٥) : « خُذِ الْعَفْوَ ... » الآية فإن أولها وآخرها — وهو : وأعرض عن الجاهلين — منسوخ ، ووسطها محكم ، وهو : وأمر بالعرف .

وقال : من عجيبه أيضاً [آية]^(٦) أولها منسوخ وآخرها ناسخ ، ولا نظير لها ، وهي قوله^(٧) : « عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَغْرِكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ » — يعنى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ فهنا ناسخ لقوله^(٨) : « عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ » .


وقال السدي^(٩) : لم يمكث منسوخ مدة أكثر من قوله تعالى^(١٠) : « قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ ... » الآية . مكثت ست عشرة سنة حتى نسخها أول القتح عام الحديبية .

وذكر هبة الله بن سلامة الضرير أنه قال في قوله تعالى^(١١) : « وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ... » الآية — أن المنسوخ من هذه الجملة

- (١) أحكام القرآن : ٢٠١ (٢) التوبة : ٥
(٣) في البرهان : وهي قوله : فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ (آية ٥) .
(٤) أحكام القرآن : ١ — ٢٣٨ (٥) الأعراف : ١٩٩
(٦) من الاتقان . (٧) المائة : ١٠٥ (٨) المائة : ١٠٥
(٩) سبق أنه في البرهان : السدي .
(١٠) الأحقاف : ٩ (١١) القمر : ٨

وأسيراً ؛ والمراد بذلك أسير المشركين ، فقرأ عليه الكتاب وابنته تسمع ، فلما انتهى إلى هذا الموضع قلت له : أخطأت يا أبت . قل : وكيف ؟ قالت : أجمع للمسلمون على أن الأسير يُطعم ولا يقتل جوعاً . فقال : صدقت .

[يحوز نسخ الناسخ]

. وقال شَيْذَةَ^(١) في البرهان : يحوز نسخ الناسخ فيصير منسوخاً ؛ كقوله^(٢) : « لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ » . نسخها قوله^(٣) : « فَاقْتُلُوا الشَّرْكَىَ » . ثم نسخ هذه بقوله^(٤) : « حَتَّى يُمِطُوا الْجِزْيَةَ » [كذا قال : وفيه نظر من وجهين : أحدهما ما تقدمت الإشارة إليه .]^(٥) والآخر أن قوله : حتى يبطوا الجزية - مخصص للآية لا ناسخ ؛ نعم يمثل له بآخر سورة الزمل ، فإنه ناسخ لأولها منسوخ بفرض الصلوات الخمس  وقوله^(٦) : « انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا » ناسخ لآية الكف ، منسوخ بآية النذر .

وأخرج أبو عبيد عن الحسن وأبي ميسرة ؛ قالا : ليس في المائة منسوخ ؛ ويشكل بما في المستدرك عن ابن عباس أن قوله^(٧) : « فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ » - منسوخ بقوله^(٨) : « وَأَنْ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ » .

[أول ما نسخ من القرآن]

وأخرج أبو عبيد وغيره ، عن ابن عباس ، قال : أول ما نسخ من القرآن شأن^(٩) القبلة .

(١) هو أبو الطال عزيز بن عبد الملك القبة الشافعي المعروف بشيعة ، وهو صاحب كتاب البرهان في مشكلات القرآن توفي سنة ٤٩٤ (ابن خلكان : ٩ - ٣٩٨) .
 (٢) البكفرون : ٦ (٣) التوبة : ٦ (٤) للتوبة : ٢٩
 (٥) من الإطمان . (٦) التوبة : ٤١ (٧) المائدة : ٤٢
 (٨) المائدة : ٤٩ (٩) في الإطمان : نسخ .

وأخرج أبو داود في ناسخه من وجه آخر^(١) عنه ، قال : أول آية نسخت من القرآن القبلة ، ثم الصيام الأول .

[هل وقع النسخ في المكي] .

قال مكي : وعلى هذا فلم يقع في المكي ناسخ . قال : وقد ذكر أنه وقع فيه في آيات منه^(٢) : قوله تعالى في سورة غافر^(٣) : « يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا » . فإنه ناسخ لقوله تعالى^(٤) : « وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ » .

قلت : أحسن من هذا نسخ قيام الليل في أول سورة المزمل بآخرها ، أو بإيجاب الصلوات الخمس ؛ وذلك بمكة اتفاقاً .

تنبيه

قال ابن الحصار : إنما يرجع في النسخ إلى نقل صريح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن صحابي يقول : آية كذا نسخت كذا .

وقال : قد يحكم به عند وجود التعارض المتطوع به مع علم التأويل^(٥) ، ليعلم للتقدم والتأخر .

قال : ولا يمتد في النسخ قول عوام المفسرين ؛ بل ولا اجتهد المجتهدين من غير نقل صريح ولا معارضة [٢٢ ب] بينة ؛ لأن النسخ^(٦) يتضمن رفع حكم

(١) في الاتقان : أخذ . (٢) في الاتقان منها . (٣) غافر : ٧ .
(٤) النورى : . (٥) في الإتهان : التاريخ ليعرف ...
(٦) في ١ : المنع .

وإثبات حكم تقرر في عهده صلى الله عليه وسلم ؛ فالمعتمد فيه النقل والتاريخ دون
الرأى والاجتهاد .

قال : والناس^(١) في هذا بين طرفي تقيض ، فمن قائل : لا يقبل في النسخ
أخبار آحاد العلول ؛ ومن مناهل يكتفي فيه بقول مفسر أو مجتهد . وللصواب
خلاف قولهما .

* * *

الضرب الثالث : ما نسخ تلاوته دون حكمه . وقد أورد بعضهم فيه سؤالا ؛
وهو : ما الحكمة في رفع التلاوة مع بقاء الحكم ؛ وهلا أبقيت التلاوة ليجمع
العمل بحكمها وثواب تلاوتها ؟

وأجاب صاحب القنون^(٢) بأن ذلك ليظهر به مقدار طاعة هذه الأمة
في المسارعة إلى بذل النفوس بطريق الظن من غير استئصال لطلب طريق
مقطوع به ، فيسرعون بأبسر شيء ، كما سارع الخليل إلى ذبح ولده بئنا ؛
والنمام أدنى طريق الوحي .

وأمثلة هذا الضرب كثيرة ؛ قال أبو عبيد : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ،
عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : لا يتولن^(٣) أحدكم قد أخذت القرآن
كله وما يدريه ما كله ، قد ذهب منه قرآن كثير ، ولكن ليقل قد أخذت منه
ما ظهر .

قال : حدثنا ابن أبي مريم ، عن أبي لمية ، عن أبي الأسود ، عن عروة
ابن الزبير ، عن عائشة ؛ قالت : كانت سورة الأحزاب تُقرأ في زمان النبي

(١) في ١ : وأناني . والمثبت في الأتقان أيضاً .

(٢) هو كتاب قنون الأتقان في عجائب علوم القرآن لابن الجوزي .

(٣) في الإتيان : ابن لمية - تحريف .

صلى الله عليه وسلم ما تبي آية ، فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر إلا على ما هو الآن .

وقال : حدثنا إسماعيل بن جعفر ، عن المبارك بن الفضالة^(١) ، عن عاصم ابن أبي النجود ، عن زير بن حبيش ، قال : قال لي أبي بن كعب كأين تعد سورة الأحزاب ؟ اثنين وسبعين آية ، أو ثلاثاً وسبعين آية ؟ قال : إن كانت لتعدل سورة البقرة ، وإن كنا لنقرأ فيها آية الرجم . قالت : وما آية الرجم ؟ قال : إذا زنى الشيخ والشيخة فارجوها البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم .

وقال : حدثنا عبد الله بن صالح ، عن الليث ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد ابن أبي هلال ، عن مروان بن عثمان ، عن أبي أمامة بن سهل — أن خالته قالت : لقد أقرأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الرجم : الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجوها البتة بما قضيا من اللذة .

وقال : حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، أخبرني ابن أبي حميد ، عن حميدة بنت أبي يونس ، قالت : قرأ عليّ أبي وهو ابن ثمانين سنة في مصحف عائشة : إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً . وعلى الذين يصلون الصفوف الأول — قالت قبل أن يغير عثمان المصاحف .

وقال : حدثنا عبد الله بن صالح ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي واقد الليثي ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوحى إليه أتيناها فسلمنا مما أوحى إليه . قال : فبجئت ذات يوم فقال : إن الله يقول إنا أنزلنا المثل لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، ولو أن لابن آدم وادياً لأحب

أن يكون إليه الثاني ، ولو كان له الثاني لأحب أن يكون له ^(١) الثالث ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب .

وأخرج الحاكم في المستدرک ، عن أبي بن كعب ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن ، قرأ : لم يكن للفن كفروا من أهل الكتاب والمشركين ؛ ومن بقيتها : لو أن ابن آدم سأل وادياً من مال فأعطيه سأل ثانياً ، وإن سأل ثانياً سأل ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب . ويتوب الله على من تاب ، وإن ذات الدين عند الله الحنيفية السبعة غير اليهودية ولا النصرانية ، ومن يعمل خيراً فلن يكفره .

وقال أبو عبيد ^(٢) : حدثنا حجاج [، عن حماد] ^(٣) بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أبي حرب ، عن أبي الأسود ، عن أبي موسى الأشعري قال : نزلت [سورة نحو] ^(٤) براءة ، ثم رُفِست ، وحُفِظَ منها : إن الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ، ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى ثالثاً ، ولا يملأ [٢٣] جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب .

وأخرج ابن أبي حاتم ، عن أبي موسى الأشعري ، قال : كنا نقرأ سورة نُسبُها بإحدى المسبحات ^(٥) ، فأنسيناها ؛ غير أني حفظت منها : يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ^(٦) ما لا تفعلون ، فكتب شهادة في أعناقكم ، فتأولون عنها يوم القيامة .

قال أبو عبيد : حدثنا حجاج عن شعبة ^(٧) ، عن الحكم بن عتيبة ، عن علي ابن عدي ، قال : قال عمر : كنا نقرأ لا ترغبون عن آباءكم فإنه كفر بكم ،

(١) في الإتيان : إليهما . (٢) في ١ : أبو حيد . (٣) من الإتيان .

(٤) المسبحات من السور : ما افتتح ببسم الله ، وسبح ، وسبح .

(٥) في الإتيان : لا تقولوا ... (٦) في الإتيان : من سجد .

[ثم] ^(١) قال يزيد بن ثابت : كذلك ^(٢) ؟ قال : نعم .

قال : وحدثنا ابن أبي مریم ، عن نافع بن ^(٣) عمر الجمحي ، حدثنا ابن أبي مليكة ، عن ^(٤) السَّوَر بن ثَعْمَةَ ، قال : قال عمر لعبد الرحمن بن عوف : ألم تجد فيما أنزل علينا : أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة ؟ فإننا لا نجدها ؟ قال : أسقطت فيما أسقط من القرآن .

وقال : حدثنا ابن أبي [مریم ، عن ابن] ^(٥) لُحَيْمَة ، عن يزيد بن عمرو المَعَاوِي ، عن أبي سفيان السَّكَلَاي . — أن مسلة بن مُخَّاد ^(٦) الأَصَارِي ، قال لهم ذات يوم : أخبروني بآيتين من القرآن لم يكتبتا في المصحف ؛ فلم يجبروه وعندهم أبو الكنود ^(٧) سعد بن مالك ، فقال مسلة ؛ إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأ أنفسهم ، ألا فابشروا أنهم أيها الفلاحون . والذين آؤوهم ونصرؤهم وجادؤوا عنهم القوم الذين غضب الله عليهم أولئك لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قُرَّةِ أعين جزاء بما كانوا يعملون .

وأخرج الطبراني في الكبير ، عن ابن عمر ، قال : قرأ رجلان سورة أقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانا ^(٨) يقرآن بها ، فقاما ذات ليلة يصليان ، فلم يقدرا منها على حرف ، فأصبحا غاديين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرا ذلك له ، فقال : إنها مما نسخ قالموا عنها .

وفي الصحيحين عن أنس في قصة أصحاب بدر معونة الذين قتلوا : وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم [يدعو] ^(٩) على قاتليهم . قال أنس : ونزل فيهم

(١) من الاتقان . (٢) في الاتقان : كذلك ؟

(٣) في ١ : عن نافع عن ابن عمر الجمحي . (٤) كبر .

(٥) من الإطقان . (٦) عند كعظم . (٧) ١ : التور .

(٨) في ١ : قاما . (٩) من الاتقان .

قرآن قرأناه حتى رُفِعَ : أَنْ بَأْتُوا عَنَّا قَوْمًا أَنْ^(١) قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ
عَنَّا وَأَرْضَانَا .

وفي المستدرک عن حذيفة ، قال : ما تقرءون ربها - يعني براءة .

قال أبو الحسين^(٢) بن المنادي في كتابه النسخ والتسوخ : وما رُفِعَ رسمه
من القرآن ولم يُرَفَّحْ حفظه من القلوب سورة^(٣) القنوت في الوتر ، وتسمى سورة
الملح والحقد^(٤) .

تنبيه

حكى القاضي أبو بكر في الانتصار عن قوم ، إنكار هذا الضرب ؛
لأن الأخبار فيه أخبار آحاد ؛ ولا يجوز القطع على إزال قرآن ونسخه بأخبار آحاد
لا حجة فيها .

وقال أبو بكر الرازي : نسخ الرسم والتلاوة إنما يكون بأن ينسبهم الله إياه ،
ويرفضه من أوهامهم ، ويأمرهم بالإعراض عن تلاوته وكتبه في المصحف ؛
فيندرس على الأيام كائثر كتب الله القديمة [التي ذكرها في كتابه]^(٥) في قوله^(٦) :
إِنَّ هَذَا لِنِي الصُّحُفِ الْأُولَى . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى . ولا يعرف اليوم منها شيء ؛
ثم لا يخلو ذلك من أن يكون في زمان النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا توفي
لا يكون متلوًا من القرآن ، أو يموت وهو متلوًا موجود بالرسم ، ثم ينسب الله

(١) في الاثنان : أنا .

(٢) هو أبو الحسين أحمد بن جعفر المنادي الامام المحدث . توفي سنة ٣٣٤ ، ذكره
صاحب كشف الظنون . والبراءة كلها في البرهان : ٧ - ٣٧ .

(٣) في الإثنان والبرهان : سورتا . (٤) في ١ : والجهد .

(٥) من البرهان والاثنان . (٦) الأمل : ١٨ ، ١٩ .

الناس ويرفضه من أذهانهم . وغير جائز نسخ شيء من القرآن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . انتهى .

وقال في البرهان^(١) في قول عمر : لولا أن يقول الناس : زاد عمر في كتاب الله لكتبها — يعني آية الرجم : ظاهره أن كتابتها جائزة ؛ وإنما منعه قول الناس ، والجائز في نفسه قد يقوم من خارج ما يمنعه ، وإذا كانت جائزة لزم أن تكون ثابتة ؛ لأن هذا شأن المكتوب .

وقد يقال : لو كانت التلاوة باقية لباقر عمر ولم يُعرج على مقالة الناس ؛ لأن مقل الناس لا يصلح مانعاً .

وبالجملة فهذه اللازمة مشككة ؛ ولعله كان يستدل أنه خبر واحد ، والقرآن لا يثبت به وإن ثبت لا يحكم^(٢) . ومن هنا أنكر ابن ظفر في «النبوع»^(٣) عد هذا مما نسخ تلاوته ، قال : لأن خبر الواحد لا يثبت به القرآن .

قال : وإنما هذا من النساء لا النسخ ، وهما مما يلتبسان ؛ واتفق بينهما أن النساء لفظه قد يعلم حكمه . انتهى .

وقوله : لعله كان يستدل أنه خبر واحد مردود ؛ فقد صح أنه تلقاها من النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فأخرج الحاكم من طريق كثير بن الصلت^(٤) ، قال : كان زيد بن ثابت وسعيد بن العاصي يكتبان [٢٣ ب] المصحف ، فقرأ على هذه الآية فقال زيد : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا زينا الشيخ والشبيبة ، فأرجعها البتة . قال عمر : لما نزلت [أتيت النبي صلى الله عليه وسلم]^(٥) قلت :

(١) البرهان : ٢ - ٣٦ (٢) في البرهان ، والاعان : وإن ثبت الحكم .

(٣) كتاب النبوع في الضمير لأبي عبد الله بن ظفر محمد بن محمد القاسمي المتوفى سنة ٦٨٥ هـ .

(٤) ابن كثير : ٢ - ٢٦١ ، وفي الاعان : بن الصامت .

(٥) من الاعان .

أكتبها ؟ فكانه كبره ذلك . قال عمر : ألا ترى أن الشيخ إذا زنى [ولم يحسن
جله ، وأن الشاب إذا زنى ^(١)] وقد أحسن رُجم .

قال ابن حجر في شرح البخاري ^(٢) : فيستفاد من هذا الحديث السبب في نسخ
تلاوتها لكون العمل على غير الظاهر من عمومها .

قلت : وخطر لي في ذلك نكتة حسنة ؛ وهو أن سيده التخفيف على الأمة
بعدم اشتهار تلاوتها وكتابتها في المصحف وإن كان حكمها باقياً ؛ لأنه أثقل
الأحكام وأشدّها ، وأغلظ الحدود ، وفيه الإشارة إلى تنبئ المتر .

وأخرج القسائي أن مروان بن الحكم ^(٣) قال لزيد بن ثابت : ألا نكتبها
في المصحف ؟ قال : لا ، ألا ترى ، أن الثابين الثيبين يرجان ؟ وقد ذكرنا ذلك ؛
قال عمر : وأنا أكفيكم ^(٤) ، قال : يا رسول الله ، أكتبني آية الرجم . قال :
لا أستطيع . قوله : أكتبني ؛ أي أثذن لي في كتابتها ، ومكني من ذلك .

وأخرج ابن الضُرَّيس في فضائل القرآن ، عن يعلى بن حكيم ، عن زيد
ابن أسلم : أن عمر خطب الناس ، فقال : لا تشكروا في الرجم ؛ فإنه حق ،
وقد همت أن أكتبه في المصحف ، فالت أبو بن كعب ، فقال : ألسنت أبيتني
وأنا أسترّها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قدفت في صدري وقلت تسترني
آية الرجم وهم يتساقدون تساقد الحر . قال ابن حجر : وفيه إشارة إلى بيان
السبب في رفع تلاوتها ؛ وهو الاختلاف .

(١) من الاتقان . (٢) في الاتقان : في شرح النهاج .

(٣) ابن كثير : ٣ - ٢٦١

(٤) في ابن كثير : أشتبكم من ذلك .

الإخبار بجملة من متركباتهم جاءت منسوقاً بعضها إلى بعض بالواو التي لا تقتضي رتياً ولا نسباً .

وأما آية « ق » فتصودُّ بها التعريفُ ، فتجيبهم من البعث الأخرى واستبعادهم إياه ، ولم يتصد هنا غير هذا ، قصد ، فربطه بالقاء ، أى عجبوا من البعث بعد الموت ، فقالوا : كذا ، فجىء لكل بما يحزره .

(فالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ^(١)) ، هى السحاب يحمل المطر . والوقر : الحمل ، وهو مفعول به .

(فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ^(٢)) : هى السفن تجرى فى البحر ، وإعرابُ « يسرا » صفة لمصدر محذوف ، ومعناه بسهولة .

(فَالْقِيَمَاتِ أَمْرًا ^(٣)) ، هى اللاتكة تقسم أمور المسكون من الأرزاق والأجال وغير ذلك . و « أَمْرًا » مفعول به .

وقيل : إن الحاملات وِقْرًا : السفن . وقيل : جميع الحيوان الحامل . وقيل : إن « الجاريات يُسرًا » السحاب . وقيل : الجارى من السكواكب . والأول أشهر ، لأنه قول على بن أبى طالب رضى الله عنه .

(فَوَرَبُّ السَّاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَخَفِيٌّ ^(٤)) : هذا قسم أقسم الله باسمه ، كقوله ^(٥) : « فَوَرَبِّكَ لَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ » .

ولما ذكر الله فى هذه الآية ررقى عباده ، وأنه يوصله لهم ، أقسم لهم الطمئناناً لنفوسهم ، ويقسم الله فى كتابه إما تقضية وإما منفعة . وأقسم بنفسه

(١) الجاريات : ٢ (٢) الجاريات : ٢ (٣) الجاريات : ٤ (٤) الجاريات : ٢٣ (٥) البحر : ٩٢

ك هذه الآيات ، وَفِعْلُهُ مِثْلُ : وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا ... الْآيَاتُ ، وَمَا ضَاهَاهَا ،
 مِنْ أَعْمَالِهِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ . وَالطُّورُ . وَالتِّينُ . وَالزَّيْلُ .
 فَإِنْ قُلْتَ : إِنْ كَانَ الْقَسَمُ لِأَجْلِ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَصْدَقُهُ بِغَيْرِ قَسَمٍ ، وَإِنْ كَانَ
 لِلْكَافِرِ فَإِنَّهُ لَا يَصْدَقُهُ ؟ فَمَا فَائِدَتُهُ ؟

وَالْجَوَابُ أَنَّ قَسَمَهُ تَعَالَى لِإِكْمَالِ الْحُجَّةِ وَتَأْكِيدِهَا ، وَالْحَاكِمُ يَقْبَلُ الْحُكْمَ
 بِاثْنَيْنِ ، إِمَّا بِالشَّهَادَةِ وَإِمَّا بِالنَّسَمِ ، فَذَكَرَ اللَّهُ الْقَسَمَ فِي كِتَابِهِ كَيْ لَا تَبْقَى لَهُمْ
 حُجَّةٌ عَلَى اللَّهِ ، فَإِنَّا اللَّهُ وَإِنَّا إِلَهُ رَاجِعُونَ عَلَى هَذِهِ الْعُقُولِ الْخَمِيسَةِ ، اخْتَارْنَا مِنْ بَيْنِ
 جَامِدٍ^(١) وَنَامٍ ، وَنَاطِقٍ وَصَامِتٍ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ اخْتَارَ النَّامِ^(٢) مِنَ الْجَامِدِ لِمَا كَانَ فِيهِ
 مِنَ الْخُسْرَةِ وَالزُّهْرَةِ وَالطَّيِّبِ وَالنَّفْعَةِ ، ثُمَّ اخْتَارَ الْحَيَوَانَ مِنَ النَّامِ^(٣) لِمَا فِيهِ
 مِنَ الْحَرَكَةِ وَالْقُوَّةِ وَالتَّصَرُّفِ وَالزَّيْتَةِ ، ثُمَّ اخْتَارَ النَّاطِقَ مِنَ الْحَيَوَانَ لِمَا فِيهِ
 مِنَ الْفَصَاحَةِ وَالتَّذَلُّاقَةِ وَالْقَطِئَةِ وَالتَّبَصُّرَةِ ، ثُمَّ اخْتَارَ الْمُتَعَنِّ مِنَ النَّاطِقِ لِمَا أَقَادَهُمْ
 مِنَ الْعِلْمِ وَالْحُجَّةِ وَالدَّعْوَةِ وَالشَّرِيعَةِ ، ثُمَّ اخْتَارَ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْمُتَعَنِّ لِمَا آتَاهُ اللَّهُ
 مِنَ الْعِرْفَةِ وَالْهُدَايَةِ وَالتَّوْحِيدِ وَالشَّهَادَةِ ، ثُمَّ اخْتَارَ الْحُبَّ بِالنَّشَاءِ وَالْبِشَارَةِ وَالْحُجَّةِ ،
 قُلْتُ تَعَالَى^(٤) : « التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ » . «^(٥) يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّوهُمْ » .
 وَاصْطَفَاكَ يَا مُحَمَّدٌ وَوَحْيَهُ ، قُلْتُ تَعَالَى^(٦) : « ثُمَّ أَوْزَيْنَا السُّكَّتَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا
 مِنْ عِبَادِنَا » . فَأَمَّا اخْتَارَ الْخِتَارَ ، وَوَعَدَكَ بِرِزْقِهِ كَيْ تَتَفَرَّغَ لِعِلْمِهِ ، وَضَمَّنَهُ لَكَ
 وَلَمْ تَتَّقِ بِضَمَانِهِ حَتَّى أَقْسَمَ لَكَ بِهِ ، فَأَعْرَضْتَ عَنْ هَذَا كُلِّهِ ، وَاسْتَنْتَلْتَ بِالْعَامِيِّ
 وَالتَّجْعُورِ عَنْ طَاعَتِهِ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ زَلَّةَ الْوَزِيرِ لَيْسَتْ كَزَلَّةِ الْعَامَةِ ، يَعْنِي الْوَزِيرُ
 فَتُخْزَبُ رَقَبَتُهُ ، وَيَعْنِي أَحَدُ الْعَامَةِ فَلَا يُبْلَغَتْ إِلَيْهِ ، أَلَيْسَ مِنَ الْعَبِيدِ الْعَظِيمِ
 وَالرِّزْقُ الْجَسِيمُ - أَنْتَ تَتَّقِي بِمَخْلُوقٍ مِثْلَكَ ، يَقُولُ لَكَ : غَدَاؤُكَ الْيَوْمَ وَالْعِشَاءُ عَلَى

(١) هَذَا بِالْأَصْلِ وَلَمْ يُبَيِّنْهَا . وَقَدْ نَبَّهَ عَلَى عَرَفَةِ عَنِ « نَائِبٍ » .

(٢) التَّوْبَةُ : ١٤٦ (٣) الْمَائِدَةُ : ٥٤ (٤) فَاطِمَةُ : ٣٢

فلا تُدَرِّسه. وتَثَبُّت بقوله ، ولا تَتَّقِ بقوله أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين !
وأعظم من هذا أن لو قاله لك يهودى أو نصرانى لو ثقت بقوله ، ولم تَتَّقِ باللهك
الذى خلقك وصوَّرك ووعدك ، ورَضِيَ الله عن الإمام على فى قوله :

أَتَطْلُبُ رِزْقَ اللَّهِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ وَتَصْبِيحُ مِنْ خَوْفِ الْعَوَاقِبِ آمَنًا
وَتَرْضَى بِطَرْفٍ وَإِنْ كَانَ مُشْرِكًا ضَمِينًا وَلَا تَرْضَى بِرَبِّكَ ضَامِنًا

قال بعضهم : نبشت على أكثر من سبعين فوجلت وجوههم بحوالة
[٢٤٠ ب] عن القَبِيْلَةِ ، وذلك آهاسهم ربهم . اللهم ارحمنا إذا صيرتنا إليك .

(قالوا سلاماً^(١)) ، نصب على أنه فى معنى الطلب ، وهو مفعول بفعل
مضمر . وموقع^(٢) الثانى مرفوع لأنه خبر تقديره : [عليكم]^(٣) سلام ؛ وهذا
على أن يكون السلام بمعنى السلامة ؛ وإن كان بمعنى التحية فإنه رفع الثانى ليدل
على إثبات السلام ، فيكون قد حياهم بأكثر مما حيَّوه ، وينتصب السلام الأول
على هذا على المصدرية ؛ تقديره سلمنا عليكم سلاما ، ويرفع الثانى بالابتداء تقديره
سلام عليكم .

(حَوَّلَى بِرُكْنَيْهِ^(٤)) ؛ أى أعرض فرعون عن الإيمان ، واستمسك بقوة
وسلطانه ، وقال : موسى سحر أو مجنون .

(هَذَّبَهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ^(٥)) ؛ لأنها كانت بالنهار ؛ زيادة
فى نكأهم ؛ إذ ليس الميت صَبْرًا كَالْقَبِيلَةِ .

(قَرِئُوا إِلَى اللَّهِ إِنَّى نَكُومُ مِنْهُ بِخَيْرٍ مُبِينٍ^(٦)) : أمر الله فى هذه الآية

(١) الفلوات : ٢٥ (٢) فى الآية نفسها : قال سلام ...

(٣) مكانها يابى فى الأصول . والتكلمة من القرطبي : ١٧ - ٤٥

(٤) الفلوات : ٢٩ (٥) الفلوات : ٤٤ (٦) الفلوات : ٥٠

أن شرف الصنعة إما لشرف موضوعها مثل الصياغة ؛ فإنها أشرف من الدبغة ؛ لأن موضوع الصياغة الذهب والفضة ، وما أشرف من موضوع الدبغة الذي هو بطل الميتة . وأما بشرف غرضها ؛ مثل صناعة الطب ، فإنها أشرف من صناعة الكفاية ؛ لأن غرض الطب إفاضة الصحة ، وغرض الكفاية تنظيف المستراح . وإيا بشدة الحاجة إليها ؛ كالقحة ؛ فإن الحاجة إليه أشد من الحاجة إلى الطب ؛ إذ ما من واقعة في الكون من أحد من المخلوق إلا وهي مفتقرة إلى الحق ؛ لأن به انتظام صلاح أحوال الدنيا والدين ، بخلاف الطب فإنه يحتاج إليه بعض الناس في بعض الأوقات .

إذا عُرِفَ ذلك فصناعة الضير قد حازت الشرف من الجهات الثلاثة ؛ أما من جهة للوضوع فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ، ومعين كل فضيلة ، فهنا ما قلنا ، وخير ما بديكم ، وحكم ما سنحكم ، لا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنفسي عجائبه .

وأما من جهة الترض فلأن الترض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى ، والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تنقضي .

وأما من جهة شدة الحاجة فلأن كل ديني أو دنيوي عاجل أو آجل منتظر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية ، وهي متروكة على العلم بكتاب الله . والكلام هنا عريض تكفل بحمه أئمتنا رضي الله عنهم .

ولما ذكرت في هذا المجموع بعض ما يحتاج إليه بعد تقرير قاعدة ؛ وهي أن كل من وضع من البشر كتاباً فإنما وضعه ليفهم بناءه من غير شرح ؛ ولما احتجج في الشرح لأمر ثلاثة :

أولها - كل قضية كلام للصنف ؛ فإنه متروكة للسلطة يجمع الناس الحققة

في اللفظ الوجيز ، ، فربما عُسِّرَ فُهُمُّ مراده ، فتصد بالشرح ظهور تلك المعاني الخفية ؛ ومن ها هنا كان شرح بعض الأئمة تصنيفه أدل على المراد من شرح غيره .

وثانيها إغفاله بعض تنمات المسائل ، أو شروطها ؛ اعتماداً على وضوحها ، أو لأنها من علم آخر ؛ فيحتاج الشارح لبيان المخوف ومراتبها^(١) .

وثالثها احتمال اللفظ لعمان ، كافي المجاز ، والاشتراك ، ودلالة الالتزام ؛ فيحتاج الشارح لبيان غرض المصنف وترجيحه .

وقد يقع في التصانيف ما لا يخلو عنه بشر من السهو والنقص ، أو تكرار الشيء ، أو حذف المهم^(٢) ، أو غير ذلك ؛ فيحتاج الشارح للتنبيه على ذلك .

[الحاجة إلى التفسير]

وإذا تقرر هذا فنقول : إن القرآن إنما نزل بلسان عربي في زمان أفصح العرب ، وكانوا يعلمون ظاهره^(٣) ، وأحكامه ؛ أما دقائق [٢٤ ب] باطنه فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر مع سؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم في الأكثر ؛ كسؤالهم لما نزل^(٤) : « وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ » ، فقالوا : وأينما لم يظلم نفسه ؛ ففسره النبي صلى الله عليه وسلم بالشرك ؛ واستدل عليه بقوله^(٥) : « إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » .

وكسؤال عائشة عن الحساب اليسير ، قال : ذلك العرض .

وكقصة عدي بن حاتم في الخيط الأسود والأبيض ، وغير ذلك مما سألوا

(٢) في الالتفات : الميم .

(٤) الأنعام : ٨٢

(١) في الالتفات : ومراتبه .

(٣) في الالتفات : ظواهره .

(٥) البقرة : ١٧

عن آحاد منه ؛ ونحن محتاجون إلى ما كانوا محتاجون إليه وزيادة على ذلك مما لم يحتاجوا إليه من أحكام الظواهر ؛ لتصورونا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم ؛ فنحن أشد الناس احتياجاً إلى التفسير .

ومعلوم أن تفسير بعضه يكون من قبيل بسط الألفاظ وكشف معانيها ، وبعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض .

فإن قلت : قد قسم به يقع النسخ إلى غير بدل . وقد قال تعالى^(١) : « مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ أَوْ مِثْلَهَا » ، وهذا إخبار لا يدخله خلف .

فالجواب ما قلناه ابن الحصار : كل ما ثبت الآن من القرآن ولم يُنسخ فهو بدل مما نُسخت تلاوته ، فكل ما نسخ الله من القرآن مما لا نفعه الآن فقد أبدله الله بما علمناه وتواتر إلينا لفظه ومعناه .

• • •

الوجبة السابعة من وجوه الإعجاز

اشتماله إلى محكم ومتشابه

فهو محكم لا يتطرق النقص إليه والاختلاف ، وشبه بعضه بغيره في الحق والصدق والإعجاز .

وقد اختلف علمونا في التعبير عن المحكم والتشابه على أقوال كثيرة ، وأنقوا فيه تواليف منيرة ، وقصدنا في هذه النبذة اختصار ما فيها .

فيل : المحكم ما عرف المراد منه ؛ إما بالظهور وإما بالتأويل . والتشابه :

ما استأثر الله بعلمه ؛ كقيام الساعة ، وخروج الدجال ، وبأجوج ومأجوج ،
والحروف للقطعة في أوائل السور .

وقال الموردي^(١) : المحكم ما لا يحتمل التأويل إلا وجهاً واحداً . والنشابه
بمخلافه^(٢) . [وقيل المحكم ما كان معقول المعنى ، والنشابه بمخلافه^(٣) كأعداد
الصنوات واختصاص الصيام برمضان دون شعبان . وقيل : المحكم ما استقل
بنفسه ، والنشابه : ما لا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره .

وأخرج الحاكم وغيره عن ابن عباس قال : الثلاث آيات من آخر سورة
الأنعام محكمات^(٤) : « قل تعالوا » ، والآيتان بعدها .

وأخرج ابن أبي حاتم من وجه آخر عن ابن عباس في قوله [تعالى : « فيه
آيات مُحْكَمَات » : قل : من ها هنا : « قبل تعالوا » إلى ثلاث آيات . من
ها هنا : « (٥) وقضى ربك^(٦) ألا تعبدوا إلا إياه ... » إلى ثلاث آيات بعدها .

قال ابن أبي حاتم : وقد روى عن عكرمة وثقافة وغيرهما أن المحكم الذي
يعمل به . والنشابه الذي يؤمن به ولا يعمل به .

واختلف أيضاً هل النشابه مما يمكن الاطلاع على علمه أو لا يعلمه إلا الله
على قولين ؛ منشؤها الاختلاف في قوله تعالى^(٧) : « والراسيخون في العلم

(١) هو الامام أبو الحسن علي بن حبيب الشافعي صاحب كتاب أدب الدنيا والدين ،
والحاوي ، والتفسير ، وكتاب الأحكام السلطانية . توفي سنة ٤٥٠ (عشرات الذهب :
٣ — ٢٨٥) .

(٢) في اللتان : ما احتمل أوجها . (٣) من اللتان .

(٤) آية ١٥١ ، والآيتان بعدها ١٥٢ ، ١٥٣ .

(٥) من اللتان . (٦) الإسراء : ٢٣ — ٢٦ .

(٧) آل عمران ، ٧ ، وما قبله : وما يعلم تأويله إلا الله ...

يقولون « ، هل هو معطوف ويقولون حال ، أو مبتدأ خبره يقولون والواو للاستئناف . وعلى الأول طائفة يسيرة ؛ منهم مجاهد وهو راوٍ عن ابن عباس : فأخرج ابن المنذر من طريق مجاهد عن ابن عباس في قوله : « وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم » - قال : أنا من يعلم تأويله [وأخرج عبيد بن حميد عن مجاهد في قوله : والراسخون في العلم - قال : يعلمون تأويله ...] ^(١) ، ويقولون آمناً به .

وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال : الراسخون في العلم يعلمون تأويله ، ولو لم يعلموا تأويله لم يعلموا ناسخه من منسوخه ، ولا حلاله من حرامه ، ولا محكمه من متشابهه .

واختار هذا القول النووي ، فقال في شرح مسلم : إنه الأصح ؛ لأنه يبعد ^(٢) أن يخاطب الله عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته .

وقال ابن الحاجب : إنه الظاهر . وأما الأكثرون من الصحابة والتابعين وتابعهم ^(٣) ومن بعدهم خصوصاً أهل السنة [فذهبوا إلى الثاني ، وهو أصح الروايات عن ابن عباس . قال ابن السعاني : لم يذهب إلى القول الأول إلا شريحة قليلة ؛ واختاره الضبي . قال : وقد كان يعتد مذهب أهل السنة] ^(٤) ؛ لكنه سقط ^(٥) في هذه المسألة . قال : ولا غرور فإن لكل جواد كبوة ، ولكل عالم حقوة .

قلت : ويدل لصحة مذهب الأكثرين ما أخرجه عبد الرزاق في [٢٥] تفسيره والحاكم في مستدركه عن ابن عباس - أنه كان يقرأ : وما يعلم تأويله

(٣) في ١ : وتابعهم .

(٢) في ب : لا يبعد .

(١) من الإتيان .

(٥) في الإتيان : سها .

(٤) من الإتيان .

إلا الله . ورتقوا . الراسخون في العلم آمنّا به ؛ فهذا يدل على أن الولو للاستئناف ؛ لأن هذه الرواية وإن لم تثبت بها القراءة لا ملى درجاتها أن تكون خبراً بإسناد صحيح إلى ترجمان القرآن ، فيقدم كلامه في ذلك على من دونه .

ويؤيد ذلك أن الآية دلت على ذم متبعي التشابه ، ووصفهم بالزئجِر وابتغاء الفتنة ؛ وعلى مدح الذين فوضوا للعلم إلى الله وسلموا إليه ، كما مدح الله المؤمنين بالغيب .

وحكى البخاري أن في قراءة أبي بن كعب أيضاً : ويقول الراسخون .

وأخرج ابن أبي دلود في المصنف من طريق الأعشى ، قال في قراءة ابن مسعود : وإن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به .

وأخرج الشيخان وغيرهما عن عائشة قالت : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (١) : هو الذي أنزل عليك الكتاب ... إلى قوله : أولو الألباب . قالت : قل رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم .

وأخرج الطبراني في الكبير عن أبي مالك الأشعري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا أخاف على أمّتي إلا ثلاث خِلَالٍ : أن يكفر لهم اللل فيحطسوا فيقتتلوا . وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذوه المؤمن يضي تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله ... الحديث .

وأخرج ابن مردويه من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قل : إن القرآن لم ينزل ليكذب به من بعضاً ، فاعرفم منه فاعملوا به ، وما تشابه منه فأمنوا به .

على الأئمة قال: يا رسول الله، أتزني الحرة؟ قال عليه السلام: لا تزني الحرة - يعني في غالب الأمر، وذلك أن الزنى في قريش إنما كان في الإماماء. فلما قال: ولا يَقْتُلْنَ أولادهم قالت: ربيتناهم صغاراً وقتلهم أنت بيدركباراً؛ فتبسم صلى الله عليه وسلم، فلما وقفهن على ألا يهصينه في معروف قالت: ما جلسنا هذا المجلس وفي أنفسنا أن نصيبك. وهذه البايعة للنساء إنما كانت في ذلك اليوم، ولا يعمل بها اليوم؛ لإجماع العلماء على أنه ليس على الإمام أن يشترط عليهن هذا. فإما أن تكون منسوخة ولم يذكر النسخ، أو يكون ترك هذه الشروط؛ لأنها قد تقررت وعلمت من الشريعة فلا حاجة إلى اشتراطها.

(فلما جاءهم بالبينات^(١)) : يحتل أن يريد عيسى أو محمد صلى الله عليه وسلم . ويؤيد الأول اتصاله^(٢) بما قبله . ويؤيد الثاني^(٣) : « وهو يدعى إلى الإسلام » ؛ لأن الداعي إلى الإسلام هو محمد صلى الله عليه وسلم .
(فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ^(٤)) : قيل إنهم ظهروا بالحجة . وقيل غلبوا الكفار بالقتل بعد رفع عيسى عليه السلام . وقيل : إن ظهور المؤمنين منهم هو بمحمد صلى الله عليه وسلم .

(قَالُوا ابْشِرْ بِهِدُونَا^(٥)) : استبعدوا أن يرسل الله بشراً ، أو تكبروا عن اتباع بشر . والبشر يقع على الواحد والجماعة .
(فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ^(٦)) : يعني في أداء الصداق والإتياع حين الطلاق . وبلوغ الأجل خطابٌ بآخر العدة . والإمساك بمعروف هو تحسين المشرة وتوفية الثقة .

(١) الصف : ٦ (٢) أى بقوله تعالى والآية نصها : وإذا قال عيسى بن مريم .

(٣) الصف : ٧ (٤) الصف : ١٤ (٥) الثاني : ٦

(٦) الطلاق : ٢

فإن قلت : ما الحكمة في تعبيره في آية البقرة بالسراح^(١) في مكان
الفرار هنا .

والجواب لاكتشاف آية البقرة النهي عن مضارة النساء ونحریم أخذ شيء
منهن ما لم يكن منهن ما يسوغ ذلك من ألا يقربا حدود الله ، فلما اكتشفها
ما ذكر وأنبأ ذلك بالمنع عن فضلين ، وتكرر أثناء ذلك ما يفهم الأمر
بمحاماتهم والإحسان إليهن حال الاتصال والانفصال لم يكن ليناسيها - قصد
من هذا أن يعبر بنقطة : « أو فارقوهن » ، لأن اقتراف الفراق أقرب إلى الإساءة منه
إلى الإحسان ، فعول إلى ما يحصل منه المقصود مع تحسين العبارة ، وهو نفي
التسريح ؛ فقال تعالى^(٢) : « فأمسكوهن معروف أو سرحوهن بمعروف » ؛
وليجري مع ما تقدم من قوله تعالى^(٣) : « الطلاق مرتان فإمساك بمعروف
أو تسريح بإحسان » . وقبل هنا : بإحسان ، ليناسب به تعالى المذكور من قوله :
أو تسريح . وقد روعي في هذه الآية كلها مقصد التلطّف ، وتحسين الحال
في الصلابة والافتراق ؛ ولما لم يكن في سورة الطلاق تعرض لمفضل ، ولا ذكر
مضارة - لم يذكر ؛ وورد التعبير بنقطة : « أو فارقوهن » ، على الانفصال ، ووقع
الاكتفاء فيما يراد [١٢٤٢] من الجملة في الحالين بقوله : معروف ؛ وبأن
اقتراق التمسكين في السررتين ، وورود كل من العبارتين على ما يجب .

(فأنفقوا عليهن حتى يضمن حملهن^(٤)) : اتفق العلماء على وجوب النفقة
للطالقة الحامل ، عملا بهذه الآية ، إذا^(٥) كان الطلاق رجعياً . وإن كان بائناً

(١) البقرة : ٢٢٩ : فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان وفيها (٢٣١) : فأمسكوهن
(٢) البقرة : ٢٢٩ : فأمسكوهن بمعروف .
(٣) البقرة : ٢٢٩ : الطلاق : ٦
(٤) البقرة : ٢٢٩ : فأنفقوا عليهن حتى يضمن حملهن .
(٥) الترمذي : ١٨ - ١٩٢

«خْتَلَفُوا فِي نَفَقَتِهَا . وَأَمَّا الْمَتَوَفَّى عَنْهَا إِذَا كَانَتْ حَامِلًا فَلَا نَفَقَةَ لَهَا عِنْدَ مَالِكٍ وَالْجُمْهُورُ ؛ لِأَنَّهُمْ رَأَوْا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ إِنَّمَا هِيَ فِي الْمَطْلُوقَةِ . وَقَالَ قَوْمٌ : لَهَا النَّفَقَةُ فِي التَّرَكَةِ .

(فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ^(١)) : هُوَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ عَلَى قَوْلِ مَنْ قَالَ إِنَّهُ مُفْرَدٌ^(٢) . وَقِيلَ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ . وَعَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهُ جَمْعٌ مَحْذُوفٌ النُّونُ لِلإِضَافَةِ فَهُوَ عَلَى الْعُمُومِ فِي كُلِّ صَالِحٍ . وَالْخُطَابُ لِنَبِيِّنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ يَعْنِي إِنَّ تَعَاوُثَهَا^(٣) عَلَيْهِ بِمَا يَسُوهُ مِنْ إِقْرَاطِ الْغَيْبَةِ وَإِفْشَاءِ سِرِّهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَإِنَّ لَهُ مَنْ يَنْصُرُهُ .

وَمَوْلَاهُ هُنَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى السَّيِّدِ الْأَعْظَمِ فَيُوقَفُ عَلَى مَوْلَاهُ ، وَيَكُونُ جِبْرِيلُ مُبْتَدَأً وَظَهِيرُ خَبْرِهِ وَخَبَرٌ مَا عَطَفَ عَلَيْهِ . وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَوْلَى هُنَا بِمَعْنَى الْمَوْلَى النَّاصِرِ ، فَيَكُونُ جِبْرِيلُ مَعْطُوفًا ، فَيُوصَلُ مَعَ مَا قَبْلَهُ ، وَيُوقَفُ عَلَى صَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيَكُونُ الْمَلَائِكَةُ مُبْتَدَأً وَظَهِيرُ خَبْرِهِ . وَهَذَا أَرْجَحُ وَأَظْهَرُ ؛ لَوْجِهَيْنِ :

أَحَدُهُمَا - أَنَّ مَعْنَى النَّاصِرِ أَلْبَقَ بِهَذَا الْمَوْضِعِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ كَرَامَةٌ لِنَبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَشْرِيفٌ لَهُ . وَأَمَّا إِذَا كَانَ بِمَعْنَى السَّيِّدِ فَذَلِكَ يَشْتَرِكُ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ غَيْرِهِ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ بِهَذَا الْمَعْنَى ؛ فَلَيْسَ فِي ذَلِكَ إِظْهَارُ مَرْيَئَةٍ لَهُ .

(١) التَّحْرِيمُ : ٤ (٢) أَيْ كَلِمَةُ صَالِحٍ . وَفِي الْقُرْطُبِيِّ (١٨ - ١٨٩) : وَقِيلَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ لَيْسَ لِقَاءَ الْوَاحِدِ ، وَإِنَّمَا هُوَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأُضَافَ الصَّالِحِينَ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَكُتِبَ بَنِي وَאוּ عَلَى الْمَنْظَرِ . (٣) فِي الْقُرْطُبِيِّ : يَعْنِي خَفِصَةً وَمِائِثَةً (١٨ - ١٨٩) .

الزيف فيظنون^(١) تأويله ، ولا يلبثون كُنْهَهُ ؛ فيرتابون به فيفتنون .

وقل ابن الحصار : قسم الله آيات القرآن إلى محكم ومتشابه ، وأخبر عن المحكمات أنها أم الكتاب ؛ لأنه إليها تروى التشابهات ، وهي التي تُعتمد في فهم مراد الله من خلقه ، أى في كل ما تعبد به من معرفته وتصديق رسله ، وامتنال أوامره ، واجتناب نواهيه . وبهذا الاعتبار كانت أمهات . ثم أخبر عن الذين في قلوبهم زيغ أنهم هم الذين يتبعون ما تشابه منه .

ومعنى ذلك أن من لم يكن على يقين من المحكمات ، وفي قلبه شك واسترابة ، كانت راحته في تتبع المشكلات المتشابهات ؛ ومراد الشارع منا التقدم إلى فهم المحكمات ، وتقديم الأمهات ، حتى إذا حصل اليقين ، ورسخ العلم لم تبال بما أشكل عليك .

ومراد هذا الذي في قلبه زيغ التبع^(٢) إلى المشكلات ، وفهم المتشابه قبل فهم الأمهات ؛ وهو عكس العقول والمعاد والشروع ، ومثل هؤلاء من المشركين الذين يترحون على رسلهم آيات غير الآيات التي جاءوا بها ، ويظنون أنهم لو جاءتهم آيات أخر آمنوا عندها جهلا منهم ، وما علموا أن الإيمان بإذن الله تعالى . انتهى .

[الآيات ثلاثة أضرب]

وقل الراغب في مفردات القرآن^(٣) : الآيات عند اعتبار بعضها ببعض ثلاثة أضرب : محكم على الإطلاق . ومتشابه على الإطلاق . ومحكم من وجه ومتشابه من وجه .

(١) في الامتحان : فيطلبون . (٢) في الامتحان : التقدم . (٣) صفة ٢٥٤

[أضرب المتشابه]

فالتشابه بالجملة ثلاثة أضرب :

متشابه من جهة اللفظ فقط ؛ ومن جهة المعنى فقط ؛ ومن جهتهما .
فالأول ضربان : أحدهما يرجع إلى الألفاظ المفردة ، إما من جهة الترابية ، نحو :
اللاذب وينزفون^(١) . أو الاشتراك كاليد والمين^(٢) .

وثانيهما يرجع إلى جملة الكلام المركب ؛ وذلك ثلاثة أضرب :
ضرب لاختصار الكلام ، نحو^(٣) : « وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى
فَانكِحُوا مَا طَلَبَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ » .

وضرب لبسطه . نحو^(٤) : « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ » ؛ لأنه لو قيل : ليس
مثل شئ . كان أظهر للسامع .

وضرب لنظم الكلام ؛ نحو^(٥) : « أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ
عِوَجًا . قَيِّمًا » . تقديره : أنزل على عبده [١ ٢٦] الكتاب قيا ، ولم يجعل
له عوجًا .

والتشابه من جهة المعنى أوصاف الله تعالى ، وأوصاف القيامة ؛ فإن تلك
الصفات لا تُتصور لنا إذ كان لا يحصل في نفوسنا صورة ما لم نحمه ، أو ليس
من جنسه .

والتشابه من جهتها خمسة أضرب :

الأول — من جهة الكمية ، كالعموم والخصوص ؛ نحو^(٦) : « فَاقْتُلُوا
الشُّرَكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ » .

(١) في الالتفات : واليبين .

(٢) في الالتفات والقرينات : وينزفون .

(٣) في الالتفات : واليبين .

(٤) في الالتفات : واليبين .

(٥) في الالتفات : واليبين .

(٦) في الالتفات : واليبين .

والثاني — من جهة الكيفية ؛ كالوجوب والندب ؛ نحو^(١) : « فانسكحوا ما طاب لكم من النساء » .

والثالث — من جهة الزمان ، كالذاسخ والمنسوخ ؛ نحو^(٢) : « اتقوا الله حق تقاته » .

والرابع — من جهة المكان والأمر التي نزلت فيها ؛ نحو^(٣) : « ولبس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها » . « إنما^(٤) النسي زيادة في الكفر » . فإن من لا يعرف عاداتهم في الجاهلية يتعذر عليه تفسير هذه الآية .

والخامس — من جهة الشروط التي يصح بها الفعل ويفسد ، كشروط الصلاة والنكاح .

قال : وهذه الجملة إذا ته ورت علم أن كل ما ذكره المفسرون في تفسير التشابه لا يخرج عن هذه التقاسيم .

ثم جميع التشابه على ثلاثة أضرب :

ضرب لا سبيل إلى الوقوف عليه ، كوقت الساعة ، وخروج الدابة ، ونحو ذلك .

وضرب لسان سبيل إلى معرفته ؛ كالألفاظ الغريبة ، والأحكام الغلقة . وضرب متردد بين الأمرين يختص بمعرفة بعض الراسخين في العلم ، ويختص على من دونهم ، وهو المشار إليه بقوله صلى الله عليه وسلم [لابن عباس : ^(٥) اللهم هه في الدين ، وعلمه التأويل .

وإذا عرفت هذه الجملة عرفت أن الوقوف على قوله^(٦) : « وما يعلم تأويله

(٣) البقرة : ١٨٩

(٢) آل عمران : ١٠٢

(١) النساء : ٣

(٦) آل عمران : ٧

(٥) من الاطمان .

(٤) التوبة : ٣٧

(١٠ - في إخبار القرآن)

إلا الله ، ووصله بقوله : « والراسخون في العلم » - جازان ، وأن لكل واحد منهما وجهاً حسبما دل عليه التفصيل المتقدم . انتهى .

[لا يصرف اللفظ عن الراجع إلا بدليل]

وقال الإمام فخر الدين : صرف اللفظ عن الراجع إلى المرجوح لا بد فيه من دليل منفصل ؛ وهو إما لفظي وإما عقل . والأول لا يمكن اعتباره في المسائل الأصولية ؛ لأنه لا يكون قاطعاً ؛ لأنه موقوف على انتفاء الاحتمالات المشبهة المعروفة ، وانتفاء ما مغنون ، والموقوف على المظنون مغنون ، واللفظ لا يكتفي به في الأصول .

وأما الخلق فإنه يفيد صرف اللفظ عن ظاهره لكون الظاهر محالاً .
وأما إثبات المعنى المراد فلا يمكن بالعقل ؛ لأن طريق ذلك ترجيح مجاز على مجاز وتأويل على تأويل ؛ وذلك الترجيح لا يمكن إلا بالدليل اللفظي ؛ والدليل اللفظي في الترجيح ضعيف لا يفيد إلا الظن ؛ والظن لا يعول عليه في المسائل الأصولية [القطعية ؛ ^(١)] فهذا اختار الأئمة المحققون من السلف والخلف - بعد إقامة الدليل القاطع على أن حمل اللفظ على ظاهره محال - ترك الخوض في تفسير التأويل . انتهى .

وحسبك بهذا الكلام من الإمام .

فصل

من التشابه آيات الصفات . ولابن اللبان فيها تصنيف مفرد ؛ نحو ^(٢) :
« الرَّحْمَنُ عَلَى الْمَرْثَى اسْتَوَى » . « كُلُّ ^(٣) شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ... » .

(٢) القصص : ٨٨

(٣) طه : ٥

(١) من الإعلان .

«يَدُّ» (١) اللهُ قَوْقَ أَيْدِيهِمْ ، ونحوها .

وجهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها ، وتفويض معناها المراد إلى الله تعالى ، ولا غسرها مع تنزيها له عن حقيقتها .

أخرج أبو القاسم اللالكائي (٢) من طريق في السنة (٣) ، عن الحسن ، عن أمه ، عن أم سلمة في قوله (٤) : « الرحمنُ عَلَى العرشِ استَوَى » ؛ قال : الكيف غير معقول ، والاستواء غير مجهول ، والإقرار به من الإيمان ، والجحود به كفر .

وأخرج أيضاً عن محمد بن الحسن ، قال : اتفق الفقهاء كلهم من الشرق إلى المغرب على الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه .

وقال الترمذي في الكلام على حديث الرؤية : المذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة - مثل سفين التورى ، ومالك ، وابن المبارك ، وابن عينة ، ووكيع ، وغيرهم - أنهم قالوا : نروى هذه الأحاديث كما جاءت وتؤمن بها ، ولا يقال كيف ؟ ولا نهر ولا تتوهم .

وذهبت طائفة من أهل السنة أننا تؤولها على ما يليق بجلاله تعالى ؛ وهذا مذهب الخلف . وكان إمام الحرمين يذهب إليه ، ثم رجع عنه ؛ قال في الرسالة النظامية : الذي يرتضيه ديناً وتدين الله به [٢٦ ب] عقداً اتباع سلف الأمة ، فإنهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها .

وقال ابن الصلاح (٥) : وعلى هذه الطريقة معنى صدر الأمة وساداتها ، وإياها

(١) الفتح : ١٠

(٢) هو حجة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي ، كان من فقهاء الشافعية ، وصاحب كتاب السنن ، توفي سنة ٤١٨ (تاريخ بغداد : ١٤ - ٧٠) .

(٣) في الإتيان : في السنة من طريق قرعة بن خالد عن الحسن .

(٤) البرهان : ٢ - ٧٨

(٥) ط : هـ

اختار أئمة الفقهاء وقادتها ، وإليها دعا أئمة الحديث وأعلامه ، ولا أحد من المتكلمين من أصحابنا يصدف عنها ويأبأها .

[مذهب التأويل]

واختار ابن برهان^(١) مذهب التأويل ؛ قال : ومنشأ الخلاف بين المريقين : هل يجوز أن يكون في القرآن شيء لم يُعلم معناه أم لا ؟ بل يعلمه الراسخون .
وتوسط ابن دقيق العيد ، فقال : إذا كان التأويل قريباً من لسان العرب لم ينكر ، أو بعيداً توقفتنا عنه ، وآمنا بمعناه على الوجه الذي أريد به التنزيه .
قال : وما كان معناه من هذه الألفاظ ظاهراً مفهوماً من مخاطب العرب قلنا به من غير توقف ، كما في قوله^(٢) : « يا حشرني على ما فرطت في جنب الله » .
فنحمله على حق الله وما يجب له .

وكذا استواؤه على العرش بالعدل والقهر ؛ كقوله^(٣) : « قائماً بالقسط » ؛
فقيامه بالقسط والعدل هو استواؤه ، ويرجع معناه إلى أنه أعطى كل شيء خلقه
موزوناً بحكته البالغة .

وقد أكثر الناس في جواب هذه الآية حتى أنهاء إلى عشرين حديثاً
للإطالة .

[النفس]

ومن ذلك قوله تعالى^(٤) : « تعلم ما في نفسي » . خرج على سبيل الشاكلة ،
مراداً به الغيب ؛ لأنه مشتركاً لنفس .

(١) هو أبو الفتح أحمد بن علي بن برهان النافعي أحد علماء الأصول وصاحب كتاب
البيضا والوجيز ، توفي سنة ٥٢٠ هـ .

(٢) المائدة : ١٩ .

(٣) آل عمران : ١٨ .

(٤) الزمر : ٥٦ .

وقوله ^(١) : « ويحذركم الله نفسه » ؛ أى عقوبته ، وقيل إياه .
 وقال السهيلي ^(٢) : النفس عبارة عن حقيقة الوجود دون معنى زائد .
 وقد استعمل من لفظها النفاسة ، والشئ النفيس ؛ فصلحت للتعبير عنه سبحانه .
 وقال ابن اللبان : أولها العشاء بتأويلات ؛ منها أن النفس عبر بها
 عن الذات ؛ قال : وهذا وإن كان سائغاً فى اللغة ، ولكن تعدى الفعل إليها
 بـ فى المفيد للظرفية محال عليه تعالى . وقد أولها بعضهم بالغيب ؛ أى ولا أعلم
 ما فى غيبك وسرك . قال : وهذا حسن ؛ لقوله آخر الآية : إلمك أنت علام
 الغيوب .

[الوجه]

ومن ذلك « الوجه » ، وهو مؤول بالذات .
 وقال ابن اللبان - فى قوله ^(٣) : « يُريدون وجهه » . « إنما ^(٤) نطعمكم
 لوجه الله » . « ابتغاء ^(٥) وجه الله » : المراد إخلاص النية .
 وقال غيره فى قوله ^(٦) : « فَمَّ وَجْهُ اللَّهِ » ؛ أى الجهة التى أمر بالتوجه إليها .

[العين]

ومن ذلك « العين » ، وهى مؤولة بالبصر أو الإدراك ؛ بل قال بعضهم :
 إنها حقيقة فى ذلك ، خلافاً لتوهم بعض الناس أنها محار ؛ وإنما المجاز فى تسمية
 العضو بها .

(١) آل عمران : ٢٨

(٢) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الديلى ، صاحب كتاب الروى الألف
 على سيرة ابن هشام . تولى سنة ٥٨١ (إنباء الرواة : ٢ - ١٦٢) .

(٣) الأنعام : ٥٦ (٤) الدهر : ٩ (٥) البقرة : ٢٧٢

(٦) البقرة : ١٦٥

وقال ابن اللبان : نسبة العين إليه تعالى اسم لآياته البصرة ، بها سبحانه ينظر
 للمؤمنين وبها ينظرون إليه . قال ^(١) : « فلما جاءتهم آياتنا مبصرة » . نسب
 البصر للآيات على سبيل المجاز تحقيقاً لأنها المرادة المنسوبة إليه . وقال ^(٢) :
 « قد جاءكم بصائر من ربكم . فمن أبصر فلنفسه ومن عى فلعينها » .
 قال : قوله ^(٣) : « واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا » ؛ أى بآياتنا
 تنظر ^(٤) إليها بنا وننظر بها إليك ؛ قال : ويؤيد أن المراد بالأعين الآيات كونها
 علل بها الصبر لحكم ربه صريحاً [فى قوله : ^(٥) « إنا نحن نزلنا عليك القرآن
 تنزيلاً . فاصبر لحكم ربك » ^(٦) . قال : وقوله فى سفينة نوح ^(٧) : « تجرى
 بأعيننا » ؛ أى بآياتنا ، بدليل قوله ^(٨) : « وقال ازكبوا فيها بسم الله مجريها
 ومرسها » . وقال ^(٩) : « لتضع على عينى » ؛ أى على حكم آيتى التى أوحيتها
 إلى أمك : « أن أرضيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ... » الآية . انتهى .
 وقال غيره : المراد فى الآيات كلالته وحفظه .

(اليد)

ومن ذلك اليد [فى قوله تعالى ^(١) : « لما خلقت يدي » . « يد ^(٢) الله
 فوق أيديهم » . « مما ^(٣) عملت أيدينا » . « إن ^(٤) الفضل بيد الله » ، وهى ^(٥)
 مؤولة بالقدرة .

وقال السهلى : اليد فى الأصل كالمصدر ^(٦) عبارة عن صفة لموصوف ،

- | | | |
|--|--------------------|--------------------|
| (١) النمل : ١٣ | (٢) الأنعام : ١٠٤ | (٣) الطور : ٨ |
| (٤) فى الإلتقان : تنظر بها إلينا . | (٥) من الإلتقان . | |
| (٦) الإنسان : ٢٣ | (٧) القصص : ١٤ | (٨) هود : ٤١ |
| (٩) طه : ٣٩ | (١٠) م : ٧٥ | (١١) النحل : ١٠ |
| (١٢) يس : ٧١ | (١٣) آل عمران : ٧٣ | (١٤) من الإلتقان . |
| (١٥) فى الإلتقان : كالصبر . وانتهت فى البرهان أيضاً (٢ - ٨٥) . | | |

ولذلك مدح سبحانه بالأيدى مقرونة مع الأبصار في قوله^(١) : « أولى الأيدى والأبصار » ؛ ولم يمدحهم بالجوارح ، لأن المدح إنما يتعلق بالصفات لا بالجواهر . قال الأشعري : إن اليد صفة ورد بها الشرع .

والذي يلوح من معنى هذه الصفة أنها قريبة من معنى القدرة ، إلا أنها أخص ، والقدرة أعم ، كاللحبة مع الإرادة والمشيئة ، فإن في اليد تشريعاً لازماً .

وقال البغوي^(٢) في قوله : « يدي » : في تحقيق الله التثنية في اليد دليل على أنها ليست بمعنى القدرة والقوة والنعمة ، وأنها هنا صفتان من صفات ذاته . وقال مجاهد^(٣) : اليد هنا صفة^(٤) وتأكيدي لقوله^(٥) : « وَبَقِيَ وَجْهُ » [١٢٧] رَبِّكَ .

قال البغوي : وهذا تأويل غير قوي ؛ لأنها لو كانت صفة لكان لإبليس أن يقول : إن كنت خلقتك فقد خلقتني ؛ وكذلك في القدرة والنعمة لا يكون لآدم في الخلق مزية على إبليس .

وقال ابن اللبان^(٦) : فإن قلت : فما حقيقة اليدين في خلق آدم ؟ قلت : الله أعلم بما أراد ، ولكن الذي استغمرته من تدبر كتابه أن اليدين استمارة لنور قدرته القائم بصفته فضله ولنوره^(٧) القائم بصفته عدله ؛ ونبه على تخصيص آدم وتكريمه

(١) م : ٤٥ (٢) البرهان : (٢ - ٨٦) .

(٣) في البرهان ، والاتقان : صلة . (٤) الرحمن : ٢٧ .

(٥) هو أحمد بن أحمد بن عبد المؤمن البغدادي ، مفسر من علماء العربية ، وله كتاب « رد معاني الآيات المتشابهات إلى معاني الآيات المحكمات » . توفي سنة ٧٤١ (المردد - كلمته : ٣ - ٣٣) .

(٦) م : ١ : لنورها .

بأن جمع له في خلته بين فضله وعدله ؛ قال : وصاحبة القفل هي اليمين التي ذكرها في قوله ^(١) : « وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ » .

[الساق]

ومن ذلك قوله تعالى ^(٢) : « يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ » . معناه عن شدة وأمر عظيم ؛ كما يقال : قامت الحرب على ساق .

وأخرج الحاكم في المستدرك من طريق عكرمة ، عن ابن عباس — أنه مثل عن قوله ^(٣) : « يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ » . قال : إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه ^(٤) في الشعر ؛ فإنه ديوان العرب ؛ أما سمعتم قول الشاعر :

اصبر عَنَّا إِنَّهُ شَرٌّ بَاقٍ . قد سنّ لي قومك ضربَ الأعناقِ

وقامت الحربُ بنا على ساقٍ

قال ابن عباس : هذا يوم كرب وشدة .

[الفوقية]

ومن ذلك صفة الفوقية في قوله ^(٥) : « وَهُوَ السَّاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ » . « يَخَافُونَ ^(٦) رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ » . المراد بها العلو من غير جهة . وقد قال فرعون ^(٧) : « وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ » . ولا شك أنه لم يرد العلو المكاني .

[المجيء]

ومن ذلك صفة المجيء في قوله ^(٨) : « وَجَاءَ رَبُّكَ » . أو يَأْتِي رَبُّكَ ؛

(١) الزمر : ٦٧	(٢) القلم : ٤٢	(٣) في الإتحاف : مابضوه .
(٤) الأنعام : ١٨	(٥) النحل : ٥٠	(٦) الأعراف : ١٢٧
(٧) النجمل : ٢٢		

أى أمره ؛ لأن الملك يحىء بأمره أو بتسليطه ، كما قال تعالى ^(١) : « وم بأمره يَمَكُون » ؛ فصار كما لو صرح به .

وكذا قوله ^(٢) : « اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ » :
أى اذهب [بربك ، أى] ^(٣) بتوفيقه وقربه ^(٤) .

[الحب]

ومن ذلك صفة الحب فى قوله ^(٥) : « يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ » . « فَاتَّبِعُونِي ^(٦) يُحِبِّبْكُمْ اللَّهُ » .

[الغضب والعجب والرضا والرحمة]

وصفة الغضب فى قوله : « غَضِبَ اللَّهُ » . وصفة الرضا فى قوله :
« رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ » .

وصفة العجب فى قوله ^(٧) : « بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ » — بضم التاء .
وقوله ^(٨) : « وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ » .
وصفة للرحمن فى آيات كثيرة .

وقد قال العلماء : كل صفة يستحيل حقيقتها على الله تعالى تفسر بلازمها .

[جميع الأعراض النفسانية]

قال الإمام فخر الدين : جميع الأعراض النفسانية — أعنى الرحمة ، والفرح ،
والسرور ، والغضب والحياء والكره ^(٩) والاستهزاء لها أوائل ولها غايات ؛ مثله

(١) الأبياء : ٢٧ (٢) المائدة : ٢٤ (٣) من الإنشقاق .
(٤) فى الإنشقاق : وفوته . (٥) المائدة : ٥٤ (٦) آل عمران : ٢١
٧ الطهات : ١١ (٨) الرعد : ٥ (٩) فى الإنشقاق : والمكر .

النضب ؛ فإن أوله غيان القلب ، وغايته إرادة إيصال الضرر إلى المضروب عليه ،
فلفظ التضب في حق الله لا يحمل على أوله الذي هو غيلان دم القلب ؛ بل على
غرضه الذي هو إرادة الإضرار .

وكذلك الحياء له أول ، وهو انكسار يحصل في النفس ، وله غرض
وهو ترك الفعل ؛ فلفظ الحياء في حق الله يحمل على ترك الفعل لا على انكسار
النفس . انتهى .

وقال الحسين بن الفضل^(١) : العجب من الله إنكار الشيء وتنظيمه . ومثل
الجنيد عن قوله : « وإن تعجب فعجب قولهم » ؛ [فقال : إن الله لا يعجب من
شيء ، ولكن الله وافق رسوله ، فقال : وإن تعجب فعجب قولهم]^(٢) ؛ أي هو
كما تقول .

[العنصرية]

ومن ذلك لفظة « عند » في قوله^(٣) : « عِنْدَ رَبِّكَ » . و^(٤) « من عنده » .
ومعناها الإشارة إلى التمكن والزلفى والرفقة .

[المعبية]

ومن ذلك قونه^(٥) : « وهو معكم أين ما كنتم » ؛ أي بفضله .
وقوله^(٦) : « وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سرركم » . قل البيهقي :
الأصح أن معناه أنا العبود في السموات وفي الأرض ؛ مثل قوله^(٧) : « وهو الذي
في السماء إله وفي الأرض إله » .

(٣) الأعراف : ٢٠٦

(٦) الأنعام : ٣

(٢) من الإتيان .

(٥) الحديد : ٤

(١) البرهان : ٢ - ٨٨

(٤) المائدة : ٥٢

(٧) الزخرف : ٨٤

وقال الأشعري : الفرف متعلق يعلم ، أى عالم بما فى السموات والأرض .
وبن ذلك قوله تعالى^(١) : « سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ » ، أى قعند
جزاءكم .

قال ابن اللبان : ليس من المتشابه قوله تعالى^(٢) : « إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ » ،
لأنه فسر به بقله : إنه هو يبدى ويبد ، تنبها على أن بطشه عبارة عن
تصرفه فى بدنه وإعادته ، وجميع تصرفاته فى مخلوقاته .

[من المتشابه أوائل السور]

ومن المتشابه أوائل السور . ويلاحظ فيها [٢٧ ب] أنها أيضا من الأسرار
التي افرد الله بطلها . وقد كثرت الأقوال فيها ، ومرجسها كلها إلى قول واحد ،
وهو أنها حروف مقطعة ، كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسماء تعالى .
والاكثناء ببعض الكلمة معهود من العربية ، قال الشاعر^(٣) :

قُلْتُ فَنِي قَالَتْ قَالَتْ

أى وقت . وقال^(٤) :

بالخير خيرات وإن شراً ق لا أريد الشر إلا أن تأ^(٥)

قولا^(٦) جيا كلمهم ألقا

أراد ألا تركبوا إلا قاذبوا . وهذا القول اختاره الزجاج . وقال : العرب
تنطق بالحرف الواحد تدل على الكلمة التي هو منها .

(١) الرحمن : ٢١ (٢) البروج : ١٢

(٣) الأغاني : ٥ - ١٣٩ ، تفسير الخنزي : ١ - ٢١٢ ، الملحق : ٩٤

(٤) الموشح : ١٥ ، سيويه : ٢ - ٦٢ ، شرح شواهد الثاقبة : ٢٦٢

(٥) أراد وإن شراً فسر . وإلا أن تناء .

(٦) فى الإيمان قبله : وقال : نادى ألا الجوا ألقا ، وهو لازم ليوافق تفسيره الآتى به .

وقيل : إنها الاسم الأعظم ، إلا أنا لا نعرف تأليفه منها ، وكذا قاله ابن عطية .

وأخرج ابن جرير بسند صحيح عن ابن مسعود ، قال : هو اسم الله الأعظم .

• قال السهيلي : لعل عدد الحروف التي في أوائل السور مع حذف المكرر للإشارة إلى مدة بقاء هذه الأمة .

قال ابن حجر : وهذا باطل لا يُعتمد عليه ؛ فقد ثبت عن ابن عباس الزجر عن عد « أبي جاد » والإشارة إلى أن ذلك من جملة السحر ؛ وليس ذلك بعيد ؛ فإنه لا أصل له في الشريعة .

وقد قال القاضي أبو بكر بن العربي في فوائد رحلته : ومن الباطل علم الحروف المقطعة في أوائل السور . وقد تحصل لي فيها عشرون قولاً ، وأزيد ، ولا أعرف واحداً يحكم عليها بعلم ، ولا يصل فيها إلى فهم . والذي أقول إنه لولا أن العرب كانوا يعرفون أن لها مدلولاً متداولاً بينهم لكانوا أول من أنكر ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم . بل تلاعابهم حم فصلت ومن غيرها فلم ينكروا ذلك ؛ بل صرحوا بالتسليم له في البلاغة والتصاحبة مع تشوفهم إلى عثرة ، وحرصهم على زلة ؛ فدل على أنه كان أمراً معروفاً عندم لا إنكار فيه .

وقيل : هي تنبيهات كما في النداء — عنه ابن عطية من أئمة القول بأنها فواتح . والظاهر أنه معناه . قال أبو عبيدة : آلم افتتاح كلام . وقال الخوفاً (١) : أقول بأنها تنبيهات جيد ؛ لأن القرآن كلام عزيز وفوائده غزيرة ؛ فيريد (٢) أن يرد على سمع متنبه ، فكان من الجائز أن يكون الله قد علم في بعض الأوقات كون

(١) في الإتيان : الحرف . والتبث و ا ، ب .

(٢) في الإتيان : فينبغي .

النبي صلى الله عليه وسلم في عالم البشر مشغولاً ، فأمر جبريل أن يقول عند نزوله
آلهم ، ولمر ، وحم ؛ ليسمع النبي صلى الله عليه وسلم صوت جبريل ، فيقبل عليه
ويصفي إليه ، وإنما لم يستعمل الكلمات المشهورة في التنبيه كالألا وأما ، لأنها
من الألفاظ التي يتعارفها الناس في كلامهم ، والقرآن كلام لا يشبه الكلام ،
فناسب أن يؤتى فيه بالألفاظ تنبيه لم تعهد ليكون أبلغ في قرع سمعه .

وقيل : إن العرب كانوا إذا سمعوا القرآن لغوا فيه ، فأنزل الله هذا النظم
البديع ليعجبوا به ويكون تعجبهم منه سبباً لاستماعهم ؛ واستماعهم له سبب
لاستماع ما بعده ؛ فترق القلوب وتلين الأفتدة .

عد هذا جماعة قولاً مستقلاً . والظاهر خلافه ؛ وإنما يصلح هذا مناسبة لبعض
الأقوال لا قولاً في معناه ، إذ ليس فيه بيان معنى .

وقيل : إن هذه الحروف ذكرت لتدل على أن القرآن مؤلف من الحروف :
ألف ، ب ، ت ، ث ؛ فجاء بعضها مقطوعاً وبعضها مؤلفاً ؛ ليدل القوم الذين نزل
القرآن باقتحامهم أنه بالحروف التي يعرفونها ، فيكون ذلك تقريباً لهم ، ودلالة
على عجزهم أن يأتوا بمثله ، بعد أن علموا أنه منزل بالحروف التي يعرفونها ،
ويبينون كلامهم عليها . وفي المحتسب لابن جني أن ابن عباس قرأ حم سق ، بلا عين
ويقول : السين كل فرقة تكون . والقاف كل جماعة تكون . قال ابن جني :
وفي هذه القراءة دليل على أن القوافي فواصل بين السور ، ولو كانت أسماء
لم يجز تحريف شيء منها .

وقيل السكروماني في غرائب : في قوله () : « آلهم : أحسب الناس ؟ »
الاستعظام عند يدل على انقطاع الحروف عما بعدها في هذه السورة وفي غيرها .

فإن قلت : هل للحكم على التشابه مزية أم لا ؟ فإن قلم بالثاني فهو خلاف الإجماع ، أو بالأول قد نقضتم أصلكم في أن جميع [٢٨ ١] كلامه سبحانه سواء ، وأنه منزل بالحكمة .

وأجاب أبو عبد الله البكر أباذى^(١) بأن الحكم كالتشابه من وجه ، ومخالفة من وجه ؛ فيقتضي أن الاستدلال بهما لا يمكن إلا بعد معرفة حكمة الواضع ، وأنه لا يختار التيسير . ويختلفان في أن الحكم بوضع اللغة لا يحتل إلا الوجه الواحد ، فمن سمى أمكنه أن يستدل به في الحال . والتشابه يحتاج إلى فكرة ونظر^(٢) ، ليحمله على الوجه المطابق ، ولأن الحكم أصل ، والعلم بالأصل أسبق ، ولأن الحكم يُعلم منفصلاً ، والتشابه لا يعلم إلا مجملًا .

[لماذا اشتمل القرآن على التشابه]

فإن قلت : وقد أراد الحق البيان والهدى لعباده ، وأمر بذلك رسوله في قوله : لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ .

والجواب أن له فوائد :

أحدها الحث للعلماء على النظر في الموجب للعلم بغوامضه والبحث عن دقائمه ، فإن استدعاء المهتم لمعرفة ذلك من أعظم القرب إن كان مما يمكن عنه .

وثانيها إظهار التفاضل وتفاوت الدرجات ؛ إذ لو كان القرآن كله محكمًا لا يحتاج إلى تأويل ونظر لاستوت منازل الخلق ، ولم يظهر فضل العالم على غيره .

وإن كان مما لا يمكن علمه فله فوائد : منها ابتلاء العباد بالوقوف عنده

(١) البرهان : ٢ - ٧٦ . وفي الباب : هذه التوبة إلى عملة معروفة بحرجان ، يقال لها بكراباذ ، وقد نصب إليها البكر أوى .

(٢) في البرهان : والتشابه يحتاج إلى ذكر مبتدأ ونحوه مجدد عند - بأخيه لبحمله

[لوقوع المتشابه فوائد]

قال : والجواب أن العلماء ذكروا لوقوع المتشابه فوائد لوجوه :

منها أنه يوجب مزيد المشقة في الوصول إلى المراد منه ، وزيادة الشقة توجب مزيد الثواب .

ومنها أنه لو كان القرآن كله محكماً لما كان مطابقاً إلا لمذهب واحد ، وكان بغيره مبطلاً لما سوى ذلك المذهب ؛ وذلك مما يُخفف أرباب سائر المذاهب عن قبوله ، وعن النظر فيه ، والانتفاع به ؛ فلما كان مشتملاً على المحكم والمتشابه طمع صاحب كل مذهب أن يجد فيه ما يؤيد مذهبه ويصير مقالته ؛ فينظر فيه جميع أرباب المذاهب ، ويجتهد في التأمل فيه صاحب كل مذهب ؛ وإذا بالغوا في ذلك صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات ؛ وبهذا الطريق يتخلص البطل من باطله ، ويتصل إلى الحق .

ومنها أن القرآن إذا كان مشتملاً على المتشابه افتقر إلى العلم بطريق التأويلات ، وترجيح بعضها على بعض ، واقتصر في تعلم ذلك إلى تحصيل علوم كثيرة من علم اللغة والنحو والمعاني والبيان وأصول الفقه ، ولو لم يكن الأمر كذلك لم يحتاج إلى تحصيل هذه العلوم الكثيرة ؛ فكان في إيراد المتشابه هذه الفوائد الكثيرة .

ومنها أن القرآن مشتمل على دعوة [٢٨ ب] الخواص والعوام ؛ وطباع العوام تنفر في أكثر الأمر عن درك الحقائق ، فمن سمع من العوام في أول الأمر إثبات موجود ليس بجسم ولا متعيز ولا مشار إليه ظن أن هذا عدم وبني ، فوقع في التعطيل ؛ فكان الأصلح أن يخاطبوا بألفاظ دالة على بعض ما يناسب

ما توهّموه وتمخّلوه ، ويكون ذلك مخلوطاً بما يدل على الحق المريح . فالقسم الأول هو الذى يخاطبون به فى أول الأمر من المقشابات . والقسم الثانى هو الذى يكشف لهم فى آخر الأمر من المحكمات .

• • •

الوجوه العاشرة من وجوه العجساره

اختلاف ألقاظه فى الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرها

وقد ألفت الناس فى هذا الفن تواليف كابن الجزرى والشاطبى وغيرها ممن لا نطوّل بذكرهم .

[القراءات السبع متواترة]

وبالجملة فالقراءات السبع متواترة عند الجمهور . وقيل : بل مشهورة . وقال الزركشى^(١) : والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة . أما تواترها عن النبى صلى الله عليه وسلم فبه نظر ؛ فإن إسنادهم بهذه القراءات السبعة موجود فى كتب القراءات ، وهى نقل الواحد عن الواحد .

قلت : فى ذلك نظر لما سيأتى ، واستثنى أبو شامة الألقاظ المختلف فيها عن القراء ، واستثنى ابن الحاجب ما كان من قبيل الأداء ؛ كالمدة والإمالة وتخفيف الهززة . وقال غيره : الحق أن أصل المد والإمالة متواتر ، ولكن التقدير غير متواتر للاختلاف فى كيفيته ، كذا قال الزركشى . قال : وأما أنواع تخفيف^(٢) الهززة فكلها متواترة .

(٢) فى الإطال : تحقيق .

(١) البرهان : ١ - ٢١١

(١١٠ - فى إعجاز القرآن)

وقال ابن الجزرى : لا نعلم أن أحداً قدم ابن الحاجب إلى ذلك ، وقد نص على تواتر ذلك كله آئنة الأصول : كالتأني على بكر وغيره ، وهو الصواب ؛ لأنه إذا ثبت تواتر اللفظ ثبت تواتر هيئة أدائه ؛ لأن اللفظ لا يقوم إلا به ، ولا يصح إلا بوجوده .

[معرفة توجيه القراءات]

قال السكاكشي^(١) : من المهم معرفة توجيه القراءات ، وفائدته أن يكون دليلاً على حسب الدلول عليه أو مرجحاً ، إلا أنه ينبغي التنبيه على شيء ؛ وهو أنه قد ترجح إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحاً يكاد يستلها ، وهذا غير مرضى لأن كلا منهما متواتر .

وقد حكى أبو عمر الزاهد في كتاب « البواقيت » عن ثعلب أنه قال : إذا اختلف إعرابان في القرآن لم أفضل إعراباً على إعراب ، فإذا خرجت إلى كلام الناس فضلت الأقوى .

وقال أبو جعفر النعمان^(٢) : السلامة عند أهل الدين — إذا صححت القراءتان — ألا يقال إحداهما أجود ؛ لأنها جميعاً^(٣) عن النبي صلى الله عليه وسلم : فيأثم من قال ذلك ، وإن كان^(٤) رؤساء الصحابة ينكرون مثل هذا .

وقال أبو شامة : أكثر المصنفون من الترجيح بين قراءة مالك ومالك

(١) هو أحمد بن يوسف بن حسن السكاكشي الموصلى الشافعى ، تولى سنة ٦٨٠ ، وله كتابان في التفسير : أحدهما التبصرة ، والثاني التلخيص ، ذكرهما صاحب كشف المكنون . وانظر البرهان (١ - ٣٣٩) .

(٢) البرهان : ١ - ٢٤٠ (٣) و ١ : لأنها أجود ...

(٤) في ١ : وإن كان من رؤساء ...

حتى إن بعضهم يبالغ إلى حد يسقط وجه القراءة الأخرى ؛ وليس هذا بمحمود
بعد ثبوت القراءتين . انتهى .

وقال بعضهم : توجيه القراءات الشاذة أقوى في الصناعة من توجيه
المشهور .

تنبيهات

الأول - قال النخعي : كانوا يكرهون أن يقولوا قراءة سالم ، وقراءة
عبد الله ، وقراءة أبي ، وقراءة زيد ؛ بل يقال فلان كان يقرأ بوجه كذا ، [وفلان
كان يقرأ بوجه كذا]^(١) . قال النووي : والصحيح أن ذلك لا يُكره .

الثاني - قال أبو شامة : ظن قوم أن القراءات السبع للوجود الآن هي
التي أريدت في الحديث ، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة ، وإنما ظن ذلك
بعض أهل الجهل .

وقال أبو العباس بن عمار : لقد قل^(٢) مُسَبَّح هذه السبعة بما لا ينبغي له ،
وأشكّل هذا الأمر على العامة بإيهامه كل مَنْ قَلَّ ظنّه أن هذه القراءات
للمذكورة في الخبر ، وليته إذا اقتصَرَ نَقَصَ عن السبعة أو زاد ليزيل الشبهة .
ووقع له أيضا في اتصاله عن كل إمام على رِوَايَتَيْن - أنه صار مَنْ سمع قراءة
رِوَايَتَيْنِ غيرهما أبطلا ، وقد تكون هي أشبه وأوضح وأظهر ، وربما بالغ
مَنْ لا يفهم فنطأ أو كفر .

وقال أبو بكر بن العربي : ليست هذه السبعة متينة للجواز حتى [٢٩]
لا يجوز غيرها ، كقراءة أبي جفر ، و [شية ، و]^(٣) الأعشى وغيرهم ؛

(١) من الإطّاع . (٢) في الإطّاع : عل . (٣) من الإطّاع .

فإن هؤلاء مثلهم أو فوقهم ، وكذا قال غير واحد ، منهم : مكي ، وأبو العلاء
الهمداني ، وآخرون من أئمة القراء .

وقال أبو حيان : ليس في كتاب ابن مجاهد ومن تبعه من القراءات المشهورة
إلا التزوير اليسير ، فهذا أبو عمرو بن العلاء اشتهر عنه سبعة عشر رأياً ، ثم ساق
أسماءهم ، واقصر في كتاب ابن مجاهد على اليزيدي ، واشتهر عن اليزيدي عشرة
أقسام ، فكيف يقتصر على السومى والدورى ، وليس لهما مزية على غيرها ؛ لأن
الجميع مشتركون في الضبط والإتقان ، والاشتراك في الأخذ . قال : ولا أعرف
لهذا سيباً إلا ما قضى من نقص العلم .

وقال مكي^(١) : من غلن أن قراءة هؤلاء القراء ؛ كما هم ، ونافع ، وأبي عمرو —
أحد^(٢) الحروف السبعة التى فى الحديث — قد غلط غلطاً عظيماً . قال : ويلزم
من هذا أن ما خرج عن قراءة هؤلاء السبعة مما ثبت عن الأئمة وغيرهم ، ووافق
خط المصحف ألا يكون قرآناً ؛ وهذا غلط عظيم ؛ فإن الذين صنفوا فى القراءات
من الأئمة المتقدمين ؛ كأبى عبيد القاسم بن سلام ، وأبى حاتم السجستاني ،
وأبى جعفر الطبرى ، وإسماعيل القاضى — قد ذكروا أضعاف هؤلاء ، وكان
الناس على رأس المائتين بالبصرة على قراءة أبى عمرو ، ويعقوب^(٣) ، وبالكوفة
على قراءة حمزة ، وعاصم ، وبالشام على قراءة ابن عامر ، وبمكة على قراءة ابن كثير ،
وبالمدينة على قراءة نافع ؛ واستمروا على ذلك ؛ فلما كان على رأس الثلاثمائة أثبت
ابن مجاهد اسم الكسائى وحذف يعقوب .

قال : والسبب فى الاختصار على السبعة — مع أن فى أئمة القراء من هو أجل

(١) الإبانة : .

(٢) فى ١ : وهى القراءة . وفى الاتقان : هى الأحرف .

(٣) فى ١ ، ب : أبى عمرو يعقوب — تحريف . والصواب من الإبانة .

منهم قدراً ، ومنهم أكثر من عدم — أن الرواة عن الأئمة كانوا كثيراً جداً ، فلما تقاصرت المهم اقتصروا على ما^(١) يوافق خط المصحف على ما يسهل حفظه وتنضبط القراءة به ، فنظروا إلى من اشتهر بالثقة والأمانة وطول العمر في ملازمة القراءة به ، والاتفاق على الأخذ عنه ، فأفردوا من كل مصر إماماً واحداً ، ولم يتركوا مع ذلك نقل ما كان عليه الأئمة غير هؤلاء من القراء ولا القراءة به ، كيمتوب ، وأبي جعفر ، وشيبة ، وغيرهم .

قال^(٢) : وقد صنف ابن جبير المسكي — قبل ابن مجاهد — كتاباً في القراءات^(٣) ، فاقصر على خمسة اختار من كل مصر إماماً ، وإنما اقتصر على ذلك لأن المصاحف التي أرسلها عثمان كانت خمسة إلى هذه الأمصار ، ويقال : إنه وجهٌ لسبعة : هذه الخمسة ، ومصحفاً إلى اليمن ، ومصحفاً إلى البحرين ، لكن لما لم يسمع لذين المصحفين خبر ، وأراد ابن مجاهد وغيره مراعاة عدد المصاحف استبدلوا من مصحف^(٤) البحرين واليمن قارئين كمل بهما العدد ، فصدف ذلك موافقة العدد الذي ورد به الخبر ، فوقع ذلك لمن لم يعرف أصل المسألة ، ولم تكن له فطنة ، فظن أن المراد بالأحرف السبعة القراءات السبع .

والأصل المعتمد عليه صحة السند في السماع ، واستقامة الوجه في العربية ، وموافقة الرسم .

وأصح القراءات سنداً نافع وعاصم ؛ وأفصحها أبو عمرو والكسائي .

(١) في الاتفاق : مما يوافق . (٢) الإبانة : ٥١ .

(٣) في الإبانة : سماه كتاب الثمانية ، وزاد على هؤلاء سبعة يعقوب الحفري .

(٤) في ١ : من غير .

[التمسك بقراءات سبعة]

وقال القرّاب^(١) في الثاني : التمسك بقراءات سبعة من القراء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا سنة ، وإنما هو من جمع بعض المتأخرين ، فانتشر ، وأوهم أنه لا تجوز الزيادة على ذلك ، وذلك لم يقل به أحد .

وقال الكواشي : كل ما صح سنده ، واستقام وجهه في العربة ، ووافق خط المصحف الإمام فهو من السبعة المنصوصة ، ومتى قُدَّ شرط من الثلاثة فهو شاذ .

وقد اشد إنكار الأئمة في هذا الشأن على من ظن انحصار القراءات المشهورة في مثل ما في التيسير والشاطبية^(٢) ؛ وآخر من صرح بذلك الشيخ تقي الدين السبكي ، فقال في شرح المنهاج : قال الأصحاب : تجوز القراءة في الصلاة وغيرها بالقراءات السبع ، ولا تجوز بالثلاثة ؛ وظاهر هذا يوم أن غير السبع [٢٩ب] المشهورة من الشواذ .

وقد نقل البغوي الاتفاق [على القراءة بقراءة]^(٣) يعتوب وأبي جعفر مع السبع المشهورة ؛ وهذا القول هو الصواب .

[الخارج عن السبع المشهورة]

قال : واعلم أن الخارج عن السبع المشهورة على قسمين : منه ما يخالف رسم المصحف فلا شك في أنه لا تجوز قراءته لا في الصلاة ولا في غيرها . ومنه

(١) هو إسماعيل بن إبراهيم القرّاب (انظر : ١ - ٤٦) .

(٢) التيسير لأبي عمرو القاسمي . والشاطبية لأبي محمد القاسم الشاطبي .

(٣) من الإجماع .

ما لا يخالف رسم المصحف ولم تشتهر القراءة به ، وإنما ورد من طريق غريب لا يُعَوَّل عليها ، وهذا يظهر للنوع من القراءة به أيضاً .

ومنه ما اشتهر عند أئمة هذا الشأن القراءة به قديماً وحديثاً فهذا الوجه للنوع منه ، ومن ذلك قراءة يعقوب وغيره .

وقال البغوي - أول من يعتمد عليه في ذلك ؛ فإنه جامع للعلوم ؛ قال : وهكذا التفصيل في شواذ السبعة ؛ فإن عنهم شيئاً كثيراً شاذاً . انتهى .

وقال ولده في منع الموانع : إنما قلنا في جمع الجوامع والسبع متواترة ؛ ثم قلنا في الشاذ : والصحيح أنه ما وراء العشرة ، ولم نقل والمشر متواترة ؛ لأن السبع لم يختلف في تواترها ، فذكرنا أولاً موضع الإجماع ، ثم عطفنا عليه موضع الخلاف ، فدل على أن القول بأن القراءات الثلاث غير متواترة في غاية السقوط ، ولا يصح القول به عن معتبر قوله في الدين .

قال : وهي لا تخالف رسم المصحف . قال : وسمعت أبي بشدة التكبير على بعض التضاة ، وقد بلغه أنه منعه من القراءة بها ؛ واستأذنه بعض أصحابنا مرة في إقراء السبع ، فقال : أذِنْتُ لَكَ أَنْ تَقْرَأَ إِلَى الْعَشْرِ . انتهى .

وقل في جواب سؤال سألته ابن الجزري : القراءات السبع التي اقتصر عليها الشاطبي والثلاث التي هي قراءة أبي جعفر ويعقوب وخالف متواترة معلومة من الدين ضرورة ، وكل حرف انفرد به واحد من العشرة معلوم من الدين بالضرورة أنه قد قرئ على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكابر في شيء من ذلك إلا جاهل .

الثالث - باختلاف القراءات يظهر الاختلاف في الأحكام ، ولهذا بنى الفقهاء نقض وضوء اللبس وعدمه على اختلاف القراءة في : لمسم ،

ولا مستتم^(١)؛ وجواز وطء الحائض عند الاشتطاع قبل الفصل وعلمه على الاختلاف في بطهرين^(٢).

وقد حكوا خلافاً غريباً في الآية إذا قرئت بقراءتين؛ فحكى أبو الليث السمرقندي في كتاب «البيان»^(٣) قولين: أحدهما — أن الله تعالى قال بهما جميعاً. الثاني — أن الله تعالى قال بقراءة واحدة، إلا أنه أذن أن تُقرأ بقراءتين، ثم اختار توسطاً، وهو أنه إن كان تفسير ينابر الآخر فقد قال بهما جميعاً وتصير القراءتان بمنزلة آيتين، مثل: حتى يطهرن. وإن كان تفسيرهما واحداً كالبيوت والبيوت فإنما قال بأحدهما، وأجاز القراءة لكل قبيلة بهما على ما تعود لسانهم. قال: فإن قلم إنه قال بإحدهما فأى القراءتين؟ قلنا: بلغة قريش. انتهى.

[لاختلاف القراءة وتنوعها فوائد]

وقال بعض المتأخرين: لاختلاف القراءة وتنوعها فوائد:

منها التهورين والتسهيل والتخفيف على الأمة.

ومنها إظهار فضلها وشرفها على سائر الأمم؛ إذ لم ينزل كتابٌ غيرهم إلا على وجه واحد.

ومنها إظهار^(٤) أجراها من حيث أنهم يفرغون جهدهم في تحقيق ذلك، وضبطه لقطة لقطة حتى مقادير المدات^(٥) وتفاوت الإمالات، ثم في تتبع

(١) النساء، ٤٣

(٢) البقرة: ٢٢٢. ولا تحربوهن حتى يطهرن. ومن قراءة ثام وأبي عمرو. وقرأ بحزة والكسائي: حتى يطهرن.

(٣) هو كتاب بيان المارقين لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي المتوفى سنة ٤٢٤ هـ.

(٤) في الإحسان: المعظام. (٥) في به: الرامات.

معاني ذلك واستنباط الحكم أو الأحكام من دلالة كل لفظ، وإمعانهم الكشف عن التوجيه والتعليل والرجوع .

ومنها إظهار سر الله في كتابه وصيانيته له عن التبديل والاختلاف ، مع كونه على هذه الأوجه الكثيرة .

ومنها الباطنة في إعجازه بإيجازه ؛ إذ تنوع القراءات بمنزلة الآيات ، ولو جُمِلت دلالة كل لفظة آية على حدة لم يخف ما كان من التطويل ، ولهذا كان قوله : « وأرجلكم » منزلاً لفصل الرجل والمسح على الخف ، واللفظ واحد ، لكن باختلاف إعرابه^(١) .

ومنها أن بعض القراءات تبين ما لطف به في القراءة الأخرى ؛ فقراءة يطهرون - بالتشديد - مُبَيِّنَةٌ لعنى قراءة التخفيف ، وقراءة^(٢) : « فامضوا إلى ذكر الله » - تبين [١٣٠] أن المراد بقراءة « فاسموا » الذهاب لا المشي السريع .

[المقصد من القراءة الشاذة]

وقال أبو عبيد في « فضائل القرآن »^(٣) : المقصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة الشهيرة وتبيين معانيها ، كقراءة عائشة وحفصة : « والصلاة^(٤) الوُسْطَى صلاة المقر » . وقراءة ابن مسعود : « فاقطعوا^(٥) أيمانَهُما » . وقراءة جابر : « فإن^(٦) الله من بعد إكرامهن لمن غُورَ رحيم » . قال : فهذه الحروف

(١) يريد ضبط اللام في أرجلكم - بالفتحة أو بالكسرة .

(٢) الجملة : ٩ (٣) البرهان : ١ - ٢٢٦ (٤) البقرة : ٢٢٨

(٥) المائدة : ٢٨ (٦) النور : ٢٣

وما شاكلها قد صارت مفسرة للقرآن ، وقد كان يُروى مثل هذا من التابعين في التفسير فيستحسن ، فكيف إذا روى عن كبار الصحابة ، ثم صار في نفس القراءة ! فهو [الآن] ^(١) أكثر من الضعيف ، وأقوى ؛ فأدنى ما يستنبط من هذه الحروف معرفة صحة التأويل .

وقد اعتنيت في كتابي « أسرار التنزيل » ببيان كل قراءة أفلتت معنى زائداً على القراءة المشهورة .

الرابع - اختلف في العمل بالقراءة الشاذة ؛ فنقل إمام الحرمين في البرهان عن ظاهر مذهب الشافعي أنه لا يجوز ، وتبعه أبو نصر القشيري ، وجزم به ابن الحاجب ؛ لأنه نقله على أنه قرآن ولم يثبت . وذكر التامضيان : أبو الطيب ^(٢) والحسين ، والرويانى ^(٣) ، والرافعي - العمل بها تنزيلاً لما منزهة خبر الآحاد . وصححه ابن السكيت في جمع الجوامع وشرح المختصر .

وقد احتج الأصحاب على قطع يمين السارق بقراءة ابن مسعود ، وعابه أبو حنيفة أيضاً ، واحتج على وجوب التابع في صوم كفارة اليمين بقراءته : « متابعات » ، ولم يحتج بها أصحابنا لثبوت نسخها كما تقدم .

• • •

(١) من البرهان . (٢) في ١ : وأبو الطيب .

(٣) الرويانى : هو أبو الحسن عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد الرويانى الشافعي المتوفى سنة ٤٠٤ هـ وهو منسوب إلى رويان : مدينة بنو أمية طبرستان وكتابه « بحر المنصب في القروع » ذكره صاحب كشف الطنون .

الوجه الحادي عشر من وجوه العجالة

تقديم بعض ألقاظه وتأخيرها في مواضع

إما لكون السياق في كل موضع يقتضي ما وقع ، كما قلتمت الإشارة إليه .
وإما لقصد البداءة والختم به للاعتناء بشأنه ، كما في قوله ^(١) : « يَوْمَ تَبْيَضُّ
وُجُوهٌ ... » الآيات .

وإما لقصد التفتن في الصلحة وإخراج الكلام على عدة أساليب ، كما في
قوله ^(٢) : « وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة » . وقوله ^(٣) : « وقولوا حطة » .
وادخلوا الباب سجداً » . وقوله ^(٤) : « إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ » .
وقال في الأنعام ^(٥) : « قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً
وَهُدًى لِلنَّاسِ » .

[قسم التقديم والتأخير]

وهو قسمان :

الأول - ما أشكل معناه بحسب الظاهر ، فلما عرف أنه من باب التأخير
والتقديم اتضح ، وهو جدير أن يُفرد بالتصنيف .

وقد تعرض السلف لفتك في آيات ، فأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة
في قوله ^(٦) : « فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » - قال : هذا من تقديم الكلام ، يقول : لا تعجبك أموالهم
ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْآخِرَةِ .

(٣) الأعراف : ١٦١

(٦) التوبة : ٥٥

(٢) البقرة : ٥٨

(٥) الأنعام : ٩١

(١) آل عمران : ١٠٦

(٤) المائدة : ٤٤

وأخرج عنه أيضاً في قوله ^(١) : « ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجلٌ مُسمى » - قال : هذا من تقاديم الكلام ، يقول : لولا كلمة وأجل مسمى لكان لزاماً .

وأخرج عن قتادة في قوله ^(٢) : « إني مُتَوَقِّعٌ وراضٍك إلى » - قال : هذا من المقدم والمؤخر ، أي راضٍك إلى ومتوَقِّعٌك .

وأخرج عن عكرمة في قوله ^(٣) : « لهم عذابٌ شديد بما نسوا يوم الحساب » - قال : هذا من التقديم والتأخير ، يقول : لهم يوم القيامة عذابٌ شديد بما نسوا .

وأخرج ابن جرير عن ابن زيد في قوله ^(٤) : « ولولا فضلُ الله عليكم ورحمته لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا » - قال : هذه الآية مقدمة ومؤخرة ، إنما هي أذاعوا به إلا قليلاً منهم ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته لم ينبج قليل ولا كثير .

وأخرج عن ابن عباس في قوله ^(٥) : « قَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً » - قال : إنهم إذا رأوا الله ^(٦) رأوه ، إنما قالوا جهره أَرِنَا الله . قال : هو مقدم ومؤخر . قال ابن جرير : يعني أن سؤالهم كان جهره .

ومن ذلك ^(٧) : « وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا » - قال البغوي : هذا أول القصة وإن كان مؤخراً في التلاوة .

وقال الواحدي : كان الاختلاف في القتال قبل ذبح البقرة ، وإنما أخر في الكلام لأنه لما قل تعالى : « إِنْ أَمَرَكَ ... » الآية [٣٠ ب] عَلِمَ

(١) طه : ١٢٩ .	(٢) آل عمران : ٥٥ .	(٣) ص : ٢٦ .
(٤) النساء : ٨٣ .	(٥) النساء : ١٥٣ .	(٦) في الإتيان : قد .
(٧) البقرة : ٧٢ .		

المخاطبون أن البقرة لا تُذبح إلا للدلالة على قاتل خِفَبَتْ عَيْنُهُ عَنْهُمْ ، فلما استقر علم هذا في نفوسهم أتبع بقوله : وإذ قُتِلْتُمْ نَفْسًا فَاذْأُرَأَيْتُمْ فِيهَا فَسَأَلْتُمْ مُوسَى قَالَ : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً .

ومنه (١) : « أَفَرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ » . والأصل هَوَاهُ إِلَهُهُ ؛ لأن من اتخذ إلهه هواه غير مذموم ، فقدم المفعول الثاني للناية به .

وقوله (٢) : « أَخْرَجَ لِلرَّعَى فِجْلَهُ غُثَاءً أَحْوَى » ، على تفسير الأحوى بالأخضر ، وجعله نعتاً للرعى ؛ أي أخرج به أحوى فِجْلَهُ غُثَاءً ؛ وآخره رعاية للفاصلة .

وقوله (٣) : « غَرَّابِيْبُ سُودٌ » . والأصل سود غرَّابِيْبٌ ؛ لأن الغريب الشديد السواد .

وقوله (٤) : « فَضَحِكْتَ فَبَشَّرْنَاَهَا » ؛ أي بشرناها فضحكت .
وقوله (٥) : « وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ » . قيل : المعنى على التقديم والتأخير ، أي لولا أن رأى برهان ربه لم يهَمَّ بها ، وعلى هذا فآلهم منى عنه .

الثاني — ما ليس كذلك . وقد أُلْفَ فِيهِ الْعَلَامَةُ شمس الدين بن الصائغ كتابه « المقدمة في سر الألفاظ المقدمة » ، قال فيه : الحكمة الشائعة الدائنة في ذلك الاهتمام ، كما قل سيويوه في كتابه ، كأنهم يندمون الذي بيانه أهم ، وهم بيانه أغنى .

(٣) ظطر : ٢٧

(٢) الأعل : ٤

(١) الجانية : ٢٣

(٥) يوسف : ٢٤

(٤) هود : ٧١

[أسباب التقديم وأسراؤه]

قال : « هذه الحكمة إجمالية . وأما أسباب التقديم وأسراؤه فقد ظهر لي منها في الكتاب العزيز عشرة أنواع :

الأول — التبرك ، كتقديم اسم الله في الأمور خوات الشأن . ومنه قوله ^(١) : « شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا » . وقوله ^(٢) : « وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَالرَّسُولُ ... » الآية .

الثاني — التظيم ، كتوله ^(٣) : « وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ » . « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ » . « وَاللَّهُ ^(٤) وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ » .

الثالث — التشريف ، كتقديم الله كَرِّ على الأنثى في نحو ^(٥) : « إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ... » الآية . والحرف في قوله ^(٦) : « الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى » . والحى في قوله ^(٧) : « يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ... » الآية . وما ^(٨) يَنْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ » . والخيل في قوله ^(٩) : « وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ اتَّزَكَّيْنَهَا » . والسبع في قوله ^(١٠) : « وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ » . وقوله ^(١١) : « إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ » . وقوله ^(١٢) : « إِنْ أَخَذَ اللَّهُ تَتَمَكَّمَكُمْ وَأَبْصَلَكُمْ » .

حكى ابن عطية عن النقاش أنه استدلل بها على تفضيل السمع على البصر ؛ ولما وقع في سمعه ^(١٣) تعالى : « سَمِيعٌ بَصِيرٌ » ، بتقديم السمع .

(١) آل عمران : ١٨	(٢) الأفعال : ٤١	(٣) النساء : ٦٩
(٤) الأحزاب : ٥٦	(٥) التوبة : ٦٢	(٦) الأحزاب : ٣٥
(٧) البقرة : ١٧٨	(٨) الروم : ١٩	(٩) طه : ٢٢
(١٠) النحل : ٨	(١١) البقرة : ٢	(١٢) الإسراء : ٣٦
(١٣) الأنعام : ٤٦	(١٤) في الإقلاق : وصفه .	

ومن ذلك تقديمه صلى الله عليه وسلم على نوح ومن معه في قوله ^(١) : « وإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَأَ وَمِنْ نُوْحٍ ... » الآية . وتقديم الرسول في قوله ^(٢) : « مِنْ رَسُوْلٍ وَلَا نَبِيٍّ » . وتقديم المهاجرين في قوله ^(٣) : « وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ » . وتقديم الإنس ^(٤) على الجن حيث ذُكِرَا في القرآن . وتقديم النبيين على الصديقين ، والشهداء على الصالحين في آية النساء . وتقديم إسماعيل على إسحاق ؛ لأنه أشرف بكون النبي صلى الله عليه وسلم من ولده وأسن . وتقديم موسى على هارون لاصطفائه بالكلام ، وقدم هارون عليه في سورة طه رعاية للقاصلة ، وتقديم جبريل على ميكائيل في آية البقرة ؛ لأنه أنزل . وتقديم العقل على غيره في قوله ^(٥) : « مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ » . « يُسَبِّحُ ^(٦) لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْخَائِضَاتُ » . وقوله ^(٧) : « مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ » .

وأما تقديم الأنعام في قوله ^(٨) : « تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَبْنَاءُهُمْ » ؛ فلائه تقدم ذكر الزرع ، فناسب تقديم الأنعام ، بخلاف آية عبس فإنه تقدم فيها : فليُنظر الإنسان إلى طعامه ؛ فناسب تقديم لكم .

وتقديم المؤمنين على الكفار في كل موضع . وأصحاب اليمين على أصحاب الشمال . والسماء على الأرض ، والشمس على القمر حيث وقع إلا في قوله ^(٩) : « خَاقَ اللَّهُ سَبْعَ مَمْنَوَاتٍ طِبَاقًا » ، وجعل القمر فيهن نوراً ، وجعل الشمس سراجاً . . قيل : لمراعاة القاصلة ، وقيل : لأن ارتفاع أهل السموات العائد عليهن الضمير به أكثر .

(١) الأحزاب : ٧	(٢) الحج : ٥٢	(٣) التوبة : ١٠٠
(٤) في ١ : الإنسان .	(٥) النازعات : ٣٣	(٦) النور : ٤١
(٧) النازعات : ٣٣	(٨) البقرة : ٢٧	(٩) نوح : ١٥ ، ١٦

وقال ابن الأنباري : [١٣١] يقال إن القمر وجهه يضيء لأهل السموات وظهره لأهل الأرض ؛ ولهذا قال تعالى : فيهن ، لما كان أكثر نوره يضيء إلى أهل السماء .

ومنه تقديم التيب على الشهادة في قوله ^(١) : « عالم الغيب والشهادة » ؛ لأن علمه أشرف . وأما قوله ^(٢) : « يعلم السر وأخفى » - فأخر فيه رعاية للقاصلة .

الراجح - المناسبة ؛ وهي إما مناسبة المتقدم لسياق الكلام ، كقوله ^(٣) . « واسكنكم فيها جمالاً حين تريحون وحين تسرحون » ؛ فإن الجمال بالجمال وإن كان ثابتاً حالتي السراح والإراحة إلا أنها حالة إراحتها ، وهو مجيئها من المرعى آخر النهار ، يكون الجمال بها [آخر ؛ إذ هي فيه بطان وحالة سرحها للرعى أول النهار يكون الجمال بها] ^(٤) دون الأول ؛ إذ هي فيه خاص .

وظاهره قوله ^(٥) : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا » . قدم نفى السرف ؛ لأن السرف في الإفاق .

وقوله ^(٦) : « بربكم البرق خوفًا وطمعًا » ؛ لأن الصواعق تقع مع أول برقة ، ولا يحصل المطر إلا بعد توالي البرقات .

وقوله ^(٧) : « وجعلناها وابنها آية للعالمين » - قدمها على الابن لما كان السياق في ذكرها في قوله ^(٨) : « والتي أحصنت فروجها » ؛ ولذلك قدم الابن في قوله ^(٩) : « وجعلنا ابن مريم وأمه آية » ؛ وحسنه تقديم موسى في الآية قبله .

(١) المؤمنون : ٩٢	(٢) طه : ٧	(٣) النحل : ٦
(٤) من الاعيان .	(٥) الفرقان : ٦٧	(٦) الروم : ٢٤
(٧) الأعياء : ٩١	(٨) التحريم : ١٢	(٩) المؤمنون : ٥٠

ومنه قوله^(١) : « وَكَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا » . قدم الحكم - وإن كان العلم سابقاً عليه ؛ لأن السياق فيه ، لقوله في أول الآية^(٢) : « إِذْ يَخْشَوْنَ فِي الْحَرْثِ » ،

وأما مناسبة لفظ هو من التقدم أو التأخر ، كقوله^(٣) : « هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ » . «^(٤) وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ » . «^(٥) يَأْتِيَنَّ شَأْنُكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ » . «^(٦) بِمَا قَدَّمُوا وَآخَرُ » . «^(٧) ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ » . «^(٨) لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ » . «^(٩) لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأَوَّلَى وَالْآخِرَةِ » . وأما قوله^(١٠) : « اللَّهُ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى » - فلمرعاة القاصلة - وكذا قوله^(١١) : « جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ » .

الخامس - الحث عليه والحض على القيام به حذراً من إتهامه به : كتقديم الوصية على الدين في قوله^(١٢) : « مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِي يُوصَى بِهَا أَوْ دِينٌ » - مع أن الدين مقدم عليها شرعاً .

السادس - السبق ، وهو إما في الزمان باعتبار الإيجاد ؛ كتقديم الليل على النهار ، والظلمات على النور ، وآدم على نوح ، ونوح على إبراهيم ، وإبراهيم على موسى ، وهو على عيسى ، وداود على سليمان ، والملائكة على البشر في قوله^(١٣) « اللَّهُ يَصْطَلِفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنْ النَّاسِ » . وعاد على نوح .

(١) الأنبياء : ٧٩	(٢) الأنبياء : ٧٨	(٣) الحديد : ٣
(٤) الحجر : ٢٤	(٥) الممتحنة : ٢٢	(٦) القيامة : ١٣
(٧) الواقعة : ٣٩ ، ٤٠	(٨) الروم : ٤	(٩) القصص : ٢٠
(١٠) التجم : ٢٥	(١١) المرسلات : ٣٨	(١٢) النساء : ١١
(١٣) الحج : ٢٥		

والأرواح على القدرية في قوله^(١) : « قل لأزواجك وبناتك » والسنة على النوم في قوله^(٢) : « لا تأخذوا سنة ولا نوم » .

أو باعتبار الإنزال ، كقوله^(٣) : « صُفِّ إبراهيم وموسى » .^(٤) وأنزل التوراة والإنجيل . من قَبْلِ هُدًى للناس وأنزل القرآن .

أو باعتبار الوجوب والتكليف ، نحو^(٥) : « اركعوا واسجدوا » . « فاعملوا »^(٦) وجوهكم وأيديكم ... الآية . «^(٧) إن العفَّا والمروة من شعائر الله » . ولهذا قل صلى الله عليه وسلم : تبدأ بما بدأ الله به .

أو بالنات ، نحو^(٨) : « مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ » . «^(٩) ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو راجعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم » . وكذا جميع الأعداد ؛ كل مرتبة هي متقدمة على ما فوقها بالنات .

وأما قوله^(١٠) : « أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى » - فليحث على الجماعة والاجتماع على الخير .

السابع - السببية ؛ كتقديم العزِّ على الحكيم ؛ لأنه عزٌّ فحكم . والعلم عليه ؛ لأن الإحكام والإتقان ناشيء عن العلم .

وأما تقديم الحكيم عليه في سورة الأنعام ؛ فلأنه مقام تشريع الأحكام . ومنه تقديم العبادة على الاستعانة في سورة القاحمة ؛ لأنها سبب حصول الإعانة . وكذا قوله^(١١) : « يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ » - لأن التوبة سبب

(١) الأحزاب : ٥٩	(٢) البقرة : ٢٥٥	(٣) الأعراف : ١٩
(٤) آل عمران : ٤ ، ٣	(٥) الحج : ٧٧	(٦) المائدة : ٦
(٧) البقرة : ١٥٨	(٨) النساء : ٣	(٩) المجادلة : ٧
(١٠) سبأ : ٤٦	(١١) البقرة : ٢٢٢	

للمهارة : «^(١) لكل أفتاك أثيم » ، لأن الإفك سبب الإثم . «^(٢) يَغضُّوا
من أبصارهم ويَحفظُوا فروجهم » - لأن البصر داعية إلى الفرج .

الثامن - الكثرة ، كقوله «^(٣) : « فَنُكِمَ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ » ؛
لأن الكفار أكثر . «^(٤) فَنِهِم ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ... » الآية - قدم الظالم لكثرة
ثم المقتصد ، ثم السابق . قيل : ولهذا قدم السارق على السارقة ؛ لأن السرقة
في الذكور أكثر . والزانية على الزاني ؛ لأن الزنى فيهن أكثر .

ومنه [٣١ ب] تقديم الرحمة على العذاب حيث وقع في القرآن غالباً ؛
ولهذا ورد : « إِن رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي » . وقوله «^(٥) : « إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ
عَدُوٌّ لَكُمْ » .



قال ابن الحاجب في أماليه : إنما قدم الأزواج ؛ لأن المقصود الإخبار أن فيهم
أعداء ، ووقوع ذلك في الأزواج أكثر منه في الأولاد ، وكان أقصد في المعنى
المراد قتلهم ؛ وقلبك قتلتم الأموال في قوله «^(٦) : « إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ
فِتْنَةٌ » ؛ لأن الأموال لا تكاد تفارقها الفتنة . «^(٧) إِنِّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ »
استغنى ؛ وليست الأولاد في استلزام الفتنة مثلها ؛ فكان تقديمها أولى .

التاسع - الترقى من الأدنى إلى الأعلى ، كقوله «^(٨) : « أَلَيْسَ أَرْجُلُ
يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَمْ أَلْبِسْكُمْ يُبَاطُونَ بِهَا ... » الآية . بدأ بالأدنى ليعرض الترقى ،
لأن اليد أشرف من الرجل ، والعين أشرف من اليد ، والسمع أشرف
من البصر .

(٣) الثامن : ٢

(٢) النور : ٣٠

(١) الجاثية : ٧

(٦) الثامن : ١٥

(٥) الثامن : ١٤

(٤) طهر : ٣٢

(٨) الأعراف : ١٩٥

(٧) الطلق : ٧ ، ٦

ومن هذا النوع تأخير الأبلغ ؛ وقد أُخرج عليه تقديم الرحمن على الرحيم ،
والرؤوف على الرحيم ، والرسول على النبي في قوله ^(١) : « وكان رسولا نبيا » .
وذكر تلك نكت أشهرها مراعاة القاصدة .

العاشر — التلّى من الأعلى إلى الأدنى . وخُرج عليه ^(٢) : « لا يُغادرُ
صغيرة ولا كبيرة » . « ^(٣) لا تأخذُه سنة ولا نوم » . « لن ^(٤) يَسْتَنكِفَ
المسيحُ أن يكونَ عبداً لله ولا الملائكة المقربون » .

هنا ما ذكره ابن الصائغ ^(٥) ، وزاد غيره أسباباً آخر ؛ منها كونه أدل على
القدرة وأعجب ؛ كقوله ^(٦) : « فَنَمَ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ... الآية ، وقوله ^(٧) :
« وسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ » .

قال الزمخشري ^(٨) : قدم الجبال على الطير ؛ لأن تسخيرها له وتسييحها له
أعجب ، وأدل على القدرة ، وأدخل في الإعجاز ؛ لأنها جماد ، والطير
حيوان ناطق .

ومنها رعاية القواصل كما تعلّمت الأمثلة لتلك .

• • •

(١) مريم : ٥٤ (٢) الكهف : ٤٩ (٣) البقرة : ٢٥٥

(٤) النساء : ١٧٢

(٥) هو محمد بن عبد الرحمن بن علي شمس الحمين الحنفى ، من علماء مصر في القرن الثامن
وكتابه « المقننة » ذكره صاحب كشف الطنون . تولى سنة ٨٧٦ (الدور الكلمة :
٣ — ٤٩٩) .

(٦) التور : ٤٥ (٧) الأنبياء : ٢٩

(٨) الكشاف : ٣ — ١٠١

الوجه الثاني مشرق وجوه المجاز

إقادة حصره واختصاصه

وهو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص . ويقال أيضاً إثبات الحكم
للمذكور وفيه مما عداه .

[تقسيم الحصر]

وينقسم إلى قصر الموصوف على الصفة ، وقصر الصفة على الموصوف ؛
وكل منهما إما حقيق وإما مجازي ؛ مثال قصر الموصوف على الصفة حقيقاً نحو
ما زيد إلا كاتب ، أى لا صفة له غيرها ، وهو عزيز لا يكاد يوجد ؛ لتعدد الإحاطة
بصفات الشيء حتى يمكن إثبات شيء منها وتبقى ما عداها بالكلية ، وعلى عدم
تعدد ما يعد أن يكون للذات صفة واحدة ليس لما غيرها ؛ ولما لم يقع
في التزليل .

ومثاله مجازياً : « (١) وما محمد إلا رسول » ؛ أى أنه مقصور على الرسالة
لا يتعداها إلى التبرى من اللوث الذي استظموه ، إنه (٢) شأن الإله .

ومثال قصر الصفة على الموصوف حقيقياً : لا إله إلا الله .

ومثاله مجازياً (٣) : « قل لا أجد في ما أوحى إلى محرماً على طاعم يطعمه
إلا أن يكون مئيتة ... » الآية ، كما قال الشافعي فيما تقدم [قلله من أسباب
النزول] (٤) : إن الكفار لما كانوا يحملون الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل
لغير الله به ، وكانوا يحرمون كثيراً من الباحات ، وكانت سجيئتهم تخالف وضع

(١) آل عمران : ١٤٤ (٢) في الإيمان : الذي هو من شأن إلهه .

(٣) الأنعام : ١٤٥ (٤) من الإيمان .

الشرع ، ونزلت الآية مستوفية^(١) بذكر شبههم في البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى ؛ وكان الترض الرد عليهم والمضادة لا الحصر الحقيقى . وقد تقدم بأبسط من هذا :

[تقسيم آخر للحصر]

. وينقسم الحصر باعتبار آخر إلى ثلاثة أقسام : قصر أفراد ، وقصر قلب ، وقصر تعيين :

فالأول يخاطب به من يستند الشراكة ، نحو^(٢) ، « إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ » .
وخوطب به من يستند اشتراك الله والأصنام في الألوهية .

والثانى يخاطب به من يستند إثبات الحكم لغير من أثبتته للتكلم له ، نحو^(٣) :
« رَبِّى الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ » . خوطب به مُنْزَوِد الذى اعتقد أنه المحيى المميت دون الله : «^(٤) أَلَا إِنَّهُمْ مِمَّ السَّفَهَاءُ » . خوطب به من اعتقد من المناقنين أن المؤمنين سفهاء [١٣٢] دونهم . «^(٥) وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا » . خوطب به من يستند من اليهود اختصاص بعته بالمرب .

والثالث يخاطب به من تسوى عنده الأمران ، فلم يحكم بإثبات الصفة لواحد بسببه ولا لواحد بإحدى الصفتين بسببها .

[طرق الحصر]

وطرق الحصر كثيرة ؛ أحدها النفي والاستثناء سواء كان النفي بلا أو ما أو غيرهما . والاستثناء يلا أو غير ؛ نحو : لا إله إلا الله . وما من إله إلا الله .
«^(٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ » .

(٣) البقرة : ٢٥٨

(٦) المائدة : ١١٢

(١) في الامتحان : مسوقة . (٢) النساء : ١٧١

(٥) النساء : ٢٩

(٤) البقرة : ١٣

ووجه إقاده الحصر أن الاستثناء الفرغ لا بد أن يتوجه النفي فيه إلى مقدّر وهو مستثنى منه ، لأن الاستثناء إخراج فيحتاج إلى مُخرج منه . والمراد التندير المعنوي لا الصناعي .

ولا بد أن يكون عاماً ؛ لأن الإخراج لا يكون إلا من عام . ولا بد أن [يكون مناسباً للمستثنى منه في جنسه مثل ما قام إلا زيد ، أى لا أحد . وما أكلت إلا تمرأ ، أى ما كولا ، ولا بد أن]^(١) يوافقته^(٢) في صفة ، أى إعرابه ، وحينئذ يجب القصر إذا أوجب منه شيء . بإلا ضرورة بإبقاء ما عداه على صفة الانتفاء .

وأصل استعمال هذا الطريق أن يكون المخاطب جاهلاً بالحكم . وقد يخرج عن ذلك فينزل المعلوم منزلة المجهول لاعتبار مناسب ، نحو^(٣) : « وما محمد إلا رسول » ؛ فإنه خطاب للصحابة ، وهم لم يكونوا يجهلون رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه نزل استغظامهم له عن الموت منزلة من يجهل رسالته ؛ لأن كل رسول فلا بد من موته ، فمن استبعد موته فكأنه استبعد رسالته .

الثاني - « إنما » الجمهور على أنها للحصر ، قيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم ، وأنكر قوم إقادتها ، منهم أبو حيان ، واستدل بجهوه بأمور ، منها : قوله تعالى^(٤) : « إنما حرم عليكم الميتة » بالنصب ، فإن معناه : ما حرم عليكم إلا الميتة ، لأنه المطابق في المعنى لقراءة الرفع فإنها تقتصر ، فكذا قراءة النصب . والأصل استواء معنى القراءتين .

ومنها أن إن للاثبات وما للنفي ، فلا بد أن يحصل التصرع للجمع بين النفي

(٢) لى ب : يوافقته .

(٤) الجمع : ١٧٣

(١) من الانتفاء .

(٣) لى عمران : ١٤٤

والإثبات ، لكن تعقب بأن « ما » زائدة كافة لا نافية . ومنها أن « إن » للتأكيد و « ما » كذلك ، فاجتمع تأكيدان ، فأفاد الحصر ، قاله السكاكي .
وتعقب بأنه لو كان اجتماع تأكيدين يفيد الحصر لأفاده نحو إن زيد قائم .

وأجيب بأن مراده لا يجتمع حرفا تأكيد متواليان إلا للحصر .

ومنها قوله تعالى ^(١) : « قل إنما العلم عند الله » . ^(٢) قال إنما يأتيكم به الله » . ^(٣) قل إنما أعلمها عند ربى » . فإنه إنما تحصل مطابقة الجواب إذا كانت « إنما » للحصر ليسكون معناها [لا آتيكم به] ^(٤) ؛ إنما يأتيكم به الله إن شاء . ولا أعلمها إنما يعلمها الله .

وكذا قوله ^(٥) : « ولئن انتصر بعمد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل » . إنما السبيل على الذين يظلمون الناس » . ^(٦) ما على المحسنين من سبيل ... إلى قوله : « إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء » . ^(٧) وإذا لم تأت بهم بآية قالوا لو لا اجتبتينها ، قل إنما أتبع ما يوحى إلى من ربى » . ^(٨) وإن تولوا فإنما عليك البلاغ » . لا يستقيم المعنى في هذه الآيات ونحوها إلا بالحصر .

وأحسن ما يستعمل « إنما » في مواقع التبريض ، نحو ^(٩) : « إنما يتذكر أولو الألباب » .

(١) الأحقاف : ٢٣ (٢) هود : ٢٣ (٣) الأعراف : ١٨٧
(٤) من الاتقان . (٥) الشورى : ٤١ ، ٤٢
(٦) التوبة : ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ (٧) الأعراف : ٢٠٣
(٨) آل عمران : ٢٠ (٩) الرعد : ١٠

الثالث - «أنما» بالفتح : عدما من طرق الحصر الزمخشري والبيضاوي ، قتالا في قوله ^(١) : « قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ » - أنما لقصر الحكم على شيء ، أو لقصر الشيء على حكم ، نحو : إنما زيد قائم . وإنما يقوم زيد [وقد اجتمع الأمران في هذه الآية ؛ لأن إنما يوحى إلى مع فاعله بمنزلة إنما يقوم زيد] ^(٢) وإنما الحكم [بمنزلة] ^(٣) إنما زيد قائم .

وقائدة اجتماعهما الدلالة على أن الوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم متصور على استئثار الله بالوحدانية .

ومصرح التنوحي ^(٤) في الأقصى القريب بكونها للحصر ، فقال : كل ما أوجب إنما - بالكسر للحصر أوجب أنما - بالفتح للحصر ؛ لأنها فرع عنها ، وما ثبت للأصل ثبت للفرع ما لم يثبت مانع منه ، والأصل عدمه .

ورد أبو حيان على الزمخشري ما زعمه بأنه يلزمه انحصار الوحي ^(٥) في الوحدانية ، و [أجيب] بأنه حصر مجازي باعتبار المقام .

الرابع - العطف بلا أو بل . ذكره أهل اليان ، ولم يحكموا فيه خلافاً ؛ ونازع فيه الشيخ بهاء الدين في عروس الأفراح ^(٦) ؛ فقال : أي قصر في العطف بلا ؟ إنما فيه نفي وإثبات ؛ هو لك : زيد شاعر لا كاتب [٣٢ ب] لا تعرض فيه لنفي صفة ثالثة ؛ والقصر إنما يكون بنفي جميع الصفات غير المثبتة ^(٧) حقيقة أوجازاً ؛ وليس هو خاصاً بنفي الصفة التي يعتقدها المخاطب .

(٢) من الالتفات .

(١) الأنبياء : ١٠٨

(٣) السكشاف : ٣ - ١٠٩

(٤) هو زين الدين محمد بن محمد التنوخي ، توفي سنة ٧٤٨ هـ ، وفي كشف الظنون سمي كتابه : أقصى القريب في صناعة الأدب . وكنيتك جاء اسمه في البرهان : ٢ - ٣٩١ .

(٥) في ب : الرحمن . (٦) شروح السعد : ٢ - ١٨٧

(٧) ز : عروس الأفراح ؛ غير مثبت إما حقيقة أو مجازاً .

وأما اللفظ يُل قَابِد منه ؛ لأنه لا يستمر فيها النفي والإيجاب .

الخامس — تقديم الممول نحو^(١) : « إِيَّاكَ نَعْبُدُ » . «^(٢) لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ نُحْشِرُونَ » . وخالف فيه قوم ؛ وسيأتي بسط الكلام فيه قريباً .

السادس — ضمير الفصل ، نحو^(٣) : « فَاللهُ هُوَ الْوَكِيلُ » ؛ لا رب غيره . «^(٤) وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » . «^(٥) إِنْ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ » . «^(٦) إِنْ شِئْنَاكَ هُوَ الْآتِرُ » .

ومن ذكر أنه للحصر الياضون في بحث المسند إليه ، واستدل له السهميلي بأنه أتى به في كل موضع ادعى فيه نسبة ذلك المعنى إلى غير الله ، ولم يؤت به حيث لم يدع ، وذلك في قوله^(٧) : « وَأَنَّهُ هُوَ أَضْعَفُ وَأَبْكَى ... » إلى آخر الآيات ، فلم يؤت به في : «^(٨) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ » . «^(٩) وَأَنَّهُ عَلَى الشَّأَةِ الْآخِرَى » . «^(١٠) وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى » ؛ لأن ذلك لم يدع لغير الله ، وأتى به في الباقي لادِّعائه لغيره .

قل في عروس الأفراح : وقد استنبطت دلالة على الحصر في قوله^(١١) : « فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ » ؛ لأنه لو لم تكن للحصر لما حسن ، لأن الله لم يزل رقيباً عليهم ، وإنما حصر^(١٢) بتوفيته أنه لم يبق لهم رقيب غير الله . ومن قوله^(١٣) : « لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ » .

(١) الناقة : ٤	(٢) آل عمران : ١٥٨	(٣) الثورى : ٩
(٤) لقمان : ٥	(٥) آل عمران : ٦٢	(٦) الكوثر : ٣
(٧) النجم : ٤٣	(٨) النجم : ٤٥	(٩) النجم : ٤٧
(١٠) النجم : ٥٠	(١١) المائدة : ١١٧	(١٢) و الاقان : وإنما اتى حصل .
(١٣) الحشر : ٢٠		

هم القارئون . فإنه ذكر لتبيين عدم الاستواء ، وذلك لا يحسن إلا بأن يكون
الضمير للاختصاص .

السابع - تقديم المسند إليه على ما قال الشيخ عبد القاهر : قد يُقدم المسند إليه
ليفيد تخصيصه بالخبر القلي . والحاصل - على رأيه - أن لها أحوالاً :

أولها : أن يكون المسند إليه معرفة والمسند مثبتاً ؛ فيأتي التخصيص ؛ نحو :
أنا قُتْتُ ، وأنا سَمِيتُ في حاجتك ؛ فإن قُصِدَ به قصر الأفراد أكد بنحو :
وحدى ؛ أو قصر القلب أكد بنحو : لا غيري . ومنه في القرآن ^(١) : « بَلْ أَنْتُمْ
بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ » . فإن ما قبله من قوله ^(٢) : « أَتُحِبُّونَ بِمَالٍ » . ولفظ
« بَلْ » مُشعر بالإضراب يقضي بأن المراد بل أنتم لا غيركم ؛ فإن المقصود نفي
فرحه هو بالمهذية لا إثبات الفرح لهم بهديتهم . قاله في عروس الأفراح .

قال : وكذا قوله ^(٣) : « لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ » ؛ أي لا يعلمهم
إلا نحن .

وقد يأتي للتقوية والتأكيد دون التخصيص ؛ قال الشيخ بهاء الدين :
ولا يتميز ذلك إلا بما يقتضيه الحال وسباق الكلام .

ثانيها : أن يكون المسند متنياً ؛ نحو : أنت لا تكذب ؛ فإنه أبلغ
في نفي الكذب من « لا تكذب » ومن « لا تكذب أنت » . وقد يفيد
التخصيص ؛ ومنه ^(٤) : « فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ » .

ثالثها : أن يكون المسند إليه نكرة مثبتاً ، نحو : رجل جاءني ؛ فيفيد
التخصيص إما بالجنس ؛ أي لا امرأة . أو الوحدة ، أي لا رجلان .

(٢) القصص : ٦٦

(٣) التوبة : ١٠١

(١) النمل : ٢٦

(٤) القصص : ٦٦

رابعها : أن يلى السند إليه حرف النفي فيقيد ؛ نحو : ما أنا قلت هذا ،
أى لم أقله مع أن غيرى قاله . ومنه ^(١) : « وما أنت علينا بعزير » ، أى العزيز
علينا وهطك لا أنت ، ولما قل : « أرهطلى أعز عليكم من الله » .
هذا حاصل رأى الشيخ عبد القاهر ، وواقه السكاكى ، وزاد شروطاً
وتفاصيل بسطناها فى شرح ألفية المعانى .

الثامن - تقديم السند ، ذكر ابن الأثير ^(٢) وابن النفيس وغيرهما أن تقديم
الخبر على المبتدأ يفيد الاختصاص . ورد صاحب الفلك ^(٣) الدائر بأنه لم يقل به
أحد ، وهو ممنوع ؛ فقد صرح السكاكى وغيره بأن تقديم ما رتبته التأخير يفيد ،
ومثلوه بنحو : تمى أنا .

التاسع - ذكر السند إليه ، ذكر السكاكى أنه قد يذكر ليفيد التخصيص .
وتقبه صاحب الإيضاح ، وصرح الزمخشري بأنه أفاد الاختصاص فى قوله ^(٤) :
« الله يَبْسُطُ الرِّزْقَ » فى سورة الرعد . وفى قوله ^(٥) : « الله نَزَلَ أَحْسَنَ
الْحَدِيثِ » . وفى قوله ^(٦) : « والله يَقُولُ الْحَقَّ وهو يَهْدِي السَّبِيلَ » . ويحتمل
أنه أراد أن تقديمه أفاده ، فيكون من أمثلة الطريق السابع .

العاشر - تعريف الجزأين ، ذكر الإمام فخر الدين فى « نهاية الإيجاز » ^(٧)
أنه يفيد [١٣٣] الحصر حقيقة أو مبالغة ، نحو : المنطلق زيد ، ومنه فى القرآن
فما ذكر الزمككاني فى أسرار التنزيل : الحمد لله ، قل : إنه يفيد الحصر ،
كافى لك نسب ، أى الحمد لله لا لغيره .

(١) هود : ٩١ .
(٢) التل السائر : ٣ - ٢١٧ .
(٣) الفلك السائر : ٢٥٠ .
(٤) آية ٢٦ .
(٥) الزمر : ٢٣ .
(٦) الأحزاب : ٤ .
(٧) نهاية الإيجاز فى علم البيان لنصر الدين محمد بن عمر الرازى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ ، ذكره
صاحب كشف الظنون ، وقال : إنه مذهب فيه كتابى عبد القاهر .

الحادى عشر — نحو : جاء زيد نفسه ، قل بعضُ شراح التلخيص عن بعضهم أنه يفيد الحصر .

الثانى عشر — نحو : إن زيد قائم ، قل المذکور أيضاً .

الثالث عشر — نحو : قائم — فى جواب زيد إما قائم أو قاعد ، ذكره الطيبي فى شرح التبيان .

الرابع عشر — قلب بعض حروف الكلمة ، فإنه يفيد الحصر على ما نقله فى الكشف^(١) فى قوله^(٢) : « وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا » . قال : القلب للاختصاص بالنسبة إلى الطاغوت ؛ لأن وزنه على فـلـوت ، من الطغيان ، كلكوت ورحوت ، قُلب بتقديم اللام على الين ، فوزنه فـلـعـوت^(٣) ، فقيه مبالغات : التسمية بالمصدر ، والبناء بناء مبالغة ، والقلب ، وهو للاختصاص ؛ إذ لا يطلق على غير الشيطان .

تنبيه

كاد أهلُ البيان يطبقون على أن تقديم المفعول يفيد الحصر ، سواء كان مفعولاً أو ظرفاً أو مجروراً ؛ ولهذا قيل فى : « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين » معناه نخصك بالعبادة والاستعانة . وفى : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخَشِّرُونَ » . معناه إليه لا لغيره . وفى^(٤) : « لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً » — أخرت الصلة فى الشهادة الأولى ، وقدمت فى الثانية ؛ لأن العرض فى الأولى

(٢) الزمر : ١٧

(٤) البقرة : ١٤٣

(١) الكشف : ٢ — ٢٩٦

(٣) التبيان — طنى .

إثبات شهادتهم ؛ وفي الثانية إثبات اختصاصهم بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم عليهم .

ونخالف في ذلك ابن الحاجب ؛ فقال في شرح القصل : الاختصاص الذي يتوهمه كثير من الناس من تقديم المصول ومتم ، واستدل على ذلك بقوله ^(١) : « يَا عِبَادِ اللَّهِ تَخْلِصَالَهُ الدِّينَ » . ^(٢) بل الله فاعبد . . ورد هذا الاستدلال بأن « تَخْلِصَالَهُ الدِّينَ » أغنى عن إعادة المصير ، كما قال الله تعالى ^(٣) : « وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ » . وقال ^(٤) : « أَمْرٌ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ » ، بل قوله : « بل الله فاعبد » - أقوى من أدلة الاختصاص ، [فإن قبلها : لئن أشركتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ، فلو لم يكن للاختصاص ^(٥) وكان منها ما أعبد الله لما حصل الإضراب الذي هو معنى بل :

واعترض أبو حيان على مدعى الاختصاص بنحو ^(٦) : « أَفَتَبَرَّ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدَ » .

وأجيب بأنه لا كان من أشرك بالله غيره كأنه لم يعبد الله كان أمرهم بالشرك كأنه أمر بتخصيص غير الله بالعبادة .

ورد صاحب الفلك الدائر الاختصاص ^(٧) بقوله ^(٨) : « كَلَّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ » . وهو من أقوى ما رد به .

وأجيب بأنه لا يدعى فيه لزوم ، بل التلبي ، وقد يخرج الشيء عن القالب .

قال الشيخ بهاء الدين : وقد اجتمع الاختصاص وعلمه في آية واحدة ؛

(٢) الحج : ٢٢

(٦) الزمر : ٦٤

(٢) الزمر : ٦٦

(٥) من الاطلاق .

(٨) الأنعام : ٨٤

(١) الزمر : ٢

(٤) يوسف : ٤٠

(٧) الفلك الدائر : ٢٤٦

وهي ^(١) «أَغْبَرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ » ؛ فإن التقديم في الأولى قطعاً ليس للاختصاص . وفي إياه قطعاً للاختصاص .

وقال والده الشيخ تقي الدين في كتاب الاختصاص ^(٢) بين الحصر والاختصاص : اشتهر كلام الناس في أن تقديم الممول يفيد الاختصاص ، ومن الناس من ينكر ذلك ويقول : إنما يفيد الاهتمام . وقد قال سيويه في كتابه : وهم يقدمون ما هم به أغنى ؛ والبيانون على إفادة الاختصاص .

ويفهم كثير من الناس من الاختصاص الحصر ، وليس كذلك ؛ وإنما الاختصاص شيء والحصر شيء آخر ، والفضل لم يذكر في ذلك لفظة الحصر ، وإنما عبروا بالاختصاص . والفرق بينهما أن الحصر نفي غير المذكور وإثبات المذكور . والاختصاص قصد الخاص من جهة خصوصه ؛ وبيان ذلك أن الاختصاص افتعال من الخصوص ، والخصوص مركب من شيئين : أحدهما عام مشترك بين شيئين أو أشياء . والثاني معنى مُنْظَمٌ إليه يفصله عن غيره ؛ كضرب زيد ، فإنه أخص من مطلق الضرب . فإذا قلت ضربت زيدا أخبرت بضرب عام وقع منك على شخص خاص ، فصار ذلك الضرب الخبر به خاصاً لما انضم إليه منك ومن زيد ؛ وهذه المعاني الثلاثة ؛ أعني [٣٣ ب] مطلق الضرب ، وكونه واقعاً منك ، وكونه واقعاً على زيد ، قد يكون قصد التكلم لها ثلاثها على السواء . وقد يرجح فصله لبعضها على بعض ، ويُعرف ذلك بما ابتداء به كلامه ؛ فإن الابتداء بالشيء يدل على الاهتمام به ، وأنه هو الأرجح في غرض التكلم ، فإذا قلت زيدا ضربت عليم أن خصوص الضرب على زيد هو المقصود .

(١) الأنعام : ٤٠ ، ٤١

(٢) في الاثنان : الاختصاص في التفرق بين الحصر والاختصاص .

ولا شك أن كل مركب من خاص وعام له جہتان ؛ فقد يقصد من جهة
عمومه ، وقد يقصد من جهة خصوصه . والثاني هو الاختصاص ، وأنه هو الأهم
عند التكلم ، وهو الذي قصد إفادته السامع من غير تعرض ولا قصد لغيره
بإثبات ولا تنقي ، ففي الحصر معنى زائد عليه ، وهو تنقي ما عدا المذكور ، وإنما جاء
هذا في : « إِيَّاكَ تَعْبُد » ؛ للعلم بأن قائله لا يبدلون غير الله ، ولذا لم يطرده في بقية
الآيات ؛ فإن قوله ^(١) : « أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ » . لو جعل ^(٢) في معنى
ما يبتغون إلا غير دين الله ، وهمزة الإنكار داخلة عليه - لزم أن يكون المنكر
الحصر ، لا مجرد بغيرهم غير دين الله ، وليس المراد . وكذلك ^(٣) : « آلِهَةٌ دُونَ اللَّهِ
يُرِيدُونَ » المنكر إرادتهم آلهة دون الله من غير حصر .

وقد قال ^(٤) الزمخشري في ^(٥) : « وبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ » . في تقديم
الآخرة وبناء يوقنون على مُّمّ تعريف بأهل الكتاب وبما كانوا عليه من إثبات
أمر الآخرة على خلاف حقيقته ، وأن قولهم ليس بصادق عن إيقان ، وأن اليقين
ما عليه مَنْ آمَنَ بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك .

وهذا الذي قاله الزمخشري في غاية الحسن .

وقد اعترض عليه بعضهم ، قال : تقديم الآخرة أفاد أن إيقانهم متصور
على أنه إيقان بالآخرة لا بغيرها . وهذا الاعتراض من قائله مبني على ما فهمه
من أن تقديم الممول يفيد الحصر ، وليس كذلك . ثم قال المعارض : وتقديم
أفاد أن هذا القصر يختص بهم ، فيكون إيقان غيرهم بالآخرة إيمانا بغيرها حيث
قالوا ^(٦) : « لَنْ تَسْكُنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً » . وهذا من أيضاً استمرار

(٢) المافات : ٨٦

(١) آل عمران : ٨٣ (٢) في ١ : فصل .

(٦) البقرة : ٨٠

(٤) الكشاف : ١٨١ (٥) البقرة : ٤

على ما في ذهنه من الحصر ؛ أى أن المسلمين لا يوقتون إلا بالآخرة ، وأهل الكتاب يوقتون بها وبغيرها . وهذا فهم عجيب أُلجأ إليه فهم الحصر ، وهذا ممنوع .

وعلى تقدير تسليمه فالحصر على ثلاثة أقسام :

أحدها : بما وإلا ، كقوله : ما قام إلا زيد - صريح في نفي القيام عن غير زيد ، ومقتضى إثبات القيام لزيد ، قيل بالمنطوق ، وقيل بالمفهوم ، وهو الصحيح لكنه أقوى المفاهيم ؛ لأن « إلا » موضوعة للاستثناء وهو الإخراج ، فدلالته على الإخراج بالمنطوق لا بالمفهوم ، ولكن الإخراج من عدم القيام ليس هو عين القيام ، بل قد يستلزمه ؛ فذلك رجحنا أنه بالمفهوم ، والتبس على بعض الناس لذلك ، قال : إنه بالمنطوق .

والثاني : الحصر بإنما ، وهو قريب من الأول فيما نحن فيه ، وإن كان جانب الإثبات فيه أظهر ، فكأنه يفيد إثبات قيام زيد إذا قلت : إنما قام زيد بالمنطوق ، ونفيه عن غيره بالمفهوم .

الثالث : الحصر الذى قد يفيد التقديم ، وليس على تقدير تسليمه مثل الحصر^(١) فى الأولين ، بل هو فى قوة جملتين : أحدهما ما صُدِّر به الحكم فإما كان أو إثباتاً ، وهو المنطوق . والأخرى ما فهم من التقديم . والحصر يقتضى نفي المنطوق قط دون ما دل عليه من المفهوم ؛ لأن المفهوم لا مفهوم له . فإذا قلت : أنه لا أكرم إلا إياك - أفاد التعريض بأن غيرك يكرم غيره ، ولا يلزم أنك لا نسكركم . وقد قال تعالى^(٢) : « الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركاً » - أفاد أن العفيف قد ينكح غير الزانية ، وهو ساكت عن نسكاحه

(١) فى الإختان : المصرين .

(٢) النور : ٣

(١٣ - فى إيجاز القرآن)

الزانية ، فقال سبحانه بعده : « وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ » ؛
 بياناً لما سكت عنه في الأولى ؛ فلو قال : « بِالْآخِرَةِ يُوقِنُونَ » أفاد بمنطوقه
 إيقانهم بها ، ومفهومه عند من يزعم أنهم لا يوقنون بغيرها ، وليس ذلك
 مقصوداً بالذات . والمقصود بالذات قوة إيقانهم بالآخرة حتى [١٣٤] صار
 غيرها عندهم كالحوض ، فهو حصر مجازي ، وهو دون قولنا : يُوقِنُونَ
 بِالْآخِرَةِ دون غيرها^(١) ؛ فاضبط هذا ، وإياك أن تجعل تقديره لا يوقنون
 إلا بالآخرة .

إذا عرفت هذا فتقديم « هُمُ » أفاد أن غيرهم ليس كذلك ، فلو جعلنا التقدير
 لا يوقنون إلا بالآخرة كان المقصود المهم النفي ، فينسلط المفهوم عليه ؛ فيكون
 المعنى إفادة أن غيرهم يوقن بغيرها ، كما زعم المعارض ، ويطرح إيهام أنه لا يوقن
 بالآخرة . ولا شك أن هذا ليس بمراد ؛ بل المراد إيهام أن غيرهم لا يوقن
 بالآخرة ؛ فاذلك حافظنا على أن الغرض الأعظم إثبات الإيقان بالآخرة ، لينسلط
 المفهوم عليه ، وأن المفهوم لا ينسلط على الحصر ؛ لأن الحصر لم يدل عليه بجملة
 واحدة ، مثل ما وإلا ، ومثل إنما ؛ وإنما دل عليه بمفهوم مستفاد من منطوق ،
 وليس أحدهما مستقيماً بالآخر حتى نقول : إن المفهوم أفاد نفي الإيقان المحصور ؛
 بل أفاد نفي الإيقان مطلقاً عن غيرهم ؛ وهذا كله على تقدير تسمية الحصر ؛ ونحن
 نمنع ذلك ، ونقول : إنه اختصاص ، وإن بينهما فرقاً .

الوجه الثالث عشر من وجوه المجساة

احتواء على جميع لئل العرب وبللة غيرهم

من القرس والروم والحشة وغيرهم

وقد رأيت فيه تأليفا مفردا . وقد أفرحت في هذا النوع كتابا سميت به المذهب
فما وقع في القرآن من العرب . وأخلص هنا ما وقع تنية للفائدة ، ومن الله
أرجوه حسن الفائدة ، بعد أن أذكر اختلاف العلماء في وقوع العرب
في القرآن .

قالا كثرون ، ومنهم الإمام الشافعي ، وابن جرير ، وأبو عبيدة ، والقاضي
أبو بكر ، وابن قلس^(١) ، على علم وقوعه فيه ، لقوله تعالى^(٢) : « قرآنا
عربيا » . وقوله^(٣) : « ولو جعلناه قرآنا أعجيبا لقالوا لولا فصلت آياته
أعجى وعربى » . وقد شدد الشافعي التكبير على القائل بذلك .

وقال أبو عبيدة^(٤) : إما أنزل القرآن بلسان عربي مبين ؛ فمن زعم أن
فيه غير العربية قد أعظم القول . ومن زعم أن كذا بالنبطية قد أكبر القول .

وقال ابن قلس^(٥) : لو كان فيه من لغة غير العرب شيء لتوهم متوهم أن
العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله ؛ لأنه آتى بلغات لا يعرفونها .

وقال ابن جرير : ما ورد عن ابن عباس وغيره من تفسير ألفاظ من القرآن
إنها بالعلوية أو الحبشية أو النبطية أو نحو ذلك إنما اتفق فيها تولد اللغات ،
فكملت بها العرب والقرس والحشة بلقظ واحد .

(٢) فصلت : ٤٤

(٣) يوسف : ٢

(١) في المصحف : ٢٩

(٥) المصاحف : ٣٠ ، والبرهان : ١ - ٢٨٨

(٤) البرهان : ١ - ٢٨٧

وقال غيره^(١) : بل كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلقمتهم بعض 'مخالطة' لسائر الألسنة في أسفارهم ، فقلقت العرب من لغاتهم ألقاظاً غيرت بعضها بالنقص من حروفها ، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها ، حتى جرت مجرى العربي القصيح ، ووقع بها اليان . وعلى هذا الحد نزل بها القرآن .

وقال آخرون : كل هذه الألقاظ عربية صرف ، ولكن لغة العرب منسمة جداً ، ولا يبعد أن تمنح على أكابر الجلالة . وقد خفي على ابن عباس معنى فاطر وقاتح .

قال الشافعي في الرسالة : لا يحيط باللغة إلا نبي . وقال أبو العالي غزيري ابن عبد الملك^(٢) : إنما وُجدت هذه الألقاظ في لغة العرب ، لأنها أوسع اللغات وأكثرها ألقاظاً . ويجوز أن يكونوا سبقوا إلى هذه الألقاظ .

وذهب آخرون إلى وقوعه فيه . وأجابوا عن قوله^(٣) : « قرآنًا عربيًا » بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربيًا ؛ فالقصيدة القارسية لا تخرج عنها بلغة فيها عربية . وعن قوله^(٤) : « أعجمي وعربي » - بأن المعنى من السياق : [كلام أعجمي ومخاطب عربي ؟ واستدلوا باتفاق النحاة على أن منع صرف نحو إبراهيم لليلية والمعجمة .

وردة هذا الاستدلال [٣٤ ب] بأن الأعلام ليست محل خلاف ؛ فالكلام في غيرها ؛ فوجه بأنه إذا اتفق على وقوع الأعلام فلا مانع من وقوع الأجناس . وأقوى ما رأيته للوقوع - وهو اختيلوي - ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن عن أبي ميسرة التميمي^(٥) الجليل ، قال : في القرآن من كل لسان .

(١) هو ابن علية في نسخة كتابه في الضمير صفحة ٢٧٢ .

(٢) يوسف : ٣

(٣) البرهان : ٤ - ٢٩٠

(٤) (٥) و : ١ : الشافعي .

(٥) فصلت : ٤٤

وروى مثله عن سعيد بن جبير ، وذهب بن منبه ؛ فهذه إشارة إلى أن حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن أنه حوى علم الأولين والآخرين ، وبناء كل شيء ؛ فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن ؛ لتتم إحاطته بكل شيء ، فاختير من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالاً للعرب .

وأيضاً فإن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل إلى كل أمة ، وقد قال تعالى ^(١) : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » ؛ فلا بد أن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم ، وإن كان أصله بلغة قومه هو .

وقد رأيت الحوفي ^(٢) وابن القيب ذكره ، وذكر لوقوع العرب في القرآن فائدة أخرى ؛ فقال : إن قيل إن « إستبرق » ليس عربى ، وغير المسرورى من الألفاظ دون العربى في الفصاحة والبلاغة ، فنقول : لو اجتمع فصحاء العالم وأرادوا أن يتركوا هذه اللفظة ويأتوا بلفظ يقوم مقامها في الفصاحة لعجزوا عن ذلك ؛ وذلك لأن الله تعالى إذا حث عباده على الطاعة فإن لم يرغبهم بالوعد الجميل ويخوفهم بالمذاب الويل - لا يكون حثه على وجه الحكمة ؛ فالوعد والوعيد نظراً إلى الفصاحة واجب . ثم إن الوعد بما يرغب فيه العقلاء ؛ وذلك منحصر في أمور الأماكن الطيبة ، ثم المأكول الشهية ، ثم المشارب المنية ، ثم الملابس الرفيعة ، ثم المناكح اللذيذة ، ثم ما يبدد مما تختلف فيه الطبائع . فإذا ذكر الأماكن الطيبة والوعد به لازم عند القصيح ؛ ولو تركه لقال من أمر بالعبادة ووعد عليها بالأكل والشرب : إن الأكل والشرب لا التذاذ به ، إذا كنت في حبس أو موضع كره ؛ فلذا ذكر الله الجنة ومساكن طيبة فيها ، وكان ينبغي أن يذكر من الملابس ما هو أرفعها ، وأرفع الملابس هي الدنيا الحرير

(٢) في الاثنان : الحوفي . واثبت في ١ ، ب .

(١) إبراهيم : ١٠

وأما الذهب فليس مما يُنْسَج منه ثوب . ثم إن الثوب الذي من غير الحرير لا يستبر فيه الوزن والقتل ، وربما يكون الصفيق الخفيف أرفع من الثقيل الوزن . وأما الحرير فكلما كان ثوبه أثقل كان أرفع ؛ فينثذ وجب على القاصح أن يذكر الأثقل الآمن ، ولا يتركه في الوعد لئلا يقصر في الحث والسعاء .

ثم إن هذا الواجب الذكر إما أن يذكر بلفظ واحد موضوع له صريح ، أو لا يذكر بمثل هذا . ولا شك أن الذكر باللفظ الواحد الصريح أولى ؛ لأنه أوجز وأظهر في الإفادة ، وذلك « استبرق » . فإن أراد القاصح أن يترك هذا اللفظ ، ويأتي بلفظ آخر لم يمكنه ؛ لأن ما يقوم مقامه إما لفظ واحد أو ألقاظ متعددة ، ولا يجد العربي لفظاً واحداً يدل عليه ؛ لأن الثياب من الحرير عرفها العرب من التمرس ، ولم يكن لهم بها عهد ، ولا وُضع في اللغة العربية للديباج التخين اسم ، وإنما عروبوها ما سمعوا من المعجم ، واستغنوا به عن الوضع ؛ لقلة وجوده عندهم ، ونزرة^(١) لفظهم به .

وأما إن ذكره بلفظين فأكثر فإنه يكون قد أخلّ بالبلاغة ؛ لأن ذكر لفظين لمعنى يمكن ذكره بلفظٍ تطويل ؛ فلم بهذا أن لفظ « استبرق » يجب على كل نصيح أن يتكلم به في موضعه ، ولا يجد ما يقوم مقامه . وأي فصاحة أبلغ من ألا يوجد غيره مثله ؟ انتهى .

وفان أبو عبيد القاسم بن سلام^(٢) - بعد أن حكى القول بالوقوع عن القهاء والنح عن أهل العربية : والصواب عندي منذهب فيه تصديق القولين جميعاً ؛ وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال القهاء . لكنها وقعت للعرب ،

(١) في الإطكان : ونذرة تلفظهم .

(٢) البرهان : ١ - ٢٩٠ ، ٢ - ١٠٨ ، والساحي : ٢٩ .

فَرَبَّتْهَا بِالسَّيِّئَاتِ [١٣٥] ، وَحَوَّلَهَا عَنْ الْقَاطِطِ الْمَجْمُوعِ إِلَى الْقَاطِطِ ؛ فَصَارَتْ عَرَبِيَّةً ؛ ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ وَقَدْ اخْتَلَطَتْ هَذِهِ الْحُرُوفُ بِكَلَامِ الْعَرَبِ ؛ فَمِنْ قَالٍ : إِنَّهَا عَرَبِيَّةٌ فَهِيَ صَادِقٌ ؛ وَمِنْ قَالٍ : عَجَبِيَّةٌ فَصَادِقٌ .

وَمَالَ إِلَى هَذَا الْقَوْلِ الْجَوَالِيقِيُّ ، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ ، وَآخَرُونَ .

[مَا فِي الْقُرْآنِ بَنِي لُغَةِ الْحِجَازِ]

وَهَذِهِ الْأَقْطَافُ الْوَلُودَةُ فِي الْقُرْآنِ بَنِي لُغَةِ الْحِجَازِ :

وَأَمَّا مَا وَقَعَ فِيهِ بَنِي لُغَةِ الْعَرَبِ فَتَذَكَّرُ تَفْسِيرَ الْغَرِيبِ عَلَى حُرُوفِ الْمَجْمُوعِ .
أَخْرَجَ أَبُو عِيْدٍ مِنْ طَرِيقِ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، فِي قَوْلِهِ ^(١) : « وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ » ؛ قَالِ التَّنَائِي . وَهِيَ لُغَةُ يَمَانِيَّةٌ .

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ عِكْرَمَةَ قَالٍ : هِيَ بِالْحِمْيَرِيَّةِ .

وَأَخْرَجَ أَبُو عِيْدٍ عَنْ الْحَسَنِ ، قَالٍ : كُنَّا لَا نَدْرِي مَا الْأَرَاثُوكُ حَتَّى لَقِينَا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَأَخْبَرَنَا أَنَّ الْأَرِيكَةَ عِنْدَهُ هِيَ الْحَبَّةُ ^(٢) فِيهَا السَّرِيرُ .
وَأَخْرَجَ عَنْ الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ ^(٣) : « وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ » . قَالٍ : سَتُورُهُ بِلُغَةِ أَهْلِ الْيَمَنِ .

وَأَخْرَجَ عَنْ عِكْرَمَةَ فِي قَوْلِهِ ^(٤) : « وَزَوْجَتَاكُمْ بِحُورٍ عَيْنٍ » . قَالٍ : هِيَ لُغَةُ يَمَانِيَّةٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْيَمَنِ يَقُولُونَ : زَوْجَانَا فَلَانَا بِغَلَاةٍ . قَالِ الرَّائِغُ فِي مَفْرَدَاتِهِ ^(٥) : وَلَمْ يَحْمِمْ فِي الْقُرْآنِ زَوْجَتَاكُمْ حُورًا كَمَا يَقَالُ زَوْجَتُهُ امْرَأَةٌ ، تَشْبِيهًُا عَلَى أَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ عَلَى حَسَبِ التَّخْلُوفِ فِيهَا يَتَنَبَّأُ بِالْمُنَاكِحَةِ .

(١) التَّيْمُ : ٦١ (٢) الْحَبَّةُ كَالْقَبِي ، أَوْ مَوْضِعُ بَزِينِ بِالْقِيَابِ .

(٣) الْخُطْبَانُ : ٥٤ (٤) الْفَرَطَاتُ : ٢٩٦

(٥) الْقِيَامَةُ : ١٥

وأخرج عن الحسن في قوله ^(١) : « لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا » . قال : اللهو بلسان اليمن المرأة .

وأخرج عن محمد بن علي في قوله ^(٢) : « وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ » . قال : هي بلغة ملي ابن امرأته . قلت : وقد قرىء : ونادى نوح ابنها .

وأخرج عن الضحاك في قوله ^(٣) : « أَعْصِرْ خَمْرًا » . قال : عنيا بلغة أهل عمان ، يسمون العنب الخمر .

وأخرج عن ابن عباس في قوله ^(٤) : « أَتَدْعُونَ بَعْلًا » . قال : رباً بلغة أهل اليمن .

وأخرج عن قتادة قال : بعلاً رباً - بلغة أزد شنوءة .

وأخرج أبو بكر ابن الأنباري في كتاب الوقف عن ابن عباس قال لي : الوزر ^(٥) وَلَدُ الْوَلَدِ بِلُغَةِ هَذِيلٍ .

وأخرج فيه عن السكبي قال : المرجان صغار اللؤلؤ بلغة اليمن .

وأخرج في كتاب الرد على مَنْ خالف مصحف عثمان ، عن مجاهد ، قال الصواع الطَّرْجِيَّالَةُ ^(٦) بِلُغَةِ خَمِيرٍ .

وأخرج فيه عن أبي صالح في قوله ^(٧) : « أَقْلَمَ يَبْنَاسٍ الَّذِينَ آمَنُوا » . قال : أقلم يعلم بلغة هوازن . وقال القراء : قال السكبي بلغة النخع .

وفي مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس ^(٨) : يَغْرُسُكُمْ : يُضِلُّكُمْ بِلُغَةِ

(٢) يوسف : ٣٦

(٢) هود : ٤٢

(١) الأنبياء : ١٧

(٥) ن : ١ : الورا .

(٤) الصافات : ١٢٥

(٧) الرعد : ٣١

(٦) الناموس : الطرجية : الفجاعة .

(٨) المسائل : ٢٢٢

هوازن . وفيها^(١) : بُوراً : هَلَكَنِي بِلَنَةِ عَمَلَن . وفيها^(٢) : فَتَقَبَّوْا : هَرَبُوا بِلَنَةِ
الْيَمَنِ . وفيها^(٣) : لَا يَلِيْتُكُمْ : لَا يَنْقُصُكُمْ بِلَنَةُ بَنِي عَبَس . وفيها^(٤) : مُوَاعِمًا :
مَنْقُصًا ، بِلَنَةِ هَذِيل .

وأخرج سعيد بن منصور [في سُدْنَه]^(٥) عن عمرو بن شرحبيل في قوله :
سَبَلُ الْعَرَمِ ، قال : السَّنَاءُ بِلَحْنِ أَهْلِ الْيَمَنِ .

وأخرج في تفسيره ، عن ابن عباس ، في قوله^(٦) : ذَا فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ؛
قال : مَكْتُوبًا ، وَهِيَ لَنَةُ حَيْرِيَّة^(٧) ، يَسْمُونَ الْكِتَابَ أَسْطُورًا .

وقال أبو عبيد القاسم في الكتاب [الذي أَلْفَه في هذا النوع :]^(٨) في القرآن
بِلَنَةِ كِنَانَةٍ : السَّفَهَاءُ : الْجَهَالُ . خَاسِثِينَ : صَاغِرِينَ . شَطْرُ : تِلْقَاءُ . لَا خَلَاقَ :
لَا نَصِيبَ . وَجَعَلَكُمْ مَلُوكًا : أَحْرَارًا . قَبِيلًا : عِيَانًا . مُعْجِزِينَ : سَابِقِينَ .
يَعْرَبُ : يَضِيبُ . تَرَكْتُمْ : تَمِيلُوا . فَجَوَّةٌ : نَاحِيَةٌ . مَوْتَلًا : مُلْبِغًا . مُبْكَسُونَ :
آيسُونَ . دُحُورًا : طَرْدًا . الْخِرَاصُونَ : الْكَذَّابُونَ . أَسْفَارًا : كِتَابًا . أَقْنَتُ :
جَمَعْتُ . كَفُودٌ : كَفُورٌ لِلنَّعَمِ .

وبِلَنَةِ هُذَيْلٍ : الرُّجُزُ : الْمَذَابُ . شَرَوْا : بَاعُوا . عَزَمُوا الطَّلَاقَ : حَقَّقُوا .
صَلَدًا : نَقِيًّا . آتَاءَ اللَّيْلِ : سَاعَاتِهِ . فَوْرِهِمْ : وَجُوهِهِمْ^(٩) . مَيِّدَارًا : مُتَابِعًا .
فُرْقَاتًا : مَخْرَجًا . حَرَضَ : حَضَّ . عَيْلَةً : فَاةً . وَلِجَةً : بَطَانَةً . أَهْرُوا : اغْرَوْا .
السَّامِحُونَ : الصَّائِمُونَ . الْعَمَتُ : الْإِثْمُ . غَمَّةٌ : شَبْهَةٌ . يَبْدَنُكَ : يَدْرِغُكَ .
هَامِدَةٌ : مُخْبَرَةٌ . دُلُوكُ الشَّمْسِ : زَوَالُهَا . شَاكِلَتَهُ : نَاحِيَتَهُ . رُجْمًا : ظَنًّا .

(٢) منحة ٢٨٠

(٦) الأسراء : ٥٨

(٢) منحة ٢٨٥

(٥) من الإثقان .

(١) السائل منحة ٢٤٢

(٤) منحة ٢٥٤

(٧) أ : الْيُونِيَّةُ . وَالتَّبَتُّ فِي بَاءٍ وَالْإِثْقَانُ .

(٩) حَفَا : وَجْهَهُمْ .

(٨) من الإثقان .

مُلْتَحِدًا : مَلْبَأً . يَرْجُو : يَخَافُ . هَضْمًا : قَضْمًا . الْبَذَرُ : الْمُسْرِفُ . وَاقْصِدْ
فِي مَشْيِكَ : أَسْرِعْ . الْأَجْدَلُ : الْقَبْرُ . ثَقَبَ : مَضَى . بِالْهَمِّ : حَالِهِمْ .
يَهْتَجِمُونَ : يَنَامُونَ . ذُنُوبًا : عَذَابًا . دُسُرَ : السَّامِرُ [٣٥ ب] . تَقَاوَتْ :
عَيبَ . أَرْجَأُهَا : نَوَاحِيهَا . أَطْوَلُوا : أَلْوَأَا . بَرَدًا : نَوْمًا . وَاجِفَةً : خَائِفَةً .
مُسْتَفْبَةً : مَجْلَعَةً .

وَبَلَنَةً حَيْرَ : تَفَشَّلُوا : تَجَبَّنُوا . عُرِّرَ : اطْلَعُ . سَفَاهَةً : جُنُونٌ . زَيْلُنَا :
مَيْرَانًا . مَرَجُوا : حَقِيرًا . السَّقَايَةُ : الْإِنَاءُ . مَسْنُونٌ : مَتْنٌ . إِمَامٌ : كَتَلَبَ .
يُنْفِضُونَ : يَحْرُكُونَ . حُسْبَانًا : بَرَدًا . مِنَ الْكِبَرِ عِتْيًا : نُحُولًا^(١) . مَأْرَبٌ :
حَاجَاتُ . خَرَجَا : جُعَلَا . غَرَامَا : بَلَاءٌ . الصَّرِخُ : الْيَتُّ . لِنَبْكَرِ الْأَصْوَاتِ :
أَقْبَحَهَا . مَرَضٌ : زَنَا . اقْطُرَ : التَّعَاسُ . مَحْشُورَةٌ : مَجْمُوعَةٌ . مَعْكُوفًا : مَحْبُوسًا .
يَتَرَكُ : يَنْتَصِمُ . مَدِينِينَ : مَجَاسِينَ . يَجْبَارُ : يُمَسِّطُ^(٢) . رَايَةً : شَدِيدَةً .
وَيِيلًا : شَدِيدًا .

وَبَلَنَةً جُرْمٌ : فَبَأُوا : اسْتَوْجِبُوا . شَقَاقٌ : ضَلَالٌ . خَيْرًا : مَالًا . كَدَابٌ :
أَشْبَاهٌ . تَعْدَلُوا : تَمِيلُوا . يَغْنُوا : يَتَمَتَّعُوا . شَرْدٌ : نَكَلٌ . أَرَادَلُنَا : سَفَلَتَنَا .
عَصِيبٌ : شَدِيدٌ . لَقِيفًا : جَمِيعًا . مَحْشُورًا : مَنْقُطًا . حَذَّبَ : جَانَبَ . الْخِلَالُ :
السَّحَابُ . الْوَدْقُ : الْمَطَرُ . شِرْزَمَةٌ : عَصَابَةٌ . رِيحٌ : طَرِيقٌ . يَنْزِيلُونَ : يَخْرُجُونَ .
الْحَبْكُ : الطَّرَائِقُ . سَوْرٌ : الْخَائِطُ .

وَبَلَنَةً أَزْدَ شَنْوَةً : لَا شَيْءَ : لَا وَضْعَ . الْمَضَلُ : الْمَلْبَسُ . أُمَّةٌ : سَنِينَ .
الرَّسَ : الْبُرُ . كَاظِمِينَ : مَكْرُوبِينَ . غَيْثَلِينَ : الْحَسَلُ الْهَيَّ تَنَاهَى حَرُّهُ .
لَوَّاعَةً : حَرَّاقَةً :

(٢) لِي ب : يَطْلُغَان .

(١) لِي ب : تَحُولًا .

وبلغة مدح^(١) : رفث : جماع . مُقْتَدِرًا : بظاهر من القول : بكذب .
الوصيد : القناء . حقا : دهرًا . الخراطوم : الأنف .

وبلغة خشم : تُسِيمُون : ترعون . مريج : منتشر . صَفَّت : مالت . هَلُوعًا :
ضجورًا . شططا : كذبا .

وبلغة قيس عيلان : نَحْلَةٌ : فريضة . حرج : ضيق . نلأمرون : مضيعون .
تَفْنَدُون : تستهزئون . صياصيمهم : حصونهم . تُحْبِرُونَ : تنعمون . رجيم : ملعون .
يَلِثْكُمْ : ينقصكم .

وبلغة سعد العثيرة : حفلة : أختان . كل : عيال .

وبلغة كندة : فجاجا : طرقات . بُسَّت : فُتَّت . نبتش : تمرن .

وبلغة عذرة : اخسثوا : اخزوا .

وبلغة حضرموت : ربيون : رجال . دمرنا : أهلكنا . لغوب : إعياء .
مِنْسَاتِه : عصاه .

وبلغة غسان : طققا : عمدا . بثيس : شديد . سىء بهم : كرههم .

وبلغة مزينة : لا تَغْلُوا : لا تزيدوا .

وبلغة لحم : إملاق : جوع . ولتعلن : تظهرون .

وبلغة جذام : فجاسوا خلال الديار : تمكثوا الأزقة .

وبلغة بني حنيفة : العتود : اليهود . الجناح : اليد . والرهب : الفرع .

وبلغة اليمامة : خَصِرَتْ : ضاقت .

وبلغة سبأ : تَمَلُّوا مِلا عظيما : تخطئوا خطأ يئسا . تَبَرَّنَا : أهلكنا .

(١) في الإطن : مذحج ، والمجث في ا ، ب .

وبلغة سليم : نكص : رجع .

. وبلغة حمارة : الصاعقة : الموت .

وبلغة علي : ينق : يصيح . رغداً : خصباً . سفه نفسه : خسرها . يس :
يا إنسان .

وبلغة خزاعة : أفيضوا : افروا . والإفضاء : الجماع .

وبلغة همان : خبالاً : غياً . نفقا : سرباً . حيث أصاب : أراد .

وبلغة تميم : أمة : نسيان . بنيا : حسدا .

وبلغة أمار : طائره : عمله . أغطش : أظلم .

وبلغة الأشعرين : لأحتسكن^(١) : لاستأصِلن^(٢) . تارة : مرة . اشمازت :

مالت وتقرت .

وبلغة الأوس : لينة : النخلة .

وبلغة الخزرج : يتفَضُّوا : يذهبوا .

وبلغة مدين : فاقض : فامض^(٣) . انتهى . ما ذكره أبو القاسم مائخصاً .

[اللغات في القرآن]

وقال أبو بكر الواسطي في كتابه « الإرشاد في القراءات المشنوءة » :

في القرآن من اللغات خمسون لغة : لغة قريش ، وهذيل ، وكنانة ، وخثعم ،

والخزرج ، وأشعر ، ونمير ، وقيس عيلان ، وجُرهم ، واليمن ، وأزد شنوءة ،

(١) في الإبتان : فافرق : فاقض .

وكندة ، وثيم ، وحير ، ومدين ، ولحم ، وسط المشيرة ، وحضرموت ،
وسدوس ، والمالقة ، وأملر ، وغان ، ومدج^(١) ، وخزاعة ، وغطفان ، وسبأ ،
وعمان ، وبنو حنيفة ، وثعلبة ، وطى ، وعامر بن صعصعة ، وأوس ، ومزينة ،
وتقيف ، وجذام ، ويلي ، وعدرة ، وهوازن ، والنمر ، واليامة .

ومن غير [١٣٦] العربية : القرس ، والتبط^(٢) ، والروم ، والحبيشة ، والبربر ،
والسريانية ، والعبرانية ، والقبط . ثم ذكر في أمثلة ذلك غالب ما تقدم عن أبي القاسم ،
وزاد الزجر : الذباب بلغة طيء^(٣) . طائف من الشيطان : نخعة ، بلغة تقيف .
الأحماق : الرمال بلغة ثعلبة .

وقال ابن الجوزي في « فنون الألفان » : في القرآن بلغة همدان : الرمان :
الرزق . والميناء^(٤) : البيضاء . والبقرى : الطناقس .

وبلغة نصر بن معاوية : المختار : القدار .

وبلغة عامر بن صعصعة : الحقة : الخدم .

وبلغة تقيف : السوف : الليل .

وبلغة عك : الصور : القرن .

وقال ابن عبد البر في « التمهيد » : قول من قال : زل القرآن بلغة قريش
مستاء عندى الأغلب ؛ لأن غير لغة قريش موجودة في جميع القراعات ؛ من تحقيق
الهمزة ونحوها ؛ وقريش لا تهجر .

وقال الشيخ جلال الدين بن مالك : أزيل لغة القرآن بلغة الحجازيين إلا قليلا ،

(١) في الألفان : . ومذحج .

(٢) في ١ : القبط — بالتحلف ، تحريف ، لأنها حثاني .

(٣) في الألفان : عين : بيض .

(٤) في الألفان : بي .

فإنه نزل بلغة التيسين ؛ كالإدغام في^(١) : « وَمَنْ يَشَقِّ لِقَّةً » . وفي^(٢) :
« مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ » ، فإن إدغام المجزوم لغة تميم ، ولهذا قل . والله
لغة الحجاز ؛ ولهذا كثر ، نحو : « وَلِيُمْلِلِ » ، « يُحْيِيكُمْ اللَّهُ » . « يَمْلِكُكُمْ » .
« وَاشْدُدْ بِهِ أَزْرِي » . « وَمَنْ يَحْمِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي » .

قال : وقد أجمع القراء على نصب : « إِلَّا اتَّبَاعَ الظَّنِّ » ؛ لأن لغة الحجازيين
التزام النصب في المنقطع ، كما أجمعوا على نصب^(٣) : « مَا هَذَا بَشَرًا » ؛ لأن
لستهم إعمال ما .

وزعم الزمخشري في قوله^(٤) : « قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ » — أنه استثناء منقطع جاء على لغة بني تميم^(٥) .

قاعدة

قال الواسطي : ليس في القرآن حرف غريب من لغة قريش غير ثلاثة
أحرف ؛ لأن كلام قريش سهل لين واضح ، وكلام العرب وحشي غريب ،
فليس في القرآن إلا ثلاثة أحرف غريبة : «^(١) فَيُذَفِّضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ » :
وهو تحريك الرأس : «^(٢) مُقِيَّتَا » : مقتدراً . «^(٣) فَشَرَّوْهُمْ بِهِمْ » : سمع .

(٣) يوسف : ٢١

(٢) المائدة : ٥٤

(١) الحشر : ٤

(٤) النمل : ٦٥

(٥) في الكشاف (٢ - ١٤٩) : جاء على لغة تميم حيث يقولون : ما لي بفار أحد
إلا حلو ، يريدون ما فيها إلا حار ، وكان أحداً م يذكرون .

(٨) الأنفال : ٥٧

(٧) النساء : ٨٥

(٦) الإسراء : ٥١

الوجه الرابع عشر من وجوه العجسازة

عموم بعض آياته وخصوص بعضها

وهو ^(١) لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر ؛ وصيغته « كل » مبتدأة نحو ^(٢) : « كلُّ مَنْ عَلَيْهَا قَانٍ » . أو تابعة ، نحو ^(٣) : « فسجد الملائكة كلُّهم أجمعون » .

والذي والى وتثنيتها وجمعها ؛ نحو ^(٤) : « والذي قال لو آتيتكم بأفلاكما » ؛ فإن المراد به كل من صدر منه هذا القول ، بدليل قوله بعد ^(٥) : « أولئك الذين حق عليهم القول في أمم » . ^(٦) والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » . ^(٧) للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » . ^(٨) للذين اتقوا عند ربهم جنات » . ^(٩) واللاتى يترسن من المحيض ... » الآية . ^(١٠) واللاتى يأتين الفاحشة من سائكم فاستشهدوا ... » الآية . ^(١١) واللاتى يبينها منكم فاذوها » .

وأى . وما . ومن - شرطاً أو استغناءً أو موصولاً ، نحو ^(١٢) : « أيا ما تدعو له الأسماء الحسنى » . ^(١٣) إسمكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم » . ^(١٤) من يعمل سوءاً يجز به » .

(١) أى العام .	(٢) الرحمن : ٢٦	(٣) الحجر : ٣٠
(٤) الأنعام : ١٧	(٥) آية ١٨ من السورة نفسها .	
(٦) البقرة : ٨٢	(٧) يونس : ٩٦	(٨) آل عمران : ١٥
(٩) الطلاق : ٤	(١٠) النساء : ١٥	(١١) النساء : ١٦
(١٢) الأسراء : ١١٠	(١٣) الأنبياء : ٩٨	(١٤) النساء : ١٢٣

والجمع المضاف ، نحو^(١) : « يوصيكم الله في أولادكم » . [والمعرف^(٢)
 بآل ؛ نحو^(٣) : قد أفلح المؤمنون . واقتلوا المشركين .

واسم الجنس المضاف ، نحو^(٤) : [« فليحذر الذين يخالفون عن أمره » ؛
 أى كل أمر لله .

والمعرف بآل نحو^(٥) : « وأحل الله البيع » ؛ أى كل بيع . «^(٦) إن
 الإنسان لفي خسر » ؛ أى كل إنسان ، بدليل : « إلا الذين آمنوا » . والنكرة
 في سياق النفي والنهي ، نحو^(٧) : « وإن من شيء إلا عندنا خزائنه » .
 «^(٨) ذلك الكتاب لا ريب فيه » . «^(٩) فلا رقت ولا فسوق ولا جدال في
 الحج » . « فلا^(١٠) تقلن أهما أف » .

وفي سياق الشرط ، نحو^(١١) : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره
 حتى يسمع كلام الله » .

وفي سياق الامتنان ، نحو^(١٢) : « وأنزلنا من السماء ماء طهورا » .

فصل

العام على ثلاثة أقسام :

الأول : الباقي على عمومته ؛ قال القاضي حلال الدين البلاتيني : ومثاله عزيز ،
 إذ ما من عام إلا ويتخيل فيه التخصيص ؛ فتونه : « يا أيها الناس اتقوا ربكم » .

(١) النساء : ١٠	(٢) أى الجمع المعروف بآل .	(٣) المؤمنون : ١
(٤) النور : ٦٣	(٥) من الاتقان .	(٦) البقرة : ٢٧٥
(٧) العصر : ٢	(٨) المجبر : ٢١	(٩) البقرة : ٢
(١٠) البقرة : ١٩٧	(١١) الأسراء : ٢٣	(١٢) التوبة : ٦
(١٣) الفرقان : ٤٨		

قد يُخص منه غير المكلف . وحُرِّمَتْ عليكم الميتة خص منه حالة [٣٦ ب]
الاضطرار وميتة السمك والجراد . وحرم الربا - خص منه المرايا .

وذكر المزدكشي في البرهان^(١) : أنه كثير في القرآن ، وأورد منه :
« (٢) إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » . « (٣) إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا » .
« (٤) وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا » . « (٥) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُبْسِكُمْ
ثُمَّ يُنْحِيكُمْ » . « (٦) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْقَةٍ » . « (٧) اللَّهُ الَّذِي
جَلَّ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا » .

قلت : هذه الآيات كلها في غير الأحكام الشرعية ، فالظاهر أن مراد البلقيني
أنه عزيز في الأحكام الشرعية . ولقد استخرجت من القرآن بعد التكرار آية فيها ،
وهي قوله^(٨) : « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ... » الآية فإنه لا خصوص فيها .

الثاني : العام المراد به الخصوص .

الثالث : العام المخصوص ، وللناس بينها فروق :

منها : أن الأول لم يرد شموله لجميع الأفراد ، لا من جهة تناول اللفظ ، ولا من
جهة الحكم ؛ بل هو نوأفراد استعمل في فرد منها . والثاني أريد عمومه وشموله
لجميع الأفراد من جهة تناول اللفظ لما ، لا من جهة الحكم .

ومنها : أن الأول مجاز قطعاً لنقل اللفظ عن موضوعه الأصلي ، بخلاف الثاني ؛
فإن فيه مذاهب أصحها أنه حقيقة ، وعليه أكثر الثافيه وكثير من الحنفية وجميع
الحنابلة ؛ ونقله إمام الحرمين عن جميع الفقهاء .

(٢) المجادلة : ٧

(١) البرهان : ٢ - ٢١٧

(٥) الروم : ٤٠

(٤) الكهف : ٤٩

(٣) يونس : ٤٤

(٨) الباء : ٢٣

(٧) غافر : ٦٤

(٦) غافر : ٦٧

(١٤ - ن إعجاز القرآن)

وقال الشيخ أبو حامد : إنه مذهب الشافعي وأصحابه ، وصححه السبكي ؛ لأن تناول اللفظ للبعض الباقي بعد التخصيص كتناوله بلا تخصيص ؛ وذلك تناولٌ حقيقى اتفاقاً ، فليكن هذا تناول حقيقياً أيضاً .

ومنها أن قرينة الأول عقلية ، والثاني لفظية .

ومنها أن قرينة الأول لا تنفك عنه ، وقرينة الثاني تنفك عنه .

ومنها أن الأول يصح أن يراد به واحد اتفاقاً ، وفي الثاني خلاف .

ومن أمثلة العام المراد به الخصوص قوله تعالى^(١) : « الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا » ، والقائل ولحد نعيم ابن مسعود الأشجعي أو أعرابي من خزاعة ، كما أخرجه ابن مردويه من حديث أبي رافع ، لقيامه مقام كثير في تشييطه المؤمنين عن ملاقاته أبي سفيان .

قال الفارسي : وما يقوى أن المراد به واحد^(٢) : « إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ » ، [فوقمت الإشارة بقوله « ذلكم » إلى واحد بعينه ، ولو كان المعنى به جمعا لقال : إِنَّمَا أُوْشِكُمُ الشَّيْطَانُ ؛]^(٣) فهذه دلالة ظاهرة في اللفظ .

ومنها قوله تعالى^(٤) : « أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ » ؛ أى رسول الله صلى الله عليه وسلم لجمعه ما فى الناس من الخصال الحميدة .

ومنها قوله^(٥) : « ثُمَّ أَنْبِئُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ » . أخرج ابن جرير من طريق الضحاك ، عن ابن عباس ، فى قوله : « مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ » ؛ قال إبراهيم .

(١) آل عمران : ١٧٣ (٢) آل عمران : ١٧٥

(٣) من الاتقان ، والبرهان : ٢ - ٢٢٠

(٤) النساء : ٥٤ (٥) البقرة : ١٩٩

ومن التريب قراءة سعيد بن جبير : من حيث أفاض الناس . قل في الخشب : بني آدم ، لقوله : قسي ولم نجد له عزماً .

ومنها قوله ^(١) : « فادته اللاسكة وهو قائم يصلي في الخراب » ؛ أي جبريل ، كما في قراءة ابن مسعود .

وأما المخصوص فمثلته في القرآن كثيرة جداً ، وهي أكثر من النسخ ؛ إذ ما من عام [فيه] ^(٢) إلا وقد خص ؛ ثم المخصص له إما متصل ، وإما منفصل ؛ فالتصل نحة وقت في القرآن :

أطعها : الاستثناء ؛ نحو ^(٣) : « والذين يرمون المُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ . إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا » . ^(٤) « وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَأْوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... » الآية . ^(٥) « وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ... » إلى قوله : « إِلَّا مَنْ تَابَ » . ^(٦) « وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ » . ^(٧) « كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ » .

الثاني : الوصف ، نحو ^(٨) « وَرَبَّانِيكَ اللَّائِي فِي حُجُورِكُم مِّنْ نَّسَائِكُم اللَّائِي دَخَلْتُم بِهِنَّ » .

الثالث : الشرط ، نحو ^(٩) : « وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ بِمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عُلِمَ فِيهِمْ خَيْرٌ » . ^(١٠) « كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ » .

(١) آل عمران : ٣٩	(٢) ليس في الاطمان .	(٣) النور : ٤
(٤) الشعراء : ٢٢٤ - ٢٢٧	(٥) الفرقان : ٦٨	(٦) النساء : ٢٤
(٧) القصص : ٨٨	(٨) النساء : ٢٣	(٩) النور : ٣٣
(١٠) البقرة : ١٨٠		

الرابع : الغاية ، نحو ^(١) : قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ...
إلى قوله : « حَتَّى يَعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ » . ^(٢) وَلَا تَقْرَبُوهُمْ حَتَّى
يُطَهِّرُوا . ^(٣) وَلَا تَخْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ . ^(٤) وَكُلُوا
واشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ ... الآية .

الخامس : بدل البعض من الكل [١٣٧] نحو ^(٥) : « وَهُوَ عَلَى النَّاسِ حَكِيمٌ
الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا » .

والمخصص ^(٦) آية أخرى في محل آخر ، أو حديث ، أو إجماع ، أو قياس .

فمن أمثلة ما خص بالقرآن قوله تعالى ^(٧) : « وَالطَّائِفَاتِ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ » ، خص بقوله ^(٨) : « إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمَنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ
قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا » ؛ وبقوله ^(٩) : « وَأُولَاتُ
الْأَحْصَانِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ » . وقوله ^(١٠) : « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ
وَاللَّدْمُ وَالْحَمُ الْخَزِيرِ » . خص من الميتة السمك بقوله ^(١١) : « أَهْلًا لَكُمْ صَيْدُ
الْبَحْرِ وَطَعْلُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلْيَمِينَةِ » . ومن الدم الجامد بقوله ^(١٢) : « أَوْ دَمًا
مَسْفُوحًا » . وقوله ^(١٣) : « وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ... »
الآية . خص بقوله ^(١٤) : « فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ » . وقوله ^(١٥) :
« انْزَابِي وَانْزَابِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ » . خص بقوله ^(١٦) :

(١) التوبة : ٢٩	(٢) البقرة : ٢٢٢	(٣) البقرة : ١٩٦
(٤) البقرة : ١٨٧	(٥) آل عمران : ٩٧	
(٦) في الإتيان : والتفصل .	(٧) البقرة : ٢٢٨	
(٨) الأحزاب : ٤٩	(٩) الطلاق : ٤	(١٠) المائدة : ٣
(١١) المائدة : ٩٦	(١٢) الأنعام : ١٤٥	(١٣) النساء : ٢٠
(١٤) البقرة : ٢٢٩	(١٥) النور : ٢	(١٦) النساء : ٢٥

« فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الذَّابِ » . وقوله ^(١) : « فَانكِحُوا مَا طَلَبَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ » . خص بقوله ^(٢) : « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ... » الآية .

ومن أمثلة ما خص بالحديث قوله تعالى : « وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ » . خص منه اليوع الفاسدة ، وهي كثيرة ، بالسنة . وحرّم الربا . خص المرايا ^(٣) منه بالسنة . وآيات الموارث خص منها القاتل والمخالف في الدين بالسنة .

وآية تحريم الميتة خص منها الجراد بالسنة . وآية ثلاثة قروء خص منها الأمة بالسنة .

وقوله : ماءً طهوراً ، خص منه التنغير بالسنة . وقوله : « وَالسَّرِقِ وَالسَّارِقَةِ » خص منهما من سرق دون ربع [دينار] ^(٤) بالسنة .

ومن أمثلة ما خص بالإجماع آية الموارث ؛ خص منها الرقيق فلا يرث بالإجماع ، ذكره مكّي .

ومن أمثلة ما خص بالقياس آية الزنا ^(٥) : « فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ » خص منه المبد بالقياس على الأمة المنصوعة في قوله ^(٦) : « فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الذَّابِ » . اخصص لعموم الآية ؛ ذكره مكّي أيضاً .

(١) النساء : ٣ (٢) النساء : ٢٣

(٣) المرايا : واحصتها مرة ، وهي النخلة يربها صاحبها رجلاً عتاجاً . والإعراء أن جعل له ثمرة عامياً (الحان) .

(٤) من الاثخان . (٥) الطهور : ٢ (٦) النساء : ٢٥

فصل

من خاص القرآن ما كان مخصصاً لمعوم السنة ، وهو عزيز . ومن أمثله قوله تعالى ^(١) : « حَتَّى يُقْطَعُوا الْجِزْيَةُ عَنْ يَدِي » . خص عموم قوله صلى الله عليه وسلم : أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . وقوله ^(٢) : « حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى » . خص عموم نهيه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة في الأوقات المكروهة بإخراج القرائن . وقوله ^(٣) : « وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا ... » الآية . خص عموم قوله صلى الله عليه وسلم : مَا أُيِّنَ مِنْ حَيْثُ فَهُوَ مَيْتَةٌ . وقوله ^(٤) : « وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ » . خص عموم قوله صلى الله عليه وسلم : لَا تَحُلْ الصَّدَقَةَ لِنَفْسِي وَلَا لِدَيِّ مِرَّةٍ سِوَى . وقوله ^(٥) : « قَاتِلُوا الَّتِي تَبْغَى حَتَّى تَنْفِيَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ » . خص عموم قوله صلى الله عليه وسلم : إِذَا لَقِيَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفِهِمَا قَاتِلًا وَمُقْتُولًا فِي النَّارِ .

فروع

مشتقة تتعلق بالعموم والمخصوص

الأول - إذا سبق العام للمدح أو التمجيد فهل هو باق على عمومته ؟
فيه مذاهب :

(٢) التحل : ٨٠

(٢) البقرة : ٢٣٨

(١) التوبة : ٢٩

(٥) المجزئات : ٠

(٤) التوبة : ٦٠

أحدها : نعم ؛ إذ لا صارف عنه ، ولا تنافي بين الصوم وبين المدح أو الذم .

والثاني : لا ؛ لأنه لم يُسَقِّ لتعظيم ؛ بل للمدح أو الذم .

والثالث - وهو الأصح : التفصيل ، فيعم إن لم يعارضه عام آخر لم يُسَقِّ لتلك ، ولا يعم إن عارضه ذلك جمعاً بينهما .

مثاله ، ولا مُعَارِضَ ، قوله تعالى^(١) : « إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . وَإِنَّ الْقَبَّارَ لَفِي جَحِيمٍ » . ومع المعارض قوله^(٢) : « وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَاقْتِرَابِهِمْ مَعْزُولُونَ . إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ » ؛ فإنه سيق للمدح ، وظاهره يعم الأخنتين بملك اليمين جمعاً ؛ وعارضه في ذلك^(٣) : « وَأَنْ يَجْتَمِعُوا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ » ، فإنه شامل لجمعهما بملك اليمين ، ولم يسق للمدح ؛ فحمل الأول على غير ذلك بأن لم يرد تناوله له .

ومثاله في الذم^(٤) : « وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالنَّهْصَ ... » الآية - فإنه سيق للذم ، وظاهره يعم الحلي المباح . وعارضه في ذلك حديث جابر : ليس في الحلي زكاة ؛ فحمل الأول على غير ذلك .

الثاني - اختلف في الخطاب الخاص به صلى الله عليه وسلم ؛ نحو : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ » . « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ » ؛ هل يشمل الأمة ؟ [٣٧ ب] فقيل : نعم ؛ لأن أمر القدوة^(٥) أمر لأتباعه معه عرفاً . والأصح في الأصول المنع لاختصاص الصفة^(٦) به .

(١) النساء : ٢٣

(٢) المؤمنون . ٥

(٣) الاحطار : ١٤

(٤) في ب : لأن الأمر للقدوة .

(٥) التوبة : ٣٤

(٦) في الإهانة : الصيغة .

الثالث - اختلف في الخطاب بيأياها الناس ، هل يشمل الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ على مناهب :

أصحبها - وعليه الأكثرون : نعم ، لسوم الصفة^(١) له ، أخرج ابن أبي حاتم عن الزهري ، قال : إذا قل الله : يا أيها الذين آمنوا اخلوا ، فالنبي صلى الله عليه وسلم منهم .

والثاني : لا ؛ لأنه ورد على لسانه لتبليغ غيره ، ولما له من الخصائص .
والثالث : إن اقترن بقل لم يشمل ؛ لظهوره في التبليغ ، وذلك قرينة عدم تحوله ، وإلا فيشمه .

الرابع : الأصح في الأصول أن الخطاب بيأياها الناس يشمل الكافر والبدن ؛ لسوم اللفظ . وقيل : لا يضم الكافر بناء على عدم تكليفه في القروع^(٢) ، ولا البدن لصرف منافع لسيده شرعاً .

الخامس : اختلف في « مَنْ » هل يتناول الأنثى ؟ فالأصح : نعم ، خلافاً للحنفية ؛ لما قوله تعالى^(٣) : « وَمَنْ يَمَلَّ مِنْ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَى » - فالتفسير بهما دالٌّ على تناول « مَنْ » لهما . وقوله^(٤) : « وَمَنْ يَتَّقُنْ مِنْكُمْ اللَّهُ وَرَسُولَهُ » .

واختلف في جمع المذكر السالم هل يتناولها ؟ فالأصح لا . وإنما يدخلن فيه بقرينة . أما الكثر فلا خلاف في دخولهن فيه .

السادس : اختلف في الخطاب بيأهل الكتاب ، هل يشمل المؤمنين ؟

(١) في الألفاظ : بالفتح .

(٢) الأحزاب : ٢١ .

(٣) في الألفاظ : المينة .

(٤) النساء : ١٢٤ .

فَأَصَحُّ لَا ؛ لَأَنَّ الْفَتْحَ قَاصِرٌ عَلَى مَنْ ذَكَرَ . وَقِيلَ : إِنْ شَرَكُوهُمْ فِي الْمَعْنَى شَمَلَهُمْ
وَلَا فَلَ .

وَاخْتَلَفَ فِي الْخُطَابِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا — هَلْ يُكْمَلُ أَهْلُ الْكِتَابِ ؟ قِيلَ :
لَا — بِنَاءٌ عَلَى أَنَّهُمْ غَيْرُ مُخَاطَبِينَ بِالْقُرْءِ . وَقِيلَ : نَعَمْ ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ السَّمْعَانِ .
وَقِيلَ قَوْلُهُ : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُطَابٌ تَشْرِيفٌ لَا تَخْصِصٌ .

• • •

الوجه الخامس عشر من وجوه العجس

ورود بعض آياته مجمة وبعضها مبينة

وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ مِنْ حَسَنِ الْبَلَاغَةِ مَا يَجُزُّ عَنْهُ أَوَّلُ الْقَصَادَةِ ، لَكِنْ هَلْ يَجُوزُ
جُتَاؤُهُ بِمَجْلَامٍ لَا ؟ أَقُولُ . أَصَحُّهَا لَا يَبْقَى الْمَكْلَفُ بِالْمَلِّ بِهِ بِخِلَافِ غَيْرِهِ .
وَلِلْإِجْمَالِ أَسْبَابٌ :

أَحَدُهَا — الْإِشْتِرَاكُ ، نَحْوُ ^(١) : « وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ » ، فَإِنَّهُ ^(٢) مَوْضُوعٌ
لِأَقْبَلِ وَأَدْبَرَ . « ^(٣) ثَلَاثَةُ قُرُوءٍ » ، فَإِنَّ الْقُرْءَ مَوْضُوعٌ لِلْحَيْضِ وَالطَّهْرِ .
« ^(٤) أَوْ يَمَقُّوْا الَّذِي يَدُهُ عَتَلَةُ النِّكَاحِ » — يَحْتَمِلُ الزَّوْجَ وَالْوَلِيَّ ؛ فَإِنْ كِلَاهُمَا
يَدُهُ عَتَلَةُ النِّكَاحِ .

وِثَانِيهَا — الْخُذْفُ ، نَحْوُ ^(٥) : « وَتَرِغْبُونَ أَنْ تُنَكِّحُوهُمْ » ، يَحْتَمِلُ فِي، وَعَنْ .
وِثَالِثُهَا — اخْتِلَافُ مَرْجِعِ الضَّمِيرِ ، نَحْوُ ^(٦) : « إِلَيْهِ يَصْمَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ »

(١) التَّكْوِيرُ : ١٧

(٢) لِي الْبَرْهَانِ (٢ — ٢٠٩) : قِيلَ أَقْبَلُ ، وَأَدْبَرَ .

(٣) الْبَقَرَةُ : ٢٣٨ (١) الْبَقَرَةُ : ٢٣٧ (٤) النِّسَاءُ : ١٢٧

والصلُّ الصالحُ يرفه « . يحتمل عود ضمير القاعل في يرفه إلى ما عاد عليه ضميرُ إليه ؛ وهو الله ، ويحتمل عَوْدَه على الصل . والعنى إن الصل الصالح هو الذى يرفع اليكلم الطيب .

ويحتمل عوده إلى الكلم الطيب ؛ أى أن الكلم الطيب — وهو التوحيد — يرفع الصل الصالح ؛ لأنه لا يصح الصل إلا مع الإيمان .
ورابعها — احتمال العطف والاستئناف ، نحو ^(١) : « إلا الله والراسخون في العلم يقولون » .

وخامسها — غرابة اللفظ ، نحو ^(٢) : « فلا تفضلوهن » .

وسادسها — عدم كثرة الاستعمال ، نحو ^(٣) : « يُلقُونَ السَّعَ » ؛ أى يسمعون . « ^(٤) ثانى عِطْفِهِ » ؛ أى متكبراً . « ^(٥) فأصبح يقلبُ كَفْيَهُ » ؛ أى نادماً .

وسابعها — التقديم والتأخير ، نحو ^(٦) : « ولولا كلمةٌ سبقت من رَّبِّكَ لكان لِرَآمًا وأجلٌ مُسَمًّى » . [أى : ولولا كلمة وأجل مسمى لكان لِرَآمًا] ^(٧) . « ^(٨) يسألونك كأنك حَفِيٌّ عنها » ، أى يسألونك عنها كأنك حَفِيٌّ .

وثامنها — قلب النقول ، نحو ^(٩) : « طُورِ سَيْنِينَ » ، أى . سيناء « على ^(١٠) إل ياسين » . أى الياس ^(١١) .

(١) آل عمران : ٧ (٢) البقرة : ٢٣٢ (٣) الشعراء : ٢٢٣

(٤) الحج : ٩ (٥) الكهف : ٤٢ (٦) طه : ١٢٩

(٧) من الامكان : والبرهان . (٨) الأعراف : ١٨٧

(٩) التين : ٢ ، وفي البرهان : من جهة النقول المنطوق .

(١٠) الصافات : ١٣٠ (١١) في البرهان : الناس .

وتاسعها - التكرير القاطع لوصل الكلام في الظاهر ، نحو^(١) : « الَّذِينَ
اسْتَضَعُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ » .

فصل

قد يقع التبيين متصلاً ؛ نحو^(٢) : « من القَجَر » بعد قوله^(٣) : « الخَيْطُ
الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ » . ومنفصلاً في آية أخرى ، نحو^(٤) : « فَإِنْ طَلَّقَهَا
فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ حَتَّى تَتَكَبَّرَ زَوْجاً غَيْرَهُ » [١٣٨] بعد قوله^(٥) :
« الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ » ، فإنها بينت أن المراد به الطلاق الذي تملك الرجعة بعده ؛
ولولاها لكان الكل منحصرأ^(٦) في الطلقتين .

وقد أخرج أحمد وأبو داود في ناسخه ، وسعيد بن منصور وغيرهم ، عن
ابن^(٧) سعيد الأسدي ، قال : قال رجل : يا رسول الله ؛ الطلاق مرتان ، فأين
الثالثة ؟ قال : [أو تسريح بإحسان^(٨)]

وأخرج ابن مردويه عن أنس ، قال : قال رجل : يا رسول الله ، ذكر الله
الطلاق مرتين ، فأين الثالثة ؟ قال : [^(٩) « إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » .
وقوله^(١٠) : « وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ » - دال على جواز
الرؤية ، ويفسر أن المراد بقوله : لا تدرك الأبصار : لا تحيط به دون لا تراه^(١١) .

(٢) البقرة : ١٨٧

(١) الأعراف : ٧٥

(٣) البقرة : ٢٢٩ ، ٢٣٠

(٤) في البرهان : لولا هذه القرينة . (٥) في الإمتحان : عن أبي وزين .

(٦) من الإمتحان . (٧) النجاة : ٢٢ ، ٢٣

(٨) في الإمتحان .

(٩) في البرهان (٢ - ٢١٦) : فإنه دل على جواز الرؤية ويفسر به قوله تعالى :

لا تدرك الأبصار . حيث كان مترجماً بين من الرؤية أصلاً وبين في الإحاطة والمحصردون
أعمال الرؤية .

وقد أخرج ابن جرير من طريق العوفي، عن ابن عباس، في قوله: «لا تدرك الأبصار»؟ قل: لا تحيط به.

وأخرج عن عكرمة أنه قيل له عند ذكر الرؤية: أليس قد قال: «لا تدرك الأبصار»؟ قل: أفلت ترى السماء أفكلها ترى؟

وقوله تعالى^(١): «أَحَلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةَ الْأَنْحَامِ إِلَّا مَا يُنْتَلَى عَلَيْكُمْ» - فسر قوله^(٢): «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ...» الآية.

وقوله^(٣): «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» - فسر قوله^(٤): «وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ» ثم ما أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ - يوم لا تملك نفس... الآية.

وقوله^(٥): «فَخَلَقَ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ» - فسر قوله^(٦): «قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا...» الآية.

وقوله^(٧): «وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا» - فسر قوله في آية النحل^(٨): «بِالْأُنثَى».

وقوله^(٩): «وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ» - قال العلماء: بيان هذا العهد قوله^(١٠): «إِنِ اقْسَمْتُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي...» الخ. فهذا عهده - وعهدكم: «لَا كُفْرًا عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ...» الخ.

وقوله^(١١): «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» - بيته قوله^(١٢): «قَاوَلْتُكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ...» الآية.

(١) المائدة: ١	(٢) المائدة: ٣ والآية التي قبلها رقم ١ من السورة كلها.
(٣) المائدة: ٤	(٤) الاطّصار: ١٧، ١٨، ١٩
(٥) البقرة: ٢٧	(٦) الأعراف: ٢٢
(٨) آية ٥٨	(٩) البقرة: ٤٠
(١١) المائدة: ٧	(١٢) النساء: ٦٩
	(٧) الزخرف: ١٧
	(١٠) المائدة: ١٢

وقد يقع التبيين بالسنة ، مثل : وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة . والله على الناس
بحج البيت . وقد بينت السنة أفعال الصلاة والحج ومقادير نصب الزكاة
في أنواعها .

تنبيه

اختلف في آيات ؛ هل هي من قبيل المجل أم لا ؟

منها آية السرقة ؛ قيل : إنها مجلة في اليد ؛ لأنها تطلق على العضو إلى
السكوع ، وإلى المرفق ، وإلى النكس . وفي القطع ؛ لأنه يطلق على الإبانة ، وعلى
الجرح ؛ ولا ظهور لواحد من ذلك . وإبانة الشارع إلى السكوع تبين أن
للمراد ذلك .

وقيل : لا إجمال فيها ؛ لأن القطع ظاهر في الإبانة .

ومنها ^(١) : « واسحوا برؤوسكم » . قيل إنها مجلة ؛ لتردها بين مسح
الكل والبعض ؛ ومسح الشارع الناصية مبين لذلك .

وقيل : لا ؛ وإنما هي لطلق المسح الصادق بأقل ما ينطاق عليه الاسم ويفيده .
ومنها ^(٢) : « حرمت عليكم أمهاتكم » . قيل : إنها مجلة ؛ لأن إسناده
التحريم إلى العين لا يصح ؛ لأنه إنما يتعلق بالتعلل ، فلا بد من تقديره ، وهو
محتمل لأمر لا حاجة إلى جميعها ولا مرجح لبعضها .

وقيل : لا ، لوجود المرجح ، وهو العرف ، فإنه يقتضي بأن المراد تحريم الاستمتاع
بوطء أو نحوه ؛ ويجرى ذلك في كل ما يجري فيه التحريم والتحليل بالأعيان .

ومنها^(١) : « وأحل الله البيع وحرم الربا » . قيل : إنها مجملة ؛ لأن الربا الزيادة ، وما من بيع إلا وفيه زيادة ، فافتقر إلى بيان ما يحل وما يحرم .

وقيل : لا ؛ لأن البيع منقول شرعاً ، فحمل على عمومته ، ما لم يتم دليل التخصيص . وقال الماوردي : الشافعي في هذه الآية أربعة أقوال :

أحدها — أنها عامة ؛ فإن لفظها لفظ عموم يتناول كل بيع ، ويتقضى إباحة جميعها إلا ما خصه الدليل . وهذا القول أصحها عند الشافعي وأصحابه ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام نهى عن بيعهم كانوا يمتدحونها ولم يبين الجائز ؛ فدل على أن الآية تنزلت بإباحة جميع البيوع إلا ما خص منها ، فبين صلى الله عليه وسلم الخصوص .
 قل : فلي هذا في الصوم قولان : أحدهما أنه عموم أريد به الصوم وإن دخله التخصيص . والثاني : أنه عموم أريد به الخصوص ، قال : والفرق بينهما أن البيان في الثاني متقدم على اللفظ ، وفي الأول متأخر عنه ومقترون به . قل : وعلى القولين يجوز الاستدلال بالآية في المسائل المختلف فيها ما لم يتم دليل تخصيص .

والقول الثاني أنها مجملة لا يعقل [٢٨ ب] منها صحة بيع من فساد إلا بيان النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ثم قال : هل هي مجملة بنفسها أم بعارض ما نهى عنه من البيوع ؟ وجهان . وهل الإجمال في المعنى المراد دون لفظها ؛ لأن لفظ البيع اسم لغوي معناه مقبول ، لكن لما قام بإزائه من السنة ما يلغوه تدافع السومان ولم يتبين المراد إلا ببيان السنة ؛ فصار مجملاً لذلك دون اللفظ ، أو في اللفظ أيضاً ؛ لأنه لا لم يكن المراد منه ما وقع عليه الاسم وكانت له شرائط غير معقولة في اللغة كان مشكلاً أيضاً ؟ وجهان .

قال : وعلى الوجهين لا يجوز الاستدلالُ بها على صحة بيع ولا فساد ، وإن دلت على صحة البيع من أصله . قال : وهذا هو الفرق بين العموم والمجمل حيث جاز الاستدلال بظاهر العموم ولم يجز الاستدلال بظاهر المجمل .
والقول الثالث أنها عامة مجملة معاً ؛ قال : واختلف في وجه ذلك على أوجه : أحدها : أن العموم في اللفظ ، والإجمال في المعنى ، فيكون اللفظ عاماً مخصوصاً ، والمعنى مجملًا لحقه التفسير .

والثاني : أن العموم في : وأحلَّ الله البيع ، والإجمال في : وحرَّم الربا .
والثالث : أنه كان محملاً ، فلما بينه النبي صلى الله عليه وسلم صار عاماً ، فيكون داخلًا في المجمل قبل البيان ، وفي العموم بعد البيان ؛ فعلى هذا يجوز الاستدلال بظاهرها في البيوع المختلف فيها .
والقول الرابع : أنها تلوت بيعاً مبهوداً ، ونزلت بعد أن أحل النبي صلى الله عليه وسلم بيعاً وحرَّم بيعاً ، فاللام للعهد ؛ فعلى هذا لا يجوز الاستدلال بظاهرها .

ومنها الآيات التي فيها الأسماء الشرعية ، نحو ^(١) : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » . « ^(٢) فمن شهد منكم الشهرَ فليصمه » . « ^(٣) وفلن على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » . قيل : إنها مجملة لاحتمال الصلاة لكل دعاء ، والصيام لكل إمساك ، والحج لكل قصد ؛ والمراد بها لا تدل عليه اللغة ؛ فافترت إلى البيان .
وقيل : لا ، بل تُحمل على كل ما ذكر إلا ما خص بدليل .

تنبيه

قل ابن الخطار : من الناس من جل الجمل والمحمل يلزاه شيء واحد .
والصواب أن الجمل للبهيم الذي لا يفهم المراد منه . والمحمل اللفظ الواقع باللفظ^(١)
الأول على معنيين مفهومين فصاعداً ، سواء كان حقيقة في كلها أو في بعضها .
فالفرق بينهما أن الجمل يدل على أمور معروفة ، واللفظ مشترك متردد بينها .
والبهيم لا يدل على أمر معروف مع القطع بأن الشارع لم ينفذ^(٢) لأحد بيان
الجمل ، بخلاف المحمل .

...

الوجه السادس عشر من وجوه العجز

الاستدلال بمنطوقه أو بمفهومه

وهو^(٣) ما ظهر عليه اللفظ في محل النطق ، فإن أفاد معنى لا يحتمل غيره فالنص :
نحو^(٤) : « فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ » .
وقد قل عن قوم من المتكلمين أنهم قالوا باندور النص جداً في الكتاب والسنة .
وقد بالغ إمام الحرمين وغيره في الرد عليهم ؛ قال : لأن الفرض من النص
الاستدلال بإفادة المعنى على قطع ، مع انحسام جهات التأويل والاحتمال ،
وهذا وإن عزّ حصوله بوضع الصيغ رداً إلى اللغة فما أكثره مع القرائن الحالية
والقالية . انتهى .

(١) في الإجمال : بوضع الأول . . . (٢) في الاثنان : يفوس بلن .

(٤) البقرة : ١٩٦

(٣) أي المطلق .

أو مع احتمال غيره احتمالاً مرجوحاً ؛ فالظاهر ، نحو ^(١) : « فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ
بَاغٍ وَلَا عَادٍ » . فإن الباغي يطلق على الحامل وعلى الظالم ، وهو فيه أظهر وأغلب .
ونحو ^(٢) : « وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَظْهَرَنَّ » ؛ فإنه يقال الانقطاع ^(٣) ظاهره
الوضوء والتسل ، وهو في الظاهر ^(٤) أظهر .

وإن حمل على الرجوح لدليل فهو تأويل ، ويسمى الرجوح المحمول عليه
مؤولاً ، وهو كقوله ^(٥) : « وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ » ؛ فإنه يستحيل حمل
المعية على القرب بالذات ، فتمين صرفه عن ذلك ، وحمله على القدرة والعلم ، أو على
الحفظ والرعاية .

وكقوله ^(٦) : « وَاخْفِضْ لَهَا جَنَاحَ الْقُدِّ مِنَ الرَّحْمَةِ » ؛ فإنه يستحيل حمله
على الظاهر ؛ لاستحالة [١٣٩] أن يكون للانسان أجنحة ؛ فيحمل على الخضوع
وحسن الخلق .

وقد يكون مشتركاً بين حقيقتين أو حقينة ومجاز ويصلح حمله عليهما جميعاً ،
فيحمل عليهما سواء ، فلهذا قلنا هل يجوز استعمال اللفظ في معنييه أم لا ؟ ووجهه
على هذا أن يكون اللفظ قد خوطب به مرتين : مرة أريد هذا ، ومرة أريد هذا .
ومن أمثله أيضاً ^(٧) : « وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ » ، فإنه يحتمل ولا يضار
الكاتب والشاهد صاحب الحق بجوار في الكتابة والشهادة ، ولا يضارر —

(٢) البقرة : ٢٢٢

(١) البقرة : ١٧٣

(٣) أي انقطاع الدم . وفي الإتقان يقال للانقطاع طهر والوضوء . . . وفي الترمذي : وإنما
الخلاص في الطهر ما هو ؟ فقال قوم : هو الاغتسال بالماء . وقال قوم : هو وضوء كوضوء
العلاء . وقال قوم : هو غسل الفرج .

(٥) الحديد : ٤

(٤) في الإتقان : في الثمان .

(٧) البقرة : ٢٨٢

(٦) البقرة : ٢٨٢

(١٥ - في إعجاز القرآن)

بالفتح : أى لا يضرهما صاحب الحق بإلزامهما ما لا يلزمهما وإجبارهما على الكتابة والشهادة .

ثم إن توقفت صفة دلالة اللفظ على إضمارُ سميت دلالة اقتضاء ؛ نحو^(١) : « واسأل القرية » ، أى أهلها ، وإن لم تتوقف ودل اللفظ على ما لم يقصد به سميت دلالة إشارة ؛ كدلالة قوله تعالى^(٢) : « أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ » — على صفة صَوْم من أصبح جنباً ؛ إذ إباحة الجماع إلى طلوع الفجر تستلزم كونه جنباً في جزء من النهار . وقد حكى هذا الاستنباط عن محمد بن كعب القُرظي .

فصل

والمفهوم ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق ؛ وهو قسيمان : مفهوم موافقة ، ومفهوم مخالفة .

فالأول : ما يوافق حكمه المنطوق ، فإن كان أولى سُمي غوى الخطاب ، كدلالة^(٣) : « فَلَا تَقُلْ لِمَا أَفَ » — على تحريم الضرب لأنه أشد . وإن كان مساوياً سُمي لحن الخطاب ، أى معناه ، كدلالة^(٤) : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا » — على تحريم الإحراق ؛ لأنه مساو للأكل في الإتلاف .

واختلف هل دلالة ذلك قياسية أو لفظية ، مجازية أو حقيقية ؟ على أقوال بينهاها في كتبنا الأصولية .

والثاني : ما يخالف حكمه المنطوق ، وهو أنواع : مفهوم صفة ، ضا كان

(٢) البقرة : ١٨٧

(٤) النساء : ١٠

(١) يوسف : ٨٢

(٣) الإسراء : ٢٣

أوحالاً أو ظرفاً أو عدداً ، نحو^(١) : « إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَذْبٍ فَتَكْبِتُونَا » ، مفهومه أن غير الفاسق لا يجب التبين^(٢) في خبره ، فيجب قبول خبر الواحد العدل .
 «^(٣) وَلَا تَبَايِرُوا هُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ » . «^(٤) الْحَيْجُ أَشْهُرُ مَعْلُومَاتٍ » ، أى فلا يصح الإحرام به في غيرها . «^(٥) فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ » ، أى فلذا ذكر عند غيره ليس محصلاً للمطلوب . «^(٦) فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً » ، أى لا أقل ولا أكثر .

وشروط نحو : «^(٧) وَإِنْ كُنَّ أُولَاتُ حِمْلٍ فَأَنْقِضُوا عَلَيْهِنَّ » ، أى فقير أولات الحمل لا يجب الإنفاق عليهن .

وغاية ، نحو^(٨) : « فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ » ، أى فلذا نكحته تحل للأول بشرطه .

وحصر ، نحو : لا إله إلا الله . إنما الحكم به واحد ، أى فقيره ليس بإله .
 فالله هو الولي ، أى فقيره ليس بولي . لا إله إلا الله تحشرون ، أى لا إله غيره .
 إياك نعبد ، أى لا غيرك .

واختلف في الاحتجاج بهذه المقام على أقوال كثيرة . والأصح في الجملة أنها كلها حجة بشروط :

مسا : ألا يكون المذكور خرج للغالب ، ومن ثم لم يعتبر إلا كثرون مفهوم قوله^(٩) : « وَرَبَّائِكُمُ الَّذِينَ فِي حُجُورِكُمْ » ، فإن الغالب كون الربائب

(٣) البقرة : ١٨٧

(٦) البور : ٤

(٩) النساء : ٢٣

(٢) و ١ : التمييز .

(٥) البقرة : ١٩٤

(٨) البقرة : ٢٣٠

(١) الحجرات : ٦

(٤) البقرة : ١٩٧

(٧) الصفاق : ٦

في حجب الأزواج ، فلا مفهوم له ، لأنه إنما يخص بالذكر لطلبه حضوره في ذهن .

والأ يكون موافقاً للواقع ، ومن ثم لا مفهوم لقوله ^(١) : « ومن يدع مع الله لما آخراً لا يرمه الله » . وقوله ^(٢) : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين » . وقوله ^(٣) : « ولا تكرر هراختيائكم على البناء إن أردن تحمنا » .

والاطلاع على ذلك من فوائد معرفة أسباب النزول .

قاعدة

قل بعضهم : الالتقاط إما أن تدل بمنطوقها ، أو بفحواها ، أو بمفهومها ، أو باقتضاها وضرورتها ، أو بمقتولها المستنبط منها ، حكاه ابن الحصار ، وقال : هذا كلام حسن .

قلت : فالأول دلالة المنطوق . والثاني دلالة المفهوم . والثالث دلالة الاقتضاء . والرابع دلالة [٣٩ ب] الإشارة .

• • •

الوجه السابع عشر من وجوه المعجاز

وجوه مخاطبات

وهي ثلاثة أقسام : قسم لا يصلح إلا للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقسم لا يصلح إلا لغيره ، وقسم يصلح لهما .

قال بعض الأعلام : أنزل القرآن على ثلاثين نحواً ، كل نحو منه غير صاحبه ، فمن عرف وجوهها ثم تكلم في الدين أصاب ووفق ، ومن لم يعرفها وتكلم في الدين كان الخطأ إليه أقرب ، وهي : المكي والمدني ، والناسخ والمنسوخ ، والمحكم والمتشابه ، والتقديم والتأخير ، والمقطوع والموصول ، والسبب والإضمار ، والخاص والعام ، والأمر والنهي ، والوعد والوعيد ، والحدود والأحكام ، والخبر والاستفهام ، والأبهة^(١) والحروف المصرفة ، والإعذار والإيذار ، والحجة والاحتجاج ، والمواعظ والأمثال ، والقسم .

قال : والمكي مثل^(٢) : « وَاعْبُدُوا اللَّهَ حَبِيباً » . والمدني مثل^(٣) : « وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ » - والناسخ والمنسوخ واضح . والمحكم مثل^(٤) : « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً ... الآية . »^(٥) « إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْماً » ، ونحوه مما أحكاه الله وبيّنه .

والمتشابه مثل^(٦) : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا ... الآية . » ولم يقل^(٧) : « وَمَنْ يَقْتُلْ ظُلْماً فَنُصَلِّيْهِ نَاراً » . كما قل في المحكم .

(٢) الزمل : ١٠

(٥) النساء : ١٠

(١) حنا في الأصول ، والإعجاز .

(٤) النساء : ٩٣

(٧) النساء : ٣٠

(٣) البقرة : ١٩٠

(٦) التور : ٢٧

وقد نادى في هذه الآية بالإيمان ونهاهم عن المعصية ولم يحمل فيها وعيداً فثبته على أهلها ما يفعل الله بهم .

والتهديم والتخير مثل ^(١) : « كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ [إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ : الْقَدِيرُ : كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْوَصِيَّةُ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ] » ^(٢) .

والانتقوع والوصول مثل ^(٣) : « لَا أَقْسِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . فلا مقطوع من لا أقسم ، وإنما هو في المعنى أقسم يوم القيامة . ^(٤) ولا أقسم بالنفسي اللوامة ، ولم يقسم .

والسبب والإضمار ، مثل ^(٥) : « وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ » ، أى أهل القرية .

والانخص والعام ، مثل ^(٦) : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ » ، فهذا في السمع خاصاً — « إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ » ، فصار في المعنى عاماً .

والأمر وما بعده إلى الاستفهام ، أمثلتها واضحة .

والأبتة نحو ^(٧) : « إِنَّا أَرْسَلْنَا » . ^(٨) نحن قسمنا . عبر بالصيغة الموضوعة لجماعة الواحد تعالى ، تفخيماً وتعظيماً وأبهة .

والحروف المصرفة ، كالفتحة تطلق على الشراك ، نحو ^(٩) : « حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً » . وعلى المذرة ، نحو ^(١٠) : « ثُمَّ لَمْ نَكُنْ فِتْنَتَهُمْ » ، أى معذرتهم . وعلى الاختيار نحو ^(١١) : « قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ » . والإعذار نحو ^(١٢) :

(١) البقرة : ١٨٠	(٢) من الإخلاق .	(٣) القيامة : ١
(٤) القيامة : ٢	(٥) يوسف : ٨٢	(٦) الطلاق : ١
(٧) النمر : ١٩ ، ٣١ ، ٣٤	(٨) الزخرف : ٢٢	(٩) البقرة : ١٩٣
(١٠) الأمام : ٧٣	(١١) طه : ٨٥	(١٢) المائدة : ١٣

« فَمَا تَقْضِيهِمْ مِّيثَاقَهُمْ لَعْنَاهُمْ » . اعتذر أنه لم يفعل ذلك بهم إلا بمصيبتهم .
والبواقي أمثلتها واضحة .

قال ابن الجوزي في كتابه « النيس » : الخطاب في القرآن على خمسة عشر
وجهاً . وقال غيره : على أكثر من ثلاثين وجهاً .

أحدها : خطاب العام ، والمراد به الصوم ، كقوله ^(١) : « اللَّهُ الَّذِي
خَلَقَكُمْ » .

والثاني : خطاب الخاص والمراد به الخصوص ، كقوله ^(٢) : « أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ
إِيمَانِكُمْ » . « يَا أَيُّهَا الرِّسُولُ بَلِّغْ » .

الثالث : خطاب العام والمراد به الخصوص ، كقوله ^(٣) : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا
رَبَّكُمْ » . لم يدخل فيه الأطلاق والمجانين .

الرابع : خطاب الخاص والمراد به المخصوص ، كقوله ^(٤) : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ
إِذَا طَلَقْتُمْ » . افتتح الخطاب بالنبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد سائر من يملك
الطلاق . وقوله ^(٥) : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ ... » الآية . قال
أبو بكر الصديق ^(٦) : كان ابتداء الخطاب له ، فلما قال في الموهوبة : « خَالِصَةً
لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ » — علم أن ما قبلها له ولغيره .

الخامس : خطاب الجنس ، كقوله : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ » .

السادس : خطاب النوع ، نحو : يا بني إسرائيل .

(١) الروم : ٤٠ (٢) آل عمران : ١٠٦ (٣) التوبة : ٦٧

(٤) النساء : ١ (٥) الطلاق : ١ (٦) الأحزاب : ٥٠

(٧) هو أبو بكر محمد بن عبد الله الطيبي الشافعي المعروف بالصديق بغدادى ، له تصانيف
في أصول الفقه ، توفي سنة ٢٢٠ (الكتاب : ٢ — ٦٦) .

السابع : خطاب العين ، نحو ^(١) : « يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ » .
^(٢) « يَا نُوحُ اهْبِطْ » . « يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا » . « يَا مُوسَى
لَا تَخَفْ » . « يَا عِيسَى ابْنِي [٤٠] اهُوِّك » . ولم يقع في القرآن الخطاب
بـ يا محمد ؛ بل بـ يا أيها النبي . يا أيها الرسول ، تعظيماً له وتشريفاً وتخصيصاً له بذلك
عن سواه وتعظيماً للمؤمنين ألا ينادوه باسمه .

الثامن : خطاب المدح ، نحو : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » ، ولهذا وقع خطاباً لأهل
الدينة : « وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا » .

أخرج ابن أبي حاتم عن خَيْثَمَةَ قَالَ : مَا تَقْرَءُونَ فِي الْقُرْآنِ « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا » ، فَإِنَّهُ فِي التَّوْرَةِ يَا أَيُّهَا الْمَسَاكِينُ .

وأخرج البيهقي وأبو عُبَيْدٍ وَغَيْرُهُمَا ، عَنْ ابْنِ مَسْرُودٍ ، قَالَ : إِذَا سَمِعْتَ اللَّهَ
يَقُولُ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » — فَأَوْعِهَا تَمَمَّكَ ، فَإِنَّهُ خَيْرٌ يَأْمُرُ بِهِ أَوْ شَرٌّ
يَنْهَى عَنْهُ .

والثاسع : خطاب الذم ، نحو ^(٣) : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ » .
^(٤) « قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ » . ولخصه الإمامة لم يقع في القرآن في غير هذين
الموضعين . وكثر الخطاب بـ يا أيها الذين آمنوا على اللواحي ، وفي جانب الكفار
جاء بلفظ النية ، إعرافاً عنهم ، كقوله : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا » . « قُلْ لِلَّذِينَ
كَفَرُوا » .

العاشر : خطاب الكرامة ، كقوله : يا أيها النبي . يا أيها الرسول . قال بعضهم :
وتجد الخطاب بالنبي في محل لا يليق به الرسول ، وكذلك العكس ، كقوله

(٣) الصافات : ١٠٥

(٢) هود : ٤٨

(١) البقرة : ٣٥

(٥) الكافرون : ١

(٤) التحريم : ٧

في الأمر بالتشريع العام^(١) : « يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ » .
وفي مقام الخاص^(٢) : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ » . وقد يعبر بالنبي
في مقام التشريع العام ، لكن مع قرينة إرادة التخصيص ، كقوله^(٣) : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ
إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ » . ولم يقل طلقت .

الحادي عشر : خطاب الإهانة ، كقوله^(٤) : « فَإِنَّكَ رَجِيمٌ » . «^(٥) اخْشَوْا
فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ » .

الثاني عشر : خطاب التهكم ؛ نحو^(٦) : « ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الكَرِيمُ » .

الثالث عشر : خطاب الجمع بلفظ الواحد ، كقوله^(٧) : « يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ
بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ » .

الرابع عشر : خطاب الواحد بلفظ الجمع ، نحو^(٨) : « يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ
الطَّيِّبَاتِ ... » إلى قوله : « فَذَرَهُمْ فِي غَفَرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ » ؛ فهو خطاب له
صلى الله عليه وسلم وحده ؛ إذ لا نبي معه ولا بعده ، وكذا قوله^(٩) : « وَإِنْ
عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا ... » الآية . خطاب له صلى الله عليه وسلم وحده ، بدليل قوله :
« وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ... » الآية . وكذا قوله^(١٠) : « فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا
لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِإِذْنِ اللَّهِ » ، بدليل قوله : « قُلْ فَأْتُوا » . وجعل منه

(١) المائدة : ٦٧ (٢) التحريم : ١ (٣) الطلاق : ١
(٤) النحل : ٣٤ (٥) المؤمنون : ١٠٨ (٦) النحل : ٤٩
(٧) الاقطار : ٦ (٨) المؤمنون : ٥١ ، ٥٤ (٩) النحل : ١٢٦
(١٠) مود : ١٣ ، ١٤

بعضهم^(١) : « قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ » ؛ أى ارجئنى . وقيل رب خطاب له تعالى .
وارجعون للملائكة .

وقال السهلى : هو قول من حضرته الشياطين وزبانية العذاب ؛ فاختلط ،
فلا يدري ما يقول من الشطط ؛ وقد اعتاد أمراً يقوله فى الحياة مِنْ رَدِّ الأَمْرِ
إلى المخلوقين .

الخامس عشر : خطاب الواحد بلفظ الاثنين ، نحو^(٢) : « أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ » .
والخطاب لمالك خازن النار ، وقيل لخزنة جهنم والزبانية ؛ فيكون من خطاب
الجمع بلفظ الاثنين ، وقيل للملكين الموكلين به فى قوله^(٣) : « وَجَاءَتْ كُلُّ
نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ » . فيكون على الأصل . وجعل المهدوى من هذا
النوع^(٤) : « قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا » . [قال : الخطاب لموسى وحده ؛ لأنه
الداعى . وقيل لهما ، لأن هارون آمن على دعائه]^(٥) والمؤمن أحد الداعين .

السادس عشر : خطاب الاثنين بلفظ الواحد ، كقوله^(٦) : « فَنَزَّلْنَا مُزِيلًا
لِالْجِبَالِ مِنْ أَمَامِكَ » ؛ أى وبها هارون . وفيه وجهان :
أحدهما — أنه أفرده بالنداء لإدلاله عليه بالترية .

والآخر — أنه صاحب الرسالة والآيات ، وهارون تبع له ؛ ذكره ابن عطية ،
وذكر فى الكشف^(٧) آخر ؛ وهو أن هارون لما كان أنصح لساناً من موسى
نسب فرعون عن خطابه حذراً من لسانه . ومثله^(٨) : « فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مَا
مِنْ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى » . قال ابن عطية : أفرد بالشقاء لأنه المخاطب أولاً ، والقصود

(١) ق : ٢١

(٢) ق : ٢٤

(٣) المؤمنون : ٩٩

(٤) من الإجماع ، والبرهان (٢ - ٢٤٠) .

(٥) يونس : ٨٩

(٦) الجزء الثانى صفحة ٢٦

(٧) طه : ٤٩

(٨) طه : ١١٧

في الكلام . وقيل : لأن الله تعالى جعل الشتاء في معيشة الدنيا في جانب الرجال .
وقيل : إغضاء عن ذكر المرأة ، كما قيل من الكرم سترُ الحرم .

السابع عشر : خطاب الاثنين بلفظ الجمع ، كقوله ^(١) : « أَنْ نُبَوِّئَ لِقَوْمِكَا
بِمَصْرَ بِيوتًا واجعلوا بيوتكم قبلة » .

الثامن عشر : خطاب الجمع بلفظ الاثنين ، كما تقدم في « أَلْقِيَا » .

التاسع عشر : خطاب الجمع بعد الواحد ، كقوله ^(٢) : « وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنِ
[٤٠ ب] وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ . وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا ... »
قال ابن الأنباري : جمع في الفعل الثالث ليدل على أن الأمة داخلون مع النبي
صلى الله عليه وسلم . ومثله : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ » .

العشرون : عكسه نحو ^(٣) : « وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ . وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ » .

الحادي والعشرون : خطاب الاثنين بعد الواحد ، نحو ^(٤) : « أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا
عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ ... » الآية .

الثاني والعشرون : عكسه ؛ نحو : فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى .

الثالث والعشرون : خطاب العَيْن ، والمراد به الغير ؛ نحو ^(٥) : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ
اتَّبِعِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ » . الخطاب له ، والمراد أمته صلى الله عليه
وسلم ؛ لأنه كان تَقِيًّا ، وحاشاه صلى الله عليه وسلم من طاعة الكفار . ومنه ^(٦) :
« فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ
مِنْ قَبْلِكَ » . والمراد بالخطاب التعريض بالكفار .

(٣) يونس : ٨٧

(٢) يونس : ٦١

(١) يونس : ٨٧

(٦) يونس : ٩٤

(٥) الأحزاب : ١ ، ٢

(٤) يونس : ٧٨

وأخرج ابن أبي حاتم ، عن ابن عباس في هذه الآية ، قال : لم يشك صلى الله عليه وسلم .

ونظ (١) : « واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا ... » الآية .
 (٢) « فلا تكونن من الجاهلين » ، وأنحاء ذلك .

الراج والمثرون : خطاب التبر والمراد به المين ؛ نحو (٣) : « لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذِكْرُكُمْ » .

الخميس والمثرون : الخطاب العام الذي لم يُقصد به مخاطبة معين ؛ نحو (٤) :
 « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ » . « (٥) ولو ترى إذ وقفوا على النار » . « (٦) ولو ترى إذ الجرمون فأكسورهم » : ولم يُقصد بذلك خطاب معين ؛ بل كل أحد ، وأخرج في صورة الخطاب لتصد العموم ؛ يريد أن حالهم تناءت في الظهور بحيث لا يختص بها راء دون راء ؛ بل كل من أمكن منه الرؤية داخل في ذلك الخطاب .

السادس والمثرون : خطاب الشخص ثم العلول إلى غيره ؛ نحو (٧) : « فَبِئْسَ لِمَ يَسْتَجِيبُوا لَكَ » ، خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال للكفار :
 « فاعلموا أنما أنزل بعلم الله » ، بدليل : « فهل أنتم مسلمون » .
 ومنه (٨) : « إنا أرسلناك شاهداً » إلى قوله : « لَتُؤْمِنُوا بالله » -
 إن قرئ بالهوقية .

السابع والمثرون : خطاب التلوين ، وهو الالتفات (٩) .

(١) الزخرف : ٤٥	(٢) الأنعام : ٣٥	(٣) الأنبياء : ١٠
(٤) الحج : ١٨	(٥) الأنعام : ٢٧	(٦) السجدة : ١٢
(٧) هود : ١٤	(٨) القصص : ٨ ، ٩	
(٩) مثل له في البرلمان بقوله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا		

الثامن والعشرون: خطاب الجمادات خطاب من: يقل: نحو^(١): «قل لها وللأرض ائتيا ملوءا وكراها» .

التاسع والعشرون: خطاب التيسج، نحو^(٢): «وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين» .

الثلاثون: خطاب التحنن والاستعطاف: نحو^(٣): «يا عبادي الذين أشرفوا على أنفسهم» .

الحادي والثلاثون: خطاب التحبب، نحو^(٤): «يا أبت لم تعبد» .
«يا بني إنها إن تك» . «يا بن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي» .
الثاني والثلاثون: خطاب التصجير، نحو^(٥): «فأتوا بسورة» .

الثالث والثلاثون: خطاب التشريف؛ وهو كل ما في القرآن مخاطبة بقل؛ فإنه تشريف منه تعالى لهذه الأمة بأن يخاطبها بنير واسطة لتفوز بشرف المخاطبة .
الرابع والثلاثون: خطاب المعلوم؛ ويصح ذلك تبعاً لموجود؛ نحو^(٦): «يا بني آدم»، فإنه خطاب لأهل ذلك الزمان ولكل من بعدهم .

قل ابن القيم: تأمل خطاب القرآن تجد ما يكافئ الملك كله، وله الحمد كله؛ أزيمة الأمور كلها بيده، ومصدرها منه، ومردّها إليه، مستوياً على العرش، لا تخفى عليه خافية من أقطار مملكته، عالماً بما في قوس عباده، مطلقاً على أسيادهم وعلايتهم، مفرداً بتدبير المملكة، يسمع ويرى، ويعطي ويمنع، ويثيب ويعاقب، ويكرم ويهين، ويخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويقدر ويقضي،

(٣) الزمر: ٥٣

(٦) طه: ٩٤

(٢) المائدة: ٢٣

(٥) لقمان: ١٦

(٨) الأعراف: ٢٦

(١) فصلت: ١١

(٤) مريم: ٢٢

(٧) البقرة: ٢٣

ويدبر الأمور ، نازلة من عنده دقيقها وجليلها ، وصاعدة إليه لا تتحرك ذرة إلا بإذنه ، ولا تسقط من ورقة إلا بعلمه ؛ فتأمل كيف تجده يثنى على نفسه ، ويمجد نفسه ، ويحمد نفسه ، وينصح عباده ، ويلهم على ما فيه سعادتهم وفلاحهم ، ويرغبهم فيه ، ويحذرهم مما فيه هلاكهم ، ويعترف إليهم بأسمائه وصفاته ، ويحجب إليهم بنعمه عليهم ، ويأمرهم بما يستوجبون به تمامها ، ويحذرهم من نفعه ، ويذكرهم بما أعد لهم من الكرامة إن أطاعوه ، وما أعد لهم من العقوبة إن عصوه ، ويخبرهم بصنمه في أوليائه وأعدائه ، وكيف كانت عاقبة [٤١] هؤلاء هؤلاء ، ويثنى على أوليائه بصالح أعمالهم وأحسن أوصافهم ، ويذم أعداءه بسيء أعمالهم وقبيح صفاتهم ، ويضرب الأمثال ، ويتوَعَّ الأئمة والبراهين ، ويغيب عن شبه أعدائه أحسن الأجوبة ، ويصدق الصادق ، ويكذب الكاذب ، ويقول الحق ، ويهدي السبل ، ويدعو إلى دار السلام ، ويذكر أوصافها وحسنها وبصيما ، ويحذر من دار البوار ، ويذكر عذابها وقبحها وألمها ، ويذكر عباده قترهم إليه ، وشدة حاجتهم إليه من كل وجه ، وأنهم لا غنى لهم عنه طرفة عين ، ويذكرهم غناه عنهم وعن جميع الموجودات ، وأنه الغنى بنفسه عن كل ما سواه ، وكل ما سواه فقير إليه بنفسه ، وأنه لا ينال أحد ذرة من الخير فما فوقها إلا بعونه وحكمته ؛ ونشهد من خطابه عتابه لأحبابه ألطف عتاب ، وأنه مع ذلك يقبل عثراتهم ، وينقر زلاتهم ، ويقبل أعتابهم ، ويصلح فسادهم . والمدافع عنهم ، والحامى عنهم ، والناصر لهم ، والكفيل بمصالحهم ، والمنجى لهم من كل كرب ، والوفى لهم بوعده ؛ وأنه وليهم الذى لا ولي سواه ؛ فهو مولاهم الحق . ويصرهم على علوهم ، فنعم المولى ونعم النصير .

وإذا شهدت القلوب من القرآن تمايكا عظيما رحيا جميلا هذا شأنه . فكيف لا تحبه ، وتنافس في القرب منه ، وتنقل أنفاسها في التردد إليه . ويكون أحسن السبا

من كل ما سواه ، ورضاه أشهى^(١) عندها من رضا كل من سواه ، وكيف لا تلجج بذكره ، وتصير حبه والشوق إليه والأنس به هو غذاؤها ، وقوتها ودواؤها ، بحيث إن قتلت تلك فسدت وهلكت ولم تنفع بها كلها^(٢) .

• • •

الوحدة الثامن عشر من وجوه المحبسة

ما انتوى عليه من الإخبار بالمغيبات

وما لم يكن وما لم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذي أخبر ، كقوله^(٣) : « لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ » . وقوله^(٤) : « وهم من بعد غلبهم سيفايون في بضع سنين » . وقوله^(٥) : « ليظهره على الدين كله » . وقوله^(٦) : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات » . وقوله^(٧) : « إذا جاء نصر الله والتفتح ... » الخ ؛ فكان جميع هذا كما قل ، فقلت الروم فارس في بضع سنين ، ودخل الناس في الإسلام أفواجا ، فاملت عليه السلام وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الإسلام ، واستخلف المؤمنين في الأرض ، ومكن لهم فيها دينهم ، وملكهم إيلها من أقصى المشارق إلى أقصى المغرب ، كما قال عليه السلام^(٨) : « زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وسيلغ منك أنى منها ما زوى لي منها » . وقوله^(٩) : « قاتلوهم بعددكم الله بأيديكم » .

(١) في الإحسان : آخر . (٢) في الإحسان : بحياتها . (٣) التفتح : ٢٧

(٤) الروم : ٣ (٥) التوبة : ٢٣ (٦) النور : ٥٥

(٧) النصر : ١ (٨) صحيح مسلم : ٢٢١٥ ، وزويت : جنته .

(٩) التوبة : ١٤

وقوله^(١) : « أرسل رسوله بالهدى » . وقوله^(٢) : « لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم ... » الآية ؛ فكان كل ذلك . وما فيه من كشف أسرار المنافقين واليهود ومقالم وكذبهم في حلقهم وتقريعهم بذلك ، كقوله^(٣) : « ويقولون في أنفسهم لولا يمدُّ بنا الله بما نقول » . وقوله^(٤) : « يخفون في أنفسهم ما لا يفتنون لك » . وقوله^(٥) : « إنا كفيناك المستهزئين » . ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بأن الله كفاهم إياهم ، وكان المستهزئون يتفرون للناس عنه ويؤذونه ، فهلكوا .

وقوله^(٦) : « والله يعصمك من الناس » ؛ فكان كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله ؛ والأخبار بذلك معروفة معلومة .

• • •

الوجه التاسع عشر من وجوه المجازة

إخباره بأحوال القرون السالفة والأمم البائدة^(٧) ، والشرائع الدائرة ، مما كان لا يعلم منه الاصل الواحدة إلا القليل من أخبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك ، فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه ، ويأتي به على نفسه ؛ فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه . وإن مثله لم ينله بتعليم ، وقد علموا [٤١ ب] أنه صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب ، ولا اشتغل بمداينة ولا بشاقبة ، ولم يغيب عنهم ولا جهل حانه أحد منهم ، وقد كان أهل الكتاب كثيراً ما يألوه صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ، كتصميم

(١) التوبة : ٣٣ (٢) آل عمران : ١١١ (٣) المجادلة : ٨

(٤) آل عمران : ١٥٤ (٥) الحج : ٩٠ (٦) المائدة : ٦٧

(٧) البقرة : ١٠١

الأنبياء مع قومهم ، وبدء الخلق وما في التوراة والإنجيل والزبور ، وصحف إبراهيم وموسى بما صدقته فيه الطاء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها ؛ بل أذعنوا لقلبك ؛ فمن وفق آمن بما سبق له من خير ، ومن شقى فهو معاند حاسد ، ومع هذا ظم يُحك عن واحد من اليهود والنصارى على شدة عدائهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريرهم بما انطوت عليه مصالحهم ، وكثرة سؤالهم له عليه السلام وتعتيهم إياه ، عن أخبار أنبيائهم ، وأسرار علومهم ، ومستودعات سيرهم ، وإعلامهم بمكنون شرائعهم ، ومضامين كتبهم ؛ مثل سؤالهم عن الروح ، وذى القرنين ، وأصحاب الكهف ، وعيسى ، وحكم الرجم ، وما حرم إسرائيل على نفسه ، وما حرم عليهم من الأضام ، ومن طيات كانت أطلت لهم ، فخرمت عليهم بنبيهم . وقوله ^(١) : « ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ » . وغير ذلك من أمورهم التي نزل بها القرآن فأجابهم وعرفهم بما أوحى إليه من ذلك - أنه أنكر ذلك أو كذب ، بل أكثرهم صرح بصحة نبوته ، وصدق مقاله ، واعترف بعناده مع حُدهم إياه ، كأهل نَجْرَان ، وأهل صوريا ، وابن أخطب ، وغيرهم .

ومن باهت في ذلك بعض ^(٢) الباهتة ، وادعى أن فيها عندهم لما حكاه مخالفة دعى إلى دليل ، وإقامة حجة ، وكشف دعوته ؛ فبيل له ^(٣) : « فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ... » إلى قوله : « الظَّالِمُونَ » ؛ فصرع ووجع .

ودعا إلى إخبار ممكن غير ممتنع ، فمن معترف ما جعله ، ومتواقع بلى على فضيحتهم من كتابة يده ، ولم يؤثر أن واحداً منهم أظهر خلاف قوله من كتبه ، ولا بدأ

(١) في ١ : بد - تحريف

(١) الفتح : ٢٩

(٢) آل عمران : ٩٣

بَدَأَ صَاحِبًا وَلَا سَاقِيًا مِنْ صَحْفِهِ ، قَالَ تَعَالَى ^(١) : « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ » .

• • •

الروح العشر من وجوه العجسازة

[روعة وهيئة]

الروعة التي تلحق قلوبَ سامعيه وأسماعهم عند سماعه ، والهيئة التي تقتريهم عند تلاوته لقوة حاله وإبانة خطرهِ ، وفي على المكذبين به أعظم حتى كانوا يستقلون سماعه ، ويزيدهم شوقاً ، كما قال تعالى : « وَيُودُّونَ إِتِّعَالَهُ لَكِرَاهَتِهِمْ لَهُ ؛ وَلَمَّا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ الْقُرْآنَ صَاحِبٌ مُسْتَضْعَبٌ عَلَى مَنْ كَرِهَهُ وَهُوَ الْحَكَمُ .

وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيئته إياه مع تلاوته تُولِيهِ انجذاباً ، ونسكبه هشاشة ليل قلبه إليه ، وتصديقه به ، قَالَ تَعَالَى ^(٢) : « تَقْشِرُّ عَنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ... » الآية . وَقَالَ تَعَالَى ^(٣) : « لَوْ أَنزَلْنَاهُ — هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ ... » الآية .

وبدل على هذا شيء خَصَّ بِهِ أَنَّهُ يَعتريه من لا يفهم معانيه ، ولا يعلم تفاسيره ، كما روى عن نصراني أَنَّهُ مرَّ بقلريء فوق بيكي ، قيل له : مِمَّ بَكَيْتَ ؟ قَالَ : لَشَجَاعَةٍ وَالتَّعْظِيمِ .

وهذه الروعة قد اعترف [بها] ^(٤) جماعة قبل الإسلام وبعده ، منهم من أسلم

(١) المائدة : ١٥

(٢) الزمر : ٢٣

(٣) الحشر : ٢١

(٤) من الأهل .

لها لأول وهلة وآمن به، ومنهم من كفر؛ فحكى في الصحيح عن جبير بن مطعم، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب: والطور... فلما بلغ هذه الآية^(١): «أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ...» إلى قوله: «المصيطرون». كاد قلبي أن يطير. وفي رواية: وذلك أول ما دخل الإيمان قلبي.

وعن عتبة بن ربيعة، أنه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه، فتلا عليهم: حم فصلت... إلى قوله^(٢): «صَاعِقَةٌ مِثْلَ صَاعِقَةٍ عَادٍ وَنُحُودٍ»؛ فأمسك عتبة يده على في^(٣) النبي صلى الله عليه وسلم، ونال منه الرحم أن يكف. وفي رواية: فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مضغ ملق يديه [١٤٢] خلف ظهره مستمداً عليها حتى انتهى إلى السجدة^(٤)، فسجد النبي صلى الله عليه وسلم، وقام عتبة لا يدرى ما يراجه، ورجع إلى أهله، ولم يخرج إلى قومه حتى أتوه فاعتذر لهم، وقال: لقد كلمني بكلام والله ما سمعت أذنأي بمثل قط، فاحدث ما أقول له.

وقد حكى عن غير واحد ممن رام معارضة أنه اعترته روعة وهية كف بها عن ذلك. فروى أن ابن المقفع طلب ذلك ورأه، وشرع فيه، فمر بصبي يقرأ^(٥): «وقبل يا أرض ابلعي ماءك». فرجع ومحا ما عمل، وقال: أشهد أن هذا لا يعارض، وما هو من كلام البشر. وكان أفصح أهل وقته.

وكان يحيى بن حكيم الترمال بليغ الأندلس في زمانه، فحكى أنه رام شيئاً

(١) الطور: ٣٤ - ٣٧ (٢) فصلت: ١٣ (٣) في: ثم.

(٤) آية السجدة في سورة فصلت هي الآية ٣٧ منها.

(٥) هود: ٤٤

من هذا ، فنظر في سورة الإخلاص ليحفظو على مثالها وينسج — بزعمه —
على منوالها ، قال : فاعتزنتي خشية ورقة حملتني على التوبة والأوبة .
نوحى عن بعضهم أنه كان إذا أخذ المصحف يده يُقش على من هيته .

• • •

الوجه الحار والمشر من وجوه إجازة

أن سامية لا يمجته وقارته لا يملهُ فخذ له الأسماع وتشغف له القلوب

فلا تزيد تلاوته إلا حلاوة ، ولا ترديده إلا محبة ، ولا يزل غصاً طرياً ،
وغيره من الكلام — ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه — يملّ مع التريد ،
ويعادى إذا أعيد ؛ لأن إعادة الحديث على القلب أثقل من الحديد ، وكتابنا
بحمد الله يستلذ به في الخلوات ، ويؤنس به في الأزمان ؛ وسواء من الكتب
لا يوجد فيها ذلك ، حتى أحدث لها أصحابها لحونا وطرباً يستجلبون بتلك اللحن
تنشيطهم على قراتها ؛ ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه ^(١)
لا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عـبـره ، ولا تنفـى عـجـابه ، ليس بالمرل ؛
لا يشبع منه الطاء ، ولا تزيع به الأهواء ، ولا تلبس به الألسنة ، هو الذي لم تأنه
الجن حين سمعته أن قالوا ^(٢) : « إنا سمعنا قرآناً عجباً يهـدى إلى الرشـد
فأما به . » من قل به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن خاسم به قبح ^(٣) ،
ومن قسم به أقسط ، ومن عمل به أجر ، ومن تمسك به هدى إلى سراط مستقيم ،
ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ، ومن حكم بغيره فقصه الله ، هو الذكر

الحكيم ، والنور البين ، والصراط المستقيم ، وحبل الله المتين ، والشفاء النافع ،
عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، ولا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستتب .
ونحوه عن ابن مسعود ، وقال فيه : ولا يختلف ولا يتشاكأ ، فيه نبأ الأولين
والآخرين .

وفي الحديث : قال الله لمحمد عليه السلام : إني مُنَزَّلُ عليك توراة
حديثه ، تفتحُ بها أعيننا عمياً ، وأذاننا صماً ، وقلوبنا غلفاً ، فيها ينابيع العلم ،
وفهم الحكمة .

• • •

الوجه الثاني والعشرون من وجوه الإعجاز

تيسيره تعالى حفظه وتقريره على متحفظيه

قال تعالى^(١) : « ولقد يترنأ القرآنَ لذكر » ، وسائر الأمم لا يحفظ
كتبها الواحد منهم ، فكيف الجم على مرور السنين عليهم ، والقرآن ميسر حفظه
لللعنان في أقرب مدة ، حتى إن منهم من حفظه في المنام .

وحكى أنه رفع إلى المأمون^(٢) صبي ابن خمس سنين وهو يحفظ القرآن .

قال ابن عطية : يترنأ بما فيه من حسن النظم ، وشرف المعاني ؛ فله لَوَظَةٌ^(٣)
بالقلوب ، وامتزاج بالقول ؛ وهذا مشاهد بالبيان ، فلا يحتاج فيه إلى برهان .

(٢) في ١ : المأمون .

(١) الممر : ٢٢

(٣) لا لـ الشيء . بقلبي يلوظ ويليط لوطاً : أحبب إلى والصق

وأعظم من هذا أن الله يُقَدِّرُ بعض خلقه على خَشْيِهِ في آن واحد
مرات كثيرة .

قال بعضهم : كنت أستربه حتى شأنت بعضهم خَشْيَهُ في دورة الطواف
بالبیت الحرام ، فحقته مشاهدة .

قال الشيخ ولي الله الميرجاني : وذلك أن الله أطلق كل شجرة في الجسد لقراءته .
والله أعلم . .

وهذه أحوال يهبها الله لمن يشاء من عباده .

قال أبو هريرة : من الناس [٤٢ ب] من أقدره الله على أن يحتم القرآن
في الليلة الواحدة أربع مرات ثم يغفل . وكان من الصعابة من يحتمه مرة ،
ومنهم من يحتمه مرتين ، ومنهم من يحتمه ثلاثاً .

• • •

الوجوب الثالث والعشرون من وجوه المجازة

وقوع الحقائق والمجاز فيه

وقد أنكر قوم وقوع المجاز فيه ، وقالوا : إنه أخو الكذب ، والقرآن
منزه عنه ، وإن التبعكلم لا يعدل إليه إلا إذا خافت الحقيقة فيستعير ؛ وذلك محال
على الله تعالى .

وهذه شبهة باطلة ، ولو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطرُ الحسن ،
فقد اتفق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ، ولو وجب خلو القرآن عن المجاز

وجب خلوه من الحذف والتوكيد وتسكينه^(١) القصص وغيرها .

وقد أفرده بالتصنيف الإمام عز الدين^(٢) بن عبد السلام ، ونخصته مع زيادات كثيرة في كتاب سميه « مجاز القمرسان إلى محاز القرآن » .

[وهو قسمان : (٣)]

الأول — المجاز في التركيب ، وبسبب مجاز الإسناد ، والمجاز العقلي ، وعلاقته الملاينة ؛ وذلك أن بسند العقل أو شبهه إلى غير ما هو له أصالة للابسته له ؛ كقوله تعالى^(٤) : « وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ رَادَّتْهُمْ إِيْمَانًا » : نسبت الزيادة ، وهي فعل الله تعالى ، إلى الآيات لكونها سبباً لها . «^(٥) يَذْبُحُ أَبْنَاءَهُمْ » . «^(٦) يَا هَامَانَ ابْنِي لِي » ؛ سبب الذبح ، وهو فعل الأعوان ، إلى فرعون ؛ والبناء ، وهو فعل العملة ، إلى هامان ؛ لكونها أمرين به .

وكذا قوله^(٧) : « وَأَحْلُوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ » ، نسب الإحلال إليهم لتسيبهم في كفرهم بأمرهم إياهم به .

ومنه قوله تعالى^(٨) : « يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا » ، نسب الفعل إلى الظرف لوقوعه فيه . «^(٩) عِشَّةٌ رَاضِيَةٌ » ؛ أى مرضية . «^(١٠) فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرَ » : أى عزم عليه ، بدليل : «^(١١) فَإِذَا عَزَمْتَ » .

وهذا القسم أربعة أنواع :

(١) في ١ : وثنية .

(٢) هو الإمام عبد العزيز بن عبد السلام الشهير بالزميني عبد السلام ، الشافعي المصنف المعروف سنة ٦٦٠ هـ . وكتابه يسمى كتاب الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز .

(٣) من الإطنان . (٤) الأنفال : ٢ (٥) القصص : ٤

(٦) طافر : ٣٦ (٧) إبراهيم : ٢٨ (٨) الزمل : ١٧

(٩) النازعة : ٧ (١٠) محمد : ٢١ (١١) آل عمران : ١٥٩

أحدها : ما طرفاه حقيقان ، كالأية المصدرية بها . وكقوله ^(١) :
« وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا » .

والثاني : مجازيان ؛ نحو ^(٢) : « فَأَرَبَّتْ تِجَارَتُهُمْ » ؛ أى ما ربحوا فيها .
وإطلاق الربح والتجارة هنا مجاز .

ثالثها ورابعها : ما أحد طرفيه حقيقى دون الآخر ؛ إما الأول أو الثانى ؛
كقوله ^(٣) : « أَمْ أَنْزَلْنَاهُمْ سُلْطَانًا » ؛ أى برهاناً . « ^(٤) كَلَّا إِنَّهَا لَأُفْلَى
تَرَاةٌ لِلشَّوْىِ . تَدْعُو » . فإن الدعاء من النار مجاز . وكقوله ^(٥) : « حَتَّى تَضَعَ
الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا » . « ^(٦) تُؤْتَى أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ » . فأنه هاوية ، فاسم الأم
هاوية مجاز ؛ أى أن الأم كافلة لولدها وملجأ له ، كذلك النار للكافرين كافلة
ومأوى ومرجع .

القسم الثانى — المجاز فى المفرد ، ويسمى المجاز اللغوى ، وهو استعمال اللفظ
فى غير ما وضع له أولاً ؛ وأنواعه كثيرة :

أحدها : الحذف ، ومبائى مبسوطاً فى نوع الإيجاز ، فهو به أجدر ، خصوصاً
إذا قلنا : إنه ليس من أنواع المجاز .

الثانى : إطلاق اسم الجزء على الكل ، نحو ^(٧) : « وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ » ؛
أى ذاته . « ^(٨) فَوَلَّوْا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ » ؛ أى ذواتكم ؛ إذا الاستقبال يحب
بالصدر . « ^(٩) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ » . « ^(١٠) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ » . عاملة
ناصبة . « عِبر بالوجوه عن جميع الأجساد ؛ لأن التمتع والنصب حاصل لكليهما .
« ^(١١) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ » . « ^(١٢) فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ » ؛ أى قدتم

(١) الزلزلة : ٢	(٢) البقرة : ١٦	(٣) الروم : ٣٠
(٤) الخارج : ١٥	(٥) محمد : ٤	(٦) إبراهيم : ٢٥
(٧) الرحمن : ٢٧	(٨) البقرة : ١٤٤	(٩) القيامة : ٢٤
(١٠) النازية : ٢ ، ٣	(١١) الملح : ١٠	(١٢) الشورى : ٣٠

وكسبتم . نسب ذلك إلى الأيدي ؛ لأن أكثر الأعمال تُتناول بها . «^(١) قم الليل » .
«^(٢) وقرآن الفجر » . «^(٣) ازكفوا مع الرّاكعين » . «^(٤) ومن الليل
فاسجد له » . أطلق كلا من القراءة والقيام والركوع والسجود على الصلاة وهو
بعضها . «^(٥) مدياً بالغ الكعبة » ؛ أى الحرم كله ، بدليل أنه لا يذبح فيها^(٦) .

الثالث : إطلاق اسم الكل على الجزء ، نحو : «^(٧) يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ
فِي آذَانِهِمْ » ؛ أى أناملهم ، ونسكة التعبير عنها بالأصابع الإشارة إلى إدخالها على
غير المعتاد ، مبالغة من الفرار ، فكأنهم جعلوا فيها الأصابع . «^(٨) وإذا رأيْتَهُمْ
تُعْجِبْكَ أَجْسَامُهُمْ » ؛ أى وجوههم ؛ لأنه لم ير جملتهم . «^(٩) فمن شهد منكم
الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ » . أطلق الشهر ، وهو اسم لثلاثين ليلة ، وأراد جزءاً منه ، كذا
أجاب به الإمام فخر الدين عن استشكل أن الجزء إنما يكون بعد تمام الشرط ،
والشرط [١٤٣] أن يشهد الشهر ، وهو اسم لعله حقيقة ، فكأنه أمر بالصوم
بعد مضي الشهر ، وليس كذلك . وقد فسرهُ علي وابن عباس وابن عمر على أن
المعنى من شهد أول الشهر فليصم جميعه ، وإن سافر في أثناءه .

أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما ، وهو أيضاً من هذا النوع ، ويصلح
أن يكون من نوع الحذف .

(١) الزمل : ١	(٢) الإسراء : ٧٨	(٣) البقرة : ٤٣
(٤) الإنسان : ٢٦	(٥) المائدة : ٩٥	(٦) فيها : أى في الكعبة .
(٧) البقرة : ١٩	(٨) المناقرون : ٤	(٩) البقرة : ١٨٥

تنبيه

الحق بهذين النوعين شيان :

أحدهما : وصف البعض بصفة الكل ، كقوله ^(١) : « ناصية كاذبة خاطئة » والخطأ صفة الكل ، ووصف به الناصية .

وعكسه : كتوله ^(٢) : « إنا منكم وجيلون » ، والوجل صفة القلب .
« ^(٣) وَلَمْلِئْتُ مِنْهُمْ رُغْبًا » . والرغب إنما يكون في القلب .

والثاني : إطلاق لفظ بعض مراداً به الكل ، ذكره أبو عبيدة وخرج عليه قوله ^(٤) : « وَلَا يَتَّبِعْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِينَ يَخْتَلِفُونَ فِيهِ » ؛ أي كله . « ^(٥) وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ » . وتعقب بأنه لا يجب على النبي بيان ما اختلف فيه ، بدليل الساعة والروح ونحوهما ، وبأن موسى كان وعدهم بذاب ذكره في الدنيا والآخرة ، فقال : يصيبكم بذاب في الدنيا — وهو بعض الوعد ^(٦) — من غير نفي عذاب الآخرة . ذكره ثعلب .

قال الزركشي ^(٧) : : ويحتمل أيضاً أن يقال : إن الوعد مما لا يستنكر تركه جميعه ، فكيف بعباده ؟ ويؤيد ما قاله ثعلب قوله ^(٨) : « فَأَمَّا نُرِّيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا يُرْجَعُونَ » .

الرابع : إطلاق اسم الخاص على العام ؛ نحو : « إنا رسول رب العالمين » .

(١) الكهف : ١٨

(٢) الحجر : ٥٢

(٣) الطي : ١٦

(٤) المؤمن : ٢٨

(٥) الزخرف : ٦٣

(٦) في الانتان ، والبرهان : هذا المذاب .

(٨) المؤمن : ٢٣

(٧) البرهان : ٢ - ٢٦٩

الخامس : عكسه ؛ نحو^(١) : « وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ » ؛
أى للمؤمنين ، بدليل قوله : «^(٢) وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا » .

السادس : إطلاق اسم الملزوم على اللازم .

السابع : عكسه ؛ نحو^(٣) : « هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً » ؛
أى هل يفعل - أطلق اسم الاستطاعة على الفعل ؛ لأنها لازمة له .

الثامن : إطلاق السبب على السبب ، نحو^(٤) : « يُنْزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا » . «^(٥) قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا » ؛ أى مطراً يتسبب عنه الرزق واللباس .
«^(٦) لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا » ، أى مشونة من مهر ونفقة وما لا بد للمتزوج منه .
التاسع : عكسه ، وهو نحو^(٧) : « مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ » ؛ أى القبول
والعمل به ، لأنه متسبب عن السمع .

تنبيه

من ذلك نسبة الفعل إلى سبب السبب ، كتأوله^(٨) : « فَأَخْرَجُهَا
يَمًا كَانَا فِيهِ » . «^(٩) كَمَا أَخْرَجَ أَبُو يَكْمَ مِنْ الْجَنَّةِ » ، فإن المخرج في الحقيقة
هو الله ، وسبب ذلك أكل الشجرة ، وسبب الأكل وسوسة الشيطان .
العاشر : نسبة الشيء باسم ما كان عليه ، نحو^(١٠) : « وَأَتُوا الْيَتَامَى
أَمْوَالَهُمْ » ، أى الذين كانوا يتامى ؛ إذ لا يتم بعد البلوغ . «^(١١) فَلَا تَعْضُلُوهُمْ »

(٣) المائدة : ١١٢

(٦) التور : ٣٣

(٩) الأعراف : ٢٧

(٢) المؤمن : ٧

(٥) الأعراف : ٢٦

(٨) البقرة : ٣٦

(١١) البقرة : ٢٣٢

(١) الثوري : ٥

(٤) غافر : ١٢

(٧) هود : ٢٠

(١٠) النساء : ٢

أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ ؛ أَيِ الْمُتَمِّينَ كَانُوا أَزْوَاجَهُنَّ . «^(١) مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا » . سَمَاءٌ مُجْرِمًا بِاعْتِبَارِ مَا كَانَ «^(٢) عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْإِجْرَامِ .

الحادي عشر : تسميته باسم ما يؤول إليه ؛ نحو «^(٣) : إِنْ أَرَانِي أُغْصِرُ شَجْرًا » ؛ أَيِ عَنِهَا يُؤُولُ إِلَى الْحَرِيَةِ . «^(٤) وَلَا يَلْبَسُوا إِلَّا قُبُرًا كَفَارًا » ؛ أَيِ صَائِرًا إِلَى الْكُفْرِ وَالْمُجُورِ . «^(٥) حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ » . سَمَاءٌ زَوْجًا لِأَنَّ الْعَقْدَ يُؤُولُ إِلَى زَوْجِيَّةٍ لِأَنَّهَا لَا تَنْكِحُ فِي حَالِ كَوْنِهَا زَوْجًا . «^(٦) فَبَشِّرْنَاهُ بِنَبَلَامٍ حَلِيمٍ » . «^(٧) نَبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ » . وَصَفُهُ فِي حَالِ الْبَشَرَةِ بِمَا يُؤُولُ إِلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ .

الثاني عشر : إطلاق اسم الحال على المحل ، نحو «^(٨) : قَفِي رَحْمَةً اللَّهُ مِمَّ فِيهَا خَالِدُونَ » ؛ أَيِ فِي الْجَنَّةِ ؛ لِأَنَّهَا مَحَلُّ الرَّحْمَةِ . «^(٩) بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ » ؛ أَيِ فِي اللَّيْلِ . «^(١٠) إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا » ؛ أَيِ عَيْنِكَ ، عَلَى قَوْلِ الْحَسَنِ .

الثالث عشر : عكسه ، نحو «^(١١) : قَلِيدُ نَادِيَةٍ » ؛ أَيِ أَهْلِ نَادِيَةٍ ؛ أَيِ مَجْلِسِهِ .

ومنه التعبير باليد عن القدرة ؛ نحو «^(١٢) : بِيَدِهِ الْمُلْكُ » . وَبِالْقَلْبِ عَنِ الْعَقْلِ ؛ نحو «^(١٣) : لَمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا » ؛ أَيِ عَقُولٍ . وَبِالْأَنْفِ عَنِ الْبَصَرِ ؛ نحو «^(١٤) : أَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ السَّحَابَ » .

(١) طه : ٧٤	(٢) في : ١ : مَا كَانُوا .	(٣) يوسف : ٢٦
(٤) نوح : ٢٧	(٥) البقرة : ٢٣٠	(٦) المائدة : ١٠١
(٧) الحجر : ٥٣	(٨) آل عمران : ١٠٧	(٩) سبأ : ٢٣
(١٠) الأهل : ٤٣	(١١) النمل : ١٧	(١٢) الملك : ١
(١٣) الأعراف : ١٧٩		

عن الألسن ، نحو^(١) : « وتقولون بأفواهكم » . وبالقرية عن ساكنيها ، نحو^(٢) :
« واسأل قرية » .

وقد اجتمع هذا النوع وما قبله في قوله تعالى^(٣) : « خذُوا زِينَتَكُمْ عند
كلِّ مسجد » ، فإن أخذ الزينة غير ممكن ؛ لأنها مصدر ، فالمراد محلها ،
فأطلق عليه اسم الحال [٤٣ ب] . وأخذها للمسجد نفسه لا يجب ؛ فالمراد به
الصلاة ، فأطلق اسم المحل على الحال .

الرابع عشر : تسمية الشيء باسم آله ، نحو^(٤) : « واجعل لي لسان
صديق في الآخرين » ، أى ثناء حسناً ؛ لأن اللسان آله . «^(٥) وما أرسلنا
من رسول إلا بلسان قومه » ، أى بلغة قومه .

الخامس عشر : تسمية الشيء باسم ضده ، نحو^(٦) : « فبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ » . والبشارة حفيظة في الخبر السار .

ومنه تسمية الداعى إلى الشيء باسم العارفين عنه ، ذكره السكاكي وخروج
عليه قوله تعالى^(٧) : « ما منعك ألا تسجد » . يعنى ما دعاك إلى ألا تسجد .
وسدّ بذلك من دعوى زيادة لا .

السادس عشر : إضافة الفعل إلى ما لا يصح منه تشبيهاً ، نحو^(٨) : « جذاراً
يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ » ، وصفه بالإرادة ، وهى من صفات الحى تشبيهاً لميله
للقوع بإرادته .

السابع عشر : إطلاق الفعل والمراد مشاركته ومقاربتة وإرادته ؛ نحو^(٩) :

(١) النور : ١٥	(٢) يوسف : ٨٢	(٣) الأعراف : ٣١
(٤) الشعراء : ٨٤	(٥) إبراهيم : ٤	(٦) التوبة : ٣٤
(٧) الأعراف : ١٢	(٨) الكهف : ٢٢	(٩) التلاق : ٢

« فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُمْ فَأَمْسَكُوهُمْ » ، أى قلوب بلوغ الأجل ، أى انقضاء المدة ، لأن الإمساك لا يكون بمسده ، وهو فى قوله ^(١) : « فَبَلَغَ أَجَلُهُمْ فَلَا تَفْضُلُوهُمْ » - حقيقة . ^(٢) « فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ » ، أى فإذا قرب مجيئه . وبه يندفع السؤال المشهور فيها : إنه عند مجيء الأجل لا يتصور تقديم ولا تأخير . ^(٣) « وَلَيَخْشَى الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ... » الآية ، أى لو قاربوا أن يتركوا خافوا ، لأن الخطاب للأوصياء ، وإنما يتوجه إليهم قبل الترك ، لأنهم بعده أموات . ^(٤) « إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا » ، أى أردتم القيام . ^(٥) « فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ » ، أى أردت القراءة ، لتكون الاستعاذة قبلها . ^(٦) « وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَبَاءَهَا بَأْسًا » ، أى أردنا إهلاكها ، وإلا لم يصح العطف بالقاء . وجعل منه بعضهم قوله ^(٧) : « مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَى » ، أى من يرد الله هدايته ، وهو حسن جداً لثلاث يتحد الشرط والجزم .

الثامن عشر : القلب ، وهو إما قلب إسناد ، نحو ^(٨) « إِنْ مَقَاتِلَهُ لَتَنُوءَ بِالْمُصِيبَةِ » ، [أى لتنوء المصيبة بها] ^(٩) . ^(١٠) « لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ » ، [أى لكل كتاب أجل] ^(١١) . ^(١٢) « وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ » ، أى حرمناه على المراضع . ^(١٣) « وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ » ، أى تعرض النار عليهم ؛ لأن المروض عليه هو الذى له الاختيار . ^(١٤) « وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ » ، أى وإن

(١) البقرة : ٢٣٢	(٢) النحل : ٦١	(٣) النساء : ٩
(٤) المائدة : ٦	(٥) النحل : ٩٨	(٦) الأعراف : ٤
(٧) الأعراف : ١٧٨	(٨) القصص : ٢٦	(٩) من الإطقان .
(١٠) الرعد : ٢٨	(١١) القصص : ١٢	(١٢) الأحقاف : ٢٤
(١٣) العاديات : ٥		

حبه للخير . « (٢) » وإن يُردَّكَ بخير . ؛ أى يريد بك الخير . « (٣) » فتلقى آدم من ربه كلمات . ؛ لأن التلقى حقيقة هو آدم ، كما قرئ . بذلك أيضاً .
أو قلب عطف ؛ نحو « (٤) » : « ثم تَوَلَّ عنهم فَأَنْقَارُ » ؛ أى فانظر ثم تول .
« (٥) » ثم دنا فتدلى . ؛ أى تدلى فدنا ؛ لأنه بالتدلى مال إلى الدنو .
أو قلب تشبيه ، وسيأتى فى نوعه .

التاسع عشر : إقامة صيغة مقام أخرى ، وتحت أنواع كثيرة :

منها : إطلاق المصدر على الفاعل ، نحو « (٦) » : « فَأَنَّهُمْ عَدُّوا لى » ؛ ولهذا أفردته . وعلى المفعول ، نحو « (٧) » : « وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ » ؛ أى من مملومه . « (٨) » صَنَعَ اللَّهُ ، أى مصنوعه . « (٩) » وجاءوا على قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ؛ أى مكذوب فيه ؛ لأن الكذب من صفات الأقوال لا الأجسام .
ومنه : إطلاق للبشرى على البشر به ، والهوى على الهوى ، والقول على القول .

ومنها : إطلاق الفاعل على المصدر ، نحو « (١٠) » : « لَيْسَ لِوَقْعَتِهِمْ كَذِبَةٌ » ؛ أى تكذيب . [وإقامة المفعول مقام المصدر ، نحو : « (١١) » : « يَا أَيُّهَا الْمَفْتُونَ » ؛ أى الفتنة ، على أن الباء غير زائدة .
ومنها : إطلاق فاعل على مفعول ، نحو « (١٢) » : « مَا دَاقَ » ، أى مدفوق .

(١) يونس : ١٠٧	(٢) البقرة : ٣٧	(٣) النمل : ٢٨
(٤) النعم : ٨	(٥) الشعراء : ٧٧	(٦) البقرة : ٢٥٥
(٧) النمل : ٨٨	(٨) يوسف : ١٨	(٩) الواقعة : ٢
(١٠) من البرهان ، والاتقان .	(١١) القلم : ٦	
(١٢) الطلوة : ٦		

«^(١) لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ » ؛ أى لا معصوم . «^(٢) جَلْنَا حَرَمًا آيِنًا » ، أى مأمونا فيه .

وعكسه ، نحو «^(٣) : « إِنْ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا » ، أى آتيا . «^(٤) حِجَابًا مَسْتُورًا » ، أى ساترا . وقيل : هو على بابهِ ، أى مستورا عن العيون [لا يحس به أحد] «^(٥) .

ومنها : إطلاق فاعل بمعنى مفعول ، نحو «^(٦) : « وَكَانَ السَّكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَلِيمًا » .

ومنها : إطلاق واحد من المثنى والمفرد والجمع على آخر منها . مثال إطلاق للمفرد على المثنى : نحو «^(٧) : « وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ » ، أى يرضوه ، فأفرد لتلازم الرضاهين . وعلى الجمع «^(٨) : « إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ » ، أى الأناس ، بدليل الاستثناء منه . «^(٩) : « إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا » ؛ بدليل : « إِلَّا الصَّالِينَ » [١٤٤] .

ومثال إطلاق المثنى على المفرد «^(١٠) : « أَقْبِيَا فِي جَهَنَّمَ » ، أى ألقا .

ومنه كل فعل نسب إلى شيئين ، وهو لأحدهما فقط ، نحو «^(١١) : « يُخْرِجُ مِنْهَا الْأَوْلُؤُ وَالْمَرْجَانِ » ، وإنما يخرج من أحدهما وهو الملح دون العذب . ونظيره : «^(١٢) : « وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا » ، وإنما تخرج الحلية من الملح . «^(١٣) : « وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا » ،

(١) هود : ٤٣	(٢) الضكبيوت : ٦٧	(٣) مريم : ٦١
(٤) الإسراء : ٤٥	(٥) من البرهان .	(٦) الفرقان : ٥٥
(٧) التوبة : ٦٢	(٨) النصر : ٢	(٩) المارج : ١٩
(١٠) ف : ٢٤	(١١) الرحمن : ٢٢	(١٢) طاهر : ١٢
(١٣) نوح : ١٦		

أى فى إحداهن . «^(١) نَسِيًا حُوتَهُمَا » ؛ والناسى يوشع ، بدليل قوله لموسى :
« إِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ » ؛ وإنما أضيف النسيان إليهما معاً ، لسكوت موسى عنه .
«^(٢) فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِنْجَامَ عَلَيْهِ » ؛ والتعجيل فى اليوم الثانى . «^(٣) عَلَى
رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ » ، قال الفارسي : أى من إحدى القريتين .

وليس منه^(٤) : « وَلَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ » . وإن المعنى جنة واحدة ،
خلافاً للقراء . وفى كتاب « ذَاتُ الْقَدِّ »^(٥) « لَابَنُ جَنِّي : أَنْ مِنْهُ » : « أَنْتَ
قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأَتَى الْهَيْئَةَ مِنْ دُونِ اللَّهِ » ؛ وإنما اتخذ إلهاً عيسى
دون مريم .

ومثال إطلاقه على الجمع^(٦) : « ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ » ؛ أى كرأت ؛
لأن البصر لا يحسر إلا بها . وجعل منه بعضهم^(٧) : « الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ » .
ومثال إطلاق الجمع على المفرد^(٨) : « قُلْ رَبِّ ارْجِعُونِ » ؛ أى ارجئنى .
وجعل منه ابن فارس^(٩) : فَنَظَرَةٌ بِمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ » . والرسول واحد ،
بدليل : ارجع إليهم . وفيه نظر ؛ لأنه يحتمل أنه خاطب رئيسهم ، لا سيما وعادة
الملوك جارية ألا يرسلوا واحداً . وجعل منه : « فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ » . ينزل
الملائكة بالروح ؛ أى جبريل . «^(١٠) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا » .
والقاتل واحد .

(١) الكهف : ٦١ (٢) البقرة : ٢٠٣ (٣) الزخرف : ٣١

(٤) الرحمن : ٤٦

(٥) فى البرهان : هذا القد . وقال فى هامشه : ويسميه بعضهم كتاب ذى القد . وفى :
ذا الصدا .

(٦) المائدة : ١١٦ (٧) المذ : ٤ (٨) النيرة : ٢٢٩

(٩) المؤمنون : ٩٩ (١٠) النمل : ٣٥ (١١) البقرة : ٧٢

ومثال إطلاقه على الشيء (١) : « قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِفِينَ » . « (٢) قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ » . « (٣) فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأَمَّةٍ السُّدُسِ » ، أى أخوان . « (٤) قَدْ صَدَّقْتَ قُلُوبُكَمَا » ، أى قلباكما . « (٥) وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ... » إلى قوله : « وَكُنَّا لَهُمْ شَهِيدِينَ » .

ومنها إطلاق الماضى على المستقبل لتحقق وقوعه ، نحو (٦) : « آتَى أَمْرُ اللَّهِ » ، أى الساعة ، بدليل : « فَلَا تَسْجُدُوا لَهُ » . « (٧) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ » . « (٨) وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ... » الآية . « (٩) وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا » . « (١٠) وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ » .

وعكسه لإفادة الدوام والاستمرار ؛ فكأنه وقع واستمر ؛ نحو (١١) : « أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ » . « (١٢) وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ » ؛ أى تلت . « وَلَقَدْ نَعْلَمُ » ؛ أى علمنا . « (١٣) قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ » ؛ أى علم . « (١٤) فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ » ؛ أى قتلتم . وكذا : « (١٥) فَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ » . « ويقول (١٦) الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا » ؛ أى قالوا .

ومن لواحق ذلك التعبير عن المستقبل باسم الفاعل أو المفعول ؛ لأنه حقيقة

(١) فصلت : ١١	(٢) ص : ٢٢	(٣) النساء : ١١
(٤) التحريم : ٤	(٥) الأنبياء : ٧٨	(٦) النحل : ١
(٧) الزمر : ٦٨	(٨) المائدة : ١١٦	(٩) إبراهيم : ٢٩
(١٠) الأعراف : ٤٨	(١١) البقرة : ٤٤	(١٢) البقرة : ١٠٢
(١٣) التور : ٦٤	(١٤) البقرة : ٩٩	(١٥) البقرة : ٨٧
(١٦) الرعد : ٤٣		

في الحال لا في الاستقبال ؛ نحو : «^(١) وإن الدين لواقع » . «^(٢) ذلك يومٌ
مجموعٌ له الناس » .

ومنها إطلاق الخبر على الطلب أمراً أو نهياً أو دعاء ، مبالغة في الحث عليه ،
حتى كأنه وقع وأخبر عنه ؛ قال الزمخشري ^(٣) : ورود الخبر ، والمراد به الأمر
أو النهي أبلغ من صريح الأمر أو النهي كأنه سورع ^(٤) فيه إلى الامتثال ،
وأخبر عنه ، نحو ^(٥) : « والوالدات يرضعن أولادهن » . «^(٦) والمطنقات
يتربصن » . «^(٧) فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج » - على قراءة
الرفع . «^(٨) وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله » [أي لا تنفقوا إلا ابتغاء
وجه الله] ^(٩) . «^(١٠) لا يمس به إلا المطهرون » . «^(١١) وإذا أخذنا مشق
بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله » ، أي لا تعبدوا ، بدليل قوله : « وقولوا
للناس حسناً » . «^(١٢) لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم » ، أي اللهم
اغفر لهم .

وعكسه ، نحو ^(١٣) « فليبدد له الرحمن مداً » ، أي يمد . «^(١٤) اتبعوا
سبيلنا ولنحمل خطاياكم » ، أي ونحن حاملون ^(١٥) ، بدليل : « وإنهم
لكاذبون » . والكذب إنما يرد على الخير . «^(١٦) فليضحكوا قليلاً
وليبتكوا كثيراً » .

(١) القاريات : ٦	(٧) هود : ١٠٣	(٣) الكشاف ١ - ١٠٦
(٤) ل : ١ : توزع فيه .	(٥) البقرة : ٢٣٣	(٦) البقرة : ٢٢٨
(٧) البقرة : ١٩٧	(٨) البقرة : ٢٧٢	(٩) من الإمتان .
(١٠) الواقعة : ٧٩	(١١) البقرة : ٨٣	(١٢) يوسف : ٩٢
(١٣) مريم : ٧٥	(١٤) النكبات : ١٢	(١٥) ل : ١ : ونحن خاطئون .
(١٦) التوبة : ٨٢		

وقال الكواشي^(١) في الآية الأولى : الأمر بمعنى الخبر أبلغ من الخبر ،
لأنه لزوم ، نحو : إن زرتنا فلنكرمك ، يريدون تأكيد إيجاب الإكرام
عنهم . وقال ابن عبد السلام : لأن الأمر للإيجاب [٤٤ ب] فأشبه الخبرية
لإيجابه .

ومنها : وضع النداء موضع التعجب ، نحو^(٢) : « يا حسرة على العباد » . قل
القراء : معناه يا لها من حسرة . وقال ابن خالويه : هذه من أصعب مسألة
في القرآن ، لأن الحسرة لا تنادي ، وإنما ينادى الأشخاص ، لأن فائدته التنبيه ،
ولكن المعنى على التعجب .

ومنها : وضع جموع القلة موضع الكثرة ، نحو^(٣) : « وهم في الغُرَفَاتِ
آمِنُونَ » . وغرف الجنة لا تحصى . «^(٤) هم دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ » ، ورتب الناس
في علم الله أكثر من العشرة لا محالة . «^(٥) يتوفى الأنفس » . «^(٦) أياما
مَمدُودَات » . وسكتة التثنية في هذه الآية التسهيل على المكافين .
وعكسه ، نحو^(٧) : « يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ » .

ومنها : تذكير المؤنث على تأويله بذكر ، نحو^(٨) : « فمن جاءه موعظةٌ من
ربه » ، أى وعظ . «^(٩) وأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا » ، على تأويل البلدة بالمكان .
«^(١٠) فلما رأى الشمس بازِغَةً قال هذا ربى » ، أى الشمس أو الطالع . «^(١١) إن
رَحْمَةً اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْحَسَنِينَ » . قال الجوهري : ذُكِرَتْ على معنى

(١) الوهان : (٢ — ٢٩٠) هو أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع . موثق الدين
الكواشي الموصل الشافعي ، توفى سنة ٦٨٠ ، وله كتابان في الضمير ، أحدهما التبصرة ،
والآخر التلخيص .

- | | | |
|-------------------|------------------|--------------------|
| (٢) يس : ٣٠ | (٣) سبأ : ٣٧ | (٤) آل عمران : ١٦٣ |
| (٥) الزمر : ٤٢ | (٦) البقرة : ١٨٤ | (٧) البقرة : ٢٢٨ |
| (٨) البقرة : ٢٧٥ | (٩) ق : ٩١ | (١٠) الأنعام : ٧٠ |
| (١١) الأعراف : ٥٦ | | |

الاستحسان^(١) . وقال الشريف المرتضى في قوله^(٢) : « ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولنلك خالقهم » : إن الإشارة للرحمة ، وإنما لم يقل « وابللك » لأن تأنيثها غير حقيقى ، ولأنه يجوز أن يكون فى تأويل أن يرحم .

ومنها : تأنيث المذكر ، نحو^(٣) : « والذين يريثون القرود ومن هم فيها خالدون » ، أنت القرودوس - وهو مذكر - حملا على معنى الجنة . «^(٤) من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » ، أنت عشر أحيث حذف الماء مع إضافتها إلى الأمثال وواحدها مذكر ، قيل لإضافة الأمثال إلى مؤنث ، وهو ضمير الحسنات ، فاكذب منها التأنيث . وقيل : هو من باب مراعاة المعنى ، لأن الأمثال فى المعنى مؤنثة ، لأن مثل الحسنة [حسنة ، والتقدير : فله عشر]^(٥) حسنت أمثالها . وسيأتى فى آخر الكتاب فى القواعد المهمة قاعدة فى التذكير والتأنيث .

ومنها : التخليب ، وهو إعطاء شىء حكم غيره . وقيل ترجيح أحد الغلوين على الآخر ، وإطلاق لفظه عليهما ؛ إجراء للمختلفين مجرى المتفقين ، نحو^(٦) : « وكانت من الثابتين » . «^(٧) إلا امرأته كانت من الغابرين » . والأصل من القاتلات والغابرات ، فقلت الأنثى من المذكر بحكم التخليب . «^(٨) بل أنتم قوم تجهلون » ؛ أى بناء الخطاب تنائياً لجانب أنتم على جانب قوم . والقياس أن يؤتى ببناء القية ؛ لأنه صفة لقوم ، وحسن المدلول عنه وقوع الوصف خبراً عن ضمير المخاطبين . «^(٩) اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم » ؛ غلب فى الضمير المخاطبين وإن كان « من تبعك » يقتضى القية ، وحسنه لأنه لما كان الغائب

(١) ل الإحسان : على معنى الإحسان .

(٢) هود : ١١٩ ، وأخر أمالى المرتضى : ١ - ٢٠ .

(٣) المؤمنون : ١١ (٤) الأمام : ١٦٠ (٥) من الإحسان .

(٦) التحريم : ١٢ (٧) الأعراف : ٨٣ (٨) النمل : ٥٥

(٩) الإسراء : ٦٣

تبعاً للمخاطب في العصبية والقوية مُجمل تبعاً له في اللفظ أيضاً ، وهو من محاسن ارتباط اللفظ بالمعنى . «^(١) والله يسجد ما في السموات وما في الأرض » ، غلب غير العاقل حيث أتى « بما » لكثرة . وفي آية أخرى عبر بمن ، فقلب العاقل لشرقه . «^(٢) لنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَمُودُنَّ فِي مَمْتِنَا » . أدخل « شعيب » في لتعودن بحكم التغليب ؛ إذ لم يكن في ملتهم أصلاً حتى يعود فيها . وكذا قوله : «^(٣) إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ » . «^(٤) فسجد الملائكة كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ » . عُدَّ منهم بالاستثناء تقليداً لكونه كان بينهم . «^(٥) يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ » ، أى المشرق والمغرب . قال ابن السجري : وغلب المشرق لأنه أشهر الجهتين . «^(٦) مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ » ، أى الملح والمذب ، والبحر خاص بالملح ، فقلب لكونه أعظم . «^(٧) ولكل درجات » ، أى من المؤمنين والكفار ، والدرجات للعلو والدركات للسفل ، فاستعمل الدرجات في التسمين تقليداً للأشرف .

قال في البرهان : وإنما كان التغليب من باب المجاز ؛ لأن اللفظ لم يستعمل فيما وضع له ، ألا ترى أن القاتنين موضوع للذكور الموصوفين بهذا الوصف ، فإطلاقه على الذكور والإناث إطلاق على غير ما وضع له ، وكذا باقى الأمثلة .

ومنها : استعمال حروف الجر في غير معانيها الحقيقية كما تقدم .

ومنها : [١٤٥] استعمال صيغة **أَفْعَلْ** لغير الوجوب وصيغة **لا تفعل** لغير التحريم ، وأدوات الاستفهام لغير طلب التصور أو التصديق ، وأدوات التمني والترجى والتداه لغيرها ، كما سيأتى .

(١) النحل : ٤٩	(٢) الأعراف : ٨٨	(٣) الأعراف : ٨٩
(٤) الحجر : ٣٠	(٥) الزخرف : ٣٨	(٦) الرحمن : ١٩
(٧) الأنعام : ١٣٧		

ومنها : التضمن ، وهو إعطاء الشيء معنى الشيء ، ويكون في الحروف والأفعال والأسماء . وسيأتى في حروف الجر .

وأما الأفعال فإنه تضمن فعل معنى فعل آخر ، ويكون فيه معنى الفعلين معاً ، وذلك بأن يأتى الفعل متهدياً بحرف ليس من عادته التعدي به ، فيحتاج إلى تأويله أو تأويل الحرف ليصح التعدي به ؛ الأول تضمن الفعل ، والثانى تضمن الحرف .

واختلفوا أيهما أولى ؟ فقال أهل اللغة وقوم من النحاة : التوسع في الحرف . وقال المحققون : التوسع في الفعل ؛ لأنه في الأفعال أكثر ؛ مثله : «^(١) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ » . فيشرب إنما يتعدى ثمن ، فتعديته بالباء إما على تضمنه معنى يروى ويلتذ ، أو بتضمن الباء معنى من . «^(٢) أَجِلٌ لَكُمْ لَيْلَةُ الصَّيَامِ الرِّقْتُ إِلَى نَائِكُمْ » . فالرقط لا يتعدى يالى إلا على تضمن معنى الإقضاء . «^(٣) هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى » . والأصل فى ، أو تضمن معنى أدعواك . «^(٤) يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ » . عُدَّتْ بِعَنَ لتضمنها معنى العفو والصفح .

وأما فى الأسماء فإنه تضمن اسم معنى اسم لإفادة معنى الاسمين معاً ، نحو «^(٥) : حَقِيقٌ عَلَى آلَا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ » ، ضمن حقيق معنى حريص ، ليفيد أنه محقق يقول الحق وحريص عليه ؛ وإنما كان التضمن مجازاً ؛ لأن اللفظ لم يوضع للحقيقة والمجاز معاً ، فالجمع بينهما مجاز .

(٣) المازعات : ١٨

(٢) النقرة : ١٨٧

(١) الإنسان : ٦

(٥) الأعراف : ١٠٥

(٤) التوبة : ١٠٤

فصل

في أنواع مختلف في عدها من المجاز

وهي ستة :

أحدها - الحذف ، فالشهور أنه من المجاز ، وأنكره بعضهم ، لأن المجاز استعمال اللفظ في غير موضعه ، والحذف ليس كذلك .

وقال ابن عطية : حذف المضاف هو عين المجاز ومعظمه ، وليس كل حذف مجازاً .

وقال القراء^(١) : في الحذف أربعة أقسام :

قسم يتوقف عليه صحة اللفظ ومعناه من حيث الإسناد ، نحو^(٢) : « واسأل القرية » ، أي أهلها ، إذ لا يصح إسناد السؤال إليها .

وقسم يصح بدونه ، لكن يتوقف عليه شرعا [كقوله^(٣) : « فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » . أي فافطر فعدة .

وقسم يتوقف عليه عادة لا شرعا^(٤) ، نحو^(٥) : « اضرب بعصاك البحر فانقلب » ، أي فضربه .

وقسم يدل عليه دليل غير شرعي ولا هو عادة ، نحو^(٦) : « قبضت قبضة من أثر الرسول » [دل الدليل على أنه إنما قبض قبضة من أثر حافر فرس الرسول]^(٧) .

وليس في هذه الأنسام مجاز إلا الأول .

(١) في الإطقان : القراء . (٢) يوسف : ٨٢ . (٣) البقرة : ١٨٤ .
(٤) من الإطقان . (٥) الشعراء : ٦٣ . (٦) طه : ٩٨ .

وقال الزنجاني^(١) في الميار : إنما يكون مجازاً إذا تغير حكم ، فأما إذا لم يتغير
كحذف خبر البتلة المطوف على جملة فليس مجازاً ؛ إذ لم يتغير حكم ما بقي
من الكلام .

وقال القزويني في الإيضاح : متى تغير إعراب الكلمة بحذف أو زيادة
فهو مجاز ، نحو : « واسأل القرية » . «^(٢) ليس كمثله شيء » . فإن كان الحذف
والزيادة لا يوجب تغير الإعراب ، نحو : «^(٣) أو كصيب من السماء » . «^(٤) فيما
رحمة » ؛ فلا توصف الكلمة بالمجاز .

الثاني - التأكيد ، زعم قوم أنه مجاز ، لأنه لا يفيد إلا ما أفاده الأول .
والصحيح أنه حقيقة .

قال الطرطوسي^(٥) في العدة : ومن سماه مجازاً قلناه : إذا كان التأكيد
بلفظ الأول ، نحو : عجل عجل ونحوه ، فإن جاز أن يكون الثاني مجازاً جاز
في الأول ؛ لأسهما في لفظ واحد ، إذا بطل حمل الأول على المجاز بطل حمل الثاني
عليه ، لأنه مثل الأول .

الثالث - التشبيه : زعم قوم أنه مجاز ، والصحيح أنه حقيقة .

قال الزنجاني في «الميار» : لأنه معنى من الثاني ، وله ألقاظ تدل عليه وضماً ،
فليس فيه نقل اللفظ عن موضوعه .

(١) في ١ ب : ابن الزنجاني . والزنجاني هو عبد الوهاب بن إبراهيم الخزرجي ،
من علماء القرية ، وكتبه معيار النظار في علوم الأشعار . توفي سنة ٦٥٥ (بنسبة الوعاة :
٢ - ١٢٢) .

(٢) القورئ : ١١ (٣) البقرة : ١٩ (٤) آل عمران : ١٥٩

(٥) هو القاضي نجم الدين إبراهيم بن علي الطرطوسي المتوفى سنة ٧٥٨ ، وكتابه «أعمدة
الحكم» فيما لا ينفذ من الأحكام . و ١ ب : الطرطوسي .

وقال عز الدين : إن كان بحرف فهو حقيقة أو بحذف^(١) فهو مجاز بناء على أن الحذف من باب المجاز .

الرابع — الكناية ، وفيها أربعة مذاهب :

أحدها : أنها حقيقة . قال ابن عبد السلام : وهو الظاهر ؛ لأنها استعملت فيما وضعت له ، وأريد به الدلالة على غيره .

الثاني : أنها مجاز .

الثالث : أنها لا حقيقة ولا مجاز ؛ وإليه ذهب صاحب التلخيص لنته في المجاز أن يراد المعنى الحقيقي مع المجازي وتجويزه ذلك فيها .

الرابع : وهو اختيار الشيخ تقي الدين السبكي أنها تنقسم إلى حقيقة ومجاز ، فإن استعملت اللفظ في معناه مراداً منه لازم المعنى أيضاً فهو حقيقة ، وإن لم يرد المعنى ، بل عبر بالملزوم عن اللازم [٤٥ ب] فهو مجاز لاستعماله في غير ما وضع له .

والحاصل أن الحقيقة منها أن يستعمل اللفظ فيما وضع له ليفيد غير ما وضع له ، والمجاز منها أن يريد بها غير موضوعها استعمالاً وإفادة .

الخامس — التقديم والتأخير : عده قوم من المجاز ، لأن تقديم ما رتبته التأخير كالمفعول ، وتأخير ما رتبته التقديم كالفاعل — نقل لكل واحد منهما عن رتبته وحقه .

قال في البرهان^(٢) : والصحيح أنه ليس منه ، فإن المجاز نقل ما وضع إلى ما لم يوضع له .

(١) ١ : أو بحذفه فجاز .

(٢) البرهان : ٢ — ٤١٥

السادس — الالتفات ، قال الشيخ بهاء الدين السبكي : لم أر من ذكر هل هو حقيقة أو مجاز . قال : وهو حقيقة حيث لم يكن معه تجريد .

فصل

فيما يوصف بأنه حقيقة أو مجاز باعتبارين

هو الموضوعات الشرعية ، كالصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ؛ فإنها حقائق بالنظر إلى الشرع مجازات بالنظر إلى اللفظ

فصل

في الوسطة بين الحقيقة والمجاز

قبل بها : ثلاثة أشياء :

أحدها : اللفظ قبل الاستعمال ، وهذا القسم مفقود في القرآن ، ويمكن أن يكون منه أوائل السور على القول بأنها للإشارة إلى الحروف التي يتركب منها الكلام .

ثانيها : الأعلام .

ثالثها : اللفظ المستعمل في الشاكلة ، نحو^(١) : « وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرًا لِّلَّهِ » .
«^(٢) وَجَزَاءً سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا » . ذكر بعضهم أنها واسطة بين الحقيقة والمجاز ،

(١) آل عمران : ٥٤

(٢) الثوري : ٤٠

قل : لأنه لم يوضع فيما استعمل فيه ، فليس حقيقة ؛ ولا علاقة معتبرة ، فليس مجازاً ، كذا في شرح بديعية ابن جابر لرفيقه .

قلت : والذي يظهر أنها مجاز ، والعلاقة المصاحبة .

خاتمة

[مجاز المجاز]

لهم مجاز المجاز ؛ وهو أن يُحمل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بثبابة الحقيقة بالنسبة إلى مجاز آخر ، فيتجاوز بالمجاز الأول عن الثاني للاقعة بينهما ، كقوله تعالى ^(١) : «ولكن لا تواعدوهن سرّاً» ، فإنه محاز عن مجاز ؛ فإن الوطء تجاوز عنه بالسري ، لكونه لا يقع غالباً إلا في السر ، وتجاوز به عن التقدير ؛ لأنه مسبب عنه ، فالمصحح للمجاز الأول الملازمة والثاني السببية . والمعنى لا تواعدوهن عقد نكاح .

وكذا قوله ^(٢) : «ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله» ، فإن قول : «لا إله إلا الله» مجاز عن تصديق القلب بمدلول هذا اللفظ ، والعلاقة السببية ؛ لأن توحيد اللسان مسبب عن توحيد الجنان ، والتعير بلا إله إلا الله عن الوحدانية من مجاز التعير بالقول عن القول فيه .

وجعل منه ابن السيد ^(٣) قوله ^(٤) : «أنزلنا عليكم لباساً» ، فإن المنزل عليهم ليس هو نفس اللباس ، بل الماء المنبت للزروع المتخذ منه الثوب المنسوج منه اللباس .

• • •

(١) البقرة : ٢٣٥

(٢) المائدة : ٥

(٣) هو عبد الله بن محمد بن السيد البطيوس صاحب الاختصاص في شرح أدب السكاتب

وغیره من كتب اللغة . توفي سنة ٤٤٤ (إنياء الرواة : ٢-١٤١) . (٤) الأعراف : ٢٦

الوجه الرابع والعشرون من وجوه المحسنات

تشبيه واستعاراته وهو من أشرف أنواع البلاغة وأعلىها

قال البرد في الكامل : لو قال قائل هو أكثر كلام العرب لم يبعد .
وقد أفرد تشبيهات القرآن بالتصنيف أبو القاسم بن البندار^(١) البغدادي
في كتاب سماه « الجنان » .

وعرفه جماعة منهم السكاكي بأنه الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى .
وقال ابن أبي الإصبع^(٢) : هو إخراج الأغص إلى الأظهر .
وقال غيره : هو إلحاق شيء بذى وصف في وصفه .
وقال بعضهم : هو أن تثبت للشبه حكماً من أحكام الشبه به .
والغرض منه تأسيس النفس بإخراجها من خفي إلى جلي ، وإدخاله البعيد
من القريب ليفيد بياناً .

وقيل : الكشف عن المعنى للقصود مع الاختصار .

وأدواته حروف وأسماء وأفعال :

فالخروف : الكاف ، نحو^(٣) « كرماد » . وكان ، نحو^(٤) : « كأنه رؤوس
الشياطين » .

والأسماء : مثل ، وشبه ، ونحوهما مما يشتق من المائلة والشابهة . قال الطبري :

(١) هو أبو القاسم عبد الله بن محمد بن الحسين الأديب الشاعر النحوي الخوفي سنة ٤١٠ هـ .
وكتابه يسمى « الجنان في تشبيهات القرآن » .
« تفسير القرآن » : ٥٨ (٣) إبراهيم : ١٨ (٤) المعاني : ٦٥

ولا تستعمل مثل إلابى حال أو عفة لها شأن وفيها غرابة ، نحو ^(١) : « مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ » .

والأفصال ؛ نحو ^(٢) : « يَحْسَبُهُ الظَّنَّ مَاءً » . ^(٣) يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِعْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْمَى . قال في التلخيص - تباً للسكاكي : وربما يُذكر فعلٌ يُنبئ عن التشبيه فيؤتى بالتشبيه القريب ، بنحو : علمت زيدا أسداً الدال على التحقيق . وفي البعيد بنحو : حبت ^(٤) زيدا أسداً الدال على الظن وعدم التحقيق .

وخالفه جماعة منهم الطيبي قالوا في كون هذه الأفصال تنبئ عن التشبيه نوع خفاء . والأظهر أن الفعل ينبئ عن حال التشبيه في القرب والبعد ، وأن الأداة محذوفة مقدرة لمدى استقامة المعنى بكونه .

ذكر أقسامه

[تشبيه باعتبار طرفيه]

ينقسم التشبيه باعتبارات :

الأول - باعتبار طرفيه إلى أربعة أقسام ، لأنها إما حسيان ، أو عقليان ، أو الشبه به حسي والتشبه عقلي ، أو عكسه .

ومثال الأول ^(٥) : « وَاقْهَرِ قَدْرَنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ » . ^(٦) كَأَنَّهُمْ أَعْجَزُ نَخْلٍ مُنْقَمِرٍ .

ومثال الثاني ^(٧) : « ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً » . وكذا مثله في البرهان ^(٨) ، وكأنه ظن أن التشبيه واقع في القسوة ، وهو غير ظاهر ؛ بل هو واقع بين القلوب والحجارة ، فهو من الأول .

(١) آل عمران : ١٧٢ (٢) النور : ٣٩ (٣) طه : ٦٦
(٤) في ١ : علمت . (٥) يس : ٣٩ (٦) القمر : ٢٠
(٧) البقرة : ٧٤ (٨) البرهان : ٢ - ٤٢٠

ومثال الثالث^(١) : « مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ » .

ومثال الرابع لم يقع في القرآن ؛ بل منعه الإمام أصلاً ؛ لأن العقل مستفاد من الحس ، فالمحسوس أصل للمقول ، وتشبيهه به يستلزم جعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً ، وهو غير جائز .

وقد اختلف في قوله تعالى^(٢) : « مِنْ لِبَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ » .

[تقسيمه باعتبار وجهه]

الثاني — ينقسم باعتبار وجهه إلى مفرد ومركب ، والمركبان ينتزع وجه التشبيه من أمور مجموع بعضها إلى بعض ، كقوله^(٣) : « كُنَلِ الْحِمَارِ بِحَمَلٍ أُسْفَاراً » ، فالتشبيه مركب من أحوال الحمار ، وهو حرمان الانتفاع بأبلغ وقع مع تحمل التعب في استصحابه . وقوله^(٤) : « إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ ... » إلى قوله : « كَأَنْ لَمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ » ، فإن فيه عشر جمل وقع التركيب من مجموعها بحيث لو سقط منها شيء اختلف التشبيه ؛ إذ المقصود تشبيه حال الدنيا في سرعة تقصيرها ، وأغراض تبعها ، وانقراض الناس بها — بحال ماء نزل من السماء ، وأنبت أنواع العشب ، وزين بزخرفها وجه الأرض ، كالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة ، حتى إذا طمع أهلها فيها ، وظنوا أنها مسلمة من الجوائح أتاها بأس الله فجاءه ، فكأنها لم تكن بالأمس .

وقال بعضهم : وجه تشبيه الدنيا بالماء أمران :

أحدهما : أن الماء إذا أخذت منه فوق حاجتك تضررت ، وإن أخذت قدر

الحاجة انتفعت به ، فكذلك الدنيا .

(١) الجمعة : ٤

(٢) البقرة : ١٨٧

(٣) إبراهيم : ١٨

(٤) يونس : ٢٤

والثاني أن الماء إذا أطبقت عليه كفك لتحفظه لم يحصل فيه شيء ،
فكذلك الدنيا .

وقوله ^(١) : « مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مَصْبَاحٌ ... » الآية — شبه نوره
الذى يلقى في قلب المؤمن بمصباح اجتمعت فيه أسباب الإضاءة إما بوضعه في
مشكاة — وهي الطاقة التي لا تنفذ ، وكونها لا تنفذ لتكون أجمع للبصر ^(٢) .
وقد جعل فيها مصباح في داخل زجاجة تشبه الكوكب الذرى في صفائها ،
ودهن المصباح من أصنى الأدهان وأقواها وقوداً ، لأنه من زيت شجرة في وسط
السراج ^(٣) ، لا شرقية ولا غربية ، فلا تصيبها الشمس في أحد طرفي النهار ؛
بل تصيبها الشمس أعنل إصابة .

وهذا مثل ضربه الله للمؤمن ، ثم ضرب للكافر مثلين : أحدهما ^(٤) :
« كَسْرَابٍ يَمِيلُهُ يَحْسَبُهُ الظَّلَمَانُ مَاءً » . والآخر ^(٥) : « كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ
لُجِّيٍّ ... » الخ . وهو أيضاً تشبيه مركب .

[تقسيم آخر]

الثالث — ينقسم باعتبار آخر إلى أقسام :

أحدها : تشبيه ما تقع عليه الحاسة بما لا تقع ، اعتماداً على معرفة التقيض والصد ؛
فإن إدراكهما أبلغ من إدراك الحاسة ، كقوله ^(٦) : « طَلَعُهَا كَأَنَّهُ رَءُوسُ
الشَّيَاطِينِ » . شبه بما لا يشك أنه منكر قبيح لما حصل في قوس الناس من بشرة
صور الشياطين وإن لم ترها عياناً .

الثاني : عكسه ، وهو تشبيه ما لا تقع عليه الحاسة بما تقع عليه ، كقوله ^(٧) :

(١) النور : ٢٥	(٢) في البرهان : للبصر .	(٣) في ١ : في أو وسط أربع .
(٤) النور : ٣٩	(٥) النور : ٤٠	(٦) الصافات : ٦٥
(٧) النور : ٣٩		

« والذين كفروا أعمالهم كسرابٍ بقيعةٍ ... » الآية . أخرج ما لا يحس — وهو الإتيان — إلى ما يحس وهو السراب . والمعنى الجامع بطلان التوهم مع شدة الحاجة وعظم القاعة .

الثالث : إخراج ما لا تجري العادة به [إلى ما جرت به] ^(١) كقوله تعالى ^(٢) : « وَإِذْ نَفَخْنَا فِي جُودِ قَوْمِهِمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ » . والجامع بينهما الارتفاع في الصورة .
الرابع : إخراج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بها ، كقوله ^(٣) : « وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ » . والجامع العظم ، وفائدته التشويق إلى الجنة بحسن الصفة وإفراط السعة .

الخامس : إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة فيها ، كقوله تعالى ^(٤) : « وَلَهُ [٤٦ ب] الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَغْلَامِ » . والجامع فيهما العظم ، وفائدته إبانة القدرة على تسخير الأجسام العظام في الطف ^(٥) ما يكون من الماء ، وما في ذلك من انتفاع الخلق بحمل الأثقال وقطعها الأقطار البعيدة في المسافة القريبة ، وما يلزم ذلك من تسخير الرياح للإنسان ، فتضمن ذلك نبأ عظيماً من الصخر وتعداد النعم ؛ وعلى هذه الأوجه الخمسة تجري تشبيهات القرآن .

[تقسيم آخر]

الرابع — ينقسم باعتبار آخر إلى مؤكد ؛ وهو ما حذف فيه الأداة ، نحو ^(٦) : « وَهِيَ تَمُورٌ مَرٌّ السَّحَابِ » ؛ أي مثل مر السحاب . ^(٧) « وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ » . ^(٨) « وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ » .

ومرسل ؛ وهو ما لم يحذف ، كآيات السابقة .

والمحذوف الأداة أبلغ ؛ لأنه نُزِلَ فيه الثاني منزلة الأول تجوُّزاً .

(١) من البرهان ، والإتيان .	(٢) الأعراف : ١٧١
(٣) الحديد : ٢١	(٤) الرحمن : ٢٤
(٥) النمل : ٨٨	(٦) الأعراف : ٦
(٧) آل عمران : ١٣٣	(٨) في البرهان : في أعظم ...
(٩) — في إعجاز القرآن (١٨)	

قاعدة

الأصل دخول أداة التشبيه على المشبه به ، وقد تدخل على المشبه ؛ إما قصد التبالغة فيقاب التشبيه ويجعل المشبه هو الأصل ، نحو^(١) : « قالوا إنما البيعُ مثلُ الربا » ؛ كان الأصل أن يقولوا إنما الربا مثل البيع ؛ لأن الكلام في الربا لا في البيع ، فدلوا عن ذلك وجعلوا الربا أصلاً ماحقاً به البيع في الجواز ، وأنه الخلق بالحل :

ومنه قوله تعالى^(٢) : « أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ » ؛ فإن الظاهر العكس ؛ لأن الخطاب لبدة الأوثان الذين سموها آلهة تشبيهاً بالله سبحانه ، فجعلوا غير الخالق مثل الخالق ؛ فخولف في خطابهم ، لأنهم بانغوا في عبادتهم ، وغلوا حتى صارت عندهم أصلاً في العبادة ؛ فجاء الرد على وفق ذلك .

وإما لوضوح الحال ، نحو^(٣) : « وليس الله كالأُنثى » ؛ فإن الأصل : وليس الأنثى كالمذكر ، وإنما عدل عن الأصل ؛ لأن المعنى : وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت . وقيل : لمراعاة القواصل ؛ لأن قبله : إني وضعتها أنثى . وقد تدخل على غيرها اعتماداً على فهم المخاطب ، نحو^(٤) : « كونوا أنصار الله » كما قال عيسى ابن مريم ... الآية . المراد كونوا أنصار الله خالصين في الاتقياء كشأن مخاطبي عيسى إذ قالوا .

(٢) آل عمران : ٣٦

(٣) النحل : ١٧

(١) البقرة : ٢٧٥

(٤) الصف : ١٤

قاعدة أخرى

القاعدة في الظم تشبه الأعلى بالأدنى ؛ لأن الظم مقام الأدنى . وفي السح تشبه الأدنى بالأعلى ؛ لأن الأعلى ظاهر^(١) عليه ، فيقال في المدح: حصى كالباقوت . وفي الظم: باقوت كالرجاج ، وكذا في السلب . ومنه^(٢) ؛ « يا نساء النبي لستن كأحد من النساء » ؛ أي في النزول لا في الملو . «^(٣) أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالفاسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار » ؛ أي في سوء الخلق ؛ أي لا نجعلهم كذلك . نعم أورد على ذلك^(٤) : « مثل نوره كشكاؤه فيها مضباح » . تب فيه الأعلى بالأدنى لا في مقام السلب . وأجيب بأنه للتقريب إلى أذهان المخاطبين ؛ إذ الأعلى من نوره فيشبه به .

قاعدة

قال ابن أبي الإصبع^(٥) : لم يقع في القرآن تشبيه شيتين بشيتين ولا أكثر من ذلك ، وإنما وقع فيه تشبيه واحد بواحد .

فصل

زُوج المجاز بالتشبيه فولد بينهما الامتعاره ، فهي مجاز علاقته المشابهة . ويقال في تعريفها : اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي . والأصح أنها مجاز لغوي ؛ لأنها موضوعية التشبه به لا تشبهه ،

(٢) الأحزاب : ٢٢

(٥) يسج القرآن : ٦٠

(١) في ١ : طارىء عليه .

(٤) النور : ٢٥

(٣) س : ٢٨

ولا لأعم منهما؛ فأسد في قوله : رأيت أسداً يرى - موضوع للأسد لا للشجاع ،
ولا لعن أعم منهما ، كالحیوان الجریء مثلاً ؛ ليكون إطلاقه عليهما حقيقة
كإطلاق الحيوان عليهما .

وقيل مجاز عقلي، بمعنى أن التصرف فيها في أمر عقلي لا تعوى؛ لأنها لا تطلق
على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله في جنس المشبه به ، فكان استعمالها فيما وضعت له
فتكون حقيقة لغوية ، ليس فيها غير نقل الاسم وحده .

وليس نقل الاسم المجرد استعارة ، لأنه لا بلاغة فيه ، بدليل الأعلام المنقولة؛
فلم يبق إلا أن يكون مجازاً عقلياً .

وقال بعضهم : حقيقة الاستعارة أن تستعار الكلمة من شيء معروف بها
إلى شيء لم يعرف بها ؛ وحكمة ذلك إظهار الخفي وإيضاح الظاهر الذي ليس بجلي ،
أو حصول البالغة ، أو المجموع ؛ مثال إظهار الخفي ^(١) : « وإنه في أم الكتاب » ؛
فإن حقيقته : وإنه في أصل الكتاب ، فاستعير لفظ الأم للأصل ؛ لأن الأولاد
تنشأ من الأم كما تنشأ القروع من الأصول . وحكمة ذلك تمثيل ما ليس بمرئي
حتى يصير مرئياً ، فينتقل السامع من حد السماع إلى حد البیان ، وذلك أبلغ
في البیان .

ومثال إيضاح ما ليس بجلي ليصير جلياً ^(٢) : « واخفِضْ لَهَا جَنَاحَ الذَّلِّ
مِنَ الرَّحْمَةِ » ، فإن المراد أمر الولد بالذل لوالديه رحمة ، فاستعير للذل ^(٣) أولاً
جانب ثم للجانب جناحاً . وتقدير الاستعارة القرينة : واخفِضْ لَهَا جَنَاحَ الذَّلِّ ،
أى اخفِضْ جانبك ذلاً .

(١) الزخرف : ٤

(٢) الإسراء : ٢٤

(٣) في البرهان : قوله .

وحكمة الاستعارة في هذا جعل ما ليس بمرئي مرئياً لأجل حسن البيان .
ولما كان الراد خفض جانب^(١) الولد للوالدين بحيث لا يبقى الولد من الذل لهما
والاستكانة ممكناً^(٢) احتيج في الاستعارة إلى ما هو أبلغ من الأولى ، فاستعير
لفظ الجناح لما فيه من المعاني التي لا تحصل من خفض الجناح ؛ لأن مَنْ مَالَ
جانبه إلى جانب السفلى أدنى ميل صدق عليه أنه خفض جانبه . والراد خفض ياصق
الجنب بالأصل^(٣) ولا يحصل ذلك إلا بذكر الجناح^(٤) كالطائر .

ومثال البالغة^(٥) : « وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا » . وحقيقته : وفجّرنا عيون
الأرض ، ولو عبر بذلك لم يكن فيه من البالغة ما في الأول المشعر بأن الأرض
كلها صارت عُيُونًا .

فـ اـ حـ رـ ع

أركان الاستعارة ثلاثة : مستعار ، وهو اللفظ المشبه به . ومستعار منه ،
وهو اللفظ المشبه . ومستعار له ، وهو المعنى الجامع .

وأقسامها كثيرة باعتبارات ، فنقسم باعتبار الأركان الثلاثة إلى خمسة
أقسام :

أحدها — استعارة محسوس لمحسوس بوجه محسوس ، نحو^(٦) : « وَاشْتَعَلَ
الرَّأْسُ شَيْئًا » ؛ فالاستعار منه هو النار ، والاستعار له الشيب ، والوجه

(١) في البرهان : جناح . (٢) في البرهان : مركباً .

(٣) في الإتيان : بالأرض . وفي البرهان : بالإيط .

(٤) في البرهان : إلا ينقص الجناح .

(٦) مريم : ٤ .

(٥) القمر : ١٢ .

هو الانبساط ، ومشابهة ضوء النار لبياض الشيب ، وكل ذلك محسوس . وهو أبلغ مما لو قيل : اشتعل شيب الرأس ؛ لإفادته عموم الشيب لجميع الرأس .

ومثله ^(١) : « وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض » . أصل الموج حركة الماء ، فاستعمل في حركتهم على سبيل الاستعارة . والجامع سرعة الاضطراب وتتابعه من الكثرة . ^(٢) والصبح إذا تنفس . استعير خروج النفس شيئاً فشيئاً لخروج النور من الشرق عند انشقاق القمر قليلاً قليلاً ، بجامع التابع على طريق التدرج . وكل ذلك محسوس .

الثاني — استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي ؛ قال ابن أبي الإصبع ^(٣) : وهي اللف من الأولى ، نحو ^(٤) : « وآية لهم الليل سَلَخُ منه النهار » . فالاستعار منه السَلَخ الذي هو كشط الجلد عن الشاة ، والاستعار له كشف الضوء عن مكان الليل ، وهما حسيان ؛ والجامع ما يعقل من ترتب أمر على آخر وحصوله عقب حصوله ، كترتب ظهور اللحم على الكشط ، وظهور الظلمة على كشف الضوء عن مكان الليل . والترتب أمر عقلي .

ومثله ^(٥) : « فجعلناها حصيداً كأن لم تكن بالأمس » . أصل الحصيد النبات ، والجامع الهلاك ، وهو أمر عقلي .

الثالث — استعارة معقول لمعقول بوجه عقلي . قال ابن أبي الإصبع ^(٦) : وهي اللف الاستعارات ، نحو ^(٧) : « مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرَاقِدِنَا » . المتعار منه

(١) الكهف : ٩٩ (٢) التكموير : ١٨ (٣) بديع القرآن : ٢١

(٤) يس : ٣٧ (٥) بونس : ٢٤ (٦) بديع القرآن : ٢١

(٧) يس : ٥٢

الرقاد ؛ أى النوم ؛ والمستعار له الموت ، والجامع عسدم ظهور القمل .
والكل قلى .

ومثله ^(١) : « وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ » . والمستعار السكوت ،
والمستعار منه الساكت ، والمستعار له الغضب .

الرابع - استعارة محسوس لمقول بوجه عتلى أيضاً ؛ نحو ^(٢) : « مَسْتَهْمُ
الْبَاسَاءِ وَالْفُرَّاءِ » . استعير المس ، وهو حقيقة فى الأجسام ، وهو محسوس ،
لمقاسة الشدة ، والجامع الحقوق ؛ وهما عتليان . « ^(٣) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ
فَيَذَمُّهُ » . فالنقذف والذمخ مستعاران ، وهما محسوسان . والحق والباطل مستعار
لهما ، وهما معتولان . « ^(٤) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أُنَيمًا تُقْفُوا إِلَّا يُحِبُّ مِنَ اللَّهِ
وَحَبْلٌ مِنَ النَّاسِ » . استعير الحبل المحسوس للمهد وهو معتول . « ^(٥) فَاصْدَعْ
بِمَا تُوْمَرُ » استعير الصدع ، وهو كسر الزجاج ، وهو محسوس ، للتبليغ وهو
معتول . والجامع التأثير وهو أبلغ من بآغ ، وإن كان بآناه ؛ لأن تأثير الصدع
أبلغ من تأثير التبليغ ؛ فقد لا يؤثر التبليغ ، والصدع يؤثر جزماً . « ^(٦) وَانْخَفِضْ
لَهَا جَنَاحَ الذَّلَّةِ » . قل الراغب ^(٧) : لما كان الذل على ضربين : ضرب يضع
الإنسان ، وضرب يرفه ، وقصد فى هذا المكان إلى ما يرفع استعير [٤٧ ب]
لفظ الجناح ؛ فكأنه قيل استعمل الذل الذى يرفك عند الله . وكذا قوله ^(٨) :
الَّذِينَ يَخُوضُونَ فى آيَاتِنَا » . « ^(٩) فَتَبَدُّوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ » . « ^(١٠) أَفَمِنْ أَسْنَنِ

(١) الأعراف : ١٥٤	(٢) البقرة : ٢١٤	(٣) الأنبياء : ١٨
(٤) آل عمران : ١١٢	(٥) الحجر : ٩٤	(٦) الإسراء : ٢٤
(٧) المحرمات : ١٠٠	(٨) الأنعام : ٦٨	(٩) آل عمران : ١٨٢
(١٠) التوبة : ١٠٩		

بُنيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمِنْ أُسْتِ بُنْيَانَهُ . » (١) وَيُفَوِّسُهَا
عَوَجًا . » (٢) لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ . » (٣) فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً
مَنْثُورًا . » (٤) فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . » (٥) وَلَا تَجْمَلْ يَدَكَ مَغْنُولَةً
إِلَى عُنُقِكَ . » كلها من استعارة المحسوس للمعقول . والجامع عقلى .

الخامس — استعارة معقول لمحسوس ، والجامع عقلى أيضاً ، نحو (٦) :
« إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَا كُفَّٰمَ فِي الْجَارِيَةِ » . المستعار منه التكبر وهو عقلى ،
والمستعار له كثرة الماء وهو حسى ، والجامع الاستعلاء وهو عقلى أيضاً . ومنه (٧) :
« تَسْكَادُ تَمَيزٌ مِّنَ الْقَيْظِ » . » (٨) وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً . »

• • •

وتنقسم باعتبار اللفظ إلى :

أصلية ؛ وهى ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس كآية : بحبل الله .
من الظلمات إلى النور . فى كل وادٍ .

ونبعية ، وهى ما كان اللفظ فيها غير اسم جنس ، كالفعل والمشتقات ، كسائر
الآيات السابقة ، وكالحروف ، نحو (٩) : « فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ
عَدُوًّا وَحَزَنًا » . شبه ترتب الداوة والحزن على الالتقاط بترتب غلبة الغائبة عليه ،
ثم استعير فى المشبه اللام الموضوع للمشبه به .

• • •

(١) هود : ١٩	(٢) إبراهيم : ١	(٣) الفرقان : ٢٣
(٤) الشعراء : ٢٢٥	(٥) الإسراء : ٢٩	(٦) الحاقة : ١١
(٧) الملك : ٨	(٨) الإسراء : ١٢	(٩) النمل : ٨

وتنقسم باعتبار آخر إلى مرشحة ، ومجردة ، ومطلقة :

فالأولى — وهي أبلغها — أن تقترن بما يلائم الستار منه ، نحو^(١) :
« أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم » . استعير الاشتراء للاستبدال والاختيار ، ثم قرن بما يلائمه من الربح والتجارة .

والثانية — أن تقترن بما يلائم الستار له ، نحو^(٢) : « فأذاقها الله لباسَ الجوع والخوف » . استعير اللباس للجوع ، ثم قرن بما يلائم الستار له من الإذاقة ، ولو أراد الترشيع لقل : فكساها ، لكن التجريد أبلغ لما في لفظ الإذاقة من البالغة في الألم باطناً .

والثالثة — ألا تقترن بواحد منهما .

• • •

وتنقسم باعتبار آخر إلى : تحقيقية ، وتخيلية ، ومكنية ، ونصيرية :

فالأولى : ما تحقق معناها حساً ، نحو^(٣) : « فأذاقها الله لباسَ الجوع والخوف ... » الآية . أو عقلاً ، نحو^(٤) : « وأنزلنا إليكم نوراً » ، أى بياناً واضحاً وحبّة دافئة . «^(٥) اهتديا الصراط المستقيم » ، أى الدين الحق ، فإن كلا منهما متحقق عقلاً .

والثانية : أن يضمّر التشبيه في النفس فلا يصرح بشيء من أركانه سوى المشبه ، ويدل على ذلك التشبيه المضمّر في النفس بأن يثبت المشبه أمر مختص بالمشبه به ، ويسمى ذلك التشبيه المضمّر استعارة بالكناية ومكنياً عنها ، لأنه لم يصرح به ، بل دل عليه بذكر خواصه .

(٣) النحل : ١١٢

(٢) النحل : ١١٢

(١) البقرة : ١٦

(٥) النافعة : ٦

(٤) النفا : ١٧٣

ويقابله التصريحية . ويسمى إثبات ذلك الأمر المختص بالشبه به المشبه
استعارة تخيلية ؛ لأنه قد استعير للمشبه ذلك الأمر المختص بالشبه به ،
وبه يكون كل المشبه وقوامه في وجه الشبه ؛ لتخيل أن المشبه من جنس
المشبه به .

ومن أمثلة ذلك^(١) : «الذين يَفْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ» . شبه العهد
بالحبيل ، وأضر في النفس ؛ فلم يصرح بشيء من أركان التشبيه سوى العهد
المشبه ، ودل عليه بإثبات النقيض الذي هو من خواص المشبه به ، وهو الحبيل .
وكذا^(٢) : « واشتعل الرأس شَيْبًا » . شوى ذكر الشبه به وهو النار ، ودل عليه
بلازمه وهو الاشتعال . «^(٣) فَأَذَاقَهَا اللَّهُ ... » الآية . شبه ما يدرك من أثر
الضر والآلم بما يدرك من طعم المرقوقع عليه الإذافة . «^(٤) ختم الله على قلوبهم » .
شبهها في ألا تميل الحق بالشئ الموثوق غنوم ، ثم أثبت لها الختم . «^(٥) جِدَارًا
يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ » . شبه ميلانه لتدوير بانحراف الحي ، فأثبت له الإرادة
التي هي من خواص العقلاء .

ومن التصريحية آية : «^(٦) مَسَّيْنِ الْيَأْسَ وَالضَّرَاءَ » . «^(٧) مَنْ بَعَثْنَا
مِنْ مَرْقَدِنَا » .

• • •

وتندسم باعتبار آخر إلى وفاقية ؛ بأن يكون اجتماعهما في شئ ممكنًا ، نحو^(٨) :
« أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ » ، أي صلا فهديناه . استعير الإحياء من جبل

(٢) النمل : ١١٢

(١) مريم : ٤

(١) البقرة : ٢٧

(٦) البقرة : ٢١٤

(٥) الكهف : ٢٧

(٤) البقرة : ٧

(٨) الأنعام : ١٢٢

(٧) يس : ٥٢

الشيء حيا - للهداية التي هي الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب ؛ والإحياء والهداية مما يمكن اجتماعهما في شيء .

وعنادية ؛ وهي ما لا يمكن اجتماعهما في شيء ، كاستعارة اسم العلوم للموجود لعدم نفسه ، واجتماع الوجود والعدم في شيء ممتنع [٤٨] . ومن العنادية التهمكية والتعليحية ؛ وهما ما استعمل في ضد أو قبيض ، نحو^(١) : « فَبَشِّرْهُمْ بِضَابِ أَلِيمٍ » ؛ أي أندوم . استُعمِرت البشارة وهي في الإخبار بما يسرّ للإنذار الذي هو ضده بإدخاله في جنسها على سبيل التهمك والاستهزاء ، ونحو^(٢) : « إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ » . عنوا القوي السفيه نهكاً . « ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ » .

وتنقسم باعتبار آخر إلى : تمثيلية ؛ وهي أن يكون وجه الشبه فيها منزعاً من متعدد ، نحو^(٣) : « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً » . شبه استظهار العبد بالله ووثوقه بحمايته والنجاة من المكاره باستمساك الواقع في مهواة بحبل وثيق مدلى من مكان مرتفع يؤمن انقطاعه .

تنبيه

قد تكون الاستعارة بلفظين ، نحو^(٤) : « قَوَارِيرٌ - قَوَارِيرٌ مِنْ فِضَّةٍ » .
يعنى تلك الأواني ليست من الزجاج ولا من الفضة ؛ بل في صفاء القارورة وياض

(١) آل عمران : ٢١ (٢) هود : ٨٧ (٣) النخاس : ٤٩

(٤) آل عمران : ١٠٣ (٥) الإسنان : ١٥ ، ١٦

القصة . «^(١) نَصَبَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ » . فالصَّبُّ كناية عن الدوام ،
والسوط عن الإيلام ؛ فالعنى عذبهم عذاباً دائماً مؤلماً .

قاعدة

أنكر قوم الاستعارة بناء على إنكارهم المجاز ، وقوم إطلاقها في القرآن ،
لأن فيها إيهاماً للحجة ، ولأنه لم يرد في ذلك إذن من الشرع ، وعليه القاضي
عبد الوهاب المالكي . وقال الطرطوسي^(٢) : إن أطلق المسلمون الاستعارة فيه
أطلقناها ، وإن امتنعوا امتنعنا ، ويكون هذا من قبيل أن الله عالم ، والعلم
هو العقل ، ثم لا نصفه به لعدم التوقيف . انتهى .

قاعدة ثانية

تقدم أن التشبيه من أعلى أنواع البلاغة وأشرفها . واتفق البلغاء على أن
الاستعارة أبلغ منه ؛ لأنها مجاز وهو حقيقة . والمجاز أبلغ ، فإذا الاستعارة أعلى
مراتب القصاحة ، وكذا الكناية أبلغ من التصريح . والاستعارة أبلغ من الكناية
كما قال في عروس الأفراح : إنه الظاهر ؛ لأن كالجامعة بين كناية واستعارة ،
ولأنها مجاز قطعاً . وفي الكناية خلاف .

وأبلغ أنواع الاستعارة التمثيلية ، كما يؤخذ من الكشاف ، ويليهما المكبية ،
صرح به الطيبي لاشتغالها على المجاز العقلي . والترشيحية أبلغ من المجردة والصلقة .

(١) النجم : ١٤

(٢) صاحب كتاب عمدة الأحكام . كما تقدم . وفي ب ن الطرطوسي : « تشبيه بضمه » .

والتخييلية أبلغ من الحقيقية . والمراد بالأبلية إقادة زيادة التأكيد والمبالغة في كل التشبيه ، لا زيادة في المعنى لا توجد في غير ذلك .

خاتمة

من المهم تمييز الفرق بين الاستعارة والتشبيه المحذوف الأداة ، نحو : زيد أسد . قل الزمخشري^(١) : في قوله تعالى^(٢) : « صم بكم عني » . فإن قلت : فهل يسمى ما في الآية استعارة ؟ قلت : يختلف فيه . والمحققون على تسميته تشبيهاً بلينا لا استعارة ؛ لأن الستار له مذكور ، وهم الناقصون ؛ وإنما تطلق الاستعارة حيث يطوى ذكر الستار له ، ويحمل الكلام خلوأ عنه صالحاً لأن يراد المنقول عنه والمنقول له لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام . ومن ثم ترى للعلّاقين المهرة^(٣) يتناسون التشبيه ، ويضربون عنه صفحا .

وعليه السكاكي بأن من شرط الاستعارة إمكان حمل الكلام على الحقيقة في الظاهر وتناسي التشبيه ، و« زيد أسد » لا يمكن كونه حقيقة ، فلا يجوز أن يكون استعارة . وتابعه صاحب الإيضاح .

وقال في عروس الأقراع : وما قلناه ممنوع ، وليس من شرط الاستعارة صلاحية الكلام لنصرة إلى الحقيقة في الظاهر . قل : بل لو عكس ذلك ، وقل : لا بد من صلاحية لكان أقرب ؛ لأن الاستعارة مجاز لا بدله من قرينة ، فإن لم تكن له قرينة امتنع صرفه إلى الاستعارة ، وصرفناه إلى حقيقته ، وإنما نصره إلى الاستعارة بقرينة : إما لفظة أو معنوية ؛ نحو : زيد أسد . فالإخبار به عن زيد قرينة صارفة عن إرادة حقيقته .

(٢) البقرة : ١٨

(١) الكشف : ١ - ٢٢

(٣) في الكشف ، والإيمان : الحرة .

قال : والقي [٤٨ ب] فمخارجه في نحو « زيد أمد » أنه قسيمان : تارة يُقصد به [التشبيه ، فتكون أداة التشبيه مقدرة ، وتارة يقصد به]^(١) الاستعارة فلا تكون مقدرة ، ويكون الأمد مستعملا في حقيقته ، وذكر « زيد » والإخبار عنه بما لا يصاح له حقيقة قرينة — صارفة إلى الاستعارة دالة عليها ، فإن قامت قرينة على حذف الأداة صرفا إليه ، وإن لم تكن^(٢) فنحن بين إضمار واستعارة ؛ والاستعارة أولى ، فيصار إليها .

وَمِمَّنْ صرح بهذا الفرق عبد اللطيف البغدادي في قوانين البلاغة ، وكذا قال حازم : الفرق بينهما أن الاستعارة وإن كان فيها معنى التشبيه فتقدير حرف التشبيه لا يجوز فيها ، والتشبيه بغير حرف على خلاف ذلك ؛ لأن تقدير حرف التشبيه واجب فيه .

• • •

الوجه الخامس والعشرون من وجوه المعجزة

وقوع الكناية والتعريض

وقد قلنا آنفا أن الكناية أبلغ من التصريح ، وهما من أنواع البلاغة وأساليب الفصاحة . وعرفنا أهل البيان بأنها لفظ أريد به لازم معناه .

وقال الطيبي : ترك التصريح بالشئ إلى ما يساويه في اللزوم ، فينقل منه إلى اللزوم . وأنكر وقوعها في القرآن من أنكر المجاز فيه بناء على أنها مجاز . وقد تقدم الخلاف في ذلك .

(٢) في الإحسان : وإن لم تلم .

(١) من ب .

[أسباب الكناية]

ولكناية أسباب :

أحدها : التثنية على نظام القدرة ، نحو^(١) : « هو الذي خنقكم من نفس واحدة » ؛ كناية عن آدم .

وثانيها : ترك اللفظ إلى ما هو أجل ، نحو^(٢) : « إن هذا أخى له تسع وتسعون نَجَّةً ولى نَجَّةً واحدة » ، فكنى بالنعجة عن المرأة كمادة العرب في ذلك ، لأن ترك التصريح بذكر امرأة أحد منه ، ولهذا لم تذكر في القرآن امرأة باسمها إلا مريم . قال السهلي : وإنما ذكرت مريم باسمها على خلاف عادة القصصاء لنكتة ؛ وهي أن الملوك والأشراف لا يذكرون حرائرهم في ملأ ، ولا يتذلون أسماءهن ؛ بل يكتفون عن الزوجة بغير اسم والعيال ونحو ذلك ؛ فإذا ذكروا الإماء لم يكتفوا عنهن ولم يصوروا أسماءهن عن الذكر ، فلما قالت النصارى في مريم ما قالوا صرح الله باسمها ، ولو لم يكن تأكيداً للمعبودية التي هي صفة لها ، وتأكيداً ؛ لأن عيسى لا أب له وإلا لنسب إليه .

ثالثها : أن يكون الصريح مما يستتبع ذكره ؛ ككناية الله عن الجماع باللامسة والمباشرة ، والإنشاء والرفث ، والدخول ، والسر في قوله^(٣) : « ولكن لا تؤاخذوهن بغيرا » . والنسيان في قوله^(٤) : « فلما تغشاهن » .

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس ، قال : المباشرة الجماع ، ولكن الله يكنى .

وأخرج عنه ، قال : إن الله كريم يكنى ما شاء ، وإن الرفث هو الجماع .

(٣) البقرة : ٢٣٥

(٢) م : ٢٣

(١) الأعراف : ١٨٩

(٤) الأعراف : ١٨٩

وكنى عن طلبه بالمرادة في قوله ^(١) : « وَرَأَوْتُهُ الَّتِي هُوَ فِي يَتِيهَا عَنْ نَفْسِهِ » .
وعنه أو عن المعاقبة باللباس في قوله ^(٢) : « هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ » .
وبالحديث في قوله ^(٣) : « نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ » .

وكنى عن البول ونحوه بالغائط في قوله ^(٤) : « أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ » .
وأصله المكان المظلم من الأرض .

وكنى عن قضاء الحاجة بأكل الطعام في قوله في مريم وابنها ^(٥) : « كَانَا
يَأْكُلَانِ الطَّامَ » .

وكنى عن الاستئثار بالأدبار في قوله ^(٦) : « يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ » .
أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد في هذه الآية قال : يعنى أستاذهم ، ولكن الله
يكفى ما شاء .

وأورد على ذلك التصريح بالقرج في قوله ^(٧) : « وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا » .
وأجيب بأن المراد به فرج القميص ، والتعبير به من لطيف الكنايات
وأحسنها ؛ أى لم يعلق ثوبها ربية ، فهى طاهرة الثوب ، كما يقال نقي الثوب ،
وعفيف الذيل — كناية عن العفة . ومنه ^(٨) : « وَثِيَابُكَ فَطَهِّرْ » . وكيف يظن
أن قنخ جبريل وقع في فرجها ، وإنما فسخ في جيب درعها . ونظيره أيضاً ^(٩) :
« وَلَا يَأْتِيَنَّ بِهِمَا نَيْرٌ يَفْتَرِيَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ » .

قلت : وعلى هذا فنى الآية كناية عن كناية ، ونظيره [٢٩٩] | ما تقدم
من مجاز المجاز .

(١) يوسف : ٢٣	(٢) البقرة : ١٨٧	(٣) البقرة : ٢٢٣
(٤) المائدة : ٦	(٥) المائدة : ٧٥	(٦) الأهل : ٤٠
(٧) الأنبياء : ٩١	(٨) المدثر : ٤	(٩) المنعة : ١٠

رابعها : قصد المبالغة والبلاغة ، نحو ^(١) : « أَوْ مَنْ يُنْشَأُ فِي الْجِلْدَةِ وَهُوَ فِي الْخَصَامِ نَيْرٌ مُبِينٌ » . كنى عن النساء بأنهن ينشأن في الترفه والتزين والشواغل عن النظر في الأمور ودقيق المعاني ، ولو أتى بلفظ النساء لم يشعر بذلك ، والمراد نفي ذلك عن الملائكة . وقوله ^(٢) : « بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ » . كناية عن سعة جوده وكرمه جداً .

خامسها : قصد الاختصار ، كالكناية عن ألقاظ متعددة بلفظ « فعل » ، نحو ^(٣) : « لَيْشَسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ » . « ^(٤) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا » ؛ أى فَإِنْ لَمْ تَأْتُوا بسورة من مثله .

سادسها : التنبيه على مصيره ، نحو ^(٥) : « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ » ، أى جهنمى مصيره إلى اللهب . تحالة الخطب في جيدها جبل ؛ أى نمامة ، مصيرها إلى أن تكون حطباً لجهنم في جيدها غل .

قال بدر الدين بن مالك في المصباح ^(٦) : إنما يعدل عن الصريح إلى الكناية لئلا يكثر ؛ كالإيضاح ، أو بيان حال الموصوف ، أو مقدار حاله ، أو القصد إلى المدح أو الذم ، أو الاختصار ، أو الستر أو العناية ، أو التسمية أو الإلفاظ ، أو التعبير عن الصعب بالسهل ، أو عن المعنى القبيح باللفظ الحسن .

واستنبط الزمخشري ^(٧) نوعاً من الكناية غريباً ، وهو أن تعمد إلى جملة معناها على خلاف الظاهر ، فتأخذ الخلاصة من غير اعتبار مفرداتها بالحقيقة والمجاز ،

(٣) المائدة : ٧٩

(٢) المائدة : ٦٤

(١) التزخرف : ١٨

(٥) اللهب : ١

(٤) البقرة : ٢٤

(٦) المصباح في تلخيص الفتح لحمد بن عبد الله بن مالك الملقب بابن الناطم أحد أئمة

النحو والمعاني والقديم ، توفي سنة ٦٨٦ (طبقات الشافعية : ٥ — ٤١) .

(٧) الكتاب : ٧ — ٢٠

فتعبر بها عن التصود ، كما تقول في نحو^(١) : « الرَّحْمَنُ عَلَى الرَّشِّ اسْتَوَى » .
إنه كناية عن ذلك ؛ فإن الاستواء على السرير لا يكون إلا مع الملك ؛ فجعل
كناية عنه . وكذا قوله^(٢) : « وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ
مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ » — كناية عن عظمته وجلاله من غير ذهاب بالقبض واليمين
إلى جہتين : حقيقة ومجاز .

تذليل

من أنواع البديع التي تشبه الكناية الإرداف ؛ وهو أن يريد المتكلم معنى
فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له ، ولإبدالة الإشارة ؛ بل بلفظ يرادفه ؛ كقوله
عالي^(٣) : « وَقُضِيَ الْأَمْرُ » . والأصل : وذلك من قضى الله هلاكه ، ونجا
من قضى الله نجاته ، وعدل عن لفظ ذلك إلى الإرداف ، لما فيه من الإنجاز
والتنبيه على أن هلاك الهالك ونجاة الناجي كان بأمر أمر مطاع ، وقضاء من لا يُرد
قضاؤه ؛ والأمر يستلزم أمرا ، وقضاؤه يدل على قدرة الأمر به وقهره ؛ وأن الخوف
من عقابه ورجاء ثوابه يحضان على طاعة الأمر ؛ ولا يحصل ذلك كله من اللفظ
الخاص .

وكذا قوله^(٤) : « وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ » — حقيقة ذلك : جلست ، فعدل
عن اللفظ الخاص بلعني إلى مرادفه ، لما في الاستواء من الإشعار بجلوس متمكن
لا زيف فيه ولا ميل ؛ وهذا لا يحصل من لفظ الجلوس .

وكذا^(٥) : « فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ » ؛ غفيات ، وعدل عنه للدلالة

(٣) البقرة : ٢١٠

(٢) الزمر : ٦٧

(١) طه : ٥

(٥) النجم : ٥٦

(٤) هود : ٤٤

على أنهم مع العفة لا تطمح أعينهن إلى غير أزواجهن ، ولا يشتهين غيرهم .
ولا يؤخذ ذلك من لفظ العفة .

قال بعضهم : والفرق بين الكناية والإرداف أن الكناية انتقال من لازم
إلى ملزوم . والإرداف من مذكور إلى متروك .

ومن أمثله أيضاً : « ^(١) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ
أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى » . عدل في الجملة الأولى عن قوله « بالسوءى » مع أن فيه
مطابقة كالجملة الثانية - إلى بما عملوا ، تأدياً بأن يُضاف السوء إلى الله تعالى .

فصل

للناس في الفرق بين الكناية والتعريض عبارات متقاربة ؛ فقال الزمخشري :
الكناية ذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له . والتعريض أن يذكر شيئاً يدل به
على شيء لم يذكره .

وقال ابن الأثير ^(٢) : الكناية ما دل على معنى يجوز حملُه على الحقيقة والمجاز
بوصف جامع بينهما . والتعريض : اللفظ الدال على معنى لا من جهة الوضع الحقيقي
أو المجازي كقول من يتوقع صلة : والله إني محتاج ؛ فإنه تعريض بالطلب ،
مع أنه لم يوضع له حقيقة ولا مجازاً ؛ وإنما فهم [٤٩ ب] من عرض اللفظ ،
أي جانيه .

وقال السبكي في كتاب الإغريض في الفرق بين الكناية والتعريض : الكناية
لفظ استعمل في معناه مراداً منه لازم المعنى ، فهو بحسب استعمال اللفظ في المعنى

حقيقة ، والتجوز في إرادة إعادة ما لم يوضع له ؛ وقد لا يراد منها المعنى ، بل يعبر بالضرورة عن اللازم ، وهي حينئذ مجاز .

ومن أمثله ^(١) : « قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا » ، فإنه لم يقصد إفادة ذلك ، لأنه معلوم ، بل إفادة لازمه وهو أنهم يرقونها ويحذون حرها إن لم يحاهدوا .

وأما التعريض فهو لفظ استعمل في معناه للتلويح بغيره ، نحو ^(٢) : « بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا » . نسب الفعل إلى كبير الأصنام المتخذة آلهة ، كأنه غضب أن تعبد الصغار معه ؛ تلويحاً لما يدها بأنها لا تصلح أن تكون آلهة لما يعلمون - إذا نظروا بعقولهم - من عجز كبيرها عن ذلك الفعل ، والإله لا يكون عاجزاً ، فهو حقيقة أبداً .

وقال السكاكي : التعريض ما سبق لأجل موصوف غير مذكور ، ومنه أن مخاطب واحد ويراد غيره ؛ وسمى به لأنه أميل الكلام إلى جانب مشارك به إلى آخر ، يقال : نظر إليه مرض وجهه ، أي جانبه .

قال الطيبي : وذلك ينقل إما لتوبيه جائب الموصوف ، ومنه ^(٣) : « وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ » ؛ أي محمداً صلى الله عليه وسلم إعلاءً لقدره ؛ أي أنه العلم الذي لا يشبهه . وإما التلطف به واحتراراً عن الخاشنة ، نحو ^(٤) : « وَمَالِي لَا أُعْبِدُ الَّذِي فَطَرَنِي » ؛ أي ومالك لا تعبدون ، بدليل قوله : وإليه ترجعون . وكذا قوله ^(٥) : « أَلَا تَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً » . ووجه حسنه إسماع من يقصد خطابه الحق على وجه يمنع غضبه ، إذ لم يصرح بنسبه للباطل ، والإعانة على قبوله ؛ إذ لم يرد له إلا ما أراد لنفسه .

(٣) البقرة : ٢٥٣

(٢) الأنبياء : ٦٣

(١) التوبة : ٨١

(٥) يس : ٢٣

(٤) يس : ٢٢

وإما لاستدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم ، ومنه ^(١) : « آيْنُ أَشْرَكَتَ
لِيُخَبِّطَنَّ عَمَلُكَ » . خوطب النبي صلى الله عليه وسلم وأريد غيره ، لاستحالة
الشرك عليه شرعاً .

وإما للذم ، نحو ^(٢) : « إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ » ، فإنه تعريض بدم
الكفار ، وأنهم في حكم البهائم الذين لا يتذكرون .

وإما الإهانة والتوبيخ ، نحو ^(٣) : « وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ
قُتِلَتْ » ، فإن سؤالها لإهانة قاتلها وتوبيخه .

قال السبكي : التعريض قسمان :

قسم يُراد به معناه الحقيقي ، ويُشار به إلى المعنى الآخر المقصود كما تقدم .

وقسم لا يُراد ، بل يضرب مثلاً للمعنى الذي هو مقصود التعريض ، كقول
إبراهيم ^(٤) : « بَلْ قَوْلَهُ كَبِيرٌ هَذَا » .

• • •

الوجه السادس والعشرون من وجوه إيجازه

إيجازه في آية وإطنابه في أخرى

وهما من أعظم أنواع البلاغة

واختلف ؛ هل بينهما واسطة — وهي المساواة — أولاً ، وهي داخلة في قسم
الإيجاز ؟ قالسكاكي وجماعة على الأول ؛ لكنهم جعلوا المساواة غير محودة

(٢) التكويم : ٨ ، ٩

(٣) الزمر : ٩

(١) الزمر : ٦٥

(٤) الأنبياء : ٦٣

ولا منسومة ؛ لأنهم فسروها بالمتعارف من كلام أوساط الناس الذين ليسوا في رتبة البلاغة ، وفسروا الإيجاز بأداء المقصود بأقل من عبارة المتعارف .

والإطناب أداته بأكثر منها لكون المقام حقيقاً بالبسط .

وابن الأثير^(١) وجماعة على الثاني ؛ فقالوا : الإيجاز التعبير عن المراد بلفظ غير زائد . والإطناب بلفظ أزيد .

وقال القزويني : الأقرب أن يُقال إن المقبول^(٢) من طرق التعبير عن المراد تأدية أصله ، إما بلفظ مساو للأصل المراد ، أو ناقص عنه واف ، أو زائد عليه لفائدة . والأول المساواة ، والثاني الإيجاز ، والثالث الإطناب . واحترز بواف عن الإخلال ، وبقوله لفائدة — عن الحشو والتطويل ، فعنده ثبوت المساواة واسطة ، وأنها من قسم المقبول .

فإن قلت : عدم ذكر المساواة في الترجمة لماذا ؟ هل هو لرجوعان نفيها ، أو عدم قبولها ، أو لأمر غير ذلك ؟

قلت : لهما ، ولأمر ثالث ، وهو أن المساواة لا تسكاد توجد خصوصاً في القرآن . وقد مثل لها في التلخيص بقوله تعالى^(٣) : « وَلَا يَحْقِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ » .

وفي الإيضاح بقوله تعالى^(٤) : « وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ » [١٥٠] .

وتعقب بأن في الآية الثانية حذف موصوف الذين ، وفي الأولى إطناب بلفظ السيئ . لأن لفظ المكر لا يكون إلا سيئاً ، وإيجاز بالمحذف إن كان

(٢) في الإطناب : المقبول .

(٤) الأنعام : ٦٨

(١) المحل السائر : ٢ - ٢٢٠

(٣) فاطر : ٤٣

الاستثناء غير مفرغ ، أى بأحد ، وبالقصر^(١) فى الاستثناء وبكونها حادثة على كف
الأذى عن جميع الناس ، محذرة عن جميع - يؤدى إليه ، وبأن تنذيرها يضر
بصاحبه مفرقة بليغة ، فأخرج الكلام مخرج الاستعارة التبعية الواقعة على سبيل
التشبيه^(٢) ، لأن يحقق معنى يحيط فلا يستعمل إلا فى الأجسام .

تنبيه

الإيجاز والاختصار بمعنى واحد ، كما يؤخذ من الفتح ، وصرح به
الخطيب^(٣) .

وقال بعضهم : الاختصار خاص بحذف الجمل فقط ، بخلاف الإيجاز . قال
الشيخ بهاء الدين : وليس بشئ .

والإحسان قيل معنى الإسهاب ، [والحق أنه أحسن منه ، فإن الإسهاب^(٤)
التطويل لقائدة أو لغير فائدة ، كما ذكره التنوخي وغيره .

فصل

الإيجاز قسمان : إيجاز قصر ، وإيجاز حذف

فالأول هو الوجيز بلفظه . قال الشيخ بهاء الدين : الكلام القليل إن كان
بعضاً من كلام أطول منه فهو إيجاز حذف ، وإن كان كلاماً يعطى معنى أطول
منه فهو إيجاز قصر .

(١) فى ١ : وو قصر . (٢) فى الإتيان : التمثيل .

(٣) فى الإتيان : طيب . والخطيب إمام العلوم العقلية والقلبية ، وقد شرح التلخيص ،

مات سنة ٧٤٥ (بنية الوعاة : ١٩٦) .

(٤) من الإتيان .

وقال بعضهم : إيجاز القصر هو تكثير المعنى بتحليل اللفظ .
وقال آخر : هو أن يكون اللفظ بالقسبة إلى المعنى أقل من القصر
المعروف عادة .

وسببُ حته أنه يدل على التمكن في القصاحة ؛ ولهذا قال صلى الله عليه
وسلم : أوتيتُ جوامعَ الكلم .

وقال الطيبي في التبيان ^(١) : الإيجاز الخالي من الحذف ثلاثة أقسام :
أحدها : إيجاز القصر ، وهو أن يُقصر اللفظ على معناه ؛ كقوله تعالى ^(٢) :
« إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ ، وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ... » إلى قوله : « وَأَتُونِي
مُسْلِمِينَ » - جمع في أحرف العنوان والكتاب والحاجة .

وقيل في وصف بليغ : كانت ألقاظه قوالبَ معناه . قلت : وهذا رأى
من يدخل المساواة في الإيجاز .

الثاني : إيجاز التقدير ، وهو أن يقدر معنى زائداً على المنطوق ، ويسمى
بالتضييق أيضاً ؛ وبه سماه بدر الدين بن مالك في المصباح ؛ لأنه نقص من الكلام
ما صار لفظه أضيق من قدر معناه ، نحو ^(٣) : « فَنَ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ
فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ » ؛ أي خطاياهم غُفرت ؛ فهي له لا عليه . ^(٤) هُدًى
للمتقين » ؛ أي الضالين الصائرين بعد الضلال إلى التقوى .

الثالث : الإيجاز الجامع ؛ وهو أن يحتوي اللفظ على معانٍ متعددة ، نحو ^(٥) :
« إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ... » الآية ؛ فإن العدل هو الصراط المستقيم

(١) التبيان في البيان لعرف الدين عبد بن عبد الله الطيبي المتوفى سنة ٧٤٣ .

(٢) النمل : ٣١ (٣) البقرة : ٢٧٥ (٤) البقرة : ٢٧٥

(٥) النحل : ٩٠ ، وانظر تحرير التمهيد : ٤٦٥

التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط المؤدى^(١) به إلى جميع الواجبات في الاعتقاد والأخلاق والعبودية . والإحسان هو الإخلاص في واجبات العبودية لتفسيره في الحديث بقوله : « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ؛ أَيْ تَعْبُدُهُ مَخَاصًا فِي نَيْتِكَ ، وَوَأَنفًا فِي الْخُضُوعِ ، آخِذًا أَهْبَةَ الْحَزَنِ إِلَى مَا لَا يُحْمَى ، « وَإِتْيَاءَ ذِي الْقُرْبَى » هُوَ الزِّيَادَةُ عَلَى الْوَاجِبِ مِنَ التَّوَاقُلِ ؛ هَذَا فِي الْأَوَامِر .

وأما النواهي فبالقحشاء الإشارة إلى القوة الشهوانية ؛ وبالنكر إلى الإفراط الحاصل من آثار التفضية أو كل محرم شرعاً ؛ وبالبني إلى الاستعلاء القاطق^(٢) من الوهية .

قلت : ولهذا قال ابن مسعود : ما في القرآن آية أجمع للخير والشر من هذه الآية . أخرجه في المستدرک . وروى البيهقي في شعب الإيمان عن الحسن أنه قرأها ثم وقف فقال : إن الله جمع لكم الخير والشر كله في آية واحدة ؛ فوالله ما ترك الهدى والإحسان من طاعة الله شيئاً إلا جمعه ؛ ولا ترك القحشاء والنكر والبني من مصيبة الله شيئاً إلا جمعه .

وروى أيضاً عن ابن شهاب في معنى حديث الشيخين : بُشِتَ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ ، : بَلَّغْنِي أَنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ أَنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ لَكُمْ الْأُمُورَ الْكَثِيرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُسَكَّبُ فِي الْكِتَابِ قَبْلَهُ فِي الْأَمْرِ الْوَاحِدِ وَالْأَمْرَيْنِ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

ومن ذلك قوله تعالى^(٣) : « خُذِ الْعَفْوَ ... » الآية ؛ فإنها جامعة لمكارم الأخلاق ؛ لأن في أخذ العفو التساهل والتسامح في الحقوق ، واللين والرفق في الدعاء

(١) في الإعتدال : تؤمن به إلى جميع

(٢) في الإتيان - تناقض عن الوهية .

(٣) الأعراف : ٢١٩ .

إلى الدين . وفي الأمر بالعرف كفى الأذى وغض البصر وما شاكلها
من المحرمات . وفي الإعراض الصبر والحلم والتؤدة .

ومن بديع الإيجاز قوله تعالى^(١) [٥٠ ب] : « قل هو الله أحد... » الخ
فإنه نهاية التنزيه . وقد تضمنت الرد على نحو أربعين فرقة ، كما أفردتها بالتصنيف
بهاء الدين بن شداد .

وقوله^(٢) : « أخرج منها ماءً ومرعاها » — دل بهاتين الكلمتين
على جميع ما أخرج من الأرض قوتاً ومنتعاً للأغنام^(٣) من العشب والشجر ،
والحب والتمر ، والعصف والحطب ، واللباس والنار واللح ؛ لأن النار من العبدان ،
واللح من الله .

وقوله^(٤) : « لا يصدعون عنها ولا ينزفون » . جمع فيه عيوب الحر
من الصداع . وعدم لعل ، وذهاب للال . ومخاض الشراب .

وقوله^(٥) : « يا أرض ابلعي ماءك... » الآية ، أمر فيها ونهى ، وأخبر
ونادى ، ونعت وسمى ، وأدرك وأبغى ، وأمسد وأنسقت ، وقص من الأنباء
مالو شرح ما اندرج في هذه الجملة من بديع اللفظ والبلاغة والإيجاز والبيان —
لجنت الأقلام .

وقد أفردت بلاغة هذه الآية بالتأليف .

وفي المعجزة للكرماني : أجمع الماعنون على أن طوق البشر قاصر عن
الإتيان بمثل هذه الآية بعد أن فتشوا جميع كلام العرب والمعجم فلم يجدوا مثلاً

(٢) في الإيجاز : الألف

(١) التزمات : ٣١

(١) الإخلاص : ١

(٥) هود : ٤٤

(٤) الواقعة : ١٩

في غمامة الفاظها ، وحسن نظمها ، وجودة معانيها في تصوير الحال مع الإيجاز من غير إخلال .

وقوله ^(١) : « يَا أَيُّهَا النَّملُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ... » الآية ، جمع في هذه اللفظة أحد عشر جنساً من الكلام ؛ نَادَتْ وَكُنْتُ ، وَنَبَّهَتْ وَسَمِعَتْ ، وَأَمَرَتْ وَفَصَّتْ ، وَحَذَرَتْ ، وَخَصَّتْ وَحَمَّتْ ، وَأَشَارَتْ وَأَعَذَرَتْ .

فالنداء يا . والكناية أي . والتثنية ها . والتسمية النمل . والأمر ادخلوا . والتقصص مساكنكم . والتحذير لا يحطمنكم . والتخصيص سليمان . والتميم جنوده . والإشارة وهم . والمندر لا يشمرون . فأنت خمسة حقوق : حق الله ، وحق رسوله ، وحقها ، وحق رعيثها ، وحق جنود سليمان .

وقوله ^(٢) : « يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ... » الآية ، جمع فيها أصول الكلام : النداء ، والموم ، والمخصوص ، والأمر ، والإباحة ، والنهي ، والخبر .

وقال بعضهم : جمع الله الحكمة في شطر آية ^(٣) : « كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا » .

وقوله ^(٤) : « وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ... » الآية . قال ابن العربي ^(٥) : هي من أعظم آي القرآن في الفصاحة ؛ إذ فيها أمران ونهيان ، وخبران وبشارتان .

وقوله ^(٦) : « فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ » . قال ابن أبي الإصبع ^(٧) : المعنى صرّح

(١) النمل : ١٨	(٢) الأعراف : ٣١
(٣) القصص : ٧	(٤) أحكام القرآن (١ : ١٤٥٢) .
(٥) المجرب : ٩٤	(٦) بدیع القرآن : ٢

بجميع ما أوحى إليك ، وبلغ^(١) كل ما أمرت ببيان ، وإن شقَّ بعض ذلك على بعض القلوب فانصدعت ، والمثابة بينهما فيما يؤثره التصريح^(٢) في القلوب ، فيظهر أثر ذلك على ظاهر الوجوه من القبح والانبساط ، ويوح عليها من علامات الإنكار أو الامتياز ، كما يظهر على ظاهر الزجاجة للصدوعة ، فانظر إلى جليل هذه الاستمارة ، وعظيم إيجازها ، وما انطوت عليه من المعاني الكثيرة .

وقد حكي عن بعض الأعراب أنه لما سمع هذه الآية سجد وقال : سجدت لقصاحة هذا الكلام .

وقوله تعالى^(٣) : « وفيها ما تشبه الأنفس وتلد الأعين » . قال بعضهم : جمع بهاتين اللفظتين ما لو اجتمع الخلق كلهم على وصف ما فيها على التفصيل لم يخرجوا عنه .

وقوله^(٤) : « ولكم في القصاص حياة » — قال : معناه كثير ، ولنظنه يسير ؛ لأن معناه أن الإنسان إذا علم أنه متى قتل قُتل به كان ذلك داعياً إلى ألا يقدم على القتل ؛ فارتفع بالقتل الذي هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض ، وكان ارتفاع القتل حياة لهم .

وقد فضلت هذه الجملة على أوجز ما كان عند العرب في هذا المعنى ، وهو قولهم : القتل أتقى^(٥) للقتل — بشرين وجهاً أو أكثر .

وقد أشار ابن الأثير^(٦) إلى إنكار هذا التفضيل ، وقال : لا تشبه بين كلام الخالق وكلام المخلوق ، وإنا الملاء بتدحون أفهامهم فيما يظهر لهم من ذلك .

(١) في بعض النسخ : وبين . . . (٢) في مدح القرآن : الصحيح .

(٣) الزخرف : ٢١ (٤) البقرة : ١٧٩

(٥) قال في البرهان : بنون وفاة ، وروى بناء وقاف . وروى : أوفى .

(٦) المثل السائر : (٢ - ٣٥٢) .

الأول^(١) : أن ما يُنظره من كلامهم ، وهو قوله : « القصاص حياة » أقل حروفاً ، فإن حروفها عشرة ، وحروف : القتل أنقى للقتل — أربعة عشر .

الثاني : أن نفي القتل لا يستلزم الحياة ، والآية ناصّة على ثبوتها التي هي الغرض المطلوب منه .

الثالث : أن تنكير حياة تفيد تعظيماً ، فتدل على أن في القصاص حياة متطاولة ، [٥١] كقولهم^(٢) : « ولتجدنهم أحرصّ الناس على حياة » ، ولا كذلك المثل ؛ فإن اللام فيه تلجنس ، ولذا فسروا الحياة فيها بالبقاء .

الرابع : أن الآية مطردة بخلاف المثل ، فإنه ليس كل قتل أنقى للقتل ، بل قد يكون أدعى له ، وهو القتل ظمناً ، وإنما يفيد قتل خاص ، وهو القصاص ، فيه حياة أبدأ .

الخامس : أن الآية خالية من تكرار لفظ « القتل » الواقع في المثل ، والخالي من التكرار أفضل من للتشمل عليه ، وإن لم يكن مخلاً بالنصاحة .

السادس : أن الآية مستغنية عن تقدير محذوف . بخلاف قولهم ، فإن فيه حذف « من » التي مدأ قبل التفضل وما بعدها ، وحذف قصاصاً مع القتل الأول وظمناً مع القتل الثاني ، والتقدير : القتل قصاصاً أنقى للقتل ظمناً من تركه .

السابع : أن في الآية طلباً ؛ لأن القصاص مشعر بضد الحياة ، بخلاف القتل .

الثامن : أن الآية اشتغلت على فن بديع ، وهو جعل أحد الضدين الذي هو القتل ، والموت محلاً ومكناً لضده الذي هو الحياة ، واستقرار الحياة في الموت مبالغة

عظيمة ، ذكره ^(١) في الكشف وعبر عنه صاحب الإيضاح بأنه جعل القصاص كالنبيح للحياة والعدل لما يداخله في عليه .

التاسع : أن في المثل توالي أسباب كثيرة خفيفة ، وهو السكون بعد الحركة وذلك مستكررة ، فإن اللفظ للنطق به إذا توالى حركاته تمكن اللسان من النطق به ، وظهرت فصاحته بخلاف ما إذا تعقب كل حركة سكون ؛ فالحرركات تنقطع بالسكنات ، نظيره إذا تحركت الدابة أدنى حركة فبغت ^(٢) ثم تحركت فبغت ^(٣) لا يبين انطلاقها ، ولا تتمكن من حركتها على ما تختاره ؛ فهي كالقيدة .

العاشر : أن للتل كالتعاض من حيث الظاهر ؛ لأن الشيء لا ينفى عنه .

الحادي عشر : سلامة الآية من تكرير قلقة القاف للوجوب لللفظ والشدّة ، وبعدها عن غنة النون .

الثاني عشر : اشتغالها على حروف متلازمة ، لما فيها من الخروج من القاف إلى الصاد ؛ إذ القاف من حروف الاستعلاء ، والصاد من حروف الاستعلاء والإطباق ، بخلاف الخروج من القاف إلى التاء التي هي حرف منخفض ؛ فهو غير ملائم للقاف ، وكذا الخروج من الصاد إلى الحاء أحسن من الخروج من اللام إلى المزة ، لبعدهما دون طرف اللسان وأقصى الحلق .

الثالث عشر : في النطق بالصاد والحاء والتاء حسن الصوت ، ولا كذلك تكرير القاف والتاء .

الرابع عشر : سلامتها من لفظ القتل المشعر بالوحشة ؛ بخلاف لفظ الحياة ؛ فإن الطباع أقبل له من لفظ القتل .

(١) الكشف : ٩ - ٨٦ (٢) والاعنان : فبغت . وفي البرهان : فبغت .

الخامس عشر : أن لفظ القصاص مُشعر بالمساواة ، فهو منبىء عن العدل ، بخلاف مطلق القتل .

السادس عشر : الآية مبنية على الإثبات والمثال على النفي ؛ والإثبات أشرف ، لأنه أول ، والنفي "ثان عنه" .

السابع عشر : أن المثال لا يكاد يفهم إلا بعد فهم أن القصاص هو الحياة . وقوله : ولكم في القصاص حياة مفهوم من أول وهلة .

الثامن عشر : أن في المثال بناء أفضل التفضيل من فعل متعدد ، والآية سائلة منه .

التاسع عشر : أن أفضل في الغالب تقتضي الاشتراك ؛ فيكون ترك القصاص نافياً لانتل ؛ ولكن القصاص أكثر نفيًا ، وليس الأمر كذلك ، والآية سائلة من ذلك .

العشرون : أن الآية رادعة عن القتل والجرح معاً لشمول القصاص لهما ، والحياة أيضاً في قصاص الأعضاء ؛ لأن قطع المضمـ و يقص مصلحة الحياة . وقد يسرى إلى النفس فيزيلها ، ولا كذلك المثال .

ثم في أول الآية : « ولكم » . وفيها لطيفة ؛ وهي بيان العناية بالثؤمنين على الخصوص ، وأنهم المراد حياتهم لا غيرهم ؛ لتخصيصهم بانعنى مع وجوده فمن سوام .

تنبيهات

الأول — ذكر قُدِّمة^(١) من أنواع البديع الإشارة ، وفَسَّرَها بالإتيان بكلام قليل ذي معان جمة ، وهذا هو إيجاز القصر بعينه ؛ لكن فرق بينهما ابن أبي الإصبع^(٢) بأن الإيجاز دلالة مطابقة ، ودلالة الإشارة إما تضمين أو التزام ؛ فلم منه أن المراد بها ما تقدم في مبحث [٥١ ب] المنطوق .

الثاني — ذكر القاضي أبو بكر في إعجاز القرآن^(٣) أن من الإيجاز نوعاً يسمى التضمين ، وهو حصول معنى في لفظ من غير ذكر له باسم [أو صفة]^(٤) هي عبارة عنه ؛ قال : وهو نوعان : أحدهما ما يُفهم من البنية ، كقولك : معلوم . فإنه يوجب أنه لا بد من عالم . والثاني من معنى العبارة^(٥) ، كبسم الله الرحمن الرحيم ، فإنه تضمن تعليم الاستفتاح في الأمور باسمه على جهة التعظيم لله والتبرك باسمه .

الثالث — ذكر ابن الأثير^(٦) وصاحب عروس الأفراح وغيرها أن من أنواع إيجاز القصر باب الحصر ، سواء كان يلاً أو يائماً أو غيرها من أدواته ؛ لأن الجملة فيها ثابت مغاب جهاتين . وباب المطف ؛ لأن حرفه وضع للإغناء عن إعادة العوامل . وباب الثائب عن القائل ؛ لأنه دل على الفاعل بإعطائه حكمة . وعلى المفعول بوضعه . وباب الضمير ؛ لأنه وضع للاستغناء عن الظاهر اختصاراً ، ولهذا لا يُعدل

(٢) بديع القرآن : ٨٢

(١) قد الشعر : ١٧٤

(٤) من إعجاز القرآن .

(٣) إعجاز القرآن : ٢٧٢

(٥) في إعجاز القرآن : وتضمن بوجه معنى العبارة من حيث لا يصح ذلك . فاعلم

فارب على مضروب ...

(٦) الملل والنحل : ٢٧٥

إلى المتصل مكان^(١) المتصل .

وباب علتك قائم؛ لأنه محل لاسم واحد مدمسد المفعولين من غير حذف .
ومنها باب التنازع إذا لم تقدر على رأى القراء .

ومنها طرح المفعول اختصاراً^(٢) على جعل المتحدى كاللازم ، وسيأتى تحريره .
ومنها جميع أدوات الاستفهام والشرط ؛ فإن « كم مالك؟ » يفنى عن قولك :
أهو عشرون أم ثلاثون ؟ وهكذا إلى ما لا يتناهى .

ومنها الألفاظ الملازمة للعموم كأحد .

ومنها لفظ التثنية والجمع ، فإنه يفنى عن تكرير المفرد ، وأقيم الحرف فيها
مقامه اختصاراً .

ومما يصلح أن يعد من أنواعه المسمى بالانتساع^(٣) من أنواع البديع ؛ وهو
أن يأتى بكلام ينسج فيه التأويل بحسب ما تحتمله ألفاظه من المعانى ، كفواتح
الحور ، ذكره ابن أبى الإصبع^(٤) .

• • •

القسم الثانى من قسئ الإيجاز إيجاز الحذف ، وله فوائد .

ذكر أسبابه :

منها : مجرد الاختصار والاختراز عن العبث لظهوره .

ومنها : التنبيه على أن الزمان يتناقص عن الإتيان بالحذف ، وأن الاشتغال

بذكره يفضى إلى تفويت المهم ، وهذه هى فائدة باب التحذير والإغراء ،

(١) فى الاطلاق : مع إمكان .

(٢) فى الاطلاق : اختصاراً

(٣) د ب : بالإشباع .

(٤) د ب : فى القرآن : ١٢٢

(٢٠ - فى إيجاز القرآن)

وقد اجتمعا في قوله ^(١) : « نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا » ؛ فثاقه الله تحذير بتقدير ذرؤوا .
وسقياها إغراء بتقدير الزموا .

ومنها : التفتيح والإعظام لما فيه من الإيهام . قل حازم في « منهاج الباطن » :
إنما يحسن الحذف لقوة الدلالة عليه ، أو يقصد به تعديد أشياء ، فيكون في تعددها
طول وسامة ، فيحذف ويكتفى بدلالة الحال وتترك النفس تجول في الأشياء
المكتفى بالحال عن ذكرها . قل : ولهذا التصدي يؤثر في المواضع التي يراد بها
التعجب والتحويل على النفوس . ومنه قوله في وصف أهل الجنة ^(٢) : « حتى
إذا جاءوها وفتحت أبوابها » . فحذف الجواب إذ كان وصف ما يندونه
ويقتونه عند ذلك لا ينهى ؛ فجعل الحذف دليلا على ضيق الكلام عن وصف
ما يشاهدونه وترك ^(٣) النفوس تتسدر ما شاءته ، ولا تبلغ مع ذلك كنه
ما هنالك .

وكذا قوله ^(٤) : « وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ » ، أي رأيت أمراً عظيماً
لا تكاد تحيط به العبارة .

ومنها : التخفيف لكثرة دورانه في الكلام ، كما في حذف حرف النداء ،
نحو ^(٥) : « يُوسُفُ أُعْرِضْ عَنْ هَذَا » . وتون لم يك ، والجمع السالم . ومنه
قراءة ^(٦) : والمقيى الصلاة . وياء ^(٧) : « وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ » .

(١) الشمس : ١٣ (٢) الزمر : ٧٣

(٣) في الإتيان والبرهان : وترك . (٤) الأنعام : ٢٧

(٥) يوسف : ٢٩

(٦) المع : ٣٥ . وهذه القراءة - بالنصب - قراءة أبي عمر . (القرطبي : ١٢ - ٥٩) .

(٧) النجر : ٤

وسأل المؤرّج السلومى الأخص عن هذه الآية ، قال : عادة العرب أنها إذا عدلت بالشئ عن معناه قصت حروفه ، والليل لما كان لا يسرى ، وإنما يسرى فيه ، قص منه حرف ، كما قال تعالى ^(١) : « وما كانت أهلك ينيئاً » . الأصل بنية ، فلما حوّل عن فاعل قص منه حرف .

ومنها : كونه لا يصلح الإله ؛ نحو ^(٢) : « عالم الغيب والشهادة » . ^(٣) قال لما يريد .

ومنها : شهرته حتى يكون ذكره وعلمه سواء ؛ قال الزمخشري : وهو نوع من دلالة الحال التي لسانها أنطق من لسان المقال ؛ وحمل عليه قراءة حمزة ^(٤) : « نساء كون بد والأرحام » ؛ لأن هذا مكان شهر بتكرير الجار ؛ فقامت الشهرة مقام الذكر .

ومنها : [١٥٢] صيغته عن ذكره تشریفاً ، كقوله ^(٥) : « قال فرعون وما رب العالمين . قال ربّ السموات والأرض ... » الآيات . حذف فيها المبتدأ في ثلاثة مواضع قبل ذكر الرب ؛ أى هو رب . والله ربكم . والله رب المشرق ؛ لأن موسى استعظم حال فرعون وإقدامه على السؤال فأضمر اسم الله تعظيماً وتخيلاً .

ومثله في عروس الأفراح ^(٦) : « رب أرني أقارن إليك » ؛ أى ذاتك . ومنها : صيغة اللسان عنه تحقيراً له ؛ نحو ^(٧) : « صم بكم » . أى م . أو الناقون .

(١) مريم : ٢٨	(٢) المؤمنون : ٩٢	(٣) هود : ١٠٧
(٤) النساء : ١	(٥) الشعراء : ٢٣ - ٢٨	(٦) الأعراف : ١٤٢
(٧) البقرة : ١٨		

ومنها : قصد الصوم ؛ نحو^(١) : « وإياك نستعين » ؛ أى على العبادة وعلى أمورنا كلها . «^(٢) والله يَدْعُو إلى دار السلام » ؛ أى كل واحد .

ومنها : رعاية القاصلة ، نحو^(٣) : « ما ودَّ عليك ربُّك وما قَلَى » ؛ أى وما قلاك . ومنها : قصد البيان بعد الإيهام ، كما فى فعل المشيئة ، نحو^(٤) : « فلو شاءَ لهذاكم » ؛ أى فلو شاء هدايتكم ، فإنه إذا سمع السامع « فلو شاء » تعلقت نفسه بما شاء ، أنبهم عليه ، لا يدرى ما هو . فلما ذكر الجواب استبان بعد ذلك .

وأكثر ما يقع ذلك بعد أداة شرط ؛ لأن مفعول المشيئة مذكور فى جوابها ، وقد يكون مع غيرها استدلالا بنير الجواب ، نحو^(٥) : « ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء » .

وقد ذكر أهلُ البيان أن مفعول المشيئة والإرادة لا يذكر إلا إذا كان غريبا أو عظيما ، نحو^(٦) : « لمن شاء منكم أن يستقيم » . «^(٧) لو أردنا أن نتخذ لهم » .

وإنما اطرد أو كثر حذفُ مفعول المشيئة دون سائر الأفعال ؛ لأنه لا يلزم من وجود المشيئة وجود الشيء ، فالمشيئة المسترمة لضمون الجواب لا يمكن أن تكون إلا مشيئة^(٨) الجواب ؛ ولذلك كانت الإرادة مثلها فى اطراد حذف مفعولها . ذكره الزملى فى التوخي فى أقصى القريب ؛ قالوا : إذا حذف بعد « لو » فهو المذكور فى جوابها أبدا . وأورد فى عروس الأفراح^(٩) : « قالوا

(١) الفاتحة : ٥	(٢) يونس : ٢٥	(٣) الضحى : ٣
(٤) الأنعام : ١٤٩	(٥) البقرة : ٢٥٥	(٦) التكويم : ٢٨
(٧) الأنبياء : ١٧	(٨) فى البرهان : لا مشيئة .	
(٩) فصلت : ١٤		

لو شاء ربنا لأُنزل ملائكة هـ . فإن المعنى لو شاء ربنا إرسال الرسل لأنزل
الملائكة ؛ لأن المعنى معين على ذلك .

قاعدة

قال الشيخ عبد القاهر : ما من اسمٌ حذف في الحالة التي ينبغي أن يحذف فيها
إلا وحذفه أحسن من ذكره .

وسمى ابن رجب الحذف شجاعة العربية ، لأنه يشجع على الكلام .

قاعدة

في حذف المفعول اختصاراً واقتصاراً

قال ابن هشام^(١) : جرت عادة النحويين أن يقولوا يحذف المفعول اختصاراً
واقتصاراً ، ويريدون بالاختصار الحذف الدليل ، وبالاقتصار الحذف الغير دليل ،
وتثبته بنحو^(٢) : « كلوا واشربوا » ؛ أي أوقصوا هذين الفعلين .

والتحقيق أن يقال - يعني كما قال أهل البيان : تارة يتعلق الغرض بالإعلام بمجرد
وقوع الفعل من غير تعيين مَنْ أوقعه ومن أوقع عليه ، فيجاء بمصدره مسند إلى
فعل كونه عام ، فيقال حصل حريق أو نهب . وتارة ينطق بالإعلام بمجرد إيقاع
الفعل للفاعل ، فيقتصر عليهما ولا يذكر المفعول ولا ينوي ؛ إذ النوى كالكثات ،
ولا يسمى محذوقاً ؛ لأن الفعل ينزل لهذا القصد منزلة ما لا مفعول معه ،

ومنه^(١) : « رَبِّيَ الَّذِي يُخَيِّ وَيُمِيت » . «^(٢) هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ
وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » . « كُلُّوا^(٣) » واشربوا ولا تسرفوا^(٤) . « وإِنَّا^(٥) رَأَيْتَ
نُوحًا » ؛ إِذِ الْمُنَى رَبِّيَ الَّذِي يُفْعِلُ الْإِحْيَاءَ وَالْإِمَاتَةَ . وَهَلْ يَسْتَوِي مَنْ يَتَصَفَّ
بِالْعِلْمِ وَمَنْ يَنْتَقِي عَنْهُ الْعِلْمَ ؟ وَأَوْقِعُوا الْأَكْلَ وَالشَّرْبَ وَذَرُّوا الْإِسْرَافَ .
وَإِذَا حَصَلَتْ مِنْكَ رُؤْيَا .

ومنه^(٦) : « وَلَئِنَّا^(٧) وَرَدْنَا مَاءَ مَدْيَنَ ... » الآية . أَلَا تَرَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
رَحِمَهُمَا إِذْ كَانَا عَلَى صِنَةِ الذِّيَادِ وَقَوْمَهُمَا عَلَى السَّقَى لَا لَسُكُونِ مَنُودِهِمَا غَنِمًا
وَمُسْتَقِيمِهِمَا إِبِلًا ، وَكَذَلِكَ الْمَقْصُودُ مِنْ « لَا نَسْقِي » السَّقَى لَا الْمُسْقَى . وَمَنْ لَمْ
يَتَأَمَّلْ قَدْرَ : يَسْقُونَ إِبِلَهُمْ ، وَتَنُودَانِ [٥٢ ب] غَنِمَهُمَا ، وَلَا نَسْقِي غَنِمًا .

وتارة يُقصد إسناد الفعل إلى فاعله وتطبيقه بمفعوله ، فيذكران ، نحو :
لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا . وَلَا تَقْرَبُوا الزُّنَا . وَهَذَا التَّنَوُّعُ الَّذِي إِذَا لَمْ يَذْكُرْ مَحذُوفُهُ^(٨)
قَبْلَ مَحذُوفٍ ، وَقَدْ يَكُونُ فِي اللَّفْظِ مَا يَسْتَدْعِيهِ فَيَحْصُلُ الْجُزْمُ بِوُجُودِ تَقْدِيرِهِ ،
نَحْوُ : «^(٩) أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا » . «^(١٠) وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ
الْحُسْنَى » .

وقد يشبه الحال في الحذف وعلمه ، نحو^(١١) : « قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا
الرَّحْمَنَ » . قد يتوهم أن معناه نادوا فلا حذف ، أو سموا فالحذف واقع .

-
- | | | |
|------------------|------------------------------|------------------|
| (١) البقرة : ٢٥٨ | (٢) الزمر : ٩ | (٣) الأعراف : ٣١ |
| (٤) الإنسان : ٢٠ | (٥) من كلام ابن عباس أيضاً . | |
| (٦) القصص : ٢٣ | (٧) في المتن : مفعوله . | (٨) الفرقان : ٤١ |
| (٩) النساء : ٩٥ | (١٠) الإسراء : ١١٠ | |

ذكر شروطه

هي ثمانية :

أحدها - وجود دليل إما حالي ؛ نحو^(١) : « قالوا سلاما » . أى سلمنا سلاما . أو مقالي ؛ نحو^(٢) : « وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً » . أى أنزل خيراً .^(٣) « قال سلام قومٌ منكرون » . أى سلام عليكم ، أتم قوم منكرون .

ومن الأدلة العقل حيث تستحيل صحة الكلام عقلاً إلا بتقدير محنوف .

ثم تارة يدل على أصل الحذف من غير دلالة على تعيينه ؛ بل يستفاد التعيين من دليل آخر ؛ نحو^(٤) : « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ » ؛ فإن العقل يدل على أنها ليست المحرمة ؛ لأن التحريم لا يضاف إلى الإحرام ، وإنما هو والحل مضافان إلى الأفعال ، فعلم بالعقل حذف شيء . وأما تعيينه وهو تناول فستفاد من الشرع ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : إنما حرم أكله لأن العقل لا يدرك محل الحرام^(٥) ولا الحرمة .

وأما قول صاحب التلخيص إنه من باب دلالة العقل أيضاً فتابع فيه السكاكي من غير تأمل أنه مبني على أصول المعتزلة .

وتارة يدل العقل أيضاً على التعيين ، نحو^(٦) : « وجاء ربك » ؛ أى أمره . بمعنى عذابه ، لأن العقل دل على استحالة محيى البارى ، لأنه من سمات الحادث ،

(٣) العاريات : ٢٥

(٢) النحل : ٣٠

(١) هود : ٦٩

(٥) في الإيجان : عل الحل ولا الحرمة .

(٤) المائدة : ٣

(٦) النمر : ٢٢

وعلى أن الجاني أمره . «^(١) أوفوا بالعقود » . «^(٢) وأوفوا بعهدي الله » .
 أى بمتضى العقود وبمتضى عهد الله ؛ لأن العقد والعهدي قولان قد دخلا في الوجود
 وانقضا ، فلا يتصور فيها وفاء ولا نقض ؛ وإنما الوفاء والنقض بمتضاها وما ترتب
 عليهما من أحكامهما .

وتارة يدل على التعيين المادة ، نحو «^(٣) : « فذليكن الذي لمُتُنى فيه » .
 دل العتل على الحذف ؛ لأن يوسف لا يصح ظرفاً للوم ؛ ثم يحتمل أن يقدر
 لمُتني في حبه ؛ لقوله : قد شغفها حباً ، أو في مراودته ، لقوله : « تُراودُ فتاكها » .
 والمادة دلت على الثاني ، لأن الحب المقرط لا يلام صاحبه عليه عادة ، لأنه ليس
 اختيارياً ، بخلاف المراودة للقدرة على دفعها .

وتارة يدل عليه التصريح به في موضع آخر ، وهو أقواها ، نحو «^(٤) :
 « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله » أى أمره ، بدليل : أو يأتي أمر ربك .
 «^(٥) وجنة عرضها السموات » . أى كعرض ؛ بدليل التصريح به في آية الحديد «^(٦) .
 «^(٧) رسول من الله » ؛ أى من عند الله بدليل : «^(٨) ولما جاءهم رسولٌ
 من عند الله مصلحاً لما معهم » .

ومن الأدلة على أصل الحذف المادة ، بأن يكون العتل غير مانع من إجراء
 اللفظ على ظاهره من غير حذف ، نحو «^(٩) : « لو نعلمُ قتالاً لا تبغناكم » ؛
 أى مكان قتال ، والمراد مكاناً صالحاً للقتال ، وإنما كان كذلك لأنهم كانوا
 أخبر الناس بالقتال ، ويتعبرون بأن يتفوهوا بأنهم لا يعرفونه ، فالعادة تمنع

(١) المائدة : ١	(٢) النحل : ٩١	(٣) يوسف : ٣٢
(٤) البقرة : ٢١٠	(٥) آل عمران : ١٣٣	(٦) في الإحسان : آية البقرة .
(٧) البقرة : ٢	(٨) البقرة : ١٠١	(٩) آل عمران

أن يريدوا لو نعلم حقيقة القتال ، فلذلك قدّره مجاهد مكان قتال . ويدل عليه أنهم أشاروا على النبي صلى الله عليه وسلم ألا يخرج من المدينة .

ومنها الشروع في الفعل ، نحو : « بسم الله » . فيقدر ما جعلت التسمية مبدأ له ، فإن كانت عند الشروع في القراءة قدرت أقرأ ، أو الأكل قدرت آكل . وعلى هذا أهل البيان قاطبة ، خلافاً لقول النحاة : إنه يقدر ابتدأت ، أو ابتدأتني كأن بسم الله .

ويدل على صحة الأول التصريح به في قوله ^(١) : « وقال اركبوا فيها بسم الله تجرأها ومُرْسَاهَا » . وفي الحديث : باسمك اللهم ^(٢) وضعتُ جنبي .

ومنها الصناعة النحوية ، كقولهم في لا أقسم : التقدير لأن أقسم ؛ لأن فعل الحال لا يقسم عليه . وفي ^(٣) : « تالله تفتأ » : التقدير لا تفتأ ، لأنه لو كان الجواب مثبتاً لدخلت اللام والنون كقوله ^(٤) : « تالله لا يكيدن أصنامكم » .

وقد تُوجب الصناعة التقدير وإن كان المعنى غير متوقف عليه ، كقولهم في لا إله إلا الله : إن الخبر مخوف ، أي موجود .

وقد أسكره الإمام فخر الدين ، وقال : هذا كلام لا يحتاج إلى تقدير ، وتقديرُ النحاة فاسد ، لأن نفي الحقيقة مطلقة أنهم ^(٥) من نفيها مقيدة ، فإنها إذا انتفت مطلقاً كان ذلك دليلاً على سلب الماهية مع التمسك . وإذا [١٥٣] انتفت مقيدة بقيد مخصوص لم يلزم نفيها مع قيد آخر .

ورد بأن تقديرهم موجود يستلزم نفي كل إله غير الله قطعاً ، فإن المدم لا كلام فيه ، فهو في الحقيقة نفي للحقيقة المطلقة لا مقيدة . ثم لا بد من تقدير

(١) مود : ٤١ (٢) في الإمتان : روى . (٣) يوسف : ٨٥ (٤) في الإمتان : أعم . (٥) في الإمتان : أعم .

خير لامتنعالة مبتدأ بلا خبر ظاهر أو مقدر ، وإنما يقدر التحوى ليعطى القواعد
حقها وإن كان المعنى مفهوماً .

تنبيه

قال ابن هشام^(١) : إنما يشترط الدليل فيما إذا كان المحذوف الجملة بأمرها ،
أو أحد ركنيها ، أو يفيد معنى فيها هي مبنية عليه ، نحو^(٢) : « تالله تفتأ » ،
أما القصة فلا يشترط حذفها وجدان دليل ؛ بل يشترط ألا يكون في حذفها
ضرر معنوي أو صناعي .

قال^(٣) : ويشترط في الدليل اللغظي أن يكون طبق المحذوف . ورد قول
البراء في^(٤) : « أيمحسب الإنسان أن لن نجتمع عظامه . نلى قادرين » .
إن التقدير : بل ليحسبنا قادرين ؛ لأن الحسب المذكور بمعنى الظن ، والمقدر بمعنى
العلم ، إذ التردد في الإعادة كفر ، فلا يكون مذموراً به .

قال : والصواب فيها قول سيويه : إن « قادرين » حال ؛ أى بلى نجتمع
قادرين ؛ لأن فعل الجمع أقرب من فعل « الحسب » ، ولأن « بلى » لإيجاب النفي ،
وهو فيها^(٥) فعل الجمع .

الشرط الثانى : ألا يكون المحذوف كالجزء ، ومن ثم لم يحذف الفاعل
ولا نائبه ، ولا اسم كان وأخواتها .

قال ابن هشام^(٦) : وأما قول ابن عطية في^(٧) : « بنس مثل النوم » :

(٢) يوسف : ٨٥

(٤) القيامة : ٣ ، ٤

(٦) النفى : ٢ - ١٥٢

(١) النفى : ٢ - ١٥٠

(٣) النفى : ٢ - ١٥١

(٥) أى فى الآية .

(٧) الجملة : ٥

إن التقدير بنس المثل مثل القوم . فإن أراد هذا^(١) الإعراب ، وأن القاعل لفظ المثل محذوفاً فردود ، وإن أراد تفسير المعنى وأن في بنس ضمير المثل مستتر فسهل^(٢) .

الثالث : ألا يكون مؤكداً ؛ لأن الحذف مناف للتأكيد ؛ إذ الحذف مبني على الاختصار والتأكيد مبني على الطول ، ومن ثم رد القارئ على التراجع في قوله^(٣) : « **إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ** » - إن التقدير : إن هذان لهما ساحران ، قال : الحذف والتوكيد باللام متنافيان . وأما حذف الشيء لدليل وتوكيده فلا تنافي بينهما ، لأن المحذوف لدليل كالتأنيب .

الرابع : ألا يؤدي حذفه إلى اختصار المختصر ، ومن ثم لم يُمحذف اسم الفعل لأنه اختصار للفعل .

الخامس : ألا يكون عاملاً ضعيفاً ، فلا يحذف الجار والناصب للفعل والجارم إلا في مواضع قويت فيها الدلالة ، وكثر فيها استعمال تلك العوامل .

السادس : ألا يكون عوضاً عن شيء ، ومن ثم قال ابن مالك : إن حرف النداء ليس عوضاً من أدعو ، لإجازة العرب حذفه ، ولذا أيضاً لم تحذف التاء من إقامة واستقامة . وأما^(٤) : « **وَإِقامَ الصلاة** » فلا يقاس عليه ؛ ولا خبر كان ، لأنه عوض أو كالموضع من مصدرها .

السابع^(٥) : ألا يؤدي حذفه إلى تهية العامل [للمعنى وقطعه عنه ، ولا إلى

(١) في الاثنان : تسمية الإعراب .

(٢) في النسخ (٢ - ١٥٢) : وإن أراد تفسير المعنى وأن بنس ضمير المحلل مستتر مأين تفسيره ؟

(٣) منه . ٦٢ (٤) الأنبياء : ٦٣ (٥) لم يذكر الثامن في كل النسخ .

إعمال العامل الضعيف مع إمكان إعمال العامل ^(١) القوي ، ومن ثم لم يقس
على قراءة : « ^(٢) وكل وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى » .

قاعدة

اعتبر الأختش في الحذف التدريج حيث أمكن ، ولهذا قال في قوله ^(٣) :
« وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا » — إن الأصل لا تجزى فيه ،
فحذف حرف الجر فصار تجزیه ، فحذف الضمير فصار تجزى . وهذه ملاحظة
في الصناعة . ومذهب سيدييه أنها حذفاً مطلقاً . قال ابن جني : وقول الأختش
في النفس أوفق وآنس من أن يحذف الحرفان معاً في وقت واحد .

قاعدة

الأصل ^(١) أن يقدر الشيء في مكانه الأصلي ، لئلا يخالف الأصل من وجهين :
الحذف ، ووضع الشيء في غير محله ، فيقدر التفسير في نحو : زيداً رأيتك ،
مقدماً عليه . وجوز البيانون تقديره مؤخراً عنه ، لإفادة الاختصاص ، كما قاله
النحاة إذا منع منه مانع ، نحو ^(٢) : « وَأَمَّا تَعُودَ فَبَدِينًا » ، إذ ^(٣) لا يلي
أما قبل .

(١) من الخنى (٢ - ١٥٣) .

(٢) الحديد : ١٠ ، وهي قراءة ابن عامر ، كما في القرطبي (١٧ - ٢٤٢) .

(٣) البقرة : ٤٨ (٤) الخنى : (٢ - ١٥٤)

(٥) فصلت : ١٧ (٦) الخنى : فيمن نصب ، إذ لا يلي ...

قاعدة

ينبغي^(١) تقليل التقدير ما أمكن ، لتقل مخالفة الأصل ، ومن ثم ضعف قول القارمي في^(٢) : « واللأني لم يَحِضَنَّ » - إن التقدير فصلت بينهما ثلاثة أشهر . والأولى أن يقدر كذلك .

قال الشيخ عز الدين : ولا يقدر من المحذوفات إلا أشدها موافقة للغرض وأنصحها ؛ لأن العرب لا يقدرّون إلا ما لو لقوا به لكان أنسب وأحسن لتلك الكلام ، كما يفعلون ذلك في الملقوظ به ؛ نحو^(٣) : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس » - قدر أبو علي جعل الله نصب الكعبة [٥٣ ب] . وقدر غيره حرمة الكعبة وهو أولى ؛ لأن تقدير الحرمة في الهدى والقلائد والشهر الحرام لا شك في فصاحته ، وتقدير النصب فيها بعيد من الفصاحة . قال : ومهما تردد المحذوف بين الحسن والأحسن وجب تقدير الأحسن ؛ لأن الله وصف كتابه بأنه أحسن الحديث ، فليكن محذوفه أحسن المحذوفات ، كما أن متقوظه أحسن اللقوظات . قال : ومتى تردد بين أن يكون مجزئاً أو مبيناً فتقدير البين أحسن ؛ نحو^(٤) : « وداود وسليمان إذ يمشيان في الحَرثِ » - لك أن تقدر « في أمر الحَرثِ » « وفي تضمين الحَرثِ » ، وهو أولى لتعينه ، والأمر مجمل لتردده بين أنواع .

(٣) المائنة : ٩٧

(٢) الطلاق : ٤

(١) النفس : ٢ - ١٥٥

(٤) الأبياء : ٧٨

قاعدة

إذا^(١) دار الأمر بين كون المحنوف فعلاً والباقي فاعلاً ، وكونه مبتدأ والباقي خبراً ، فالثاني أولى ؛ لأن المبتدأ عين الخبر فالمحنوف عين الثابت ، فيكون حذفه^(٢) كلاً حذف . فأما الفعل فإنه غير الفاعل ، اللهم إلا أن يستفد الأول برواية أخرى في ذلك الموضع ، أو بموضع آخر يشبهه ، فالأول كقراءة^(٣) : « يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ » - بفتح الباء . «^(٤) كَذَلِكَ يُوحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ » - بفتح الحاء ، فإن التقدير يسبحه رجال ويوحى الله ، ولا يقدران مبتدأين حذف خبرهما لثبوت فاعلية الاسميين في رواية من بنى الفعل للفاعل . والثاني ، نحو^(٥) : « وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ » فتقدير « خلقهم الله » أولى من « الله خلقهم » ليجيء : « خلقهم العزيز العظيم » .

قاعدة

إذا^(١) دار الأمر بين كون المحنوف أولاً أو ثانياً فكونه ثانياً أولى . ومن ثم رجح أن المحنوف في نحو^(٢) : « أُنْحَا جُوتِي فِي اللَّهِ » - نون الوقاية لا نون الرفع . وفي : « نَلَأُ نَلَأُ نَلَأُ » التاء للتأنيث^(٣) لا تاء المضارعة .

(١) المتى : ٢ - ١٥٦ (٢) في المتى : حنفا . (٣) النور : ٣٦

(٤) الثوري : ٣ (٥) الزخرف : ٩ (٦) المتى : ٢ - ١٥٦

(٧) الأنعام : ٨٠ ، قال في المتى : فيس قرأ بنون واحسدة ، وهو قول أبي العباس وأبي سعيد وأبي علي ، وأبي القتيح ، وأكثر الآخرين .

(٨) في الايمان : التاء الثانية .

وفي^(١) : « والله ورسوله أحق أن يرضوه » - إن المحذوف خبر الثاني لا الأول .

وفي نحو^(٢) : « الحج أشهر » - أن المحذوف مضاف للثاني أى حج أشهر ، لا إلى الأول ، أى أشهر الحج .

وقد يجب كونه من الأول ، نحو^(٣) : « إن الله وملائكته يصلون على النبي » في قراءة من رفع ملائكته ، لاختصاص الخبر بالثاني ، لوروده بصيغة الجمع .

وقد يجب كونه من الثاني ، نحو^(٤) : « إن الله بريء من المشركين ورسوله » ، أى برى أيضاً ، ليتدغم الخبر على الثاني .

فصل

الحذف على أنواع

أحدها : ما يسمى بالاقطاع ، وهو حذف بعض أحرف الكلمة . وأنكر ابن الأثير ورود هذا النوع في القرآن . ورد بأن بعضهم جعل منه فواتح السور على القول بأن كل حرف منها من اسم من أسمائه تعالى كما تقدم . وادعى بعضهم أن الباء في قوله^(٥) : « واتَّخَذُوا بَرَاءً مِّمَّكُمْ » أول كلمة « بعض » ثم حذف الباقي . ومنه قراءة بعضهم^(٦) : « ونَادَوْا يَا مَالٍ » - بالترخيم ، ولما سمعها بعض السامع ، قال : ما أغنى أهل النار عن الترخيم .

(٣) الأحزاب : ٥٦

(٦) الزخرف : ٧٧

(٢) البقرة : ١٩٧

(٥) الأئمة : ٦

(١) التوبة : ٦٢

(٤) التوبة : ٣

وأجاب بعضهم بأنهم لشدة ما هم فيه عجزوا عن إتمام الكلمة .

ويدخل في هذا النوع حذف همزة « أنا » في قوله ^(١) : « لَكُنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي » ، إذ الأصل « لكن أنا » ، حذف همزة أنا تحقيقاً وأدغمت النون في النون .

ومثله : ما قرئ : « ويمسك السماء أن تقع على رؤس . بما أنزليك . فمن تعجل في يومين فلم عليه . إنها تلذذي الكبر .

النوع الثاني : ما يستى بالاكتهاء ، وهو أن يقتضى المقام ذكر شئين بينهما تلازم وارتباط ، فيكتفى بأحدهما عن الآخر لنسكته . ويختص غالباً بالارتباط العطفى ، كقوله تعالى ^(٢) : « مَرَّابِيلُ تَقِيكُمْ الْحَرَّ » ، أى والبرد ، وخصص الحر بالذكر ، لأن الخطاب للعرب وبلادهم حارة والوقاية عندهم من الحر أهم عندهم ، لأنه أشد من البرد . وقيل لأن البرد تقدم ذكر الامتنان بوقايته صريحاً في قوله ^(٣) : « وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثَا » . وفي قوله ^(٤) : « وَجَمَلٌ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَاثَا » . وفي قوله ^(٥) : « وَالْأَنْعَامُ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعٌ » .

ومن أمثلة هذا النوع ^(٦) : « بِيَدِكَ الْخَيْرُ » ، أى والشر . وإنما خص الخير بالذكر ، لأنه مطلوب العباد ومرغوبهم ، أو لأنه أكثر وجوداً في العالم ، أو لأن إضافة الشر إلى الله تعالى ليس من باب الآداب ، كما قال صلى الله عليه وسلم : والشر ليس إليك .

ومنها ^(٧) : « وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » .

(١) الكهف : ٢٨	(٢) النحل : ٨١	(٣) النحل : ٨٠
(٤) النحل : ٨١	(٥) النحل : ٥	(٦) آل عمران : ٢٦
(٧) الأنعام : ١٣		

بهذا، وإذا تقرر هذا فورد جمع السلامة في قوله [١٢٧٥] في سورة البقرة : «وَيَقْتُلُونَ»^(١) التبيين بنبر الحق، مناسب من جهتين : إحداهما شرف الجمع لشرف المجموع . والثانية مناسبة زيادة اللد لزيادة أدلة التعريف في لفظ الحق وأما الآية الأولى من سورة آل عمران فيتل الأولى في مناسبة الشرف ومناسبة زيادة اللد للزيادة في الفعل العامل في اللفظ المجموع في قراءة من قرأ : ويقاتلون . ولما لم يكن في الآية الثالثة سوى شرف المجموع ، وكانت العرب تنسج في جموع التكسير فتوقفها على أولى العلم وغيرهم أي بالجمع هنا مكررا لتحصل اللتان ، حتى لا يبقى لمن يتحدى القرآن حجة ، إذ هم مخاطبون بما في لغاتهم ، فلا تقتصر في شيء من خطابهم على أحد الجائزين دون الآخر إلا أن يتكرر ، فلا ذلك يرد على وجه واحد بما يجوز فيه .

فأنتل ما أجلك ، فسوف يتفصح لك به إذا استوفيت ما يُعينك على فهم الإعجاز .

(وأخرجوا^(٢) من ديارهم) : هذه الآيات في الذين آذام الكفار بمكة حتى خرجوا منها ، ولحقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وقتلوا منه .

(وإن^(٣) من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله ...) الآية : نزلت في النجاشي ملك الحبشة ، واليهود أنها علمة في كل من أحلم من اليهود أو النصارى .

(وجه^(٤) النهار واكفروا آخره) : هذه مقالة قوم من اليهود قالوها لإخوانهم لينخدعوا المسلمين فيقولوا : ما رجس هؤلاء عن دين الإسلام إلا من علم .

(١) البقرة ٦١ (٢) آل عمران ١٩٥ (٣) آل عمران ١٩٦ (٤) آل عمران ٢٢
(٢١ م - في إسناده الضعيف)

وقال السهيلي : إن هذه الطائفة هم عبد الله بن الضيف ، وعدى بن زيد ،
والخارث بن عوف .

(ولا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) : أجمع القسرون أن المعنى : لا يَقْتُلْ بَعْضُكُمْ
بَعْضًا ، وَلَقَدْ هُمَا يَتَنَاولُ قَتْلَ الْإِنْسَانِ لِنَفْسِهِ ؛ وَقَدْ حَمَلَهَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَى ذَلِكَ ،
وَلَمْ يَنْسِكِرْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا سَمِعَهُ ؛ وَكَوْنُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
دَلِيلٌ عَلَى صِحَّةِ قَوْلِهِ .

(وَمَنْ (٢) يَفْعَلْ ذَلِكَ) : إشارة إلى القتل ؛ لأنه أقرب مذكور . وقيل
إليه وإلى أكل المال بالباطل . وقيل إلى كل ما تقدم من المهيئات من السورة .

(وَلِكُلٍّ (٣) جَمَلْنَا مَوَالِيَّ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ) : في معنى هذه
الآية وجهان : أحدهما لكل شيء من الأموال جعلنا موالى يرثونه ، فَمِمَّا تَرَكَ
عَنِ هَذَا يَبْدَأُ لِكُلِّ . وَالْآخَرُ لِكُلِّ أَحَدٍ جَعَلْنَا مَوَالِيَّ يَرِثُونَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ
وَالْأَقْرَبُونَ ، فَمِمَّا تَرَكَ عَلَى هَذَا يَتَمَلَقُ بِفَعْلٍ مَقْصُرٍ ، وَالْمَوَالِي هُنَا : النِّسْبَةُ وَالْوَرِثَةُ .

(وَالَّذِينَ (٤) عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيبَهُمْ) : اختلف ؛ هل هي منسوخة
أَوْ مُحْكَمَةٌ ؛ فَالَّذِينَ قَالُوا : إِنَّمَا مَنسُوخَةٌ قَالُوا مَعْنَاهَا الْمِيرَاثُ بِالْحَلْفِ الَّذِي
كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ . وَقِيلَ بِالْمُؤَاضَاةِ الَّتِي آخَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ
أَصْعَابِهِ ، ثُمَّ نَسَخَهَا (٥) وَأَوَّلُو الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ ، فَصَارَ الْمِيرَاثُ
لِلْأَقْرَبِ .

وَالَّذِينَ قَالُوا لَهَا مُحْكَمَةٌ اختلفوا ؛ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : هِيَ فِي الْمَوَازِيرِ وَالنِّصْرَةِ
بِالْحَلْفِ لَا فِي الْمِيرَاثِ . وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : هِيَ فِي الْمِيرَاثِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَيْنِ

(٣) النساء : ٣٣

(٢) النساء : ٣٠

(١) النساء : ٢٩

(٥) الأعراف : ٧٥

(٤) النساء : ٣٣

أى فنة مؤمنة تقاتل في سبيل الله ، وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت .
 وفي التراتب للسكر مائى : فى الآية الأولى التمدير : مثل الذين كفروا معك
 يا محمد كمثل الناق مع الغم ، فحذف من كل طرف ما يدل عليه الطرف الآخر .
 وله فى القرآن نظائر ، وهو أبلغ ما يكون من الكلام . انتهى .
 وما أخذ هذه التسمية من الحبك الذى معناه الشد والإحكام ، وتحسين أثر
 الصنعة فى الثوب ؛ فحبك الثوب سداً ما بين خيوطه من الثوب وشده وإحكامه
 بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرواق .

وبيان أخذه منه أن مواضع الحذف من الكلام شبهت بالقرج من الخيوط ،
 فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر فى ظلمه وحوكه ، فوضع المحذوف موضعه ،
 كان حاكماً له ، ماضاً من خلل يطرقة ، فسد بتمديده ما يحصل به الخلل مع
 ما أكسبه من الحسن والرواق .

النوع الرابع : ما يسمى بالاختزال ، وهو ما ليس واحداً مما سبق .
 وهو أقسام ؛ لأن المحذوف إما كلمة اسم ، أو فعل ، أو حرف ، أو أكثر .

أمثلة حذف الاسم :

حذف المضاف : وهو كثير جداً فى القرآن حتى قال ابن جنى : فى القرآن
 منه زهاء ألف موضع ، وقد سردنا الشيخ عز الدين فى كتابه المجاز على ترتيب
 السور والآيات ، ومنه (١) : « الحجج أشهر » ، أى حجج أشهر ، أو أشهر الحجج .
 « (٢) وَاسْكِنِ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ » ، أى ذا البر ، أو بر من . « (٣) حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ
 أُمَّهَاتُكُمْ » ، أى سكاح أمهاتكم . « (٤) لَأَذِّنَاكَ ضَيْفَ الْحَيَاةِ وَضَيْفَ

(٢) القرة : ١٧٧

(٤) الإسراء : ٧٥

(١) القرة : ١٩٧

(٣) النساء : ٢٣

المات « ؛ أى صف عذاب . » (٥) وفي الرقاب « ؛ أى وفي تحرير الرقاب .
 جذف المضارع إليه : يكثر في ياء التكلم ، نحو (٦) : « رَبِّ اغْفِرْ لِي » .
 وفي التايات ، نحو (٧) : « قَدْ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ » ، أى من [هـ ب]
 قبل التلب ومن بعده .

وفي أى ، وكل ، وبعض ، وجاء في غيرهن كترامة (٨) : « فلا خوفُ
 عليهم » - بضم بلا تتوين ، أى فلا خوف شيء عليهم .

حذف المبتدأ : يكثر في جواب الاستفهام ، نحو (٩) : « وما أَدْرَاكَ
 ماهيه . نَارٌ حَامِيَةٌ » ، أى هي نار . وبعد فاء الجواب ، نحو (١٠) : « وَمَنْ
 عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ » ؛ أى نفسه لنفسه ، « وَمَنْ أَسَاءَ فَلِنِهَا » ، أى فليساءته
 عليها . وبعد القول ، نحو (١١) : « قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ » . (١٢) قَالُوا أَضَلُّتُمْ
 أَحْلَامَ . . وبعد ما الخير صفة له في المعنى ، نحو (١٣) : « التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ
 الْعَامِلُونَ » . ونحو (١٤) : « مُمْسِكٌ بِكُمْ عُنَى » . ووقع في غير ذلك ؛ نحو (١٥) :
 « لَا يَنْفِكُ قَلْبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ » . (١٦) لَا يَلْبَثُوا
 إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ « ؛ أى هذا . » (١٧) سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا « ؛ أى هذه .

ووجب في التمت القطوع إلى الرفع حذف الخبر ، نحو : « أَكُنْهَا دَائِمًا
 وَظَلْمًا » ؛ أى دائم .

(١) البقرة : ١٧٧	(٢) الأعراف : ١٥١	(٣) الروم : ٤
(٤) البقرة : ٢٨	(٥) الطه : ٩ ، ١٠	(٦) المائدة : ١٥
(٧) الفرقان : ٥	(٨) يوسف : ١٤	(٩) التوبة : ١١٢
(١٠) البقرة : ١٨	(١١) آل عمران : ١٩٦	(١٢) الأحزاب : ٢٥
(١٣) النور : ١	(١٤) الرعد : ١٢	

ونختل الأمرين : « ^(١) فَصَبْرٌ جَمِيلٌ » ، أى أجل ، أو فأمرى صبر .
« ^(٢) فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ » ، أى عليه ، أو فالواجب .

حذف الموصوف : « ^(٣) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ » ، أى حور قاصرات .
« ^(٤) أَنْ اِغْتَلَّ سَافِرَاتٍ » ، أى دروعاً سابغات . « ^(٥) أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ » ، أى
القوم المؤمنون .

حذف الصفة : « ^(٦) يَأْخُذُ كُلٌّ سَفِينَةٍ » ، أى صالحة ، بدليل أنه قرئ
كذلك ، « وَأَنْ تَسِيحًا » لا يخرجها عن كونها سفينة . « ^(٧) الْآنَ جِئْتُ بِالْحَقِّ » ؛
أى الواضح ، وإلا لكثروا بفهوم ذلك . « ^(٨) فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا » ؛
أى نافياً .

حذف المعلوم عليه ^(٩) : « أَنْ اِضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَتَنفَلِقَ » ؛ أى تضرب
فانفلق .

وحيث دخلت واو العطف على لام التعليل ففى تخريجها وجهان :

أحدهما : أن يكون تعاملاً مطلقاً محذوف ، كقولها ^(١٠) : « وَلِيُبَيِّلَ الْمُؤْمِنِينَ
مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا » . فالعنى وللإحسان إلى المؤمنين فعل ذلك .

والثانى : أنه معطوف على علة أخرى مضمرة لتظهر صحة العطف ؛ أى فعل
ذلك ليزيد الكافرين بأسه وليلى .

حذف المعلوم مع العاطف : « ^(١١) لَا يَسْتَوِ مِنْكُمْ مَنْ أَتَى مِنَ الْقَبْلِ
الْفَتْحِ وَقَاتَلَ » ؛ أى ومن أتى بعد . « ^(١٢) يَدْرِكُهُ الْخَيْرُ » ، أى والشـر .

(١) يوسف : ١٨	(٢) النساء : ٩٢	(٣) الصافات : ٤٨
(٤) ساء : ١١	(٥) النور : ٣١	(٦) الكهف : ٧٩
(٧) البقرة : ٧١	(٨) الكهف : ١٠٥	(٩) الشعراء : ٦٣
(١٠) الأنفال : ١٧	(١١) الحديد : ٩٠	(١٢) آل عمران : ٢٦

حذف المُبدل منه : وخرج عليه^(١) : « ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب » ، أى لا تصفه ، والكذب بدل من الماء .

حذف الفاعل : لا يجوز إلا فى فعل المصدر ، نحو^(٢) : « لا يأم الإنسان من دعاء الخير » ، أى دعائه الخير . وجوز الكسائى مطلقاً الدليل ، وخرج عليه^(٣) : « إذا بلغت القراقي » ، أى الروح . «^(٤) حتى توارت بالحجاب » ؛ أى الشمس .

حذف المفعول : تقدم أنه كثير فى مفعول الشبهة والإرادة ، ويرد فى غيرها ، نحو^(٥) : « إن الذين اتخذوا العجل » ، أى إلها . «^(٦) كلاً سوف تظنون » ، أى عاقبة أمركم .

حذف الحال : يكثر إذا كان قولاً ، نحو^(٧) : « واللانسكة يدخلون عليهم من كل باب سلام » ، أى قائلين .

حذف المتأدى : «^(٨) ألا ياسجدوا » ، أى يا هؤلاء . «^(٩) ياليت » أى يا قوم .

حذف العائد : يقع فى أربعة أبواب :

الصلة ، نحو^(١٠) : « أمنا الذى بث الله رسولا » ، أى به
والصفة ، نحو^(١١) : « واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس » ؛ أى فيه .
والخبر ، نحو^(١٢) : « وكلاً وعد الله الحسى » ، أى وعده .
والحال .

(١) التحمل : ١١٦	(٢) فصلت : ٤٩	(٣) تيمامة : ٢٦
(٤) ص : ٣٢	(٥) الأعراف : ١٥٢	(٦) التكاثر : ٤
(٧) الرعد : ٢٣ ، ٢٤	(٨) النحل : ١٥	(٩) القصص : ٢٩
(١٠) الفرقان : ٤٩	(١١) الحرة : ١٨	(١٢) النساء : ٩٥

الآية تأويلان : أحدهما أن الضمير في موته لعيسى ، والآخر أن كل أحد من أهل الكتاب يؤمن بعيسى حين ينزل إلى الأرض قبل أن يموت وتصير الأديان كلها حينئذ ديناً واحداً وهو دين الإسلام .

والثاني أن الضمير في موته للكتاب الذي تضمنه قوله : وإن من أهل الكتاب ، والتقدير وإن من أهل الكتاب أحد إلا يؤمن بعيسى ويسلم أنه نبي . قبل أن يموت هذا الإنسان ، وذلك حين معاينة الموت ، وهو إيمان لا يتنفسه . وقد روى هذا الحديث عن ابن عباس وغيره .

وفي مصنف أبي بن كعب : قبل موتهم . وفي هذه القراءة تقوية لقول الثاني ، والضمير في به لعيسى على الوجهين . وقبل لحمد صلى الله عليه وسلم . (ويصدّهم ^(١)) : بمحتمل أن يكون بمعنى الإعراض ، فيكون « كثيراً » صفة لمصدر محذوف ، أي صدّ كثيراً ، أو بمعنى صدّهم انصرهم . فيكون كثيراً مفعولاً بالمصدر ، أي صدوا كثيراً من الناس عن سبيل الله .

(وكلم ^(٢) الله موسى تكليماً) : تعرج بالكلام مؤكداً بالمصدر ، وذلك دليل على بطلان قول المعتزلة : إن الشجرة هي التي كلمت موسى . (ولا الهلكة ^(٣) المتربّون) : فيه دليل لمن قال : إن الهلكة أفضل من الأنبياء ، لأن المعنى لن يمتنعك عيسى ومن نوره أن يكون عبد الله ؛ وفيه ردٌّ على من قال : إنهم أولاده .

(وما أكل السبع ^(٤)) : أي أكل بعضه . والسبع : كل حيوان مفترس كالذئب والأسد والفمر والثعلب والنقاب والقرص .

(وَسِيلَةٌ^(١)) : كل ما يَقُوسَل به من الأعمال الصالحة والكلام وغير ذلك ،
ومنه : « أولئك^(٢) الذين يَدْعُونَ يَتَّقُونَ إلى ربهم الوسيلةَ أيهم أقرب » ؛
أي أولئك الآلهة الذين تَدْعُونَ من دون الله يَتَّقُونَ القُرْبَةَ إلى الله ، ويرجونه ،
ويخافونه ؛ فكيف تعبدونهم معهم ؟

وأعراب أولئك مبتدأ والذين يدعون صفة له ، ويتقون خبره ، والتعامل
في يدعون ضمير الكفار ، وفي يتقون للآلهة المعبودين . وقيل : إن الضمير في
يدعون ويتقون للأتقياء المذكورين . وقيل في قوله : « ولقد^(٣) فضلنا بعض
البنين على بعض » .

(وَلَا يَحْزَنُكَ^(٤)) الذين يُسَارِعُونَ في الكفر . . . الآية . انظر كيف
سَلَّى اللهُ نَبِيَّه في مواضع من كتبه . وقرىء بفتح الياء وضم الزاى حيث وقع
مقارعاً من حزن الثلاثى ، وهو أشهر في اللغة من أحزن .

(وَإِذَا^(٥)) جاءُوكُمْ قالوا آمَنَّا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) :
هم قوم من اليهود دخلوا كفاراً وخرجوا كفاراً ، ودخلت « قُر » على خرجوا
ودخلوا ، تقريباً للماضى من الحال ؛ أى ذلك حالهم في دخولهم وخرجهم
على الدوام .

(وَحَسِبُوا^(٦)) ألا تكون نِتْنَةً) ؛ أى بلاء واختبار . وقرىء تكون
بالرفع على أن تكون « أن » مخففة من الثقيلة ، وبالنصب على أنها مصدرية .
(وَلَتَجِدَنَّ^(٧)) أفرسهم مودَّة . . .) الآية . إخبار بأن النصارى أقرب

(١) المائدة : ٣٥ : وابتنوا إليه الوسيلة . (٢) الإسراء : ٥٧
(٣) الإسراء : ٥٥ (٤) آل عمران : ١٧٩ (٥) المائدة : ٦١
(٦) المائدة : ٧١ (٧) المائدة : ٨٢

إلى مودّة المسلمين؛ وجعل الأمر يقرر إلى آخر الدهر، فكلّ يهودى شذية
الداوة للإسلام وأهله؛ وكيف لا وهم الذين قالوا: «ليس^(١) علينا في الأميين
سبيل»، وأحبارهم يقولون لهم: قل بنى العرب: من غشنا فليس منا،
فشروهم ثلاثا كانوا منهم.

وانظر حكاية عبد الله بن عمر لما سافر معه اليهودى، فوجد منه من النصيح
ما أشعر به، فسأله ابن عمر عن هذه النصيحة وأنه لم يصدر منه في جانبه إلا
الودة؛ قال له: كنت أمتى على [١٧٦ب] ظلك، لأنى لم أقدر لك على غيره
من النكاية؛ وقد شدّد العلماء في خلطهم ومحبتهم، وكيف لا يشددون والله
يقول: «لا تجدد^(٢)» فوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله
ورسوله؛ فصاحبة من حادّ الله ورسوله تفضى إلى النار، نسأل الله السلامة.

(وكلوا^(٣)): جاء هذا الأمر بعد النهى عن الاعتداء في التشديد على
الأهس رقاً من الله بعباده، وخصّ الأكل بالذكر؛ لأنه أعظم حاجات
الإنسان.

(ومن^(٤) قلّه منكم متعمداً): مفهوم الآية يقتضى أن جزاء الصيد
على التمسّد لا على الناس؛ وبذلك قال أهل الظاهر. وقال جمهور الفقهاء: إن
التمسّد والناسى سواء في وجوب الجزاء، ثم اختلفوا في تأويل قوله: «متعمداً»
على ثلاثة أقوال: أحدها أن التمسّد إنما ذكر ليناط به الوعيد الذى فى قوله:
«ومن^(٤) عاد فيستقيم الله منه»، إذ لا وعيد على الناسى.

والثانى أن الجزاء على الناسى بالقياس على التمسّد.

(١) آل عمران: ٧٥

(٢) المجادلة: ٢٢

(٣) المائدة: ٨٨

(٤) المائدة: ٩٥

والثالث أن الجزاء على التعمد ثبت بالقرآن ، وأن الجزاء على الناسي ثبت بالسنة .

(وَبَالٍ^(١) أَمْرِهِ) : عاقبة أمره من الشر والوَبَالِ وسوء العاقبة ؛ يقال : ماء وِيل وكَلأ وِيل ؛ أى وِيل لا يستمر أو تَغَرُّ عاقبته ، والوِيل والوخيم ضد المروء .

« وَطَامُهُ^(٢) » : الضمير عائد على البحر ، يعنى ما قَذَفَ به ، ولا يقطع عليه ؛ لأن ذلك طعام وليس بصيد ؛ قاله أبو بكر الصديق رضى الله عنه . وقال ابن عباس : طعامه : ما صلح منه .

(وَحَرْمٌ^(٣) عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا) : لما ذكر أن صيد البحر حلال ذكر هنا أن صيد البر لا يحل للمحرم تناوله .

(وَأِنْ^(٤) تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزَلُ الْقُرْآنُ تَنِيدَ لَكُمْ) : فيه معنى الوعيد على السؤال ، كأنه قال : لا تسألوا ، وإن سألتكم أبدى لكم ما يسوءكم . والمراد به : « حين ينزل القرآن » زمان الوحي .

(وَلَٰكِن^(٥) الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) : أى يكذبون عليه بتحريم ما لم يحرم ، واخترعوا تحريمها من عدم ؛ والذين لا يعقلون هم أتباعهم المقلدون لهم .

(وَلَا تَكُونَنَّ^(٦)) : للخطاب حينما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو يكون مطوقاً على معنى « أمرت » فلا حذف ، وتقديره أمرت بالإسلام ونهيته عن الشرك .

(٣) الثالثة : ١٠٩

(٢) الثالثة : ٩٦

(١) الثالثة : ٩٥

(٥) : لأنعام : ١٤

(٤) الثالثة : ١٠٣

أى من أثر حافر فرس الرسول . « ^(١) تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ » .
أى كدوران عين الذى . « ^(٢) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ » ، أى ببدل شكر
رزقكم .

حذف ثلاثة متضائقات ^(٣) : « فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ » ، أى فكان
بمقدار مسافة قربه مثل قاب ، فحذف ثلاثة من اسم كان وواحد من خبرها .
حذف مفعولى باب ظن ^(٤) : « أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ » ،
أى تزعمونهم شركاء .

حذف الجار مع المجرور ^(٥) : « خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا » ، أى بسىء . « وَآخِرُ
مِينًا » ، أى بصالح .

حذف العاطف مع المظوف : تقدم |

حذف حرف الشرط وفعله ، يطرَدُ جَدَّ الْعَلْبِ ، نحو ^(٦) : « فَاتَّبِعُونِي
يُحِبِّبْكُمْ اللَّهُ » ، أى إن اتبعتمونى . « ^(٧) قُلْ لِمَ آدَى الَّذِينَ آمَنُوا يَفْقَهُوا
الصَّلَاةَ » ، أى إن قلت لهم يتبعوا . وجعل منه الرَّمْحَشْرَى ^(٨) : « فَلَنْ يُخْلِفَ
اللَّهُ عَهْدَهُ » ، أى إن اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف . وجعل منه أبو حيان ^(٩) :
« فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ » ، أى إن كنتم آمنتم بما أنزل إليكم
فلم تقتلون .

حذف جواب الشرط ^(١٠) : « فَبَيْنَ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغَى نَفَقًا فِي الْأَرْضِ

(١) الأحزاب : ١٩	(٢) الواقعة : ٨٢	(٣) النجم : ٩
(٤) القصص : ٦٢ ، ٧٤	(٥) آل عمران : ٣٩	(٦) التوبة : ١٥٢
(٧) إبراهيم : ٣١	(٨) البقرة : ٨٠	(٩) البقرة : ٩١
(١٠) الأنعام : ٣٥		

أَوْ مُسْلِمًا فِي السَّمَاءِ ، ، أَيْ فَاضِل . «^(١) وَإِنَّا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ [٥٥ ب] وَمَا خَلَقَكُمْ لَكُمْ تُرْجَحُونَ ، ، أَيْ أَعْرِضُوا ، بِدَائِلٍ مَا بَعْدَهُ . «^(٢) أَتَيْنَ ذُكْرُنُكُمْ » ، ، أَيْ تَطَيَّرْتُمْ . «^(٣) وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا » ، ، أَيْ لَخَفَدَ . «^(٤) وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ » ، ، أَيْ رَأَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا . «^(٥) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَمِيفٌ رَحِيمٌ » ، ، أَيْ لَمَذَبَكُمْ . «^(٦) لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَّ قُلُوبَنَا » ، ، أَيْ لَأَبْلَتَ بِهِ . «^(٧) وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّومَ » ، ، أَيْ لَسَلَطَكُمْ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ .

حذف جملة القسم : «^(٨) لَأَعَذَّبْنَاهُ عَذَابًا شَدِيدًا » ، ، أَيْ وَاللَّهِ .

حذف جوابه : « وَالنَّارُ عَاتٍ غَرَقًا ... » الآيات : أَيْ لَتَبْعَنَّ . « ص . »
والقرآن ذِي الذِّكْرِ ، ، أَيْ إِنَّهُ لَمُعْجَز . « ق . » والقرآن المجيد ، ، أَيْ مَا الْأَمْرُ
كَأَزْهَمُوا .

حذف جملة مسببة عن المذكور ، نحو «^(٩) : لِيُبَيِّنَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ » ،
أَيْ فَعَلَ مَا فَعَلَ .

حذف جمل كثيرة : «^(١٠) فَأَرْسِلُونِ . يَوْسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ » ، ،
أَيْ فَأَرْسِلُونِي إِلَى يَوْسُفَ لِأَسْتَعِيرَهُ الرُّؤْيَا ، فَتَلَوْا ، فَاتَّاهُ ، قَالَ لَهُ : يَا يَوْسُفَ .

(١) يس : ٤٥	(٢) يس : ١٩	(٣) الكهف : ١٠٩
(٤) السجدة : ١٢	(٥) النور : ٢٠	(٦) القصص : ١٠
(٧) التَّحَقُّقُ : ٢٥	(٨) النمل : ٢٩	(٩) الأفعال : ٨
(١٠) يوسف : ١٥ ، ١٦		

خاتمة

تارة لا يُقام شيء مقام المحذوف كما تقدم ، وتارة يُقام ما يدل عليه ؛ نحو (١) : « فَبَيْنَ تَوَلَّوْا قَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ » فليس الإبلاغ هو الجواب لتقدمه على توليهم ؛ وإنما التقدير : فَبَيْنَ تَوَلَّوْا فَلَا لَوْمَ عَلَى ، أى فلا عند لكم لأنى أبلغتكم . (٢) « يُكَذِّبُوكَ قَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ » ، أى فلا تحزن واصبر . (٣) « وَإِنْ يَمُودُوا عِنْدَ مَضْتِ سُنَّةِ الْأَوَّلِينَ » ، أى يصيبهم مثل ما أصابهم .

فصل

[الإطناب بوعان]

كما انقسم الإيجاز إلى إيجاز قصر وإيجاز حذف ، كذلك انقسم الإطناب إلى بسط وزيادة .

فالأول الإطناب بتكثير الجمل ؛ كقوله (٤) : « إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ... » آية في سورة البقرة ؛ أبلغ في إطنابها لكون الإطناب مع التقاين وفي كل عصر وحين ، للعالم منهم والجاهل ، والواقف والمناق .

وقوله (٥) : « الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الثَّرَى وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ » . قوله : « وَيُؤْمِنُونَ بِهِ » إطناب ، لأن إيمان حملة العرش معلوم وحيث إظهار شرف الإيمان ترعياً فيه . (٦) « وَوَيْلٌ لِلشَّارِكِينَ الَّذِينَ

(٣) الأضال - ٢٨

(٦) مملت : ٦ ، ٧

(٢) فاطر : ٤

(٥) غافر : ٧

(١) هود : ٥٧

(٢) آية ١٦٤

لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ، ، وليس من المشركين مُزَكَّ ، والفكنة الحثُّ المزمين
على أدائها ، والتحذير من التمتع منها حيث جعلها من أوصاف المشركين .

والثاني يكون بأنواع :

أحدها - دخول حرف فأكثر من حروف التأكيد الآتية في نوع
الأدوات ؛ وهي : إن ، وأن ، ولام الابتداء ، والقسم ، وألا الاستفهامية ، وأما ،
وها التنيه ، وكان في تأكيد التشبيه ، ولكن في تأكيد الاستدراك . وليت
في تأكيد التمني ، ولعل في تأكيد الترجى ، وضمير الشأن ، وضمير الفصل ،
وإما في تأكيد الشرط ، وقد ، والسين . وسوف ، والنونان في تأكيد الفعلية ،
ولا التبرئة ، ولن ولما في تأكيد النفي . وإنما يحسن تأكيد كيد الكلام بها إذا كان
المخاطب بها منكراً أو متردداً .

ويتفاوت التأكيد بحسب قوة الإنكار وضعفه ؛ كقوله تعالى حكاية عن رسل
عيسى إذ كذبوا في المرة الأولى^(١) : « إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ » . فأكد بأن ،
واسمية الجملة . وفي المرة الثانية^(٢) : « رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ » .
فأكد بالقسم ، وإن ، واللام ، واسمية الجملة ؛ لمبالغة المخاطبين في الإنكار ،
حيث قالوا : « مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ، وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ
إِلَّا تَكْذِبُونَ » .

وقد يؤكد بها والمخاطب به غير مسكر ، لعدم جريه على منتفى إقراره .
فينزل منزلة المنكر .

وقد يترك التأكيد وهو معه منكر ؛ لأن معه أدلة ظاهرة لو تلمعها لرجع
عن إنكاره ؛ وعلى ذلك يخرج^(٣) : « نَمِ إِنْكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَيُّتُونَ . ثُمَّ إِنْكُمْ

(١) يس : ١٤

(٢) يس : ١٦

(٣) يس : ١٥٠

(٤) الزمزمون : ١٥ ، ١٦

(وَلَدَّارٌ ^(١)) : سميت الآخرة لتأخرها عن الدنيا . وقرأ السبعة من اقراء : و « لَدَّار » بلامين والآخرة نعت للدار . وقرأ ابن عامر وحذاه : وَلَدَّارٌ - بلام واحدة ، وكذلك وقع في مصاحف الشام بإضافة الدار إلى الآخرة ، وكذلك هو لَدَّار الحياة الآخرة . وقرأ نافع وابن عامر وأبو حفص عن عاصم : أَفَلَا ^(٢) تعفلون ، على إرادة الخطابين ، وكذلك في الأعراف [٢٧٧ ب] ، وفي آخر يوسف ^(٣) ، وواقهم أبو بكر في آخر يوسف ؛ وإنما قل فيها : « وَلَدَّارٌ » الآخرة ، بالإضافة ؛ لأن ما قبلها في هذه السورة : « وما الحياة الدنيا » ؛ فالدنيا صفة للحياة ، كذلك جعل الآخرة صفة للدار ؛ ولأنه في المصاحف بلامين إلا في مصحف الشام ، وما في يوسف بلام واحدة على الإضافة ، فواقوا المصاحف ، وقرأ ابن عامر على الإضافة موافقة لمصنفهم ، واعتبارا بما في يوسف . ويتقوى ما في هذه السورة ما في الأعراف ^(٤) : « والدار الآخرة خير » .

(وَقَالُوا ^(٥)) لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ : الضمير عائد على الكفار . ولولا تخصيص بمعنى هلا . ومعنى الآية : هلا أنزل على محمد بيان واضح لا يقع منه توقف من أحد ، كلك يشهد له ، أو غير ذلك من تشططهم المحفوظ في هذا . فأمر عليه السلام بالرد عليهم بأن الله عز وجل له القدرة على إنزال تلك الآيات ، ولكن ^(٦) أكثرهم لا يعلمون أنها لو نزلت ولولم يؤمنوا العوجيلوا بالعقوبة .

ويمحتمل : « ولكن ^(٧) أكثرهم لا يعلمون » أن الله تعالى إنما جعل الإنذار في آيات معروضة للنظر والتأمل ليهتدى قوم ويضل آخرون .

(١) الأنعام : ٣٢ (٢) في القرطبي (٦ - ١١٦) : قرئ . بالياء والتاء .

(٣) يوسف : ١٠٩ (٤) الأعراف : ١٦٩ (٥) الأنعام : ٢٧

قُلْ قِيلَ : مَا وَجَّهَ إِفْرَادُ الْآيَةِ هَذَا وَجْهَهَا فِي الْمُسْكُوتِ ^(١) ؟ وَلِمَ طَلِبُوا
الْآيَةَ وَقَدْ آتَى بِمُعْجَزَاتٍ وَأَيَّاتٍ ؟

فَالْجَوَابُ : أَنْ « لَوْلَا » فِي الْآيَةِ تَحْضِيضٌ ؛ وَإِنَّمَا يَجْرَى فِي كَلَامِهِمْ عِنْدَمَا
يَرَاهُ التَّكَلُّمُ بِهِ أَوَّلِي أَوْ أَهَمِّ قِيٍّ مُقْبُودٍ مَا أَوَّاهُمْ فِي مَطْلَبٍ مَا ، إِلَى أَشْيَاءٍ
هَذَا ، مِمَّا يَسْتَعِدُّ التَّحْضِيضُ ، فَأَفْرَدُوا هَذَا الْآيَةَ لِأَقْصَدِهِ مِنْ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
لَوْ جَاءَهُمْ بِآيَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الضَّرْبِ الَّذِي طَلِبُوهُ . أَمَّا آيَةُ الْمُسْكُوتِ فَقَدْ تَقَدَّمَ
قَبْلَهَا : « بَلِ ^(٢) هُوَ أَكْبَرُ يُبَيِّنُ » ، وَقَالَ بِهَا : « وَمَا يَبْجَعِدُ ^(٣) بَيَّاتِنَا » ؛
وَقَالَ بِهَا : « قُلْ إِنَّمَا ^(٤) الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ » . قُلْ يَكُنْ لِي نَاسِبٌ بَعْدَ اكْتِنَافِ
هَذِهِ الْجُمُوعِ تَوْحِيدَ آيَةٍ ، ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ لَمْ يَتَقَدَّمْهَا مِنَ التَّهْدِيدِ وَشَدِيدِ الْوَعِيدِ
مَا تَقَدَّمَ آيَةَ الْأَنْعَامِ ؛ فَتَنَاسَبَ ذَلِكَ وَرُودُ الْفَعْلِ غَيْرِ مُضَعَّفٍ . وَجَاءَ ذَلِكَ كُلُّهُ
عَلَى مَا يَجِبُ .

وَإِنَّمَا طَلِبُوا الْآيَةَ ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَمْتَدُّوا بِمَا آتَى بِهِ ، فَكَانَتْ لَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ عِنْدَهُمْ
لِجَدِّهِمْ وَعِنَادِهِمْ ؛ وَأَيْضًا فَإِنَّمَا طَلِبُوا آيَةً تَضُرُّهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ
وَلَا تَأَمُّلٍ .

(وَكَذَلِكَ ^(٥) فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ) : أَيِ ابْتَلَيْنَا الْكَافِرَ بِالْمُؤْمِنِ ،
وَذَلِكَ أَنَّ الْكَافِرَ كَانُوا يَقُولُونَ : هَؤُلَاءِ الْمَيْدُ وَالْفُقَرَاءُ مَنْ آتَى عَلَيْهِمُ الْتَوْفِيقُ
لِلْحَقِّ وَالسَّادَةِ دُونَهُ ، وَنَحْنُ أَشْرَفُ مِنْهُمْ وَأَغْنِيَاءُ ، وَكَانَ هَذَا الْكَلَامُ مِنْهُمْ
غَلِيًّا جِهَةَ الْأَسْتِغْنَاءِ .

(وَإِنَّمَا يُفْسِدُكَ ^(٦) الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) :

(١) الْمُسْكُوتُ : ٥٠ (٢) الْمُسْكُوتُ : ٤٩ (٣) الْأَنْعَامُ : ٥٣
(٤) الْأَنْعَامُ : ٦٨

وعن الكسائي أن اللام لتوكيد الخبر ، وإن لتوكيد الاسم ؛ وفيه تجوز ؛
لأن التوكيد للنسبة ، لا للاسم ولا للخبر ؛ وكذلك نون التوكيد الشديدة بمنزلة
تكرير القمل ثلاثاً ، والخفيفة بمنزلة تكريره مرتين .
وقال سيويه - في نحو : « يا أيها » : الألف والماء لحقت « أيّا » توكيداً ،
فكانت كررت « يا » مرتين ، وصل الاسم تنبيهاً . هذا كلامه ، وتبعه
الزمخشري .

قاعدة

قوله تعالى^(١) : « و يقول الإنسان إذا ما مضى لسوف أُخرج حياً » . قال
الجرجاني في نظم القرآن : ليست اللام فيه لتأكيد ؛ فإنه منكر ، فكيف يحقق
ما ينكر ؛ وإنما قاله حكاية لكلام النبي صلى الله عليه وسلم الصادر منه بأداة
التأكيد ، فحكاة ؛ فزلت الآية على ذلك .



النوع الثاني^(٢) - دخول الأحرف الزائدة :

قال ابن جني : كل حرف زيد في كلام العرب فهو قائم مقام إعادة الجملة
مرة أخرى .

وقال الزمخشري في كشافة التديم : الباء في خبر ما وليس لتأكيد التنفي ،
كما أن اللام لتأكيد الإيجاب .

ومثل بعضهم عن التأكيّد بالحرف وما معناه إذ إسقاطه لا يُخل بالمعنى ؟
فقال : هذا يعرفه أهل الطباع ، يحدون من زيادة الحرف معنى لا يجدونه بإسقاطه

(١) مريم : ٦٦

(٢) من نوع الإطباب ، وقد سبق النوع الأول صفة ...

(٢٢ - في إعجاز القرآن)

قال : وتظيره العارف " بوزن الشرطياً إذا تنبّر عليه البيت بنقص أنكره ،
وقال : أجد في قسي خلاف ما أجدعا في إقامة الوزن ؛ فكذلك هذه الحروف
تنغير قس المطبوع بنقصاتها [٥٦ ب] ويجد في قسه زيادتها على معنى بخلاف
ما يجدها بنقصاتها .

ثم باب الزيادة للحروف وزيادة الأفعال قليل ، والأسماء أقل .
أما الحروف فيزاد منها إن ، وأن ، وإذا ، وإذا ، وإلى ، وأم ، والباء ،
واقاء ، وفي ، واللام ، ولا ، وما ، ومن ، والواو ؛ وستأتي في حروف
المعجم مشروحة .

وأما الأفعال فزيد منها « كان » ، وخرج عليه : « ^(١) كيف نُكَلِّمُ
مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا » . وأصبح ، وخرج عليه ^(٢) : « فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ » .
وقال الرُّمائي : العادة أن من به علة تزداد في اليميل أن يرجو القرح
عند الصباح ، فاستعمل أصبح ؛ لأن الخسران حصل في الوقت الذي يرجو فيه
الفرج ، فليست زائدة .

وأما الأسماء فنص أكثر النحويين على أنها لا تزداد ، ووقع في كلام
المفسرين الحكم عليها بالزيادة في مواضع ؛ كلفظ « مثل » في قوله ^(٣) : « فَإِنْ
آمَنُوا بِمَثَلٍ مَا آمَنْتُمْ بِهِ » ؛ أي بما .

النوع الثالث - التأكيد الصناعي ؛ وهو أربعة أقسام :

أحدها - التوكيد المعنوي بكل ، وأجمع ، وكِلَا ، وكِلْتَا ؛ نحو ^(٤) :
« فَسَجَدَ لِلْآبَةِ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ » . وفائدته رفع توقّع المجاز وعدم الشمول ؛

(٣) الآية : ١٣٧

(٢) الآية : ٥٣

(١) مريم : ٢٩

(٤) الحجر : ٣٠

وَادَّعَى الْفِرَاءُ أَنْ «كَلِمَهُ» أَفَادَتْ ذَلِكَ ، وَأَجْمَعُونَ أَفَادَتْ اجْتِمَاعَهُمْ عَلَى السَّعُودِ ،
وَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْجُدُوا مُتَفَرِّقِينَ .

تأنيها - التأكيد اللفظي ؛ وهو تكرار اللفظ الأول إما بمرادفه ، نحو ^(١) :
« ضَيْقًا حَرَجًا » - بكسر الراء . « غَرَّابِيْبُ سُودٌ » . وجعل منه الصفار :
« ^(٢) فَمَا بِنَ تَسْكُنَا كَمْ فِيهِ » ، على القول بأن كليهما للنفي .

وجعل منه غيره ^(٣) : « قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا » . فوراء ليست
ها هنا ظرفًا ؛ لأن لفظ أرجعوا ينفي عنه ، بل هو اسم فعل بمعنى أرجعوا ؛
فكأنه قال : أرجعوا أرجعوا .

وإما بلفظه ، فيكون في الاسم والقمل والحرف والجملة . فالاسم نحو :
قَوَارِيرَ . قَوَارِيرَ . دَكَا دَكَا . صَفَا صَفَا . والقمل ، نحو ^(٤) : « فَمَهْلِكُ الْكَافِرِينَ
أَمْهِلَهُمْ رُؤَيْدًا » . واسم القمل ، نحو ^(٥) : « هِيَهَاتَ هِيَهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ » .
والحرف ؛ نحو ^(٦) : « فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا » . « ^(٧) أَيْدِيكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُمْ
وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ » . والجملة ؛ نحو ^(٨) : « فَلْيَنْتَبِذْ عَنِ الشَّرِّ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ
الشَّرِّ يُسْرًا » . والأحسن اقتران الثانية بضم ، نحو ^(٩) : « وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ
الدِّينِ . ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ » . « ^(١٠) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا
سَوْفَ تَعْلَمُونَ » .

ومن هذا النوع تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل ؛ نحو ^(١١) : « اَتَسْكُنُ أَنْتَ

(١) الأنعام : ١٢٥	(٢) ماطر : ٢٧	(٣) الأحقاف : ٢٦
(٤) الحديد : ١٣	(٥) الطارق : ١٧	(٦) المؤمنون : ٣٦
(٧) هود : ١٠٨	(٨) المؤمنون : ٣٥	(٩) النوح : ٦٠٥
(١٠) الانتصار : ١٧ ، ١٨	(١١) التكوير : ٤ ، ٣	
(١٢) بقره : ٣٥		

وَزَوَّجُكَ الْجَنَّةَ . . . (١) اتَّعَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ . . . (٢) وَإِنَّمَا أَنْ نَكُونَ مِنَ الْمُلْقِينَ . . .

ومنه تأكيد التفصل بـ (٣) : « وَمِمَّ بِالْآخِرَةِ مِمَّ كَافِرُونَ » .

ثالثها - تأكيد الفصل بمصدره ، وهو عوض من تكرار الفصل مرتين ، وقادته رفعُ توم المجاز في الفصل ، بخلاف التوكيد السابق ؛ فإنه رفع توم المجاز في السند إليه ، كذا فرق به ابن عصفور وغيره . ومن ثم رد بعض أهل السنة على بعض المتزقة في دعواه نفي التكليم حقيقة بقوله (٤) : « وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا » ؛ لأن التوكيد رفع المجاز في الفصل . ومن أمثله (٥) : « وَسَلَّمُوا وَسَلَامًا » . (٦) « تَمُورُ السَّمَاءِ مَوْرًا » . ونسب الجبال سيرا . . . (٧) « جَزَاؤُكُمْ جَزَاءٌ مَوْفُورًا » . وليس منه : « (٨) وَتَنْظُنُّونَ بِالْإِظْهَارِ الظُّنُونَا » ؛ بل هو جمع ظن ، لاختلاف أنواعه . وأما (٩) : « إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا » ، فيحمل أن يكون منه ، وأن يكون الشيء بمعنى الأمر والشأن .

والأصل في هذا النوع أن يُنبت بالوصف المراد ، نحو (١٠) : « اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا » . (١١) « وَسِرْحُونٌ سَرَّاحًا جَمِيلًا » . وقد يضاف وصفه إليه ؛ نحو (١٢) : « اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ » . وقد يؤكد بمصدر فعل آخر ، أو اسم عين نيابة عن المصدر ، نحو (١٣) : « وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا » . والمصدر تبتلا . والتبيل مصدر بتل . (١٤) « أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بِأَنَّا » ؛ أي إنباتًا ، إذ النبات اسم عين .

(١) المائدة : ٢٤	(٢) الأعراف : ١١٥	(٣) يوسف : ٣٧
(٤) النساء : ١٦٤	(٥) الأحزاب : ٥٦	(٦) الطور : ٩ ، ١٠
(٧) الإسراء : ٦٣	(٨) الأحزاب : ١٠	(٩) الأنعام : ٨٠
(١٠) الأحزاب : ٤٩	(١١) الأحزاب : ٤٩	(١٢) آل عمران : ١٠٢
(١٣) الزمل : ٨	(١٤) نوح : ١٧	

رابعها - الحلال المؤكدة ؛ نحو ^(١) : «وَيَوْمَ أُبْتُ حَيًّا» . ^(٢) «وَلَا تَعْتُوا
فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» . ^(٣) «وَأَرْسَلْنَاكَ قُلُوسًا رِيسُولًا» . ^(٤) «نَمُ تُولِيْتُمْ
إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ» . ^(٥) «وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّيْنِ غَيْرَ بَعِيدَ» .
[١٥٧] وليس منه : ^(٦) «وَلِي مَذْبِرًا» ؛ لأن التولي قد لا يكون إداراً ،
بدليل قوله ^(٧) : «فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» - ولا : ^(٨) «فَبَسَمِ
ضَاحِكًا» ، لأن البسم قد لا يكون ضحكاً . ولا : ^(٩) «وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا» ؛
لاختلاف المتين ؛ إذ كونه حقا في نفسه غير كونه مصدقا لما قبله .

• • •

النوع الرابع - التكرير ؛ وهو أبلغ من التأكيد وهو من محاسن الصلحة ،
خلافاً لبعض من غلط . وله فوائد :

منها : التقرير ، وقد قيل : إن الكلام إذا تكرر تقرر ، وقد فيه تعالى
على السبب الذي لأجله كرر القصص والإنذار بقوله ^(١٠) : «وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنْ
الْوَعِيدِ لهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُخَذِّتْ لَهُمْ ذِكْرًا» .

ومنها : التأكيد .

ومنها : زيادة التيه على ما ينفي التهمة ؛ ليكمل نلقى الكلام بالقبول ؛
ومنه ^(١١) : «وَقُلِ الَّذِينَ آمَنُوا يَأْقُومُوا تَابِعُونَ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ» . يا قوم
إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار ؛ فإنه كرر فيه
النداء لذلك .

ومنها إذا طل الكلام وخشى تناسي الأول أعيد ثانياً نظرية له وتجديداً

(١) مريم : ٢٢	(٢) البقرة : ٦٠	(٣) النساء : ٢٩
(٤) البقرة : ٨٣	(٥) ق : ٣١	(٦) النمل : ١٠
(٧) البقرة : ١٤٤	(٨) قتل : ١٩	(٩) البقرة : ٩٩
(١٠) طه : ١١٣	(١١) غفر : ٢٨ ، ٢٩	

لِعَهْدِهِ؛ وَمِنْهُ ^(١) : « ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَنُفُورٌ رَحِيمٌ » . ^(٢) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَنُفُورٌ رَحِيمٌ » . ^(٣) وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا فِيهِمْ ... إِلَى قَوْلِهِ : « فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا هُمْ فِيهِ كَافِرُونَ » . ^(٤) لَا تَحْشَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجْعِلُونَ أَنْ يُخْذَلُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْشَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ » . ^(٥) إِنْ رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كُوفِيًّا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ » .

ومنها التظيم والتهويل ، نحو : الحاقة ما الحاقة . القارعة ما القارعة . وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين .

فإن قلت : هذا النوع أحد أقسام النوع قبله ؛ فإن منها التوكيد بتكرار اللفظ ، فلا يحسن عده نوعاً مستقلاً .

قلت : هو مجامسه وفلوقه ، ويزيد عليه وينقص عنه ؛ فصار أصلاً برأسه ؛ فإنه قد يكون التأكيد تكراراً كما تقدم في أمثله ، وقد لا يكون تكراراً كما تقدم أيضاً . وقد يكون التكرير غير تأكيد صناعة وإن كان مفيداً للتأكيد معنى .

ومنه ما وقع فيه الفصل بين المكررين ، فإن التأكيد لا يفصل بينه وبين مؤكده ، نحو ^(٦) : « اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْتَقِظْ أَنْفُسُ مَا قَدِمَتْ لَعْنٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ » . ^(٧) إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ » . فالآيتان من باب التكرير ، لا التأكيد اللفظي الصناعي .

(١) النحل : ٩٩
(٢) آل عمران : ١٨٨
(٣) آل عمران : ١٧٠
(٤) يوسف : ٤
(٥) البقرة : ٨٩
(٦) الحجر : ١٨٦
(٧) آل عمران : ١٧

ومنه الآيات المتقدمة في التكرير للطول .

ومنه ما كان لتعدد المتعلق ، بأن يكون المكرر ثانياً متعلقاً بغير ما يتعلق به الأول . وهذا القسم يسمى بالترديد ، كقوله ^(١) : « الله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نَوْرِهِ كِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ، الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مَبَارَكَةٍ » . وقد وقع فيها التردد أربع مرات . وجعل منه قوله تعالى ^(٢) : « فَبَآئِيَ آلَآءِ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ » . فإنها تكررت ثيفاً وثلاثين مرة ، كل واحدة تتعلق بما قبلها ، ولذلك زادت على ثلاثة ، ولو كان عائداً على شيء واحد لما زاد على ثلاثة ؛ لأن التأكيـد لا يزيد عليها . قاله ابن عبد السلام وغيره ، وإن كان بعضها ليس بنعمة فذكر النعمة التحذير نعمة . وقد مثل : أي نعمة في قوله ^(٣) : « كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ » ؟ فأجاب بأجوبة أحسنها النقلة من دار المموم إلى دار السرور ، وإراحة المؤمن من الكافر ، والبار من الفاجر . وكذا قوله ^(٤) : « وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ » في سورة المرسلات ؛ لأنه تعالى ذكر قصصاً مختلفة ، وأتبع كل قصة بهذا القول ، كأنه قال عقب كل قصة : ويل للمكذب بهذه النعمة . وكذا قوله في سورة الشعراء ^(٥) : « إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ ، وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ » — كررت ثمان مرات ، كل مرة عقب كل قصة ؛ للإشارة في كل واحدة بذلك إلى قصة النبي المذكور قبلها ، وما اشتملت عليه من الآيات والعبر [٥٧ ب] . وبقوله : « وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ » إلى قومه خاصة ، ولما كان مفهومه أن الأقل من قومه آمنوا أنى بوعسى العزيز الرحيم ، للإشارة إلى أن العزة على من لا يؤمن منهم والرحمة لمن آمن .

(١) الرحمن ١٢ : ١٦

(٢) النور : ٣٥

(٥) الشعراء : ٨ ، ٩

(٤) المرسلات : ١٩

(٣) الرحمن ٢٦ : ٢٦

وكذا قوله في سورة القمر^(١) : « وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ » .

قال الزمخشري^(٢) : كرر ليجددوا عند سماع كل نبأ منها تعاضداً وتنبيهاً ، وأن كلاماً من تلك الأنباء مستحق لاعتبار يختص به ؛ وأن يتنبهوا كي لا يغلبهم السرور والغفلة .

قال في عروس الأفراح : فإن قلت : إذا كان المراد بكل ما قبله فليس بإطناب ؛ بل هي ألقاظ ، كل ما أريد به^(٣) غير ما أريد بالآخر .

قلت : إذا قلنا المبررة بعموم اللفظ فكل واحد أريد به ما أريد بالآخر ، ولكن كرر ليكون نصاً فيما يليه وظاهراً في غيره .

فإن قلت : يلزم التأكيد

قلت : والأمر كذلك ، ولا يبرر ذلك عليه أن التأكيد لا يزداد عليه عن ذلك^(٤) ؛ لأن ذلك في التأكيد الذي هو تابع . أما ذكر الشيء في مقامات متعددة أكثر من ثلاثة فلا يمتنع . انتهى .

ويقرب من ذلك ما ذكره ابن جرير^(٥) في قوله تعالى^(٦) : « وَفِي مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ . وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ . . . » إلى قوله : « وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا . وَفِي مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا » .

(١) الكشاف : ٢ — ٤٢٢

(١) القمر : ١٧

(٢) الإيجان : لا يزداد به من ثلاثة .

(٣) في ب : بها .

(٤) النساء : ١٣١ ، ١٣٢

(٥) تفسير الطبري : ٣ — ٢٩٢

قل : فإن قيل : ما وجه تكرار قوله : « والله ما في السموات وما في الأرض » في آيتين إحداهما في أثر الأخرى ؟

قلت : لاختلاف معنى الخبرين عما في السموات والأرض ؛ وذلك أن الخبر عنه في إحدى الآيتين ذكر حاجته إلى بارئته ، وغنى بارئته عنه ؛ وفي الأخرى حفظ بارئته إياه ، وعلمه به ويتديره .

قال : فإن قيل : أفلا قيل : وكان الله غنيا حميدا ، وكفى بالله وكيفا ؟

قل : ليس في الآية الأولى ما يصلح أن تختتم بوصفه به بالحفظ والتدير . انتهى (١) .

وقال تعالى (٢) : « وإن منهم لفريقا يلوون أن أحييتهم بالكتاب ليتخسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب » .

قال للراغب (٣) : الكتاب الأول ما كتبوه بأيديهم المذكور في قوله تعالى (٤) : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم » . والكتاب الثاني التوراة . والثالث لجنس كتب الله كلها ؛ أي ما هو من شيء من كتب الله وكلامه .

ومن أمثلة ما يُظن أنه تكرار وليس منه (٥) : « قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون ... » الخ ؛ فإن لا أعبد ما تعبدون أي في المستقبل ، ولا أتم عابدون أي في الحال ، ما أعبد في المستقبل ، ولا أنا عابد أي في الحال . ما عبدتم في الماضي . ولا أتم عابدون ؛ أي في المستقبل . ما أعبد أي في الحال .

(٢) آل عمران : ٧٨

(٥) الكافرون : ١ ، ٢

(١) تفسير الطبري : ٣ - ٢٩٧

(٢) الفرقان : ٤٢٥ (٤) البقرة : ٧٩

والحاصل أن القصد نفي عبادته لآلهم في الأزمنة الثلاثة ؛ وكذا^(١) :
 « فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوا كَمَا هَدَاكُمْ » . ثم قال^(٢) : « فَإِذَا
 قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ » . ثم قال^(٣) : « وَاذْكُرُوا
 اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ » . فإن المراد بكل واحد من هذه الأذكار غير المراد
 بالآخر ؛ فالأول الذكر بالمزدانة عند الوقوف بفزح^(٤) ، وقوله : « وَاذْكُرُوا
 كَمَا هَدَاكُمْ » إشارة إلى تكرره ثانياً وثالثاً . ومحمّل أن يراد به طوائف الإفاضة ،
 بدليل تعقيه بقوله : فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ . والذكر الثالث إشارة إلى رمي جرة
 العقبة . والذكر الأخير لرمي أيام التشويق .

ومنه تكرير حرف الإضراب في قوله^(٥) : « قَالُوا أَضُنَّاتُ أَحْلَامٍ ،
 بَلْ أَفْتَرَاءُ ، بَلْ هُوَ شَاعِرٌ » . وقوله^(٦) : « بَلْ إِذَا رَأَيْتَ عَلِيمُكُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ
 فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ » .

ومنه قوله^(٧) : « وَمَتَّوْهُنَّ عَلَى الْمَوْسِمِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا
 بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْحَسَنِينَ » . ثم قال^(٨) : « وَلِلْمُطَلَقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا
 عَلَى الْمُتَّقِينَ » . فكرر الثاني ليعم كل مطلقة ، فإن الآية الأولى في المطلقات
 قبل الفرض واليسر خاصة . وقيل : لأن الأولى لا تشعر بالوجوب ، ولهذا
 لما نزلت ، قال بعض الصحابة : إِنْ شِئْتَ أَحْسَنْتَ وَإِنْ شِئْتَ فَلَا ؛ فنزلت الثانية ،
 قاله ابن جرير .

(١) البقرة : ١٩٨ (٢) البقرة : ٢٠٠ (٣) البقرة : ٢٠٣

(٤) فزح - بنم أوله وفتح ثانيه وجاء مهمله : اسم جبل بالمزدانة (يافوت)

(٥) الأنبياء : ٥ (٦) النمل : ٦٦ (٧) البقرة : ٢٣٦

(٨) البقرة : ٢٤١

ومن ذلك تكرير الأمثال ، كقوله ^(١) : « وما يستوى الأعمى والبصير .
ولا الظلمات ولا النور . ولا الظل ولا الحرور . وما يستوى الأحياء
ولا الأموات » .

وكذلك ضرب [٥٨ ١] مثل المناقنين أول البقرة ^(٢) بالمستوقدين نارا ،
ثم ضربه ^(٣) بأصحاب الصيب ؛ قال الزمخشري ^(٤) : والثاني أبلغ من الأول ؛
لأنه أدل على قرط الحيرة وشدة الأمر وفضاعته ؛ قال : ولعلك آخر ، وهم يتدرجون
في نحو هذا من الأهون إلى الأغظ .

ومن ذلك تكرير القصص ، كقصة آدم وموسى ونوح وغيرهم من الأنبياء .
قال بعضهم : ذكر الله موسى في كتابه في مائة وعشرين موضعاً .

وقال ابن العربي في القوام : ذكر الله قصة نوح في خمسة وعشرين موضعاً ،
وقصة موسى في تسعين آية .

وقد ألف البدر بن جماعة كتاباً سماه المتنص في فوائد تكرير القصص ؛
وذكر في فوائده :

أن في كل موضع زيادة شيء لم يذكر في القدي قبله ، أو إبدال كلمة بأخرى
لنكتة ؛ وهذه عادة البلغاء .

ومنها ^(٥) أن الرجل كان يسمع القصة من القرآن ، ثم يعود إلى أهله ثم يهاجر
بعده آخرون يحكون ما نزل بعد صدور من بعدهم ^(٦) ، فلولاً لتكرار القصص

(٣) آية ١٥

(٢) آية ١٧

(١) طهر : ١٩ - ٢٢

(٥) في المراتب

(٤) الكشاف : ١ - ٢٣

(٦) في الإيمان : قدسهم .

لوقت قصة موسى إلى قوم وقصة عيسى إلى آخرين ؛ وكذا سائر القصص ؛ فأراد الله اشتراك الجميع فيها ، فيكون فيه إفادة لقوم وزيادة تأكيد لآخرين . ومنها أن في إيراد الكلام الواحد في فنون كثيرة وأصاليب مختلفة مالا يخفى من القصاحة .

ومنها أن الدواعي لا تتوفر على قائلها كتوفرها على قائل الأحكام ؛ فلها كُرت القصص دون الأحكام .

ومنها أنه تعالى أنزل هذا القرآن ، وعجز القوم عن الإتيان بمثله ، ثم أوضح الأمر في عجزهم بأن كرر ذكر القصة في مواضع إعلالاً بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأي نظم جاءوا وبأي حيلة عتبروا .

ومنها أنه لا تعدم نظم في ^(١) فأتوا بسورة من مثله . فلو ذكرت القصة في موضع واحد ، واكتفى بها لقل العربى : أتونا أتم بسورة من مثله ، فأنزلها سبحانه في تسلسل السور دفناً لحجنتهم من كل وجه .

ومنها أن القصة الواحدة لا كُرت كان في ألقاها في كل موضع زيادة وقصان ، وتقديم وتأخير ؛ وأنت على أسلوب غير أسلوب الأخرى ، فأفاد ذلك ظهور الأمر العجيب في إخراج الأمر الواحد في صورة متباينة في النظم ، وجذب النفوس إلى سماعها لما أُجبلت عليه من حب التنقل بين الأشياء المتجددة ، واستلذاذها بها ، وإظهار خاصة القرآن ، حيث لم يحصل — مع ذلك التكرير فيه — هُجْنَةٌ في اللفظ ، ولا مثل عند سماعه ؛ فباينَ ذلك كلام الخلقين .

وقد سئل : ما الحكمة في عدم تكرير قصة يوسف ، وسوقها مساقاً واحداً

في موضع واحد دون غيرها من القصص ؟ وأحب بوجوه :

أحدها : أن فيها تشييب النسوة به ، وحال امرأة ونسوة اختنوا بأبدع الناس جمالا ؛ فناسب عدم تكرارها لما فيها من الإغضاء والستر . وقد صحح الحاكم في مستدركه حديث النهي عن تعليم النساء سورة يوسف .

ثانيها : أنها اختصت بحصول القُرَج بعد الشدة ، بخلاف غيرها من القصص ، فإن مآلها إلى الوبال ؛ كقصة إبليس وقوم نوح وهود وصالح وغيرهم ، فلما اختصت بذلك اتفقت الدعوى على قتلها لخروجها عن سمة القصص .

ثالثها : قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفرايني :

إنما كرر الله قصص الأنبياء ، وساق قصة يوسف مساقاً واحداً إشارة إلى عجز العرب ، كأن النبي صلى الله عليه وسلم قل لهم : إن كان من تلقاء نفس فافعلوا في قصة يوسف ما فعلته في سائر القصص .

قلت : وظهر لي جواب رابع ، وهو أن سورة يوسف نزلت بسبب طلب الصحابة أن يقص عليهم ؛ كما رواه الحاكم في مستدركه ، فنزلت مبسطة تامة ليحصل لهم مقصود القصص من امتطاب القصة ، وترويح النفس بها ، والإحاطة بطرفها .

وجواب خامس ؛ وهو أقوى ما يحاب به : إن قصص الأنبياء إنما كُتبت لأن القصور بها إقادة إهلاك من كذبوا رسلهم ، والحاجة دالية إلى ذلك لتكثير تكذيب الكفار لرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فلما كذبوا أنزلت قصة مُنفردة بحلول العذاب ، كما حل على المكذبين ، ولهذا قال تعالى (أهـ ب) في آيات :^(١)

« قَدْ مَضَتْ سَنَةُ الْأَوَّلِينَ » . « ^(١) لَا يَرْوَاكُمْ أَهْلُ سَكَنًا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَوْمٍ » .
 وقصة يوسف لم يُقصد منها ذلك ؛ وبهذا أيضاً يحصل الجواب عن حكمة عدم
 تكرير قصة أهل الكهف ، وقصة ذى القرنين ، وقصة موسى مع الخضر ،
 وقصة الذبيح .

فإن قلت : قد تكررت قصة ولادة يحيى وولادة عيسى مرتين ، وليست من
 قبيل ذلك ؟ قلت : الأولى في سورة كهيعص ، وهى مكة أنزلت خطاباً لأهل مكة ؛
 والثانية في سورة آل عمران ، وهى مدنية أنزلت خطاباً لليهود ولنصارى نجران
 حين قدموا ؛ ولهذا اتصل بها ذكر الحاجة والباهرة .

• • •

النوع الخامس : الصفة

وتردُّ لأسباب :

أحدها : التخصيص فى التكررة ؛ نحو ^(٢) : « فَتَخْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ » .
 الثانى : التوضيح فى العروة ، أى زيادة البيان ، نحو ^(٣) : « وَرَسُولُهُ
 النَّبِيُّ الْأَمْنَى » .

الثالث : المدح والثناء ، ومنه صفات الله تعالى ، نحو ^(٤) : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
 الرَّحِيمِ . الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ » . ^(٥) « هُوَ اللَّهُ
 الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ » . ومنه ^(٦) : « يَحْكُمُ بِهِ الثِّيُونُ الَّذِينَ اسْلَمُوا » .
 فهذا الوصف للمدح ، وإظهار شرف الإسلام والتحريض لليهود ، وأنهم جلدوا

(٣) أعراف : ١٥٨

(٢) النساء : ٩٢

(١) الأنعام : ٦

(٦) التوبة : ١١٠

(٥) الحشر : ٢٤

(٤) الفاتحة : ١ - ٤

عن ملة الإسلام الذي هو دين الأنبياء كلهم، وأنهم بمنزل عنها ؛ قاله^(١) الزمخشري .

الراجح الظم ، نحو^(٢) : « فاستعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » .

الخامس : التأكيد لرفع الإيهام ، نحو^(٣) : « لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ » ؛ فإن إلهين للتثنية ، فاثنين بعده صفة مؤكدة للنهي عن الإشراف ، وإفادة أن النهي عن اتخاذ إلهين ، إنما هو لمحض كونهما اثنين قط ، لا لمعنى آخر من كونهما عاجزين أو غير ذلك ؛ ولأن الوحدة تطلق ويراد بها النوعية ، كقوله صلى الله عليه وسلم : إنما نحن وبنو المطلب شيء واحد . وتطلق ويراد بها نفى العدة بالتثنية باعتبارها . فلو قيل : لا تتخذوا إلهين قط لتوهم أنه نهى عن اتخاذ جنسين آلهة ؛ وإن جاز أن تتخذ من نوع واحد عدداً آلهة ؛ ولهذا أكد بالوحدة قوله^(٤) : « إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ » .

ومثله^(٥) : « فاسئَلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ » — على قراءة تنوين كل . وقوله^(٦) : « فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ » ؛ فهو تأكيد لرفع توهم تعدد النفخة ؛ لأن هذه الصيغة قد تدل على الكثرة بدليل^(٧) : « وَإِنْ تَعَدُّوا نَسْأَةَ اللَّهِ الَّتِي لَا تَحْصُوهَا » .

ومن ذلك قوله^(٨) : « فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ » . فإن لفظ « كَانَتَا » يفيد التثنية ، فصوره باتنتين لم يفيد زيادة عليه .

وقد أجاب عن ذلك الأخفش والقرطبي بأنه أفاد العدد المحض بمجرداً

(٢) التعل : ٩٥

(٥) المؤمنون : ٢٢

(٨) النساء : ٥٦

(١) الكتاب : ١ - ٢٥٧

(٤) الأنعام : ١٩

(٧) إبراهيم : ٢٤

(٢) التعل : ٥١

(٦) الحاقة : ١٣

عن الصفة ؛ لأنه قد كان يجوز أن يقال : فإن كانتا صغيرتين أو كبيرتين أو صالحتين أو غير ذلك من الصفات ، فلما قلنا اتين أفهم أن فرض التين تطلق بمجرد كونهما اتين قط . وهذه فائدة لا تحصل من ضمير المتنى .

وقيل : أراد فإن كانتا اتين فصاعداً ، فغير بالأدنى عنه وعمافوقه اكفاء .

ونظيره ^(١) : « فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان » . والأحسن فيه أن الضمير عائد على الشهيدين اللطين .

ومن الصفات المؤكدة قوله ^(٢) : « ولا طائر يطير بجناحيه » . وقوله : يطير — لتأكيد أن المراد بالطائر حقيقة ، فقد يطلق مجازاً على غيره . وقوله : بجناحيه ، لتأكيد حقيقة الطيران ؛ لأنه يطلق مجازاً على شدة المدو والإسراع في المتى .

ونظيره ^(٣) : « يقولون بألسنتهم » ؛ لأن القول يطلق مجازاً على غير اللسان ، بدليل ^(٤) : « ويقولون في أنفسهم » .

وكذا ^(٥) : « ولكن تسمى القلوب التي في الصدور » ؛ لأن القلب قد يطلق مجازاً على العين ، كما أطلقت العين مجازاً على القلب في قوله ^(٦) : « الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى » .

(١) البقرة : ٢٨٢	(٢) الأنعام : ٣٨	(٣) الفتح : ١١
(٤) المجادلة : ٨	(٥) الميع : ٤٦	(٦) السكه : ١٠١

قاعدة

الصفة العامة لا تأتي بعد الخاصة ؛ لا يقال رجل فصيح متكلم ، بل متكلم فصيح . وأشكل على هذا قوله تعالى في إسماعيل^(١) : « وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا » . وأجيب بأنه حال لا صفة ؛ أي مرسلًا في حال نبوته . وقد تقدم في وجه التقديم والتأخير أمثلة من هذا .

قاعدة

إذا وقعت الصفة بعد متضايقين أولهما عددٌ جاز إجراؤها على المضاف وعلى المضاف إليه ؛ فمن الأول^(٢) : « سَبْعَ سَمَوَاتٍ [١٥٩] طِبَاقًا » . ومن الثاني^(٣) : « سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ » .

قاعدة

إذا تكررت النعوت لولحد فالأحسن إن تباعد معنى الصفات العطفُ ، نحو^(٤) : « هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن » ؛ وإلا تركه ، نحو^(٥) : « وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ . هَذَا رِيشَاءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ . مَنَاعِلُ الْخَيْرِ مُعْتَقِلَةٌ أَثِيمٌ . عُنْتَلٍ بَدَءَ ذَلِكَ فَزَيْمٌ » .

(١) الملك : ٣ (٢) يوسف : ٤٣

(٣) مريم : ٥١

(٤) القلم : ١٠ - ١٣

(٥) الحديد : ٣

قاسدة

قطعُ النعوت في مقام المدح والقم أبلغُ من إجرائها ؛ قال القارمي :
 إذا تكررت^(١) صفات في معرض المدح أو الذم فالأحسن أن يخالف في إعرابها ؛
 لأن المقام يقتضي الإطناب ، فإذا خولف في الإعراب كان المقصود أكمل ؛ لأن
 المعاني عند الاختلاف تنوع وتتنوع ، وعند الاتحاد تكون نوعاً واحداً ، مثله
 في المدح^(٢) : « والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والقيمين
 الصلاة والمؤتون الزكاة » .^(٣) ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ...
 إلى قوله : « والوفون يمهدين إذا عاهدوا والصابرين » . وقرئ شاذاً : الحمد لله
 رب العالمين — برفع رب ونصبه . ومثاله في الذم^(٤) : « وامرأته حمالة
 الخطب » .

النوع السادس — البدل :

والقصدُ به الإيضاح بعد الإيهام . وفائدته البيانُ والتأكيد . أما الأول
 فواضح أنك إذا قلت رأيت زيدا أخاك بينت أنك تريد بزيد الأخ لا غير .
 وأما التأكيد فلأنه على نية تكرار العامل ، فكأنه من جملتين ، ولأنه دل على
 ما دل عليه الأول ؛ إما بالمطابقة في بدل الكل ، وإما بالتضمن في بدل البعض .
 أو بالاشتغال^(٥) في بدل الاشتغال .

مثال الأول^(٦) : « اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم » .

(٢) انشاء : ١٦٢

(٣) نهد : ١

(٤) لفاتحه : ٦

(١) في الإيمان : إذا ذكرت .

(٢) البقرة : ١٧٧

(٣) في الإيمان : أو بالانضمام .

« (١) إلى صراط العزيز الحميد . الله » . « (٢) لتنفك بالناصية نصية كاذبة خاطئة » .

ومثال الثاني (٣) : « والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » . « (٤) ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض » .

ومثال الثالث (٥) : « وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره » . « (٦) يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير » . « (٧) قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود » . « (٨) لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم » .

وزاد بعضهم بدل الكل من البعض ، وقد وجدت له مثالا في القرآن ؛ وهو قوله (٩) : « فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا . جنات عدن » . فجنت عدن بدل من الجنة التي هي بعض . وفائدته تقرير أنها جنات كثيرة لا جنة واحدة . وقال ابن السيد : وليس كل بدل يقصد به رفع الإشكال الذي يعرض في المبدل منه ؛ بل من البدل ما يراد به التأكيد ، وإن كان ما قبله غنيا عنه ، كقوله (١٠) : « وإنا لتهدى إلى صراط مستقيم . صراط الله » . ألا ترى أنه لو لم يذكر الصراط الثاني لم يشك أحد في أن الصراط المستقيم هو صراط الله . وقد نص سيبويه على أن من البدل ما الغرض منه التأكيد . انتهى .

(١) إبراهيم : ١ ، ٢ (٢) الطق : ١٥ ، ١٦ (٣) آل عمران : ٩٧

(٤) البقرة : ٢٥١ (٥) الكهف : ٦٣ (٦) البقرة : ٢١٧

(٧) المدحج : ٤ ، ٥ (٨) الزخرف : ٢٣ (٩) مريم : ٦٠ ، ٦١

(١٠) الشورى : ٥٢ ، ٥٣

وجعل منه ابن عبد السلام^(١) : « واذ قال إبراهيم لأبيه آزر » — قل : ولا بيان فيه ؛ لأن الأب لا يلتبس بغيره . وردّ بأنه قد يطلق على الجد ، فأبدل لبيان إراءة الأب حقيقة .

النوع السابع — عطف البيان :

وهو كالصفة في الإيضاح ، لكن يفارقها في أنه وضع ليدل على الإيضاح باسم مختص به ، بخلافها فإنها وضعت لتحل على معنى حاصل في متبوعها .
وفرق ابن كيسان بينه وبين البدل بأن البدل هو المقصود ؛ وكأنك قررت في موضع البدل منه ، وعطف البيان وما عطف عليه كل منهما مقصود .

وقال ابن مالك في شرح الكافية : عطف البيان مجرى مجرى التمثيل في تكميل متبوعه ، ويفارقه في أن تكيله^(٢) بشرح وتبيين ، لا بدلالة على معنى في المتبوع أو سببه ، ومجرى التوكيد في تقوية دلالة ، ويفارقه في أنه لا يفارقه^(٣) نون مجاز ، ومجرى البدل في صلاحته للاستقبال ، ويفارقه في أنه غير منوي الأطراح .

ومن أمثله^(٤) : « فيه آياتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ » . «^(٥) مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ » .

وقد يأتي لجرد المدح والإيضاح^(٦) . ومنه : « جعل الله الكعبة البيت الحرام »
فاليبت الحرام عطف بيان [٥٩ ب] للمدح والإيضاح^(٧) .

(٢) في الإنقاذ . تكميل متبوعه

(٤) آل عمران : ٩٧

(٦) في الإنقاذ : بلا إيضاح

(١) الأنعام : ٧٤

(٣) في الإنقاذ : لا يرفع .

(٥) التور : ٣٥

(٧) في الإنقاذ : لا للإيضاح .

النوع الثامن : عطف أحد المترادفين على الآخر :

والقصد منه التأكيد أيضاً ، وجعل منه ^(١) : « إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ » . ^(٢) « فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَمَا ضَعُفُوا » . ^(٣) « فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا عَذَابًا » . ^(٤) « لَا تَخَافِ دِرْكَآ وَلَا تَخْشَى » . ^(٥) « لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا » . قال الخليل : العِوَجُ والأَمْتُ بمعنى واحد . ^(٦) « سِيرَهُمْ وَنَجَّوَاهُمْ » . ^(٧) « شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا » . ^(٨) « لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ » . ^(٩) « إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً » . ^(١٠) « أَطْعَمَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا » . ^(١١) « لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ » ، فإن نَصِبَ كَلْبٍ وزناً ومعنى — ^(١٢) « صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ » . ^(١٣) « عَذْرَاءٌ أَوْ تَزْدَرَاءٌ » . قال ثعلب : هما بمعنى واحد . وأنكر المبرد وجود هذا النوع في القرآن ، وأوّل ما سبق على اختلاف الضعيفين .

وقال بعضهم : الملغص ^(١٤) في هذا أن تعتقد أن مجموع المترادفين محتمل معنى لا يوجد عند أفرادها ؛ فإن التركيب يملئ معنى زائدا . وإذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى فكذلك كثرة الألفاظ .

النوع التاسع — عطف الخاص على العام :

وقائده التنبيه على فضله ، حتى كأنه ليس من جنس العام ، تنزيلا للتفاير في الوصف منزلة التفاير في القات .

(١) يوسف : ٨٦	(٢) آل عمران : ١٤٦	(٣) طه : ١١٢
(٤) طه : ٧٧	(٥) طه : ١٠٧	(٦) التوبة : ٧٨
(٧) المائدة : ٤٨	(٨) المدثر : ٢٨	(٩) البقرة : ١٧١
(١٠) الأحزاب : ٦٢	(١١) فاطر : ٣٥	(١٢) البقرة : ٥٧
(١٣) الرسائل : ٦	(١٤) في الإتيان : انقلس .	

وحكى أبو حيان عن شيخه أبي جعفر بن الزبير أنه كان يقول : هذا المطف
يسمى بالتجريد ، كأنه حرد من الجملة ، وأفرد بالذكر تفصيلا

ثومن أمثله^(١) : « حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى » . «^(٢) مَنْ كَانَ
عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ » . «^(٣) وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ
إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ » . «^(٤) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ » . وإنما إقامتها من جملة التمسك بالكتاب ، وخصت
بالذكر إظهارا لرتبتها ، لكونها عماد الدين . وخص جبريل بالذكر ردا على اليهود
في دعواهم عداوته . وضم إليه ميكائيل ؛ لأنه ملك الرزق الذي هو حياة الأجساد ،
كما أن جبريل ملك الوحي الذي هو حياة القلوب والأرواح . وقيل : إن جبريل
وميكائيل لما كانا أميرى الملائكة لم يدخلوا في لفظ الملائكة أولا ، كما أن
الأمير لا يدخل في^(٥) مسمى الجند . حكاه الكرماني في العجائب .

ومن ذلك^(٦) : « وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ » . «^(٧) وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ، أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ » . بناء على أنه
لا يختص بالواو ، كما هو رأى ابن مالك فيه وفيما قبله . وخص المعطوف في الثانية
بالذكر تنبيها على زيادة قبحه .

تنبيه

المراد بالخاص والعام هنا ما كان فيه الأول شاملا للثاني لا المصطلح عليه

في الأصول .

(٣) آل عمران : ١٠٤

(٦) النساء : ١١٠

(٢) البقرة : ٩٨

(٥) في الجند .

(١) البقرة : ٢٢٨

(٤) الأعراف : ١٧٠

(٧) الأنعام : ٩٣

النوع العاشر — عطف العام على الخاص :

وأنكر بعضهم وجوده فأخطأ . والقائدة فيه واضحة ، وهو التعميم . وأفرد الأول بالذكر اهتماماً بشأنه .

ومن أمثله^(١) : « **إِنْ صَلَّاتِي وَنُسُكِي** » . والتسك العباداة فهو أعم .
« **آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ** » . « **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ**
« **وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ** » . « **فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ**
« **وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ** » .

وجعل منه الزمخشري^(٢) : « **وَمَنْ يَدَّبَّرَ الْأُمُورَ** » — بعد قوله : **قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ** .

النوع الحادي عشر — الإيضاح بعد الإبهام :

قال أهل البيان : إذا أردت أن تُبهم ثم توضح فإنك تطلب . وقائده
إما رؤية المعنى في صورتين مختلفتين : الإبهام ، والإيضاح ، أو ليتمكن المعنى
في النفس تمكناً زائداً لوقوعه بعد الطلب ؛ فإنه أعز من التساق بلا تمب ،
أو لتكمل لذة العلم به ؛ فإن الشيء إذا علم من وجه ما تشوقت النفس للعلم به
من باقى وجوهه ، وتأملت ؛ فإذا حصل العلم من بقية الوجوه كانت لذته أشد
من علمه من جميع وجوهه دفعة واحدة .

ومن أمثله^(٣) [١٦٠] : « **رَبِّ اشرحْ لِي صَدْرِي وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي** » .
فإن « اشرح » يفيد طلب شرح شيء ما له ، وصدري يفيد تفسيره وبيانه ؛

(١) الأعمام : ١٦٢ (٢) الحجر : ٨٧ (٣) نوح : ٢٨
(٤) الحجر : ٢١ (٥) يونس : ٢١ (٦) طه : ٢٥ ، ٢٦

وكذلك^(١) : « يَسِّرْ لِي أَمْرِي » . والمقام يقتضى التأكيد للإرسال المؤذن بتلقى الشدائد ، وكذلك^(٢) : « أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ » ؛ فإن المقام يقتضى التأكيد ؛ لأنه مقام امتنان وتقدير . وكذا^(٣) : « وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ » .

ومنه التفصيل بعد الإجمال ، نحو^(٤) : « إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ... » إلى قوله : « مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ » .

وعكسه ؛ كقوله^(٥) : « ثَلَاثَةٌ أَيَّامٌ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ » . أعيد ذكر العشرة لدفع توهم أن الواو في « وسبعة » بمعنى « أو » ف تكون الثلاثة داخلة فيها ، كما في قوله^(٦) : « خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ » ، ثم قال^(٧) : « وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَمْوَاجَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ » ؛ فإن من جعلها اليومين المذكورين أولاً ، وليست أربعة غيرها . وهذا أحسن الأجوبة في الآية ، وهو الذي أشار إليه الزمخشري ، ورجحه ابن عبدالسلام ، وجزم به الزمكاني في أسرار التنزيل ؛ قال : ونظيره^(٨) : « وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِمِائَةِ لَيْلَةٍ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً » — فإنه رافع لاحتمال أن تكون تلك العشرة من غير مواعدة .

قال ابن عسكر : وقائدة الوعد بثلاثين أولاً ثم بعشر ؛ ليتجدد له قرب انقضاء المواعدة ، ويكون فيه متاهياً ، مجتمع الراي ، حاضر الذهن ؛ لأنه لو وعد بالأربعين أولاً كانت متساوية ، فلما فصلت امتشert النفس قرب التمام ، وتجدد بذلك عزم لم يتقدم .

(١) طه : ٢٥	(٢) الشرح : ١	(٣) الحجر : ٦٦
(٤) التوبة : ٣٦	(٥) البقرة : ١٩٦	(٦) فصلت : ١
(٧) فصلت : ١٠	(٨) الأعراف : ١٤٢	

وقال الكرماني في العجائب : في قوله : « تلك عشرة كاملة » ثمانية أجوبة ؛
جوابان : - التفسير ، وجواب من اتقاه ، وجواب من النحو ، وجواب من اللغة ،
وجواب من المعنى ، وجوابان من الحساب ؛ وقد سُقت في أسرار التنزيل .

النوع الثاني عشر - التفسير :

قال أهل البيان : وهو أن يكون في الكلام لبس وخفاء ، فيأتي بما يزيله
ويفسره . ومن أمثله ^(١) : « إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا .
وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا » ، قوله : « إِذَا مَسَّهُ ... » الخ تفسير للهلع ، كما قال
أبو العالية وغيره . « الْقَيُّومُ » ^(٢) ، لا تأخذه سنةٌ ولا نومٌ - قال البيهقي
في شرح الأسماء الحسنى : قوله « لا تأخذه سنة ... » الخ تفسير للقَيُّومِ .
« ^(٣) يَسْأَلُكُمْ سِوَاءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ ... » الآية : فيذبحون وما بعده تفسير
للسوء . « ^(٤) إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ... »
الآية - فخلقه وما بعده تفسير للثل . « ^(٥) لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ
تَأْكُلُونَ أَلْبَهِمَ بِالْوَدَّةِ » . فتلقون ... الخ تفسير لاتخاذهم أولياء . « ^(٦) الصِّدْقُ
لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ » الآية . قال محمد بن كعب القرظي : « لم يلد ... » الخ
تفسير للصِّدْقِ .

وهو في القرآن كثير .

قال ابن جني : ومتى كانت الجملة تفسيراً لم يحسن الوقف على ما قبلها دونها ؛
لأن تفسير الشيء لاحق به وستم له ، وجار له مجرى بعض أجزائه .

(١) المارج : ١٩ - ٢١ (٢) البقرة : ٢٥٥ (٣) البقرة : ٢٩
(٤) و : إلتقان : قسيم . (٥) آل عمران : ٥٩ (٦) الممتحنة : ١
(٧) الإخلاص : ٣ ، ٢

النوع الثالث عشر - وضع الظاهر موضع المضر:

ورأيت فيه تاليفاً مفرداً لابن الصائغ ، وله فوائد :

منها : زيادة التقرير والتكثير ، نحو ^(١) : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . »
^(٢) « وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ . » ^(٣) « إِنْ اللَّهُ لَدُوٌّ فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ . » ^(٤) « لِيَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُوا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ . »

ومنها قصد التعظيم ، نحو ^(٥) : « وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ ، وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ عَالِمٌ . » ^(٦) « أَوَلَيْكَ حِزْبُ اللَّهِ إِلَّا إِنْ حِزَّبَ اللَّهُ هُمُ الْفَاحِشُونَ . » ^(٧) « وَقرآنَ الْعَجْزِ إِنْ قرآنَ الْعَجْزِ كَانَ مشهوداً . » ^(٨) « وَلِبَاسُ الْقُوَى ذَلِكَ خَيْرٌ . »

ومنها قصد الإهانة والتحقير ، نحو ^(٩) : « أَوَلَيْكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ إِلَّا إِنْ حِزَّبَ الشَّيْطَانُ هُمُ الْخَاسِرُونَ . » ^(١٠) « إِنْ الشَّيْطَانُ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ، إِنْ الشَّيْطَانُ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا . »

ومنها إزالة اللبس حيث يوم الضمير أنه غير [٦٠ ب] الأول ، نحو ^(١١) :
 « قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ . » لو قال تؤتیه أَوْهَمَ أنه الأول ؛
 قلته ابن الخطّاب : ^(١٢) « الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظُنَّ السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ . » ؛ لأنه
 لو قال : عليهم دائرته لأوهم أن الضمير عائد على الله . ^(١٣) « فبدأ بأوعيتهم قبل

(١) الإخلاص : ١ ، ٢ . (٢) الإسراء : ١٠٥ . (٣) عاقر : ٦١

(٤) آل عمران : ٧٨ . (٥) البقرة : ٢٨٢ . (٦) المجادلة : ٢٢

(٧) الإسراء : ٧٨ . (٨) الأعراف : ٢٦ . (٩) المجادلة : ١٩

(١٠) الإسراء : ٥٣ . (١١) آل عمران : ٢٦ . (١٢) المتع : ٦

(١٣) يوسف : ٢٦

وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه . لم يقل منه ؛ لئلا يتوهم عود الضمير إلى الأخ . فيصير كأنه مباشر يطلب خروجها ، وليس كذلك ؛ لما في الباصرة من الأذى الذي تاباه النفوس الآية ؛ فأعيد لفظ الظاهر ؛ لنفي هذا . ولم يقل من وعائه ؛ لئلا يتوهم عود الضمير إلى يوسف ؛ لأنه العائد إليه ضمير استخراجها .

ومنها قصد تربية المهابة وإدخال الروع على ضمير السامع بذكر الاسم المقتضى لذلك ؛ كما تقول : الخليفة أمير المؤمنين يأمر بكذا . ومنه ^(١) : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » . ^(٢) « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » .

ومنها قصد تقوية داعية الأمور ؛ ومنه ^(٣) : « فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين » .

ومنها تعظيم الأمر ، نحو ^(٤) : « أر لم يروا كيف يُبدىء الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير » . ^(٥) « قل سبروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » . ^(٦) « هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً . إنا خلقنا الإنسان » .

ومنها الاستلذاذ بذكره ، ومنه ^(٧) : « وأورثنا الأرض نقبوا من الجنة حيث نشاء » . ولم يقل منها ؛ وهذا عدل عن ذكر الأرض إلى الجنة .

(١) النساء : ٥٨ (٢) النحل : ٩٠ (٣) آل عمران : ١٥٩
(٤) الضحى : ١٩ (٥) النكبات : ٢٠ (٦) الإنسان : ١ ، ٢
(٧) الزمر : ٧٤

ومنها قصد التوصل بالظاهر إلى الوصف ؛ ومنه ^(١) : « فَأَمِينُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ
النَّبِيَّ الْأَمِيَّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ » بعد قوله ^(٢) : « إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ » ، ولم يقل :
فَأَمِينُوا بِاللَّهِ رَبِّي ، لِيَتِمَّ كُنَّ مِنْ إِجْرَاءِ الصِّفَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا ؛ لِيَعْلَمَ أَنَّ الَّذِي وَجِبَ
الْإِيمَانُ بِهِ وَالْإِتِّبَاعُ لَهُ هُوَ مَنْ وَصَفَ بِهِ الصِّفَاتِ ، وَلَوْ أَنِّي بِالضَّمِيرِ لَمْ يَتِمَّ ذَلِكَ
لَأَنَّهُ لَا يَوْصَفُ .

ومنها التنبيه على عبية الحكم ؛ نحو ^(٣) : « فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ
الَّذِي قِيلَ لَهُمْ » . « ^(٤) فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا » . « ^(٥) فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ
لِلْكَافِرِينَ » . ولم يقل لهم ؛ إعلاماً بأن مَنْ عَادَى هَؤُلَاءِ فَهُوَ كَافِرٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ
إِنَّمَا عَادَاهُ الْكَافِرُونَ ؛ « ^(٦) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ اقْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ
إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الْمُجْرِمُونَ » . « ^(٧) وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ » . « ^(٨) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا » .

ومنها قصد الصوم ؛ نحو ^(٩) : « وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَثْمَارَةٌ
بِالسُّوءِ » . ولم يقل إنها ؛ لئلا يَتَوَهَّمُ تَخْصِيسُ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ . « ^(١٠) أَوَلَيْكَ مِنَ
الْكَافِرِينَ حَقٌّ » . « ^(١١) وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا » .

ومنها قصد الخصوص ؛ نحو ^(١٢) : « وَامْرَأَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنَّهَا وهبت نفسها للنبي » —
لم يقل لك تصريحاً بأنه خاص به .

-
- | | | |
|-------------------|-------------------|-------------------|
| (١) الأعراف : ١٥٩ | (٢) الأعراف : ١٦٢ | (٣) البقرة : ٥٩ |
| (٤) البقرة : ٩٨ | (٥) يونس : ١٧ | (٦) الأعراف : ١٧٠ |
| (٧) الكهف : ٣٠ | (٨) يوسف : ٥٢ | (٩) النساء : ١٥٩ |
| (١٠) النساء : ٢٧ | (١١) الأحزاب : ٥ | |

ومنها الإشارة إلى عدم دخول الجملة الأولى ؛ نحو^(١) : « قَبْلَ يَشَاءُ اللَّهُ يُخَسِّمَ »
على قَبْلَ يَخَسِّمُ اللَّهُ الْبَاطِلَ . « قَبْلَ » ومع الله ، استئناف لا داخل في حكم
الشرط .

ومنها مراعاة الجنس ؛ ومنه^(٢) : « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ... » السورة ،
ذكره الشيخ عز الدين ، ومثله ابن الصائغ بقوله^(٣) : « خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ »
ثم قل : « عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » ، كلا إن الإنسان ليطغى ؛ فالمراد بالإنسان
الأول الجنس ، وبالتالي آدم ، أو من يعلم الكتابة ، أو إدريس ؛ وبالثالث
أبوجهل .

ومنها مراعاة الترتيب وتوازن الألفاظ في التركيب ، ذكره بعضهم في قوله^(٤) :
« أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى » .

ومنها أن يتحمل ضميراً لا بدمته ؛ ومنه^(٥) : « أَتَبَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَا
أَهْلَهَا » . لو قل استطعها لم يصح ؛ لأنها لم يستطعها القرية ، أو استطعها
فكذلك ؛ لأن جملة استطعها صفة لقرية التكررة لا لأهل ، فلا بد أن يكون فيها
ضمير يعود إليها ، ولا يمكن إلا مع التصريح بالظاهر ، كذا حرره السبكي في جواب
سأله الملاح الصفدي في ذلك ، قال الصفدي^(٦) :

أُسَيْدَنَا قَاضِي الْقَضَاةِ وَمَنْ إِذَا

بَدَأَ وَجْهَهُ اسْتَجَابَ لَهُ الْقُرْآنُ

[٦١] وَمَنْ كَفَّهُ يَوْمَ الْحَدَى وَيُدَادُهُ^(٧)

عَلَى طَرَسٍ بِحُرَّانٍ يَلْتَمِيَانِ

(٣) الطبق : ٢ ، ٥ ، ٦

(٦) الإتيان : ٣ - ٢١٩

(٢) الناس : ١

(٥) الكوف : ٢٧

(١) العموري : ٢٤

(٤) البقرة : ٢٨٢

(٧) في الألفاظ : ويراعه

وَمَنْ بِنَ دَجَّتْ فِي الشَّكَلَاتِ مَسَائِلَ
 جَلَامًا بِفِكْرٍ دَائِمٍ التَّمَعُّانِ
 رَأَيْتُ كِتَابَ اللَّهِ أَكْبَرَ مُعْجَزِ
 لِأَفْضَلِ مَنْ يَهْدَى بِهِ الثَّقَلَانِ
 وَمَنْ جَمَلَةُ الْإِعْجَازِ كَوْنُ اخْتِصَارِهِ
 بِإِيجَازِ الْقَاطِ وَبَسْطِ مَعَانِ
 وَلَكِنِّي فِي الْكَهْفِ أَبْصَرْتُ آيَةً
 بِهَا التَّفَكُّرُ فِي طَوْلِ الزَّمَانِ عَنَانِي
 وَمَا هِيَ إِلَّا اسْتَطْعَمًا أَهْلَهَا قَدْ
 نَرَى اسْتَطْعَمَهُمْ مِثْلَهُ بَيِّنَانِ
 فَا الْحِكْمَةُ الْغَرَّاءُ فِي وَضْعِ ظَاهِرِ
 مَكَانٍ ضَمِيرٍ إِنَّ ذَاكَ لِشَأْنِ
 فَأَرْشِدُ عَلَى عَادَاتِ فَضْلِكَ حَيَّرَنِي
 فَحَالِي بِهَا عِنْدَ الْبَيَانِ يَدَّانِ

تنبيه

إِعَادَةُ الظَّاهِرِ بِمَعْنَاهِ أَحْسَنَ مِنْ إِعَادَتِهِ بِقَفْظِهِ ، كَمَا مَرَّ فِي آيَةِ : «^(١) إِنْ
 لَا نُضِيعْ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا » . «^(٢) إِنْ لَا نُضِيعْ أَجْرَ الْمُصْحِحِينَ » .
 وَنَحْوَهَا .

(١) الْكَهْفُ : ٣٠

(٢) الْأَعْرَافُ : ١٧٠

ومنه : «^(١) ما يورث الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن يُنَزَّلَ عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء » .
فإن إنزال الخير مناسب للربوبية وأعادته بلفظ الله ، لأن تخصيص الناس بالخير دون غيرهم مناسب للالهية ؛ لأن دائرة الربوبية أوسع .

ومنه «^(٢) : « الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ... » إلى قوله :
« ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » . وإعادته في جملة أخرى أحسن منه في الجملة الواحدة لانفصالها ، وبعد الطول أحسن من الإضمار ؛ لتلا يبقى الذهن متشاعلاً بسبب ما يعود عليه فيقوته ما شرع فيه ، كقوله «^(٣) : « وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء » — بعد قوله : « وإذا قال إبراهيم لأبيه آزر » .

النوع الرابع عشر — الإيغال :

وهو الإمعان ، وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها . وزعم بعضهم أنه خاص بالشعر ؛ ورد بأنه وقع في القرآن ؛ من ذلك قوله «^(٤) : « يا قوم اتبعوا الرسلين ، اتبعوا من لا يألکم أجراً وهم مهتدون ... » . فقوله : بعده : « وهم مهتدون » إيغال ؛ لأنه يتم المعنى بدونها ؛ إذ الرسول مهتد لا محالة ، لكن فيه زيادة مبالغة في إلحاح على اتباع الرسل والترغيب فيه . وجعل ابن أبي الإصبع منه «^(٥) : « ولا تسيع العثم الدعاء إذا ولوا مديرين » ؛ فإن قوله : « إذا ولوا مديرين » زائد على المعنى ، مبالغة في عدم انتفاعهم .

(١) الأنعام : ٨٣

(٢) الأنعام : ١

(٣) البقرة : ١٠٥

(٤) يس : ٢١ ، ٢٢

(٥) يس : ٨٠ ، وانظر بدیع القرآن : ٩٩ ، وتحرير التجب : ٢٣٤

«^(١) وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا يَقُومُ يُوقِنُونَ » . فإن قوله : « يقوم يُوقِنُونَ » زائد على المعنى المدح المؤمنين ، والتعريض بالقبم لليهود ، وأنهم بعيدون عن الإيمان . «^(٢) إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ » . قوله : مثل ما ... الخ إيغال زائد على المعنى لتحقيق هذا الوعد ، وأنه واقع معلوم ضرورة لا يرتاب فيه أحد .

النوع الخامس عشر — التذييل :

وهو أن يؤتى بجملة عقب جملة ، والثانية تشمل على معنى الأولى ؛ لنا كيد منطوقه أو مفهومه ؛ ليظهر المعنى لمن لا يفهمه ، ويتقرر عند من فهمه ؛ نحو ^(٣) : « تِلْكَ جَزَاؤُنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهُمْ لَنْ يُجَازِيَ إِلَّا الْكَافِرُونَ » . «^(٤) وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا » . «^(٥) وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَ فَهُمْ الْخَالِدُونَ » . «^(٦) وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرِّ كُفْرِكُمْ وَلَا يُنَبِّتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ » .

النوع السادس عشر — الطرد والعكس :

قال الطيبي : وهو أن يأتى بكلامين يقرر الأول بمنطوقه مفهومه الثاني ، وبالعكس ؛ كقوله تعالى ^(٧) : « لِيَسْتَآذِرَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ... » إلى قوله : « ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم » ، فنطوق الأمر بالاستئذان في تلك الأوقات خاصة مقرر لمفهوم رفع الجناح فيما عداها ، وبالعكس . وكذا قوله ^(٨) : « لَا يَمْنُونُ اللَّهُ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ » .

(٣) سب : ١٧

(٦) طر : ١٤

(٢) القاريات : ٢٣

(٥) الأنبياء : ٣٤

(٨) التحريم : ٦

(١) المائدة : ٥٠

(٤) الإسراء : ٨١

(٧) النور : ٥٨

قلت : وهذا النوع يقابله في الإعجاز نوع الاحتباك .

• • •

النوع السابع عشر - التكميل :

ويسى بالاحتباس ، وهو أن يؤتى في كلام يوم خلاف التصود بما يدفع ذلك الوم ؛ نحو^(١) : « أَذِنتُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةً عَلَى الْكَافِرِينَ » ؛ فإنه لو اقتصر على أدلة لتوهم أنه اضغفهم ، فرفضه بقوله : « أَعِزَّةٌ » . ومثله^(٢) : « أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ » ، فإنه لو اقتصر على أشداء لتوهم أنه لعاظمهم . « تَخْرُجُ^(٣) بَيِّضَاءُ مِنْ غَيْرِ مُسَوِّءٍ » . « لَا^(٤) يَخْطُمَنَّكُمْ سَالِمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ » . قوله^(٥) : « وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ » - احتباس لئلا يتوهم نسبة الظلم إلى سليمان . ومثله^(٦) : « فَتَصِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ » . وكذا^(٧) : « قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ » . فالجمله الوسطى احتباس لئلا يتوهم أن التكذيب في نفس الأمر . قال في عروس الأفراح : فإن قلت : كل من ذلك أفاد معنى جديداً ، فلا يكون إطناباً .

قلت : هو إطناب لما قبله من حيث دفع توهم غيره ، وإن كان له معنى في نفسه .

• • •

النوع الثامن عشر - التميم :

وهو أن يؤتى في كلام لا يومهم غير المراد بفضله تنيد نكته ؛ كالمبالغة في قوله^(٧) : « وَيُطَاعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ » ، أى مع حب الطعام أى اشتهاه ؛

- | | | |
|------------------|----------------|-------------------|
| (١) المائدة : ٥٤ | (٢) الفتح : ٢٩ | (٣) النمل : ١٢ |
| (٤) النمل : ١٨ | (٥) الفتح : ٢٥ | (٦) المنافقون : ١ |
| (٧) الإنسان : ٨ | | |

فإن الإطعام حينئذ أكثر أجراً . ومثله ^(١) : « وآتى المال على حبه » . « ^(٢) ومن يعمل من الصالحات من ذا كبر أو أنثى وهو مؤمن » ، فتوله : « وهو مؤمن » تسميم في غاية الحسن .

• • •

النوع التاسع عشر — الاستقصاء :

وهو أن يتناول المتكلم معنى يستقصيه ، فيأتي بجميع عوارضه ولوازمه بعد أن يستقصى جميع أوصافه الذاتية ، بحيث لا ^(٣) يترك بعده فيه مقالا ؛ كتوله تعالى ^(٤) : « أيودُّ أحدٌكم أن تكون له جنةٌ من نخيل ... » الآية ؛ فإنه لو اقتصر على قوله : « جنة » لكان كافياً ، فلم يقف عند ذلك حتى قال في تفسيرها : « من نخيل وأعنان » ، فإن مصاب صاحبها بها أعظم ، ثم زاد : تجري من تحتها الأنهار — متصلاً بوصفها بذلك ، ثم قال وصفها بعد التسمين ، فقال : « له فيها من كل الثمرات » ، فأتى بكل ما يكون في الجنان ليشتد الأسف على إفساده . ثم قال في وصف صاحبها : وأصابه السكر ، ثم استقصى المعنى في ذلك بما يوجب تعظيم المصاب بقوله بعد وصفه بالسكر : « وله ذريةٌ ضففاء » . ولم يقف عند ذلك حتى وصف الذرية بالضعف ، ثم ذكر استئصال الجنة التي ليس لهذا المصاب غيرها بالهلاك في أسرع وقت ، حيث قال : « فأصابها إعصارٌ فيه نارٌ فاحترقت » . ولم يقتصر على ذكره للعلم بأنه لا يحصل به سرعةُ الهلاك ، فقال : « فيه نارٌ فاحترقت » . ثم لم يقف عند ذلك حتى أخبر باحتراقها ؛ لاحتمال أن تكون النار ضعيفة لا تنق باحتراقها لما فيها من الأنهار ورطوبة الأشجار ، فاحترس عن هذا الاحتمال بقوله : « فاحترقت » . فهذا أحسن استقصاء وقع في كلام وآمه وأكمله .

(١) البقرة : ١٧٧ (٢) النساء : ١٢٤

(٣) في الإطعام : بحيث لا يترك لمن يتناوله بعده ... (٤) البقرة : ٢٦٦

قال ابن أبي الإصبع^(١): والفرق بين الاستقصاء والتسميم والتكميل أن التسميم يرد على المعنى الناقص لئتم . والتكميل يرد على المعنى التام فيكمل أوصافه . والاستقصاء يرد على المعنى التام الكامل فيستقصى لوازمه وعوارضه وأسبابه وأوصافه حتى يستوعب جميع ما تقع الخواطر عليه فلا يبقى لأحد^(٢) فيه مساع .

• • •

النوع العشرون - الاعتراض :

وسماه قدامة^(٣) التفاتاً ؛ وهو الإتيان بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب أثناء كلام أو كلامين اتصالاً بمعنى لنسكتة غير رفع الإيهام ؛ كقوله^(٤) : « ويعملون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون » . وقوله : « سبحانه » اعتراض لتنزيه الله عن البنات والشناعة على فاءائها . وقوله تعالى^(٥) : « لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين » . فجملة الاستثناء اعتراض للتبرك .

ومن وقوعه بأكثر من^(٦) جملة : « فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين . نسأؤكم حرث لكم » . وقوله : « نسأؤكم » متصل بقوله : فأتوهن ؛ لأنه بيان له ، وما بينهما اعتراض للحث على الطهارة وتجنب الأدبار . وقوله^(٧) : « وقيل يا أرض ابلعي ماءك ... » إلى قوله : « وقيل بُعْداً للظالمين » - فيه اعتراض بثلاث جمل ؛ وهي « وغيض الماء » . « وقضى الأمر » . « واستوت على الجودي » .

(١) بدیع القرآن : ٢٥١

(٢) في بدیع القرآن : لأخذه مساع ، ولا لاستحقاله حال . وفي تحرير التوراة (٥٤٣) : بحيث لا يترك لأخذه مجالا لاستحقاله من هذه الجملة .

(٣) قد الشعر : ٥٣ (٤) النحل : ٥٧ (٥) الذبح : ٢٧

(٦) في ١ : من جليلين . (٧) البقرة : ٢٢٢ ، ٢٢٣ (٨) هود : ٤٤

قال في الأقصى التريب : ونكتته إفاضة أن هذا الأمر واقع بين القولين لا محالة ، ولو أتى به آخراً لكان الظاهر تأخيرهم ؛ فبتوسطه ظهر كونه غير متأخر^(١) ، ثم فيه اعتراض في اعتراض ؛ فإن : « وقضى الأمر » معترض بين ونقض ، واستوت ؛ لأن الاستواء يحصل بتب الغيظ . وقوله^(٢) : « ولَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ... » إلى قوله : « مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ » - فيه اعتراض بسبع جمل إذا أعرب حالاً منه .

ومن وقوع اعتراض في اعتراض^(٣) : « فلا أقسم بمواقع النجوم . وإنه لَقَسَمٌ لِّو تَلْمُذُونَ عَظِيمٌ . إنه لقرآن كريم » - اعتراض بين القسم وجوابه بقوله : « وإنه لقسم ... » الآية ؛ وبين القسم وصفته بقوله : « لو تعلمون » ؛ تعظيماً للقسم به ، وتحقيقاً لإجلاله ، وإعلاماً لهم بأن له عظمة لا يملكونها .

قال الطيبي في التبيان : ووجه حسن الاعتراض حسن الإفاضة مع مجيئه ما لا يُترقب ؛ فيكون كالحسنة تأتيك من حيث لا تحسب .

• • •

النوع الحادى والعشرون - التحليل :

وفائدته التقرير والأبغية ؛ فإن النفوس أبيت على قبول الأحكام المعللة من غيرها ؛ وغالب التحليل في القرآن على تقدير جواب سؤال اتفقت الجملة الأولى ، وحروفه : اللام ، والياء ، وأن ، وإذا ، والباء ، وكى ، ومن ، ولعل . وتأتى إن شاء الله في حروف المعجم .

ومما يقتضى التحليل لفظ الحكمة ؛ كقوله^(٤) : « حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ » . وذكر

(١) في به : متأخر . (٢) الرحمن : ٤٦ - ٥٤ (٣) الواقعة : ٧٥ - ٧٧

(٤) القمر : •

الغاية من الخلق ؛ نحو^(١) : « جل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً » .
«^(٢) ألم تمل الأرض ميهاً . والجبال أوتاداً » .

• • •

الوجه السابع والعشرون من وجوه الإعجاز

وقوع البدائع البليغة فيه

وقد أنهاها بعضهم إلى مائتي نوع .

وهو علم يُعرف به وجوه عين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة .
وقد أفرده بالتصنيف ابن أبي الإصبع^(٣) ، وقد قلنا منها في نوع القواعد —
والناسبات والقواتع والخواصم وفي الوجه الذي قبل هذا ما لا مزيد لذكره ،
ونذكر هنا بعضها لتطليع بذلك على أمرار هذا الكلام الذي أعجز عن قول
خوى الأفهام عن إدراك عجائبه التي لا تنقضي ؛ لأنه في أحسن نظام ، فإن أيقظ
المتكلم به أحد هذه الأمة الحميدة للنظر في هذا الكتاب فلا يغفل عن أجره
الدلال الموصل له هذه الذخائر التي يسجز عنها كثير من الطلاب — بالدعاء له
بمجاورة الموصل لنا هذا بعد الصلاة والسلام عليه وعلى جميع آل والأصحاب .
وإن لم يفتح الله له جملة — وهذا ظني لوصف الخلق بأوصاف البطالة^(٤) — فردده إلى
الله ورسوله ، ونسأله بمقامه العزيز من عرشه ، ومنتهى الرحمة من كتابه واسمه الأعظم

(١) البقرة : ٢٢ (٢) الباء : ٦ ، ٧

(٣) بديع القرآن لابن أبي الإصبع المصري الذي سنة ٦٥٤ ، طبع ١٩٥٧ . ونحوه

التجريد أيضاً طبع ١٩٦٣ .

(٤) البطالة : المعرة (القاموس) .

أن يحمله لنا جميع ما التفتا ورعاية وشفيكاً من جميع المكاره ديناً ودنياً ؛ لأنه ولي ذلك والقادر عليه .

رفن ألقاب علوم البديع :

[الإيهام]

الإيهام - ويدعى التورية : أن يذكر لفظ له معنيان ، إما بالاشتراك ، أو التواطؤ ، أو الحقيقة ، أو الجاز - أحدهما قريب والآخر بعيد ، ويُقصد البعيد ويُورى عنه بالقرب ، فيتوهم السامع في أول وهلة .

قال الزمخشري : لا ترى باباً في البيان أدق ولا أطف من التورية ، ولا أفع ولا أعون على تعاطي تأويل التشابهات في كلام الله ورسوله . قال : ومن أمثله ^(١) : « الرحمن على العرش استوى » ؛ فإن الاستواء على معنيين : الاستقرار في المكان - وهو المعنى القريب للورى به الذى هو غير مقصود لتزييه تعالى عنه . والثانى الاستيلاء والملك ؛ وهذا المعنى البعيد المقصود الذى ورى عنه بالقرب المذكور . انتهى .

وهذه التورية تسمى مجردة ؛ لأنها [٦٢ ب] لم يذكر فيها شيء من لوازم الورى ^(٢) به ولا للورى عنه .

ومنها ما تسمى مرشحة ، وهى التى ذكر فيها شيء من لوازم هذا أو هذا ؛ كقوله تعالى ^(٣) : « والسماء بآياتها » ، فإنه يحتمل الجارحة وهو الورى به ، وقد ذكر من لوازمه على جهة الترشيع البديان . ويحتمل القدرة والقوة ؛ وهو البعيد المقصود .

(١) طه : ٥ (٢) في ب : التورية . (٣) القاريات : ٤٧

وقال ابن أبي الإصبع في كتابه الإعجاز^(١) : ومنها^(٢) : « قالوا الله إلهك
 انى ضلالك القديم » . فالضلال يحتمل الحب وضد الهدى ؛ فاستعمله أولاد
 يعقوب ضد الهدى تورية عن الحب . «^(٣) فاليوم ننجيك ببديك » — على تفسيره
 بالدرع ، فإن البدن يطلق عليه وعلى الجسد ، والمراد البعيد وهو الجسد ؛ قل^(٤) :
 ومن ذلك قوله تعالى — بعد ذكر أهل الكتاب من اليهود والنصارى حيث قال^(٥) :
 « ولئن آتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت
 بتابع قبلتهم » .

ولما كان الخطاب لموسى من الجانب الغربى ، وتوجهت إليه اليهود ،
 وتوجهت النصارى إلى المشرق كانت قبلة الإسلام وسطاً بين القبلتين ؛ قال
 تعالى^(٦) : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً » ؛ أى خياراً ، فظاهر اللفظ يوم
 التوسط مع ما يعضده من توسط قبلة المسلمين — صدق على لفظة « وسط » ها هنا
 أن يسمي تعالى به احتمالها المعنيين . ولما كان المراد أبعدهما — وهو الخيار —
 صلحت أن تكون من أمثلة التورية .

قلت : وهى مرشحة بلازم المورى عنه ، وهو قوله : « اتمكونوا شهداء
 على الناس » ؛ فإنه من لوازم كونهم خياراً ؛ أى عدولاً ، والإتيان قبله من قسم
 المجردة .

ومن ذلك قوله^(٧) : « والنجم والشجر يسجدان » ؛ فإن النجم يطلق
 على الكوكب ، ويرشحه له ذكر الشمس والقمر ، وعلى ما لاساق له من النبات ،
 وهو المعنى البعيد له وهو المتصود فى الآية .

(١) هنا بالأسول ، والنص الآتى فى كتابه بديع القرآن : ١٠٢

(٢) يوسف : ٩٥ (٣) يونس : ٩٢ (٤) البقرة : ١٤٥

(٥) البقرة : ١٢٣ (٦) الرحمن : ٦

وقلتُ من خط شيخ الإسلام ابن حجر أن التورية في القرآن قوله تعالى^(١) :
 « وما أرسلناك إلا كافة للناس » ؛ فإن كافة بمعنى مائع ؛ أى يكفهم عن الكفر
 والمعصية والماء للبيان ، وهذا معنى بعيد ، والمعنى القريب المتبادر أن المراد جامعة ؛
 أى جميعاً ، لكن منع من حمله على ذلك أن التأكيدي تراخى عن التوكيد ، فكما
 لا تقول رأيت جميعاً الناس لا تقول رأيت كافة الناس .

[الاستخدام]

ومنها الاستخدام ، وهو والتورية أشرف أنواع البديع ، وهما سيان ؛ بل فضله
 بعضهم عليها ، وله فيه عبارتان :

إحداها - أن يؤتى بلفظ له معنيان فأكثر مراداً به أحد معانيه ، ثم يؤتى
 بضميره مراداً به المعنى الآخر ، وهذه طريقة السكاكي وأتباعه .

والأخرى أن يؤتى بلفظ مشترك ثم يلفظان يفهم من أحدهما أحد المعنيين ،
 ومن الآخر الآخر ؛ وهذه طريقة بدر الدين بن مالك في المصباح ، ومشى عليه
 ابن أبي الإصبع^(٢) ؛ ومثل له بقوله تعالى^(٣) : « لكل أجل كتاب ... »
 الآية ؛ فلفظ كتاب يحتمل الأمد المحتوم والكتاب المكتوب ، فلفظ « أجل » يخدم
 المعنى الأول ، « ويمحو » يخدم المعنى الثانى .

ومثل غيره بقوله تعالى^(٤) : « لا تفرّجوا الصلاة وأنتم سُكَّارى ... »
 الآية . فالصلاة يحتمل أن يراد بها فعلها وموضعها . وقوله تعالى^(٥) : « حتى
 تعلموا ما تقولون » ، يخدم الأولى ، و«^(٦) إلا عابري سبل » يخدم الثانى .

(١) مآ : ٢٨ (٢) بدع القرآن : ١٠٤ (٣) الرعد : ٢٨
 (٤) النساء : ٤٣

قلت : ولم يتم في القرآن على طريقة السكاكي .

قلت : وقد استخرجتُ بفكرى آيات على طريقته :

منها قوله ^(١) : « أَتَى أَمْرُ اللَّهِ » ؛ فأمر الله يُراد به قيام الساعة والعذاب وبعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد أريد بلفظه الأخير ، كما أخرج ابن مردويه من طريق الضحاك عن ابن عباس في قوله : « أَتَى أَمْرُ اللَّهِ » - قال محمد : وأعيد الضمير عليه في « تستعجلوه » مُراداً به قيام الساعة والعذاب .

ومنها - وقد أريد بلفظه أظهرها ^(٢) - قوله تعالى ^(٣) : « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ » ؛ فإن المراد به آدم ، ثم أعيد الضمير عليه مراداً به ولده ، يقال : « ثم جئناه نُطْقَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ » .

ومنها قوله تعالى ^(٤) : « لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدِّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ » ، ثم قال ^(٥) : « قَدْ سَأَلْنَا قَوْمَ مِنْ قَبْلِكُمْ » ؛ أى أشياء أخر ؛ لأن الأولين لم يسألوا عن الأشياء التي ^(٦) سألوا [١٦٣] عنها ، فنسألهم عن سؤالها .

[الالتفات]

ومنها الالتفات ، وهو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر ، أعني من التكلم أو الخطاب أو التمية إلى آخر منها بعد التعبير بالأول ؛ هذا هو المشهور .

وقل السكاكي : إما ذلك أو التعبير بأحدهما فيما حقه التعبير بغيره .

وله فوائد ، منها : نظرية الكلام ، وصيانة السمع عن الضجور والملل ؛

(١) النحل : ١ (٢) في الإتيان : وهي أظهرها .

(٣) المؤمنون : ١٣ ، ١٤ (٤) المائدة : ١٠١ ، ١٠٢

(٥) و الإتيان : التي سألهما الصحابة .

لَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ النفوس من حب التفلات ، والسامة من الاستمرار على منوال واحد . هذه فائدة العامة .

ومختص كل موضع بشكك ولطائف باختلاف محله كما سنينه .

مثاله من التكلم إلى الخطاب ؛ ووجه حث السامع وبعثه على الاستماع حيث أقبل التكلم عليه ، وأعطاه فضل غاية وتخصيص بالواجبة - قوله تعالى (١) : « وما لي لا أعبدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » . الأصل : وإليه أرجع . فالفت من التكلم إلى الخطاب . ونسكت أنه أخرج الكلام في موضع مناصحته لنفسه ، وهو يريد نصح قومه تالفاً وإعلاماً أنه يريد لهم ما يريد لنفسه ؛ ثم الفت لكونهم في مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله ، كذا جعلوا هذه الآية من الالتفات ؛ وفيه نظر ؛ لأنه إنما يكون منه إذا قصد الإخبار عن نفسه في كلا الجملتين ؛ وهذا ليس كذلك ؛ لجواز أن يريد بقوله : « وإليه ترجعون » مخاطبين لا نفسه .

وأجيب بأنه لو كان المراد ذلك لما صح الاستفهام الإنكارى ؛ لأن رجوع العبد إلى مولاه ليس بمستلزم أن يعيده غير ذلك الرجوع ؛ فالعنى كيف لا أعبد من إليه رجوعى ، وإنما عدل عن « وإليه أرجع » إلى : « وإليه ترجعون » ؛ لأنه داخل فيهم ، ومع ذلك أفاد فائدة حسنة ؛ وهى تنبيههم على أنه مثلهم في وجوب عبادة من إليه الرجوع .

ومن أمثله أيضاً قوله (٢) : « وَأْمِرْنَا لِلْمُسْلِمِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ » .

ومثله من التكلم إلى الغيبة - ووجهه أن يفهم السامع أن هذا مَعَالِ التَّكَلُّمِ وقصدُه من السامع حضر أو غلب، وأنه في كلامه ليس ممن يتلون ويتوجه ويبدى في الغيبة خلاف ما يبدى في الحضور - قوله تعالى^(١) : « إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا . لِيَفْقَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ » . والأصل ليفقر لك .
 «^(٢) إِنَّا . أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ » : والأصل لنا . «^(٣) أَمْرًا مِنْ عِنْدَنَا إِنَّا كُنَّا مُؤْسِبِينَ . رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ » . والأصل منا . «^(٤) إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكَ » إلى قوله : « فَأَمِينُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ » . والأصل وبى ؛ وعدل عنه كنكتين : إحداهما دفعُ التهمة عن نفسه بالصيغة لها . والأخرى تنبيههم على استحقاقه الاتباع بما اتصف به من الصفات المذكورة في الخصائص المتلوة .

ومثاله من الخطاب إلى التكلم لم يقع في القرآن ؛ ومثله بعضهم بقوله^(٥) : « فاقض ما أنت قاض » . ثم قال : « إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا » . وهذا المثال لا يصح ؛ لأن شرط الالتفات أن يكون المراد به واحداً .

ومثاله من الخطاب إلى الغيبة^(٦) : « حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَّتْ بِكُمْ بَرِّيْضٌ » . والأصل بكم ؛ ونكتة المدول عن خطابهم إلى حكاية حالهم اغيرم التعجب من كفرهم وفصلهم ؛ إذ لو استمر على خطابهم لقامت تلك القائدة . وقيل : لأن الخطاب أولاً كان مع الناس مؤمنهم وكافرهم ، بدليل^(٧) : « هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ » ؛ فلو كان : وجَرَّتْ بِكُمْ لزم القوم للجميع ، فالفت عن الأول للإشارة إلى اختصاصه بهؤلاء الذين شأنهم ما ذكره عنهم في آخر الآية عدولاً من الخطاب العام إلى الخطاب الخاص .

(١) التفتح : ٢ ، ١ (٢) الكوثر : ٢ ، ١ (٣) الفخار : ٥
 (٤) الأعراف : ١٥٨ (٥) طه : ٧٢ ، ٧٣ (٦) يونس : ٢٢

قلت : ورأيتُ عن بعض السلف في توجيهه عكسَ ذلك ؛ وهو أن الخطاب أوله خاص وآخره عام ؛ فأخرج ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه قال في قوله : « حتى إذا كنستم في القللك وجريئ بهم » - قال : ذكر الحديث عنهم ، ثم حدث عن غيرهم ؛ ولم يقل : « وجريئ بكم » ؛ لأنه قصد أن يجمعهم وغيرهم وجريئ بهؤلاء وغيرهم من الخلق ، هذه عبارته . فله درُ السلف ، ما كان أوقعهم ^(١) على المعاني المطيعة التي يدأب المتأخرون فيها زماناً طويلاً ، ويقتنون فيها أعمارهم ، ثم غايتهم أن يحوموا حول الحمى .

ومما ذكر في توجيههم ^(٢) أيضاً أنهم وقت الركوب [٦٣ ب] حضروا لأنهم خافوا الهلاك وغلبة الريح ، فحاطبهم خطاب الحاضرين ، ثم لما جرت الرياح بما تشهى السفن ، وأمنوا الهلاك ، لم يبق حضورهم كما كان ، على عادة الإنسان أنه إذا أمن غاب قلبه عن ربه ، فلما غابوا ذكرهم الله بصيغة الغيبة ، وهذه إشارة صوفية .

ومن أمثله أيضاً ^(٣) : « وما آتيتم من رباً ليؤبوا في أموال الناس فلا يؤبوا عند الله . وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المصدقون » . « ^(٤) وكره إليكم الكفرَ والفسوقَ والعصيانَ أولئك هم الراشدون » . « ^(٥) ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون . يُطاف عليهم » . والأصل عليكم ، ثم قال : « وأنتم فيها خالدون » ، فكرر الالتفات .

ومثاله من الغيبة إلى التكلم ^(٦) : « الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً

(١) في الإتيان : أوقعهم .

(٢) في الإتيان : في توجيهه ...

(٣) الروم : ٣٩ (٤) المحرات : ٧ (٥) الزخرف : ٧٠ ، ٧١

(٦) الروم : ٤٨

فُسُقْنَاهُ . » (١) وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنًا . » (٢) سُبْحَانَ الَّذِي
أَمْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا ... » إلى قوله : « بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا » . ثم التفت
ثانيا إلى القبية فقال : « إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » . وعلى قراءة الحسن ليريه —
بالقبية يكون التغاثا ثانيا من « بَارَكْنَا » ، وفي آياتنا التغات ثالث ، وفي إنه التغات
رابع . قال الزمخشري : فائدته (٣) في هذه الآيات وأمثالها التنبيه على التخصيص
بالقدرة ، وأنه لا يدخل تحت قدرة أحد .

ومثاله من القبية إلى الخطاب (٤) : « وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا . لَقَدْ جِئْتُمْ
شَيْئًا إِدًّا » . » (٥) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَنَّامٍ
فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نَمُكِّنْ لَهُمْ . » (٦) وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا . إِنَّ هَذَا
كَانَ لَكُمْ جَزَاءً . » (٧) إِنَّ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ
الْمُؤْمِنِينَ . »

ومن محاسنه ما وقع في سورة الفاتحة ؛ فَبِئْسَ الْعَبْدُ إذا ذكر الله تعالى وحده ،
ثم ذكر صفاته التي كل صفة منها تبعث على شدة الإقبال ؛ وآخرها : « مَالِكِ
يَوْمَ الدِّينِ » ، الفيد أنه مالك للأمر كله في يوم الجزاء — يحمد من نفسه حاملا
لا يتدر على دفعه على خطاب من هذه صفاته بتخصيصه بفاية الخضوع والامتعانة
في المهمات .

وقيل : إنما اختير لفظ القبية للحمد ، وللعبادة الخطاب ؛ للإشارة إلى أن الحمد
دون العبادة في الرتبة ؛ لأنك تحمد نظيرك ولا تعبد . فاستعمل لفظ الحمد مع القبية

(١) فصلت : ١٢ (٢) الإسراء : ١ (٣) في الإتيان : وطائفة .

(٤) مريم : ٨٨ ، ٨٩ (٥) الأنعام : ٦ (٦) الإنسان : ٢١ ، ٢٢

(٧) الأحزاب : ٥٠

ولفظ العبادة مع الخطاب ؛ لينسب إلى العظيم حال مخاطبة والمواجهة ما هو أعلى رتبة ؛ وذلك على طريق التأديب . وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة ؛ فقال : « الذين أنعمت عليهم » ، مصرحاً بذكر المنعم وإستناد الإنعام إليه لفظاً ، ولم يقل صراط المنعم عليهم . فلما صلا إلى ذكر الغضب زوى عنه لفظه ، فلم ينسبه إليه لفظاً ، وجاء باللفظ منحرفاً عن ذكر الناصب ، فلم يقل : غير الذين غضبت عليهم ؛ نادياً^(١) عن نسبة الغضب إليه في اللفظ حال المواجهة .

وقيل : إنه لما ذكر للمتيق بالحمد ، وأجرى عليه الصفات العظيمة من كونه رب العالمين ، ورحمناً ورحيماً ، ومالكاً ليوم الدين — تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن ، حقيق بأن يكون معبوداً دون غيره ، مستحسناً به ، فخُوطب بذلك لتمييزه بالصفات المذكورة ؛ تعظيماً لشأنه ، حتى كأنه قيل : إياك يا مَنْ هذه صفاته تُخص بالعبادة والاستعانة ، لا غيرك .

قيل : ومن لطائف التنبيه على أن مبتدأ الخلق القية منهم عنه سبحانه ، وقصورهم عن محاضرتة ومخاطبته ، وقيام حجاب العظمة عليهم ، فإذا عرفوه بما هو له وتوسلوا للقرب بالثناء عليه ، وأقروا بالحمد له ، وسجدوا له بما يليق بهم — تأملوا مخاطبته ومناجاته ، قالوا : إياك نبد وإياك نستعين .

تنبيهات

الأول : شرط الالتفات أن يكون الضمير في المنقلب إليه عائداً في نفس الأمر إلى المنقلب عنه ، وإلا يلزم عليه أن يكون في : أنت صديق — التفت .

(١) في الإعراب : نادياً .

الثاني: شرطه أيضا أن يكون في جملتين، صرح به صاحبُ الكشف وغيره .

الثالث: ذكر التوخي في الأقصى القريب ، وابن الأثير وغيرهما ، نوعا غريبا من الالتفات ؛ وهو بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله أو تكلمه ، كقوله: « غير المغضوب عليهم » بعد « أنعمت » ؛ فإن المعنى غير الذين غضبت عليهم . وتوقف فيه صاحب عروس الأفراح .

الرابع : قال ابن أبي الإصبع^(١) : جاء في القرآن من الالتفات قسم غريب جدا لم أظفر في الشعر بمثاله ؛ وهو أن يقدم التكلم في كلامه مذكورين مرتين ، ثم يخبر عن الأول منهما ، وينصرف عن الإخبار عنه إلى الإخبار عن الثاني ، ثم يعود^(٢) إلى الإخبار عن الأول ، كقوله^(٣) : « إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ . وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ » . انصرف عن الإخبار عن الإنسان إلى الإخبار عن ربه تعالى ؛ ثم قال منصرفا عن الإخبار عن ربه إلى الإخبار عن نفسه^(٤) : « وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ » .

قل : وهذا يحسن أن يسمى الالتفات الضمير .

الخامس : يقرب من الالتفات تَلُّ الكلام من خطاب الواحد أو الاثنين أو الجمع إلى الخطاب الآخر ، ذكره التوخي وابن الأثير ؛ وهو ستة أقسام أيضا : مثاله من الواحد إلى الاثنين^(٥) : « قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتْلُوَ عَلَيْمَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ » .

(١) بديع القرآن : ٤٥

(٢) و بديع القرآن : ثم يعود فيصرف عن الإخبار عن الثاني إلى الإخبار عن الأول .

(٣) الماديات : ٦ ، ٧ (٤) في الإتيان ، والبصيح : عن الإنسان .

(٥) الماديات : ٨ (٦) يونس : ٧٨

والى الجمع^(١) : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ » .

ومن الاثنين إلى الواحد^(٢) : « فَمَنْ رُبِّكُمَا يَا مُوسَى » . «^(٣) فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنْ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى » .

والى الجمع^(٤) : « وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ يُبُونَا وَاجْعَلُوا يِوَدَكُم قَبِيلَةً » .

ومن الجمع إلى الواحد : « وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ » .

والى الاثنين^(٥) : « يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا ... » إلى قوله : « فَبَأَى آلَاءِ رَبِّكَ أَنْ تُكَذِّبُوا » .



السادس : ويقرب منه أيضاً - الالتفات^(٦) من الماضى أو المضارع أو الأمر إلى آخر :

مثاله من الماضى إلى المضارع^(٧) : « أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثَبِيرَ سَحَابًا » . «^(٨) خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَلَطَ بِهِ الطُّيُورُ » . «^(٩) إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ » .

والى الأمر^(١٠) : « قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ » . «^(١١) وَأَحْبَبْتُ لَكُمْ الْإِنْعَامَ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرُّجُسَ » .

(١) الطلاق : ١	(٢) طه : ٤٩	(٣) طه : ١١٧
(٤) يونس : ٨٧	(٥) الرحمن : ٢٤ ، ٢٥	(٦) فى الإتيان : لا يزل .
(٧) طاهر : ٩	(٨) الحج : ٢١	(٩) الحج : ٢٥
(١٠) الأعراف : ٢٩	(١١) الحج : ٢٠	

ومن المضارع إلى الماضي ^(١) : « وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ نَفْعٌ » .
 « ^(٢) وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ » .
 وإلى الأمر ^(٣) : « قُلْ إِيَّيْ أَنْسِدُ اللَّهُ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ » .
 ومن الأمر إلى الماضي ^(٤) : « وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا » .
 وإلى المضارع ^(٥) : « وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوا ، وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ » .

الإطراد

وهو أن يذكر المتكلم أسماء آباء المدح مرتبة على حكم ترتيبها في الولادة ؛
 قال ابن أبي الإصبع ^(١) : ومنه في القرآن قوله تعالى - حكاية عن يوسف ^(٢) :
 « وَاتَّبَعْتُ مِثْلَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ » - قال : وإنما لم يأت به
 على الترتيب المألوف ، فإن العادة الابتداء بالأب ثم بالجد ثم الجد الأعلى ؛ لأنه لم
 يُرد هنا مجرد ذكر الآباء ، وإنما ذكرهم ليذكر منهم من اتبعها ؛ فبدأ بصاحب
 الملة ، ثم بمن أخذها عنه أولاً فأولاً على الترتيب .

ومثله قول أولاد يعقوب ^(٣) : « نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ آبَاؤُنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
 وَإِسْحَاقَ » .

(١) سبل : ٨٧	(٢) الكهف : ٤٧	(٣) هود : ٥٤
(٤) البقرة : ١٢٥	(٥) الأنعام : ٧٢	(٦) بديع القرآن : ١٤١
(٧) يوسف : ٣٨	(٨) البقرة : ١٢٣	

الانسجام

هو أن يكون الكلام لخلوة عن العقدة^(١) متحدراً كتحدُّر الماء النسيج ، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقّة . والقرآن كله كذلك .

قال أهل البديع : وإذا قوى^(٢) الانسجام في النثر جاءت قراءته موزونة بلا قصد ؛ لقوة انسجامه . ومن ذلك ما وقع في القرآن موزوناً ، فنه من بحر الطويل^(٣) : « فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ » .

ومن المديد^(٤) : « وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا » .

ومن البسيط^(٥) : « فَأَصْبَحُوا لَا يَرَى إِلَّا مَسَاكِينَهُمْ » .

ومن الوافر^(٦) : « وَيُخْرِجُهُمْ وَيُنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ ، وَيَشْفِي صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ » .

ومن الكامل^(٧) : « وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » .

ومن المزج^(٨) : « فَأَلْقَوْهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيْرًا » .

ومن الرجز^(٩) : « وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَطْوْفُهَا تَذَلِيلًا » .

ومن الرمل^(١٠) : « وَجِفَانِ كَالْجَوَابِ ، وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ » .

(١) في القاموس : عقد ، ككف ، وجبل : ما تنفذ من الرمل ونراكم ، واحدها بهاء .

(٢) في ب : قرأ ... لراءته . (٣) الكهف : ٢٩

(٤) هود : ٣٧ (٥) الأحقاف : ٢٥ (٦) التوبة : ١٤

(٧) البقرة : ٢١٣ (٨) يوسف : ٩٣ (٩) الأنعام : ١٤

(١٠) سبأ : ١٣

- ومن السريع^(١) : « أو كالذي مرَّ على قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا » .
 ومن للتسريح^(٢) : « إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ » .
 ومن الخفيف^(٣) : « لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا » .
 ومن المضارع^(٤) : « يَوْمَ النَّادِ . يَوْمَ تُؤْثَرُونَ مَذِيرِينَ » .
 ومن المقتضب^(٥) : « فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ » .
 ومن المجتث^(٦) : « نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » .
 ومن المتقلب^(٧) : « وَأُفْلِحَ لَهُمْ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ » .

الإدماج

قال ابن أبي الإصبع^(٨) : هو أن يدمج التكلم غرضاً في غرض ، أو بديعاً في بديع ، بحيث لا يظهر في الكلام إلا أحد الفرضين أو أحد البديعين ؛ كقوله^(٩) : « وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ » . أدبجت المطابقة في المبالغة ؛ لأنَّ اغتراده تعالى بالحمد في الآخرة — وهي الوقت الذي لا يُحمد فيه سواه — مبالغة في الوصف بالافراد بالحمد ، وهو وإنَّ خرج مخرج المبالغة في الظاهر فالأمر فيه حقيقة في الباطن ؛ فإنه ربُّ الحمد والمفرد به في الدارين . انتهى .

قلت : والأولى في هذه أن يقال : إن الآية من إدماج غرض في غرض ؛ فإنَّ الغرض منها تفرُّده تعالى بوصف الحمد ، فأدمج فيه الإشارة إلى البعث والجزاء .

(١) البقرة : ٢٥٩	(٢) الإنسان : ٢	(٣) النساء : ٧٨
(٤) غافر : ٢٢ ، ٢٣	(٥) البقرة : ١٠	(٦) الحجر : ٤٩
(٧) الأعراف : ١٨٣	(٨) بديع القرآن : ١٧٢	(٩) القصص : ٧٠

الاقتنان

هو الإتيان في كلام بفنّين مختلفين ؛ كالجمع بين القصر والتعزية في قوله^(١) :
« كلُّ من عليها فإن ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ » ؛ فإنه تعالى عزّى
جميع المخلوقات من الإنس والجن والملائكة وسائر أصناف ما هو قابل للحياة ،
وتمنّح بالبقاء بعد فناء الموجودات في عشر لفظات ، مع وصفه تعالى ذاته واقراده
بالبقاء بالجلال والإكرام سبحانه .

ومنه^(٢) : « ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ... الآية » ، جمع فيها بين هنا وعزاء .

الاقتدار

هو أن يبرز المتكلم المعنى الواحد في عدة صور ؛ اقتداراً منه على نظم
الكلام وتركيبه ، وعلى صياغة قوالب المعاني والأغراض ؛ فتارة يأتي به في لفظ
الاستمارة ، وتارة في صورة الإرداف ، وحيناً في مخرج الإيجاز ، ومرة في قالب
الحقيقة .

قال ابن أبي الإصبع^(٣) : وعلى هذا أتت جميع قصص القرآن ؛ فإليك ترى
القصة الواحدة التي لا تختلف معانيها تأتي في صور مختلفة وقوالب من الألفاظ
متعددة ، حتى لا تكاد تشبه في موضعين منه ، ولا بد أن تجد الفرق بين
صورها ظاهراً .

(٢) مريم : ٧٢

(١) الرحمن : ٢٦ ، ٢٧

(٣) بهج القرآن : ٢٨٩

امتناف اللفظ مع اللفظ وامتلافه مع المعنى

الأول : أن تكون الألفاظ يلائم بعضها بعضاً ، بأن يقرن الغريب بمثله ، والمتداول بمثله ، رعاية الفاصلة لحسن الجوار والمناسبة .

والثاني : أن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد ؛ فإن كان لفظاً كانت ألفاظه فحمة ، أو جزلاً فجزلة ، أو غريباً فغريبة ، أو متداولة فتداولة ، أو متوسطاً بين الغرابة والاستعمال فكذلك .

فالأول كقوله تعالى^(١) : « تَاللّٰهِ تَفْتَأُ تَذَكَّرُ يَوْسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا » . أتى بأغرب الألفاظ القسم وهي التاء ، فإنها أقل استعمالاً ، وأبعد من أفهام العامة بالنسبة إلى الباء والواو ؛ وبأغرب صيغ الأفعال التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار ، فإن « تَزَالُ » أقرب إلى الأفهام ، وأكثر استعمالاً منها ؛ وبأغرب أفعال الملاك وهو الحرَضُ ، فاقضى حسنُ الوضع في النظم أن تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها في الغرابة توخياً لحسن الجوار ورغبة في امتناف المعاني بالألفاظ^(٢) ، ولتبادل الألفاظ في الوضع ، وتناسب في النظم .

ولما أراد غير ذلك قال^(٣) : « وَأَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ » . فأتى بجميع الألفاظ متداولة لا غرابة فيها .

ومن الثاني قوله تعالى^(٤) : « وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ » . لما كان الركون إلى الظالم ؛ وهو الميل إليه ، والاعتماد عليه ، دين مشاركته في الظلم^(٥) . وجب أن يكون العقاب عليه دون العقاب على الظالم ، فأتى بالأس الذي هو دون الإحراق والاصطلام .

(١) يوسف : ٨٥ (٢) ن ب : وكذلك بالألفاظ .

(٣) الأنعام : ١٠٩ (٤) هود : ١١٢ (٥) في الإمتان : على قسط .

وقوله^(١) : « لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ » . أتى بلفظ الاكتاب المشير بالكلفة والمبالغة في جانب السيئة لتقلها .

وكذا قوله^(٢) : « فَكُتِبَ عَلَيْكُمُ الْمُنَافِقَةُ » . فإنه أبلغ من كتبوا للإشارة إلي أنهم يكون كبا عنيقا فظيما .^(٣) وهم يَصْطَرِّخُونَ فيها ؛ فإنه أبلغ من يصرخون للإشارة إلي أنهم يصرخون صراخا منكرا خارجا عن الحد المعتاد .^(٤) « اخْذْ عَزِيزَ مُقْتَدِرٍ » . فإنه أبلغ من قادر ؛ للإشارة إلي زيادة التمكن في القدرة ، وأنه لا راد له ولا معقب . ومثل ذلك : « وَاصْطَبِرْ » فإنه أبلغ من اصبر . و « الرحمن » أبلغ من الرحيم ؛ فإنه مشر باللفظ والرفق ؛ كما أن الرحمن مشر بالرخامة والعظمة .

ومنه الفرق بين سقى وأسقى ؛ فإن سقى لما لا كلفة معه في السقيا ؛ ولما أوردته تعالى في شراب الجنة ، فقال^(٥) : « وَسَقَّاهُمْ مِنْهُمُ شَرَابًا طَهُورًا » . وأسقى لما فيه كلفة ؛ ولهذا أوردته تعالى في شراب أهل الدنيا ، فقال^(٦) : « وَأَسْقِينَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا » . «^(٧) لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا » . لأن السقى في الدنيا لا يخلو من كلفة أبدا .

الاستدراك والاستثناء

شرط كونهما من البديع أن يتضمنا ضربا من المحاسن زائدا على ما يدل عليه المعنى اللغوي ؛ مثال الاستدراك قوله تعالى^(٨) : « قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ

(١) البقرة : ٢٨٦	(٢) الشعراء : ٩٤	(٣) طه : ٢٧
(٤) القمر : ٤٢	(٥) مريم : ٩٥	(٦) الإنسان : ٢١
(٧) المرسلات : ٢٢	(٨) البين : ١٦	(٩) الحجرات : ١٤

تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا . فإنه لو اقتصر على قوله : « لم تُؤْمِنُوا » لكان منفراً لهم ؛ لأهم ظنوا الإقرار بالشهادتين من غير اعتقاد إيماناً ، فأوجبت البلاغة ذكر الاستدراك ؛ ليعلم أن الإيمان موافقة القلب اللسان ، وإن انفرد اللسان بذلك يسمى إسلاماً ، ولا يسمى إيماناً . وزاد ذلك أيضاً بقوله ^(١) : « ولَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ » . فلما تضمن الاستدراك إيضاح ما عليه ظاهر الكلام من الإشكال عُدَّ من المحسن .

ومثال الاستثناء ^(٢) : « قَلْبَتْ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا » ؛ فإن الإخبار عن هذه المدة بهذه الصيغة يمهّد عذر نوح في دعائه على قومه بدعوق أهلكتهم عن آخرهم ؛ إذ لو قيل : قلبت فيهم تسعمائة وخمسين عاماً لم يكن فيه من التهويل ما في الأول ؛ لأن لفظة الألف في الأول أول ما يطرق السمع فيشتغل بها عن سماع بقية الكلام . وإذا جاء الاستثناء لم يبق له بعد ما تقدمه وقع يزِيل ما حصل عنده من ذكر الألف .

الاقتصاص

ذكره ابن فارس ^(٣) : وهو أن يكون كلام في سورة مقتصاً من كلام في سورة أخرى أو تلك السورة ؛ كقوله تعالى ^(٤) : « وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ أَمِينٌ الصَّالِحِينَ » . والآخرة دار ثواب لا عمل فيها ؛ فهذا مقتص

(١) المجرات : ١٤ (٢) النكبات : ١٤

(٣) السجى : ٢٠١ ، وقد سماه ابن فارس الاقتصاص ، وكذلك سمي في الإنشائي (٤) . ونياً لك في المرجين السابقين جاء التعبير منه في الشرح الآتي : مقتصاً ، ومقتص في العبارة الآية .

(٤) النكبات : ١٤

من قوله ^(١) : « وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ
الْمُعَلَّاةُ » .

ومنه ^(٢) : « وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْخَاسِرِينَ » - مأخوذ
من قوله ^(٣) : « فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ » .

وقوله ^(٤) : « وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ » - مقتبس من أربع آيات ، لأن
الأشهاد أربعة : الملائكة في قوله ^(٥) : « وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ » .
والأنبياء في قوله ^(٦) : « فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ
شَهِيدًا » . وأمة محمد في قوله ^(٧) : « لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ » . والأعضاء
في قوله ^(٨) : « يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ ... » الآية .

وقوله ^(٩) : « وَيَوْمَ التَّنَادِ » - قرئ مخففاً ومشدداً ؛ فالأول مأخوذ
من قوله ^(١٠) : « وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ » ، والثاني من قوله ^(١١) :
« يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمَّةً وَسَوْءًا » .

الإبدال

هو إقامة بعض الحروف مقام بعضها ، وجعل منه ابن فارس ^(١٢) : « فاقترق » ؛
أى قاترق ؛ ولنا قال ^(١٣) : « فَسَكَانُ كُلِّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ » ؛ فالراء
واللام يتماثلان .

(١) طه : ٧٥	(٢) الصافات : ٥٢	(٣) الروم : ١٦
(٤) غافر : ٥١	(٥) ق : ٢١	(٦) النساء : ٤١
(٧) البقرة : ١٤٣	(٨) النور : ٢٤	(٩) غافر : ٣٢
(١٠) الأعراف : ٤٤	(١١) عبس : ٣٤	(١٢) الصحاح : ١٧٣
(١٣) الشعراء : ٦٣		

وعن الخليل — في قوله^(١) : « فجاسوا خلال الديار » — أنه أريد :
فجاسوا ؛ فقامت الجيم مقام الحاء ، وقد قرئ بالحاء أيضاً .

وجعل منه الفارسي^(٢) : « إني أحببت حب الخير » ؛ أي الخيل .

وجعل منه أبو عبيدة^(٣) : « إلا مكاءً وتصدية » ، أي تصددة .

تأكيد المدح بما يشبه الذم

قال ابن أبي الإصبع^(٤) : هو في غاية العزّة في القرآن . قال : ولم أجد منه
إلا آية واحدة ، وهي قوله^(٥) : « قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن
آمنّا بالله ... » الآية ؛ فإن الاستثناء بعد الاستفهام الخارج مخرج للتوبيخ
على ما عابوا به [٦٥ ب] المؤمنين من الإيمان — يوم أن ما يأتي بعده مما يوجب
أن ينتم على فاعله ، مما يذم به ، فلما أتى بعد الاستثناء ما يوجب مدح فاعله كان
الكلام متضمناً تأكيد المدح بما يشبه الذم .

قلت : ونظيرها قوله^(٦) : « وما تقوموا إلا أن أنعمناهم الله ورسوله
من فضله » . وقوله^(٧) : « الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا
ربنا الله » ؛ فإن ظاهر الاستثناء أن ما بعده حق يقتضي الإخراج ، فلما كان صفة
مدح تقتضي الإكرام لا الإخراج كان تأكيد المدح بما يشبه الذم .

وجعل منه التنوخي في الأخصى القريب^(٨) : « لا يسمعون فيها لفرافرة »

(١) الإسراء : ٥ (٢) ص : ٣٢ (٣) الأفعال : ٣٥

(٤) بديع القرآن : ٤٩ (٥) اللامعة : ٥٩ (٦) التوبة : ٧٤

(٧) الحج : ٤٠ (٨) الرواقعة : ٢٥ ، ٢٦

ولا تأثيها ، إلا قِيلاً سَلاماً سَلاماً . استثنى سَلاماً سَلاماً الذي هو ضد اللغو والتأثيم ، فكان ذلك مؤكداً لا تنفاه اللغو والتأثيم .

التفوييف

هو إتيان التكلم بمَعَانٍ شتى ، من المدح ، والوصف ، وغير ذلك من الفنون ، كلُّ فن في جملة منفصلةٍ عن أختها ، مع تساوى الجمل في الزنة ، ويكون في الجمل المتوسطة والطويلة والقصيرة .

فمن الطويلة^(١) : « الذي خَلَقَنِي فهو يَهْدِين . والذي هُوَ يَطْمِئِنِّي وَيَسْقِين . وإذا مَرَضْتُ فهو يَشْفِين . والذي يُمِيتُنِي ثم يُحْيِين » .

ومن المتوسطة^(٢) : « تُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ . وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ » .

قال ابن أبي الإصبع^(٣) : ولم يأت المركب من الجمل القصيرة في القرآن .

التقسيم

هو استيفاء أقسام الشيء للوجود ، لا الممكنة عقلاً ، نحو^(٤) : « هو الذي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا » ، إذ ليس في رؤية البرق إلا الخوف من الصواعق والطمع في الأمطار ؛ ولا ثالث لهما في التقسيم .

وقوله^(٥) : « فَنَهُم ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ »

(١) الشعراء : ٧٨ (٢) آل عمران : ٢٧ (٣) بدیع القرآن : ١٠٠

(٤) الرعد : ١٢ (٥) فاطر : ٣٢

يأذن الله ؛ فإن العالم لا يخلو من هذه الأقسام الثلاثة ؛ إما عاص ظالم لنفسه ، وإما سابق مبادر للخيرات ، وإما متوسط بينهما مقتصد فيها .

ونظيرها^(١) : « وكنتم أزواجا ثلاثة » ، فأصحاب الميمنة ما أصحاب اليمين ، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ، والسابقون السابقون .

وكذا قوله تعالى^(٢) : « له ما بين أيدينا ، وما خلفنا ، وما بين ذلك » . استوفى أقسام الزمان ، ولا رابع لها .

وقوله^(٣) : « والله خلق كل دابة من ماء ... » الآية . استوفى أقسام لطاق في المشي .

وقوله^(٤) : « الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم » . استوفى جميع هيئات الذاكرين .

وقوله^(٥) : « يهيب لمن يشاء إنانا ، ويهيب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكرا وإنا ... » الآية . استوفى جميع أحوال الزوجين ، ولا خامس لها .

التدريج

هو أن يذكر التكلم ألوانا يقصد التورية بها والسكناية ؛ قال ابن أبي الإصبع^(٦) : كقوله^(٧) : « ومن الجبال جدد بيض وحمراء مختلف ألوانها وغرايب سود » . قال : المراد بذلك — والله أعلم — السكناية عن المشبه والواضح من الطرق ؛ لأن الجادة البيضاء هي الطريق التي كثر السلوك عليها جدا ،

(١) الواقعة : ٧ - ١٠ (٢) مريم : ٦١ (٣) النور : ٤٥
(٤) آل عمران : ١٩١ (٥) انشورى : ١٩ ، ٥٠ (٦) بدیع القرآن : ٢٤٢
(٧) طاهر : ٢٧

وهي أوضح الطرق وأبينها، ودونها الحمراء، ودون الحمراء السوداء، كأنها في الخفاء والالتباس ضد البيضاء في الوضوح والظهور . ولما كانت هذه الألوان الثلاثة في الظهور للمين طرفين وواسطة ؛ فالطرف الأعلى في الظهور والياض ، والطرف الأدنى في الخفاء والسواد ، والأحر بينهما على وضع الألوان في التركيب ، وكانت ألوان الجبال لا تخرج عن هذه الألوان الثلاثة ، والمداية بكل علم نصب للهداية منتسما هذه القسمة — أنت الآية الكريمة منتسمة كذلك ؛ فحصل فيها التدييج وصحة التقسيم .

التنكيث

هو أن يقصد التكلم إلى شيء بالذكر دون غيره ، مما يبد مسدده ، لأجل نكتة في المذكور ترجع بحجته على سواء ، كقوله تعالى ^(١) : « وإياه هو ربُّ الشَّعْرَى » — خص الشعري بالذكر دون غيرها من النجوم ، وهو تعالى رب كل شيء ؛ لأن العرب كان [١٦٦] ظهر فيهم رجل يعرف بابن أبي كبشة عَبْدُ الشَّعْرَى ، ودعا خلقا إلى عبادتها ؛ فأزل الله ^(١) : « وإياه هو ربُّ الشَّعْرَى » لئلا دعيت فيها الربوبية .

التجريد

هو أن يُنتزع من أمر ذي صفة آخر مثله ؛ مبالغة في كمالها فيه ، نحو : لي من فلان صديق حميم . جرّد من الرجل الصديق آخر مثله متصفا بصفة الصداقة . ونحو : مررت بالرجل الكريم ، والأنسة المباركة . جرّدوا من الرجل الكريم آخر مثله متصفا بصفة البركة ، وعطفوه عليه ، كأنه غيره ؛ وهو هو .

ومن أمثله في القرآن^(١) : « لِمَ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ » . ليس المعنى أن الجنة فيها غير دار الخلد ، ودار الخلد ؛ بل نفسها دار الخلد ؛ فكأنه حرّ د من الدار داراً — ذكره في المنسب . وجعل منه^(٢) : « يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ » على أن المراد باليت النطفة . قال الزمخشري^(٣) : « وقراء عبید ابن عمير : « فَبَكَاتُ وَرَدَةٌ كَالدَّهَانِ » — بالرفع ، بمعنى حصلت منها وردة . قال : وهو من التجريد .

وقرى أيضاً^(٤) : « يَرِثُنِي وَارِثٌ مِنْ آلِ يَمْقُوبِ » ؛ قال ابن جنى : هذا هو التجريد ؛ وذلك أنه يريد : وهب لي من لدنك ولياً يرثني منه وارث من بآل يعقوب ، وهو الوارث نفسه ، فكأنه جرد منه وارثاً .

التعديد

هو إيقاع الألفاظ المفردة على سياق واحد ؛ وأكثر ما يوجد في الصفات ، كقوله^(٥) : « هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ ... » الآية . وقوله^(٦) : « النَّاتِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ ... » الآية . وقوله^(٧) : « مُسَلِّمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ ... » الآيات .

الترديد^(٨)

هو أن يورد أوصاف الموصوف على ترتيبها في الخلقة الطبيعية ، ولا يدخل فيها

(١) نعلت : ٢٨ (٢) الأنعام : ٩٥
 (٣) في الكشف (٢ — ١٢٦) : « وقراء عمرو بن عبيد . والآية من سورة الرحمن : ٣٢
 (٤) مريم : ٦ (٥) الخضر : ٢٣ (٦) التوبة : ١١٢
 (٧) التحريم : ٥ (٨) في الإتيان : الترتيب .

وصفاً زائداً ؛ ومثله عبد الباقي اليمنى بقوله ^(١) : « هو الذى خلقكم من نواصر
نم من نطفة ثم من عاتية ... » إلى قوله : « ثم لتسمونوا شيوخاً » .
وبقوله ^(٢) : « فكذبوه ففروها ... » الآية .

التضمين

يطلق على أشياء :

أحدها : إيقاع لفظ موقع غيره ؛ لتضمنه معناه ؛ وهو نوع من المجاز
تقدم فيه .

الثانى : حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم هو عبارة عنه ، وهذا نوع
من الإيجاز تقدم أيضاً .

الثالث : تعاقب ما بعد القاصلة بها ، وهذا مذكور فى نوع القواصل .

الرابع : إدراج كلام الغير فى أثناء الكلام لقصد تأكيد المعنى ، أو ترتيب
النظم ؛ وهذا هو النوع البديعى . قال ابن أبى الإصيص ^(٣) : ولم أظفر فى القرآن
بشيء منه إلا فى موضعين تضمننا قصابين من التوراة والإنجيل : قوله ^(٤) :
« وكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ... » الآية . وقوله ^(٥) : « محمد
رسول الله ... » الآية ^(٦) .

ومثله ابن النقيب وغيره بإبداع حكايات المخلوقين فى القرآن ، كقوله تعالى —

(١) غافر : ٦٧ (٢) الشمس : ١٤ (٣) بديع القرآن : ٥٢

(٤) المائدة : ٤٥ (٥) الفتح : ٢٩

(٦) فى بديع القرآن — مد الآية الأولى : فإن هذه الأحكام تضمنها كتابنا من التوراة .
وقال مد الآية الثالثة : فإن معنى هذه الآية — وهو أسم الرسول ونعتة وصلة أصعابه تضمنها
كتابنا من الكتابين الأولين .

حكاية عن الملائكة^(١) : « أَتَجَمَّلُ فِيهَا مَنْ يَفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ » .
وعن المنافقين^(٢) : « أَنْتُمْ كَمَا آمَنَ السَّفَهَاءُ » . وقالت اليهود ، وقالت
النصارى . قال : وكذلك ما أودع فيه من اللغات الأعجمية .

الجناس

هو تشابه اللفظين في اللفظ ، قل في كنز البراعة : وفائدته الميل إلى الإصغاء
إليه ؛ فإن مناسبة الألفاظ تُجَدِّدُ^(٣) ميلاً وإصغاء إليها ، ولأن اللفظ المشترك إذا أُحِلَّ
على معنى ، ثم جاء والراد به آخر ، كان للنفس تشوق إليه .

وأنواع الجنس كثيرة ؛ منها التام : بأن يتفق في أنواع الحروف وأعدادها
وهيئتها ، كقوله تعالى^(٤) : « وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ
سَاعَةٍ » . قيل : ولم يقع منه في القرآن سواه .

واستنبط شيخ الإسلام ابن حجر موطعاً آخر ؛ وهو^(٥) : « يَكَادُ سَنًا بَرِّقَ
يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ . يَقَابُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ » .

وأنكر بعضهم كون الآية الأولى من الجنس ، وقال : الساعة في الموضعين
بمعنى واحد ؛ والتجنيس أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى ولا يكون أحدهما حقيقة
والآخر مجازاً ، بل يكونان حقيقتين ، وزمان القيامة وإن طال لسنه عند الله
في حكم الساعة الواحدة ، فأطلاق الساعة على القيامة مجاز ، وعلى الآخر [٦٦ ب]
حقيقة ؛ وبذلك يخرج الكلام عن التجنيس ، كما لو قلت : قيت حاراً وركبت
حاراً — نعى بليداً .

(٣) في الإتيان : تحدث .

(٤) البقرة : ١٣

(١) البقرة : ٣٠

(٥) النور : ٤٣ ، ٤٤

(٢) الروم : ٥٥

ومنها المصحف ، ويسمى جناس الخط ، بأن تختلف الحروف في التقط ،
كقوله ^(١) : « والذي هو يُعَامِلُنِي وَيَسْتَقِين . وإذا مرضتُ فهو يَشْفِين » .

ومنها المحرف ؛ بأن يقع الاختلاف في الحركات ؛ كقوله ^(٢) : « ولقد أرسلنا
فيهم مُنذِرِينَ . فَانظُرْ كيف كان عاقبة المُذَرِّين » . ولقد اجتمع التصحيف
والتحريف في قوله تعالى ^(٣) : « وهم يُحْسِبُونَ أَنَّهم يُحْسِبُونَ عُنَاءً » .

ومنها الناقص ؛ بأن يختلفا في عدد الحروف ، سواء كان الحرف المزيد أولا
أو وسطا أو آخر ، كقوله ^(٤) : « وَالتَّغَىٰ السَّحَابُ بَاقٍ . إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ
الْمَسَاقُ » . ^(٥) « كَلِمَةٍ مِنْ كُلِّ الْأُمَمِ » .

ومنها المذيل بأن يزيد أحدهما أكثر من حرف في الآخر أو الأول ، وسمى
بعضهم الثاني بالتوَج ؛ كقوله ^(٦) : « وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ » . ^(٧) « وَلَكِنَّا كُنَّا
مُرْسِلِينَ » . ^(٨) « مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ » . ^(٩) « إِنْ رَأَيْتَهُمْ بِهِمْ » . ^(١٠) « مُذَبِّذِينَ
بَيْنَ ذَلِكَ » .

ومنها المضارع ؛ وهو أن يختلفا بحرف مقرب في المخرج ، سواء كان
في الأول أو الوسط أو الآخر ؛ كقوله تعالى ^(١١) : « وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ
وَيَسْأَلُونَ عَنْهُ » .

ومنها اللاحق ^(١٢) ؛ بأن يختلفا بحرف غير مقارب فيه ؛ كقوله تعالى ^(١٣) :
« وَيَلْ لَّكُلِّ هَمَزَةٍ لُّمَزَةٌ » . ^(١٤) « وَإِنَّ دَلِيلَ ذَلِكَ لَشَهِيدٌ . وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَلْقِ

(١) الشعراء : ٨٠ ، ٧٩	(٢) الصافات : ٧٢	(٣) المكهف : ١٠٤
(٤) القيامة : ٣٠	(٥) العن : ٦٩	(٦) طه : ٩٧
(٧) القصص : ٤٥	(٨) التوبة : ١٨	(٩) الحاديات : ١١
(١٠) النساء : ١٤٣	(١١) الأنعام : ٢٦	(١٢) ب : الأحق .
(١٣) الحمزة : ١	(١٤) الحاديات : ٨ ، ٧	

لشديد . « ^(١) ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم
تفرحون . « ^(٢) وإذا جاء أمر من الأمر . »

ومنها اللزق ؛ وهو ما تركب من كلمة وبسبب أخرى ، كقوله ^(٣) : « جرف
هار فانهار » .

ومنها القف ؛ بأن يختلفا بحرف مناسب للآخر مناسبة لفظية ، كالضاد
والظاء ، كقوله ^(٤) : « وجوه يومئذ نافرة إلى ربها فانظرة » .

ومنها تجنيس القلب ؛ بأن يختلفا في ترتيب الحروف ، نحو ^(٥) : « فرقت
بين بني إسرائيل » .

ومنها تجنيس الاشتقاق ؛ بأن يمتصا في أصل الاشتقاق ؛ ويسمى القنص ؛
نحو ^(٦) : « فروع ورمان » . « ^(٧) فأقيم وجهك للدين القيم » . « ^(٨) وجهت
وجهي » .

ومنها تجنيس الإطلاق ؛ بأن يمتصا في المشابهة قط ؛ كقوله ^(٩) : « وجى
الجنين » . « ^(١٠) قل إني لعمليكم من الآلين » . « ^(١١) ليوبه كيف
يولوى » . « ^(١٢) وإن يردك بخير فلا راد لفضله » . « ^(١٣) إنا قلتم
إلى الأرض أرحمتم بالحياة الدنيا » . « ^(١٤) وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض
ونأى ... » إلى قوله : « قدود دعا عريض » .

(١) غافر : ٧٥	(٢) النساء : ٨٣	(٣) التوبة : ١٠٩
(٤) القلم : ٢٢ ، ٢٣	(٥) طه : ٩٤	(٦) الواقعة : ٨٩
(٧) الروم : ٤٣	(٨) الأنعام : ٢٩	(٩) الرحمن : ٥٤
(١٠) النمل : ١٦٨	(١١) المائدة : ٣٩	(١٢) يونس : ١٠٧
(١٣) التوبة : ٣٨	(١٤) فصلت : ٥٩	

تنبيه

ليكون الجنس من المحاسن اللفظية لا المعنوية ترك عند قوة المعنى ؛ كقوله تعالى^(١) : « وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين » . قيل : ما الحكمة في أنه لم يقل وما أنت بمصدق ؛ فإنه يؤدي معناه مع رعاية التجنيس ؛ وأجيب بأن في مؤمن لنا من المعنى ما ليس في مصدق ؛ لأن معنى قولك : فلان مثلاً مصدق لي : قال لي صدقت . وأما مؤمن فعناه مع التصديق إعطاء الأمن ؛ ومتصودم التصديق وزيادة ، وهو طلب الأمن ، فلذلك عبر به .

وقد زلّ بعض الأدباء فقال في قوله^(٢) : « أتدعون بطلا وتذرّون أحسن الخالقين » - لو قال : وتدعون لكان فيه مجانسة .

وأجاب الإمام فخر الدين : بأن فصاحة القرآن ليست لأجل رعاية هذه التكاليفات ؛ بل لأجل قوة المعاني ، وجزالة الألفاظ .

وأجاب غيره بأن مراعاة المعاني أولى من مراعاة الألفاظ . ولو قيل : أتدعون وتدعون لوقع الالتباس على التارىء ، فيجعلها بمعنى واحد تصحيفاً . وهذا الجواب غير ناضج .

وأجاب ابن الزمّسكاني بأن التجنيس تحسين ، وإنما يستعمل في مقام الوعد والتوعد والإحسان لا في مقام التهويل .

وأجاب الخوئي بأن « يدع » أخص من يذر ؛ لأنه بمعنى ترك الشيء مع اعتناؤه بشهادة الاشتقاق ؛ نحو الإيداع ، فإنه عبارة عن ترك الوديعة

مع الاعتناء بحالها ؛ ولهذا يُختار لها مَنْ هو مؤتمن عليها . ومن ذلك الدَّعة بمعنى الراحة . أما تذر فحناء الترك مطلقاً ، والترك مع الإعراض والرفض الكلى .

قال الراغب^(١) : يقال فلان يذرُ الشيء : أى يقذفه لقلة الاعتداد به . ومنه الؤذرة قطعة من اللحم لقلة الاعتداد بها . ولا شك أن السياق إنما يناسب هذا دون الأول ، فأريد هنا تشييع^(٢) حالهم في الإعراض [١٦٧] عن ربهم ، وأنهم بلغوا الناية في الإعراض . انتهى .

الجمع

هو أن يجمع بين شيئين أو أشياء متعددة في حكم ؛ كقوله تعالى^(٣) : « المَالُ وَالبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » ، جمع المال والبنون في الزينة . وكذا قوله^(٤) : « وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ، وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ » .

الجمع والتفريق

هو أن يجمع^(٥) بين شيئين في معنى واحد ويفرق بين جهتي الإدخال . وجعل منه العليبيّ قوله تعالى^(٦) : « اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا » . جمع النفسين في حكم التوفى ، ثم فرق بين جهتي التوفى بالحكم بالإمساك والإرسال ، أى الله يتوفى بالإمساك والإرسال ، أى الله يتوفى الأنفس التى تُقبَضُ والتي لم تُقبَضُ ، ويمسك الأولى ، ويرسل الأخرى .

(١) المفردات : ١٨٠ . (٢) في الإتيان : تشييع . (٣) الكهف : ٦٠ ،

(٤) الرحمن : ٦٠ ، (٥) في الإتيان : أن تدخل شيئين .

(٦) الزمر : ٤٢

الجمع والتقسيم

وهو جمع متعدد تحت حكم ، ثم تقسيمه ، كقوله تعالى^(١) : « ثم أَوْزَنَّا
الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ، وَمِنْهُمْ
سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ » .

الجمع والتفريق والتقسيم

كقوله تعالى^(٢) : « يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ... » الآيات .
فالجمع في قوله : « لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ » ، لأنها متعددة معنى ؛ إذ النكرة
في سياق النفي تعميم . والتفريق في قوله : « فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ » . والتقسيم في قوله
تعالى : « فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا » . « وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا » .

جمع المؤنث والمختلف

هو أن يريد التسوية بين ممدوحين ؛ فيأتي بجمان مؤنث في مدحها . ويروم
بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة فضل لا يُقتصر الآخر ، فيأتي
لأجل ذلك بجمان تخالف معنى التسوية ، كقوله تعالى^(٣) : « وَدَاوُدَ
وَسُلَيْمَانَ ... » الآية . سوى في الحكم والعلم ، وزاد في فضل سليمان بالفهم .

حسن النسق

وهو أن يتكلم^(٤) التكلم بكلمات متواليات معطوفات متلاحات تلاهما
عليها مستحسناً ، بحيث إذا أفردت كل جملة منها قامت بنفسها . واستقل معانها

(٢) هود : ١٠٥ - ١٠٨ (٣) أنبياء : ٥٨

(١) فاطر : ٣٢

(٤) و الإتيان : يأتي .

بخطها ، ومنه قوله تعالى^(١) : « وقيل يا أرض ابلعي ماءك .. » الآية ، فإنها جل مغلوف بعضها على بعض برأوا القس على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة من الابتداء بالأم^(٢) الذي هو انحسار الماء عن الأرض التوقف عليه غاية مطلوب أهل السفينة ، من الإطلاق من سيجنها ، ثم انقطاع مادة السماء التوقف عليه تمام ذلك ، من دفع أذاه بعد الخروج ، ومنع إخلاف ما كان بالأرض ، ثم الإخبار بذهاب الماء بعد انقضاء المادتين الذي هو متأخر عنه قطعا ، ثم بقضاء الأمر الذي هو هلاك مَنْ قُدِّرَ هلاكه ونجاة من سبق نجاته ، وآخرهما قبله لأن علم ذلك لأهل السفينة بعد خروجهم منها ، وخروجهم موقوف على ما تقدم ، ثم أخير باستواء السفينة واستقرارها الفيد فهاب الخوف ، وحصول الأمن من الاضطراب ، ثم ختم بالدعاء على الظالمين ، لإقادة أن الفرق وإن عم الأرض لم يشل إلا من استحق العذاب لظلمه .

عتاب المرء نفسه

ومنه^(٣) : « ويوم يعض الظالمُ على يديه يقولُ يا ليتني ... » الآية .
وقوله^(٤) : « أن تقولَ نفسُ يا حسرتي على ما فرغلتُ من جنبي الله ... »
الآيات .

العكس

هو أن يؤتى بكلام يقدم فيه جزء ويؤخر آخر ، ثم يقدم المؤخر ويؤخر المقدم ؛ كقوله تعالى^(٥) : « ما عليك من حسابهم من شيء ، وما من حسابك

(١) هود : ٤٤ (٢) في الإحسان : الاسم . (٣) الفرقان : ١٧
(٤) الزمر : ٥٦ (٥) الأنعام : ٥٢

عليهم من شيء . . . «^(١) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ . . .
«^(٢) وَمَنْ يُخْرِجِ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجِ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ . . . «^(٣) هُنَّ لِبَاسٌ
لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ . . . «^(٤) لَا هُنَّ حِلٌّ لِهِمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ . . .

وقد سئل عن الحكمة في عكس هذا اللفظ ، فأجاب ابن النير بأن فائدة
الإشارة إلى أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة .

وقال الشيخ بدر الدين بن الصاحب : الحق أن كل واحد من فعل التؤمنة
والكافر منفي عنه الحل ، أما فعل التؤمنة فيحرم لأنها مخاطبة ، وأما فعل الكافر
فمنفي عنه الحل باعتبار أن هذا الوطاء مشتمل على الفسدة ، فليس الكفار مورد
الخطاب ، بل الأئمة ، ومن قام مقامهم مخاطبون بمنع ذلك ، لأن الشرع أمر
بإخلاء الوجود من المفسد ، فانضح [٦٧ ب] أن التؤمنة تنفي عنها الحل باعتبار
والكافر تنفي عنه الحل باعتبار .

قال ابن أبي الإصبع^(٥) : ومن غريب أسلوب هذا النوع^(٦) : « وَمَنْ يَعْمَلْ
مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ
شَيْئاً . وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ . . . » فإن نظم
الآية الثانية عكس نظم الأولى ، لتقديم الصل في الأولى عن الإيمان ، وتأخير
في الثانية عن الإسلام .

[القلب ، والمقلوب المستوي ، وما لا يستحيل بالانعكاس]

ومنه نوع يسمى القلب والمقلوب المستوي ، وما لا يستحيل بالانعكاس ،

(١) الحج : ٦١ (٢) يونس : ٣١ (٣) البقرة : ١٨٧
(٤) المتحة : ١٠ (٥) بديع القرآن : ١١١ (٦) النساء : ١٧٤ ، ١٢٥

وهو أن تُقرأ الكلمة من أولها إلى آخرها ، كما تُقرأ من آخرها إلى أولها ،
كقوله^(١) : « كلٌّ في نَفْسٍ » . «^(٢) وريكَ فكبرُ » . ولا ثالث لهما
في القرآن .

العنوان^(٣)

قال ابن أبي الإصبع^(٤) : هو أن يأخذ المتكلم في غرض ، فيأتي لقصد تكميله
وتأكيده بأمثلة في ألقاظ تكون عنواناً لأخبار متعلمة ، وقصص سائلة . ومنه
نوع عظيم جداً ، وهو عنوان العلوم ؛ بأن يُذكر في الكلام ألقاظ تكون مفاتيح
لعلوم ومداخل لها ؛ فمن الأول قوله تعالى^(٥) : « وانزلُ عليهم نبأ الذي آتيناه
آياتنا فانسلخ منها ... » الآية ، فيها عنوان قصة بلعام .

ومن الثاني قوله تعالى^(٦) : « انطِقُوا إلى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ... »
الآية ، فيها عنوان علم الهندسة ، فإن الشكل الثالث أول الأشكال ، فإذا نُصب
في الشمس على أى ضلع من أضلاعه لا يكون له ظل لتحديد رؤوس زواياه ،
فأمر الله تعالى أهل جهنم بالانطلاق إلى ظل هذا الشكل نهكماً بهم . وقوله^(٧) :
« وكذلك نرى إبراهيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ... » الآية ، فيها عنوان
علم الكلام ، وعلم الجدال ، وعلم الهيئة .

الفرائد

وهو مختص بالفصاحة دون البلاغة ، لأنه الإتيان بلفظة تنزل منزلة القريدة
من العقد ، وهي الجوهرة التي لا نظير لها — تدل على عظم فصاحة هذا الكلام

(١) الأنبياء : ٣٣ (٢) المدثر : ٣ (٣) في ١ : القنون .
(٤) بديع القرآن : ٢٥٧ (٥) الأعراف : ١٧٥ (٦) الرسائل : ٣٠ و ٣١
(٧) الأنعام : ٧٥

وقوة عارضته ، وجزالة منطجه ، وأصالة عريته ، بحيث لو أسقطت من الكلام عزّت على التصحاء . ومنه : **حَصَّصَ الحقّ** - في قوله ^(١) : « **الآن حَصَّصَ الحقّ** » . و**لرفث** في قوله ^(٢) : « **أجلّ لكم ليلة الصيام الرّفث إلى ناسيكم** » . ولفظة « **نزع** » في قوله ^(٣) : « **حتى إذا فزّع عن قلوبهم** » . وخائنة في قوله ^(٤) : « **يُلم خائنة الأعين** » . و**ألفاظ كقول** ^(٥) : « **فلما استئنسوا منه خلصوا نجياً** » . وقوله ^(٦) : « **فإذا نزل بأسهم فساء صباح المنذرين** » .

القسم

هو أن يريد التكلم الحلف على شيء فيحلف بما يكون فيه فخراً ، أو تعظيماً ، أو تنويهاً لقدره ، أو ذمّاً لغيره ، أو جارياً مجرى الغزل والترقيق ، أو خارجاً يخرج الموعظة والزهد ؛ كقوله ^(٧) : « **فَوَرَبُّ السَّما والأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ** » . أقسم سبحانه بقسم يوجب القبح ، لتضمنه التمدح بأعظم قدرة وأجل عظمة . « ^(٨) **لَمَرُّكَ إِنْهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ** » . أقسم سبحانه بحياة نبيه صلى الله عليه وسلم تعظيماً لشأنه وتنويهاً لقدره . وسيأتي في وجه ^(٩) الأقسام أشياء تتعلق بذلك .

الف والنشر

هو أن يذكر شيئان أو أشياء إما تفصيلاً بالنص على كل واحد أو إجمالاً ، بأن يؤتى بلفظة تشتمل على متعدد ، ثم يذكر أشياء على عدد ذلك ، كل واحد

(١) يوسف : ٥١	(٢) البقرة : ١٨٧	(٣) سبأ : ٢٣
(٤) غافر : ١٩	(٥) يوسف : ٨٠	(٦) الصافات : ١٧٧
(٧) التاروات : ٢٣	(٨) الحجر : ٧٢	
(٩) في الأسمان : نوع الأقسام .		

يرجع إلى واحد من المتقدم ، ويفوض إلى عقل السامع رد كل واحد إلى ما يليق به .

فالإجمالى كقوله تعالى^(١) : « وقالوا كن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى » ؛ أى قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا اليهود ، وقالت النصارى : لن يدخل الجنة إلا النصارى . وإنما سوء الإجمال فى اللف ثبوت العناد بين اليهود والنصارى ، فلا يمكن أن يقول أحد الفريقين بدخول الفريق الآخر الجنة . فوثق بالعقل فى أنه يرد كل قول إلى فريقه لأمن اللبس . وقائل ذلك يهود المدينة ونصارى نجران .

قات : وقد يكون الإجمال فى اللف لا فى النشر^(٢) ؛ بأن يوثق بمتعدد ، ثم بلفظ يشتمل على صفة^(٣) تصلح لهما ، كقوله تعالى^(٤) : « حتى يتيين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » — على قول أبى عبيدة : إن الخيط الأسود أريد به الفجر الكاذب لا الليل . وقد بينته فى أمرار التنزيل .

والنفصى قسمان :

أحدهما : أن يكون على ترتيب اللفظ ، كقوله [١٦٨] تعالى^(٥) : « جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله » ؛ فالسكون راجع إلى الليل ، والابتغاء راجع إلى النهار . وقوله^(٦) : « ولا تجمل بذك مغلولة

(١) البقرة : ١١١

(٢) هنا الأصل . وفى الإتيان : فى النشر لا فى اللف .

(٣) فى الإتيان : على متعدد يصلح لهما .

(٤) البقرة : ١٨٧ (٥) القصص : ٧٣ (٦) الإسراء : ٢٩

إلى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ۝ . فاللوم راجع إلى البخل ، ومحسوراً راجع إلى الإسراف ؛ لأن معناه منقطعاً لا شيء عندك . وقوله (١) : « أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا ... » الآيات ؛ فإن قوله : فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَهْجُرْ - راجع إلى قوله : « أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى » . وقوله : فَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ - راجع إلى قوله : وَوَجَدَكَ ضَالًّا ؛ فإن المراد السائل عن العلم ، كما فسر مجاهد وغيره . « وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ » راجع إلى قوله : « وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى » . رأيت هذا المثال في شرح الوسيط للنووي المسمى بالتنقيح .

والثاني : أن يكون على عكس ترتيبه ، كقوله تعالى (٢) : « يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ... » الخ . وجعل منه جماعة قوله تعالى (٣) : « حَتَّى يَقُولَ رَسُولٌ نُصْرَ اللَّهُ مَتَى نَعُزُّ اللَّهَ إِلَّا إِنْ نَعُزَّ اللَّهُ قَرِيبٌ » ؛ قالوا : متى نصر الله : قول الذين آمنوا ، « وَأَلَا إِنْ نَعُزَّ اللَّهُ قَرِيبٌ » قول الرسول ؛

وذكر الزمخشري له قسماً آخر (٤) ؛ كقوله (٥) : « وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ » . قال : هذا من باب اللف . وتقديره : ومن آياته منامكم وابتغائكم من فضله بالليل والنهار . إلا أنه فصل بين منامكم وابتغائكم بالليل والنهار ؛ لأنهما زمانان ، والزمان والواقع فيه كشيء وقع (٦) مع إقامة (٧) اللف على الاتحاد .

(١) الضحى : ٦ - ١١ (٢) آل عمران : ١٠٦ (٣) النقرة : ٢١٤

(٤) (٥) الروم : ٢٣

(٦) (٧) في الاطمان والتكشاف : كشيء واحد .

(٦) في الاطمان والتكشاف : كشيء واحد .

(٧) في التكشاف : مع إمامة .

المشاكلة

ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديرًا ؛ فالأول كقوله تعالى^(١) : « تَقْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ » . «^(٢) وَمَكْرُؤًا وَمَكْرًا اللَّهُ » . فإطلاق النفس والمكر في جانب الباري تعالى إنما هو لمشاكلة ما معه .

وكذا قوله^(٣) : « وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا » ، لأن الجزاء حق لا يوصف بأنه سيئة . «^(٤) فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ » . «^(٥) الْيَوْمَ نَنَسَاكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا » . «^(٦) فَيَسْتَخْرِونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ » . «^(٧) إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ . اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ » .

ومثال التقديرى^(٨) : « صِبْغَةُ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً » ؛ فقوله : صبغة الله أى تطهير الله ، لأن الإيمان يطهر النفوس . والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه العمودية ، ويقولون : إنه تطهير لهم ؛ فببر عن الإيمان بصبغة الله للمشاكلة بهذه القرينة .

المزاوجة

أن يزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء ، أو ما جرى مجراها ، كقوله^(٩) :

(١) المائدة : ١١٦	(٢) آل عمران : ٥٤	(٣) الشورى : ٤٠
(٤) البقرة : ١٩٤	(٥) المجادلة : ٣٤	(٦) التوبة : ٧٩
(٧) البقرة : ١٤	(٨) البقرة : ١٣٨	

(٩) البقرة : ١٧٧

إِذَا مَا نَهَى النَّاهِيَ فَلَجَّ فِي الْهَوَى
أَصْلَحَتْ إِلَى الرَّائِي فَلَجَّ بِهَا الْمَجْرُ
« ومنه في القرآن (١) : « آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ
مِنَ الْكَافِرِينَ » .

المبالغة

أن يذكر التكلم وصفا يزيد (٢) فيه حتى يكون أبلغ في المعنى الذي قصده ؛
وهي ضربان :

مبالغة في الوصف ؛ بأن يخرج إلى حد الاستعلاء . ومنه (٣) : « يكاد زَيْتُهَا
يُغَيِّقُ » ولو لم تَمَسَّهُ نَارٌ . و« (٤) لا يدخلون الجنة حتى يَلِدَجَ الْجَلُّ
فِي سَمِّ الْخِلَابِ » .

ومبالغة في الصيغة ، وصيغ المبالغة قتلان ، كالرحمن . وفعليل ، كالرحيم .
وقتل ، كالتواب والتفلر والتهلر . وفعلول ، كغفور ، وشكور ، وودود .
وفعليل ، كعزير وأثير وفرح . وفعلل بالتخفيف ، كمعجب ؛ وبالتشديد ككبار .
وفعل كلبد وكبر . وفعلل كالمليا ، والملى ، والشورى ، والسوأي .

قاعدة

الأكثر على أن فلان أبلغ من فعل ، ومن ثم قيل الرحمن أبلغ من الرحيم .
وفسره السهلي بأنه ورد على صيغة التثنية ، والتثنية تضعيف ، فكان البناء
تضاعف فيه الصفة .

(٢) لى الاكثان : فزيد ...
(٤) الأعراف : ٤٠

(١) الأعراف : ١٧٤
(٣) النور : ٣٥

وذهب ابن الأبارى إلى أن الرحيم أبلغ من الرحمن . وزججه ابن عسكر بتقديم الرحمن عليه ، وبأنه جىء به على صيغة الجمع ، كعبيد ؛ وهو أبلغ من صيغة التثنية . وذهب قطرب إلى أنهما سواء .

قاعدة

ذكر البرهان الرشيدى أن صفات الله تعالى التى على صفة المبالغة كلها مجاز ؛ لأنها موضوعة للمبالغة ، ولا مبالغة فيها ، لأن المبالغة أن يثبت للشيء أكثر مما له ، وصفاته تعالى متناهية فى الكمال لا تمكن المبالغة فيها . وأيضا فالمبالغة تكون فى صفاتٍ تقبل الزيادة والنقصان ، وصفاتُ الله [٦٨ ب] منزهة عن ذلك . واستحسنه الشيخ تقي الدين السبكي .

وقال الزركشى فى البرهان : التحقيق أن صيغ المبالغة قسمان :

أحدهما : ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل .

والثانى : بحسب تعدد المفعولات . ولا شك أن تعددها لا يوجب للفعل زيادة ؛ إذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة متعددين ، وعلى هذا القسم تنزل صفاته تعالى ، ويرتفع الإشكال . ولهذا قال بعضهم - فى « حكيم » : معنى المبالغة فيه تكرار حكمه بالنسبة إلى الشرائع .

وقال فى الكشاف : المبالغة فى التواب للدلالة على كثرة مَنْ يتوب عليه من عباده ، أو لأنه يبلغ فى قبول التوبة ، نزول صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه .

وقد أورد بعض الفضلاء سؤالاً على قوله ^(١) : « والله على كل شيء قدير . » وهو أن قدراً من صيغ المباعدة ، فيستلزم الزيادة على معنى قادر ؛ والزيادة على معنى قادر محال ؛ إذ الإيجاد من وجد ^(٢) لا يمكن فيه التفاضل باعتبار كل فرد .

وأجيب بأن المباعدة لما تمذّر حملها على كل فرد وجب صرفها إلى مجموع الأفراد التي دل السياق عليها ؛ فهي بالنسبة إلى كثرة المتعلق لا الوصف .

المطابقة

وتسمى الطباق : الجمع بين المتضادين في الجملة ؛ وهو قسمان : حقيقي ، ومجازي . والثاني يسمى التكافؤ ؛ وكل منهما إما لفظي أو معنوي ، وإما طباق إيجاب أو سلب .

فمن أمثلة ذلك : « ^(٣) فليضحكوا قليلاً وليبْكُوا كثيراً . » « ^(٤) وأنه هو أضحك وأبكى . وأنه هو أمات وأحيا . » « ^(٥) لكبلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم . » « ^(٦) وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود . »

ومن أمثلة المجازي ^(٧) : « أو من كان ميتاً فأحييناه . » : أي ضالاً فهديناه .

ومن أمثلة طباق السلب ^(٨) : « تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك . » « ^(٩) فلا تخشوا الناس واخشون . »

ومن أمثلة المعنوي ^(١٠) : « إن أنتم إلا تكذبون . قالوا ربنا يعلم »

- | | |
|------------------|-----------------------------|
| (١) البقرة : ٢٨٤ | (٢) في الإنشقاق : من واحد . |
| (٣) التوبة : ٨٢ | (٤) النجم : ٤٣ |
| (٦) الكهف : ١٨ | (٧) الأنعام : ١٢٢ |
| (٩) المائدة : ٤٤ | (٨) المائدة : ١١٦ |
| | (١٠) يس : ١٥ ، ١٦ |

إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمَرْسَلُونَ . معناه إن ربنا يعلم إنا لصادقون . «^(١) جعل لكم الأرض ذبلاً وانشأ السماء بناءً » . قال أبو علي الفارسي : لما كان البناء رافعاً للمبنى قُوبِلَ بالقراش الذي هو خلاف البناء .

ومنه نوع يسمى الطباق الخفى ؛ كقوله «^(٢) : «^(٣) عَمَّا خَطَّيْشَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَذْخَلُوا نَاراً » ؛ لأن الفرق من صفات الماء ، فكأنه جمع بين الماء والنار .
قال ابن منقذ «^(٤) : وهي أخفى مطابقة في القرآن .

وقال ابن المعتز «^(٥) : من أَمْلَحَ الطباق وأخفاه قوله تعالى «^(٦) : «^(٧) وَلَكُمْ فِي الِصَّاصِ حَيَاةٌ » ؛ لأن معنى الصصاص القتل ، فصار القتل سبب الحياة .

[الترتيب]

ومنه نوع يسمى ترصيع الكلام ؛ وهو اقتران الشيء بـ . يجتمع معه في قدر مشترك ؛ كقوله «^(٨) : «^(٩) إِنْ لَكَ إِلَّا تَجْوَعُ فِيهَا وَلَا تَعْرِى . وَإِنَّكَ لَا تَنْظُمُ فِيهَا وَلَا تَضْمِي » . جاء بالجوع مع العرى ، وبابه أن يكون مع الظما ، وبالضحي مع الظما ؛ وبابه أن يكون مع العرى ، اسكن الجوع والعرى اشتراكاً في الخلو ؛ فالجوع مُخْلَوُ البطن من الطعام . والعرى خلو الظاهر من اللباس . والضحي والظما اشتراكاً في الاحتراق ؛ فالظما احتراق الباطن من العطش ، والضحي احتراق الظاهر من حر الشمس .

(١) البقرة : ٢٢ (٢) نوح : ٢٥
(٣) هو أسامة بن منقذ صاحب كتاب « البديع » وغيره . نزل سنة ٢١١ هـ .
(٤) هو عبد الله بن محمد المصنف بإقامة الخليفة الشاعر . صاحب كتاب « البديع » نزل سنة ٢٩٦ هـ .
(٥) البقرة : ١٧٠ (٦) طه : ١١٨ ، ١١٩

[المقابلة]

ومنه نوع يسمى المقابلة ؛ وهو أن يُذكر لفظان فأكثر ثم أخذ أحدهما على الترتيب .

قال ابن أبي الإصبع^(١) : والفرق بين الطباق والمقابلة من وجهين :

أحدهما : أن الطباق لا يكون إلا في^(٢) ضدّين قط . والمقابلة لا تكون إلا بما زاد [على الضدين]^(٣) من الأربعة إلى العشرة .

والثاني : أن الطباق لا يكون إلا بالأضداد ؛ والمقابلة بالأضداد وبغيرها .

قال السكاكي : ومن خواص المقابلة أنه إذا شرط في الأول أمراً شرط في الثاني ضده ، كتولاه تعالى^(٤) : « فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ... » الآيةين . قابل بين الإعطاء والبخل ، والاتقاء والاستغناء ، والتصديق والتكذيب ، والبسرى والسرى ؛ ولما جعل التيسير في الأول مشتركاً بين الإعطاء والاتقاء والتصديق جعل ضده - وهو التصير - مشتركاً بين أضدادها .

وقال بعضهم : المقابلة إما لواحد يواحد ؛ وذلك قليل جداً ؛ كتولاه تعالى^(٥) : « لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ » . أو اثنين باثنين كتولاه تعالى^(٦) : « فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا » . أو ثلاثة بثلاثة كقوله^(٧) : « يَا مَرْيَمُ الْمَعْرُوفُ ؛ وَبَيْنَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَبِعَلِّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيَحْجُرْهُمْ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ » .

(١) بدیع القرآن : ٣٦

(٢) لا بدیع القرآن : لا يكون إلا بالجمع بين ضدّين فدين نقط .

(٣) من بدیع القرآن . (٤) الليل : ٦ ، ٥ (٥) البقرة : ١٥٥

(٦) النور : ٨٧ (٧) الأعراف : ١٥٧

« (١) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَكْفُرُوا » . أو أربعة بأربعة كقوله (٢) : « فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى » . أو خمسة بخمسة كقوله (٣) : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ... » الآيات . قابل بين بوضه ، فافرقها . وبين فاما الذين آمنوا والذين كفروا . وبين يضل ويهدي ، وبين يتقصون وميثاقه ، وبين يقظون وأن يوصل . أو ستة ستة ؛ كقوله تعالى (٤) : « زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ... » الآيات ، ثم قل : قل أَوْ تَبْسُكُم بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ - قابل الجفات ، والأهله ، والخلد ، والأزواج ، والطلهر ، والرضوان ، بإزاء النساء ، والبنين ، والحب ، والقضة ، والخليل المسوَّمة ، والأنعام ، والحراث .

وقسم آخر القابلة ثلاثة أنواع : نظري ، وقضي ، وخلاقي ؛ مثال الأول مقابلة السنة بالنوم في الآية الأولى ؛ فليهما جميعاً من باب الرقاد القابل بالهتة في آية (٥) : « وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ » . وههنا مثل الثاني ؛ فليهما قبيضان .

ومثال الثالث مقابلة الشر بالرشد في قوله (٦) : « وَإِنَّمَا لَا تَدْرِي أَمْرًا أُرِيدُ مِنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أُرَادَ بِهِمْ رِشْدًا » ؛ فليهما خلطان لا قبيضان ؛ فإن قبض الشر الخير ، والرشد التي .

المواربة

براء مهلة وباء موحدة : أن يقول التكلم قولاً يتضمن الإنكار عليه ؛ فإذا حصل الإنكار استحضر بحذقه وجهاً من الوجوه يتخلص به ، إما بتعريف

(٣) البقرة : ٢٦

(٢) البقرة : ١٥٢

(١) البقرة : ١٥٢

(٥) الكهف : ١٨

(٤) آل عمران : ١٥ ، ١٦

(٦) الجن : ١٠

كلمة ، أو تصحيفها ، أو زيادة أو نقص . قال ابن أبي الإصبع^(١) : ومنه قوله تعالى — حكاية عن أكبر أولاد يعقوب^(٢) : « ارجعوا إلى أبيكم تقولوا يا أبانا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ » ؛ فإنه قرئ : إِنَّ ابْنَكَ سُرِّقَ ولم يسرق ؛ فأتى بالكلام على الصحة بإبدال ضمة من فتحة وتشديد في الراء وكسرها .

المراجعة

قال ابن أبي الإصبع^(٣) : هي أن يحكى المتكلم مراجعة في القول جرت بينه وبين محاور له بأوجز عبارة وأعدل سبك ، وأعذب الفاظ ؛ ومنه قوله تعالى^(٤) : « قَالِ لِلَّذِينَ جَاءُواكَ مِنَ النَّاسِ إِيْمَانًا . قُلْ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالِ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ » — جمعت هذه القطعة — وهي بعض آية — ثلاث مراجعات فيها معاني الكلام ، من الخبر والاستخبار ، والأمر والنهي ، والوعد والوعيد ، بالنطوق والفهوم . قلت : أحسن من هذا أن يُقال جمعت الخبر والطلب ، والإثبات والنفي ، والتأكيد والحلف ، والبشارة والتنذرة ، والوعد والوعيد .

النزاهة

هي خلوص الفاظ المجهاء من القُحُش حتى يكون — كما قال أبو عمرو ابن العلاء — وقد سئل عن أحسن المجهاء : هو الذي إذا أنشدته المندراء في خذرها لا يقبح عليها . ومنه قوله تعالى^(٥) : « وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ » . ثم قال : « أفي قلوبهم مرضٌ

(١) بديع القرآن : ٩٥ (٢) يوسف : ٨١ (٣) بديع القرآن : ٣٠٠

(٤) البقرة : ١٢٤ (٥) النور : ٤٨ — ٥٠

أَمْ ارْتَابُوا أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رَسُولَهُ ، بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ .
فَإِنْ أَقْبَضْ ذُرِّيَّةً مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُتَحَرِّينَ عَنْهُمْ بِهَذَا الْخَبَرِ أَنْتَ سِزْمَةٌ عَمَّا يَقَعُ فِي الْمَجَاءِ
مِنَ الْقَحْشِ . وَسَائِرُ هِجَاءِ الْقُرْآنِ كَذَلِكَ .

الابداع

بالباء الموحدة : وهو أن يشتغل الكلام على عدة ضروب من البديع . قال
ابن أبي الإصبع ^(١) : ولم أر في الكلام مثل قوله تعالى ^(٢) : « وَقِيلَ يَا أَرْضُ
ابْلُغِي مَا فِيكَ » الآية ، فإن فيها عشرين ^(٣) ضرباً ، وهي سبع عشرة [ب]
لقطة ، وذلك للناسبة التامة في « ابلُغِي » و « اقلُغِي » ، والاستعارة فيها ،
والطباق ^(٤) بين الأرض والسماء ، والجاز في قوله : « يَا سَمَاءُ » ، فإن الحقيقة
يا مطر السماء ، والإشارة في : « وَغِيضَ الْمَاءِ » ، فإنه عبر به عن معان كثيرة ، لأن
الماء لا يفيض حتى يقلع مطر السماء وتبلغ الأرض ما يخرج منها من عيون
الماء ، فينقص الحاصل على وجه الأرض من الماء . والإرداف في :
« وَاسْتَوَتْ » . والتشليل في : « وَكُفِيَ الْأَمْرَ » . والتعليل ، فإن غيُضَ الماء
عِلَّةُ الاستواء . وصحة التقسيم ، فإنه استوعب فيه أقسام الماء حالة نقصه ، إذ ليس
إلا احتباس ماء السماء ، والماء التابع من الأرض ، وغيُضَ الماء الذي على ظهرها .
والاحتراس في الدعاء لئلا يتوهم أن الفرق لعمومه شمل من لا يستحق الملاك ؛
فإن عدله تعالى يمنع أن يدعو على غير مستحق . وحسن التسق ، واتلاف اللفظ
مع المعنى . والإيجاز ، فإنه تعالى قص القصة مستوعبة بأخصر عبارة . والتسليم ؛
لأن أول الآية يدل على آخرها . والتهذيب ؛ لأن مفرداتها موصوفة بصفات

(٢) هود : ٤٤

(١) بديع القرآن : ٢١٠

(٣) في بديع القرآن : أحداً وعشرين ضرباً من البديع .

(٤) في بديع القرآن : والطائفة الغضبية في ذكر السماء . ٤٨٠

الحسن ، كل لفظة سهلةٌ مخارج الحروف ، عليها رونق الفصاحة ، مع الخلو من البشاعة وعقادة التركيب^(١) . وحسن البيان من جهة أن السامع لا يتوقف في فهم معنى الكلام ، ولا يُشكل عليه شيء منه . والتمكين ؛ لأن الفاصلة مستقرة في محلها ، مطمئنة في مكانها ، غير قلقة مستعدة ولا مستعدة . والانسجام . هذا ما ذكره ابن أبي الإصبع^(٢) . وفي بديعة الصنفي منها مائة وخمسون ، فأملها .

• • •

الوجه الثامن والعشرون من وجوه إعجاز

احتواؤه على الخبر والإنشاء

وأهلُ البيان قاطبة على انحصار الكلام فيها ، وأنه ليس له قسم ثالث . وادعى قوم انقسامه إلى خير وطلب وإنشاء ؛ قالوا : لأن الكلام إما أن يحتمل التصديق والتكذيب أم لا : الأول الخبر ؛ والثاني إن اقترن معناه بلفظه فهو الإنشاء ، وإن لم يقترن بل تأخر عنه فهو الطلب .

والمحققون على دخول الطلب في الإنشاء ، وأن معنى « اضرب » مثلا - وهو طلب الضرب - مقترن بلفظه . وأما الضرب الذي يوجد بعد ذلك فهو متعلق الطلب لا نفسه .

وقد اختلف الناس في حدِّ الخبر ؛ قيل : لا يحدُّ لسره . وقيل :

(١) في البديع : التركيب سليم من التعبد وأسبابه .

(٢) بفتح العين : ٣٤٠ - ملخصاً .

لأنه ضروري ؛ لأن الإنسان يفرق بين الإنشاء والخبر ضرورة ؛ ورجعه الإمام في المحصول^(١) .

والأكثر على حده ؛ فقال القاضي أبو بكر والعزلة : الخبر الذي يدخله الصدق والكذب ، فأورد عليه خبر الله تعالى ؛ فإنه لا يكون إلا صادقاً . فأجاب القاضي بأنه يصح دخوله لغة .

وقيل : الذي يدخله التصديق والتكذيب ، وهو سالم من الإيراد المذكور . وقال أبو الحسن البصري : كلام يفيد بنفسه نسبة ، فأورد عليه نحو : قم ، فإنه يدخل في الحد ، لأن القيام منسوب والطلب منسوب .

وقيل : الكلام المفيد بنفسه إضافة أمر من الأمور إلى أمر من الأمور نفيًا أو إثباتًا .

وقيل : القول يقتضي بتصريحه نسبة معلوم إلى معلوم بالنفي أو الإثبات . وقال بعض المتأخرين : الإنشاء ما يحصل مدلوله في الخارج بالكلام ؛ والخبر خلافه .

وقال من جعل الأقسام ثلاثة : الكلام إن أفاد بالوضع طلباً فلا يخلو إما أن يطلب^(٢) ذكر المادية ، أو تحصيلها ، أو الكف عنها ؛ والأول الاستفهام . والثاني الأمر . والثالث النهي . وإن لم يفد طلباً بالوضع فإن لم يحتمل الصدق والكذب سمي تنبيهاً وإنشاء ؛ لأنك نبهت به على مقصودك ، وأشأته ، أي ابتكرته ، من غير أن يكون موجوداً في الخارج ، سواء أفاد طلباً لازماً ، كالتسني والترجي

(١) المحصول في أصول الفقه للرازي .

(٢) في الإثبات : إما أن يكون طلب ذكر المادية .

والنداء والقسم ، أم لا ؛ كانت طالق ؛ وإن احتملها من حيث هو

فصل

القصص بالخبر إفاضة المخاطب . وقد يرد بمعنى الأمر ؛ نحو^(١) : « والوالدات
يَرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ » . «^(٢) وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ » [١٧٠] . ومعنى النهي ،
نحو^(٣) : « لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الطَّهْرُونَ » . ومعنى الدعاء ؛ نحو^(٤) : « وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » .
أى أعيناً . ومنه^(٥) : « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ » ؛ فإنه دعاء عليه . وكذا^(٦) :
« قَاتِلْهُمْ إِنَّهُ أُنِى يُوَفِّكُون » .. «^(٧) غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُمِنُوا بِمَا قَالُوا » .
وجعل منه قوم^(٨) : « حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ » ؛ قالوا : هو دعاء عليهم بضيق
صدورهم عن قتال أحد .

ونازع ابن العربي^(٩) فى قولهم : إن الخبر يرد بمعنى الأمر أو النهي ، قال
فى قوله تعالى^(١٠) : « فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ » - ليس فثياً لوجود الرَفَثِ ؛
بل لثنى مشروعته ؛ فإن الرَفَثَ يوجد من بعض الناس ؛ وأخبارُ الله لا يجوز
أن تقع بخلاف خبره ، وإنما يرجع الثنى إلى وجوده مشروعاً لا إلى وجوده
محسوساً ؛ كقوله^(١١) : « وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ » ، ومعناه مشروعاً لا محسوساً ،
فإننا نجد مطلقاً لا يتربص ، فنأد الثنى إلى الحكم الشرعى لا إلى الوجود الحسى .
وكذا^(١٢) : « لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الطَّهْرُونَ » ، أى لا يمسه أحد منهم شرعاً ، فإن وجد

(١) البقرة : ٢٣٣	(٢) البقرة : ٢٢٨	(٣) الرواة : ٧٩
(٤) النافعة : ٥	(٥) المد : ١	(٦) التوبة : ٣٠
(٧) النافعة : ٦٤	(٨) النساء : ٩٠	(٩) أحكام القرآن : ٢٤٠١
(١٠) البقرة : ١٩٧	(١١) الرواة : ٧٩	

المس إلى خلاف حكم الشرع . قال : وهذه الدقيقة التي فانت العلماء ، فقالوا :
إن الخبر يكون بمعنى النهي وما وجد ذلك قط ، ولا يصح أن يوجد ، فإنهما
مختلفان حقيقة متباينان^(١) وضماً . انتهى .

فَسْرَع

من أقسامه على الأصح التعجب .

قال ابن فارس^(٢) : وهو تفضيل شيء^(٣) على أصرا به .

وقال ابن الصائغ : استعظام صفة ، خرج بها التعجب منه عن نظائره .

وقال الزمخشري : معنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين ؛ لأن التعجب
لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله .

وقال الرقماي : المطلوب في التعجب الإيهام ، لأن من شأن الناس أن يتعجبوا
مما لم يعرف سببه ، فكلمة استعظم الحب كان التعجب أحسن . قال : وأصل
التعجب إنما هو المعنى الخفى سببه .

والصفة الدالة عليه تسمى تعجباً مجازاً ، قال : ومن أجل الإيهام لم تعزل
« نعم » إلا في الجنس من أجل التفعيم ، اتفق التفسير على نحو التفعيم بالإضمار
قبل الذكر .

(١) في أحكام القرآن : وينضادان وضماً .

(٢) المعاصي : ١٤٨

(٣) في المعاصي : تفضيل شخص من الأشخاص أو غيره عن أصرا به

ثم قد وضعوا التعجب صيغاً فمن لفظه ، وهي ما أنفل ، وأفضل به ، وصيغاً من غير لفظه ، نحو « كبر » ، كقوله تعالى ^(١) : « كبرت كلمة تخرج من أفواههم » . « كبر مقتاً عند الله » . « كيف تكفرون بالله » .

قاعدة

قال المحققون : إذا ورد التعجب من الله صُرف إلى المخاطب ، كقوله تعالى ^(٢) : « فما أصبرهم على النار » ؛ أي هؤلاء يجب أن يُعجب منهم ، وإنما لا يوصف تعالى بالتعجب ؛ لأنه استعظام يصحبه الجهل ، وهو تعالى منزّه عن ذلك ؛ ولهذا تُعبّر جماعة بالتعجب بـ « أي أنه تعجب من الله للمخاطبين » . ونظير هذا مجيء الدعاء والترجى منه تعالى ، إنما هو بالنظر إلى ما تفهمه العرب ؛ أي هؤلاء مما يجب أن يقال لهم : عندكم هذا . ولهذا قال سيبويه في قوله تعالى ^(٣) : « له يتذكر أو يخشى » . المعنى اذها على رجاكما وطمعكما . وفي قوله ^(٤) : « ويل للطفقين » . « ويل يومئذ للمكذبين » : لا تقول هذا دعاء ؛ لأن الكلام بذلك قبيح ، ولكن العرب إنما تكلموا بكلامهم ، وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنونه ؛ فكانه قيل لهم : « ويل للطفقين » ؛ أي هؤلاء ممن يجب هذا القول لهم ؛ لأن هذا الكلام إنما يقال لصاحب الشر والهلكة ؛ قيل : هؤلاء ممن دخل في الهلكة .

(٢) البقرة : ٢٨

(٦) الطه : ١

(٢) الصف : ٣

(٥) طه : ٤٤

(١) الكهف : ٥

(٤) البقرة : ١٧٥

(٣) الطه : ١٠

فَرَع

من أقسام الخبر الوعد والوعيد ، نحو ^(١) : « سُنُّهُمْ آيَاتُنَا فِي الْآخِرَةِ
وَفِي أَنْفُسِهِمْ » . ^(٢) « وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا » . وفي كلام ابن قتيبة ما يوم
أنه إنشاء .

فَرَع

من أقسام الخبر النفي ، بل هو شطر الكلام كله . والفرق بينه وبين الجحد
أن الثاني إن كان صادقاً سُمي كلامه نفيًا ، ولا يسمى جحدًا . وإن كان كاذبًا
سُمي نفيًا وجحدًا أيضًا ، فكل جحد نفي ، وليس كل نفي جحدًا . ذكره أبو جعفر
النحاس وابن الشجري وغيرهما .

مثال النفي ^(٣) : « ما كان محمدٌ أبًا أحدٍ من رجالكم » .

ومثال الجحد نفي فرعون وقومه آيات موسى ؛ قال تعالى ^(٤) : « فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ
آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ . وَجَعَدُوا بِهَا وَاسْتَفْتَحَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا
وَعُلُوًّا » .

وأدوات النفي : لا ، ولات ، وليس ، وما ، وإن ، ولم ، ولما ؛ ومستأنى
في حروف المعجم . —

ونورد هنا قائمة زائدة ؛ قال الخواري : أصل أدوات النفي لا ، وما ؛ لأن النفي

(١) غصت : ٢٣ (٢) الشعراء : ٢٢٧ (٣) الأخذات : ٤٠

(٤) النمل : ١٢ ، ١٤

إما في الماضي وإما في المستقبل ؛ والاستقبال أكثر من الماضي أبداً ، ولا أخف
من ما ، فوضوا الأخف للأكثر .

ثم إن النفي في الماضي إما أن يكون نفياً واحداً مستمراً ، أو نفياً فيه أحكام
[٧٠ ب] متعددة ، وكذلك النفي في المستقبل ، فصار النفي على أربعة أقسام .
واختاروا له أربع كلمات : ما ، ولم ، ولن ، ولا ، فأما إن ولما فليسا بأصلين ،
فما ولا في الماضي والمستقبل متقابلان . ولم كأنه مأخوذ من لا وما ، لأن ما نفي
للاستقبال لفظاً والمضي معنى ، فأخذ اللام من لا التي هي لنفي المستقبل واليم من
« ما » التي هي لنفي الماضي ، وجمع بينهما إشارة إلى أن « لم » إشارة
إلى المستقبل والماضي ، وقدم اللام على اليم إشارة إلى أن « لا » هي أصل النفي ،
ولهذا يُنفي بها في أثناء الكلام ، فيقال لم يفعل زيد ولا عمر . أما لما فتركيب^(١)
بعد تركيب ، كأنه قال : لم وما لتوكيد معنى النفي في الماضي . وتفيد الاستقبال
أيضاً ، ولهذا تفيد لما الاستمرار^(٢) .

تنبيهات

الأول - زعم بعضهم أن شرط صحة النفي عن الشيء صحة اتصاف النفي عنه
بذلك الشيء ، وهو مردود بقوله^(٣) : « وما ربك بناقِل عما يعملون » .
«^(٤) وما كان ربك نسياً » . «^(٥) لا تأخذهُ سِنَّةٌ ولا نَوْمٌ » . ونظائره .
والصواب أن انضاء الشيء عن الشيء قد يكون لكونه لا يمكن منه عقلا ،
وقد يكون لكونه لا يقع منه مع إمكانه .

(١) ل ب : تركبت . (٢) الأنعام : ١٣٢ (٣) مريم : ٦٤

(٤) البقرة : ٢٥٥

الثاني - تنفى الذات الموصوفة قد يكون ثبوتاً للصفة دون الذات ، وقد يكون ثبوتاً للذات ، أيضاً .

من الأول^(١) : « وما جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ » ، أى بل هم جسد يأكلونه .

ومن الثاني^(٢) : « لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِعْظَافاً » ، أى لا سؤال لهم أصلاً ؛ فلا يحصل منهم إخلاف ، «^(٣) ما للظَّالِمِينَ مِنْ حَسَمٍ ولا شَفِيعٍ يُطَاعُ » ؛ أى لا شفيع لهم أصلاً . «^(٤) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ » ، أى لا شافعين لهم تنفعهم شفاعتهم ، بدليل : « فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ » . ويسمى هذا النوع عند أهل البديع تنفى الشيء بإيجابه . وعبرة ابن رشيقي في تفسيره : أن يكون الكلام ظاهراً بإيجاب الشيء وبباطنه تنفيه ، بأن يتنى ما هو من سببه ، كوصفه ، وهو المتنى في الباطن .

وعبرة غيره : أن تنفى الشيء متقيداً والمراد تنفيه مطلقاً مبالغة في التنفى وتأكيده . ومنه^(٥) : « وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ » ، فإن الإله مع الله لا يكون إلا عن غير برهان . «^(٦) وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ » ؛ فإن قتلهم لا يكون إلا بغير حق . «^(٧) رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَلٍ تَرَوْنَهَا » ؛ فإنها لا عمد لها أصلاً .

الثالث - قد يتنى الشيء أصلاً^(٨) لعدم كل وصفه ، أو إغناء نمرته ؛ كقوله في صفة أهل النار^(٩) : « لا يَمُوتُ فِيهَا ولا يَحْيَى » ، فتنى عنه الموت ، لأنه ليس

(١) الأنبياء : ٨	(٢) البقرة : ٢٧٢	(٣) طه : ١٨
(٤) المدثر : ٤٨	(٥) المؤمنون : ١١٢	(٦) آل عمران : ٩١
(٧) الرعد : ٢	(٨) في الإخلاص : رأينا .	(٩) الأعراف : ١٤

بموت صريح ، ونفى عنه الحياة لأنها ليست بحياة طيبة ولا نافعة . « ^(١) وتَوَرَّاهُمْ
يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ » ، فإن المعتزلة احتجوا بها على نفى الروزية ،
فإن النظر في قوله ^(٢) : « إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ » — لا يستلزم للإبصار .

ورُدَّ بأن المعنى أنها تنظر إليه بإقبالها عليه ، وليست تبصر شيئاً . « ^(٣) وَلَقَدْ
عَلَّمُوا الْغَنَى اشْتَرَاءُ مَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ . وَلَبِثْشَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » ، فإنه وصفهم أولاً بالعلم على سبيل التوكيد التسمي ، ثم نفاه
آخر أعني لعدم جريهم على موجب العلم ، قاله السكاكي .

الرابع — المجاز . قالوا : يصح فيه بخلاف الحقيقة . وأشكل على ذلك ^(٤) :
« وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى » ، فإن النفي فيه الحقيقة . وأجيب
بأن المراد بالرماية هنا المرتبة عليه ، وهو وصوله إلى الكفارة ، قالوا ردُّ عليه النفي
هنا مجاز لا حقيقة ، والتقدير : وما رميت خلقاً إذ رميت كسبا . أو ما رميت
انتهاء إذ رميت ابتداءً .

الخامس — نفى الاستطاعة قد يراد به نفى القدرة والإمكان ، وقد يراد به
نفى الامتناع ، وقد يراد به الوقوع بمشقة وكلفة .

من الأول — « ^(٥) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً » . « ^(٦) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا » .
« ^(٧) فَا سْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا » .

ومن الثاني ^(٨) : « هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ » — على القراءتين ^(٩) : « أَيْ هَلْ يَنْصِلُ ؟

(١) الأعراف : ١٩٨ (٢) القيامة : ٢٣ (٣) البقرة : ١٠٢

(٤) الأنفال : ١٧ (٥) يس : ٥٠ (٦) الأنبياء : ٤٠

(٧) الكهف : ٩٧

(٨) المائدة : ١١٢ ، والقراءة الثانية قراءة السكاكي وعلى وابن عباس وسعيد بن جبير

وجعلهم : هل يستطيع ربك — بإلقاء وصية ربك (القرطبي : ٦ - ٤٦٤) .

أو نلَّ بُحِينًا إِلَى أَنْ نَمَالَ ؟ قَدْ عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى الْإِزَالِ ، وَأَنْ عَيْسَى قَادِرٌ عَلَى السُّوَالِ . .

وَمِنَ الثَّالِثِ ^(١) : « إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا » .

قَاعِدَةٌ

نَقَى الْعَامُ يَدُلُّ عَلَى نَقَى الْخَاصِّ ، وَثَبُوتُهُ لَا يَدُلُّ عَلَى ثَبُوتِهِ [١٧١] ؛ وَثَبُوتُ الْخَاصِّ يَدُلُّ عَلَى ثَبُوتِ الْعَامِ . وَفِيهِ لَا يَدُلُّ عَلَى فِيهِ . وَلَا شَكَّ أَنْ زِيَادَةَ الْمَقْهُومِ مِنَ الْقَفْظِ تَوْجِبُ الْإِتِّدَادَ بِهِ ؛ فَلَمَّا كَانَ نَقَى الْعَامِ أَحْسَنَ مِنْ نَقَى الْخَاصِّ ، وَإِثْبَاتُ الْخَاصِّ أَحْسَنَ مِنْ إِثْبَاتِ الْعَامِ . فَلِأَوَّلِ كَقَوْلِهِ ^(٢) : « فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ » ؛ وَلَمْ يَقُلْ بَعَثُوهُمْ بِعَدْوَلِهِ : أَضَاءَتْ ؛ لِأَنَّ النُّورَ أَعَمُّ مِنَ الضُّوءِ ؛ إِذْ يَقَالُ عَلَى الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ ، وَإِنَّمَا يَقَالُ الضُّوءُ عَلَى النُّورِ الْكَثِيرِ . وَلِذَلِكَ قَالَ ^(٣) : « هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً ، وَالْقَمَرَ نُورًا » ؛ فَقَى الضُّوءُ دَلَالَةً عَلَى النُّورِ ؛ فَهُوَ أَحْصَى مِنْهُ ، فَلَمَّا يَوْجِبُ عَدَمَ الضُّوءِ بِمُخْلَافِ الْمَكْسِ . وَالْقَصْدُ إِزَالَةُ النُّورِ مِنْهُ أَصْلًا ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ عَقِبَهُ : « وَتَرَكْهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ » .

وَمِنْهُ ^(٤) : « لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ » ، وَلَمْ يَقُلْ ضَلَالٌ ، كَمَا قَالُوا ^(٥) : « إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ » ، لِأَنَّهَا أَعَمُّ مِنْهُ ، فَكَانَ أَبْلَغُ فِي نَقَى الضَّلَالِ . وَعَبَّرَ عَنْ هَذَا بِأَنْ نَقَى الْوَاحِدَ يَلْزَمُ مِنْهُ نَقَى الْجِنْسِ الْبَتَّةَ ، وَبِأَنَّ نَقَى الْأَدْنَى يَلْزَمُ مِنْهُ نَقَى الْأَعْلَى .

(٢) يونس : ٤

(٣) البقرة : ١٧

(٤) الكهف : ٦٧

(٥) الأعراف : ٦٠

(٦) الأعراف : ٦١

والثاني كقوله^(١) : «وَجَعَلَ عَرْضُهَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ» - ولم يقل طولها ، لأن العرض أخص ؛ إذ كلُّ ما له عرض فله طول ولا يتعكس .

ونظير هذه القاعدة أن نفي المبالغة في القمل لا يستلزم نفي أصل القمل .

وقد أشكل على هذا آيتان^(٢) : قوله تعالى^(٣) : « وما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ » . وقوله^(٤) : « وما كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا » .

وأجيب عن الآية الأولى بأجوبة :

أحدها : أن ظلاماً ، وإن كان بكثرة ، جىء به في مقابلة العبد الذي هو جمع كثرة ؛ ويرشحه أنه تعالى قل : « عَلَامُ الْغُيُوبِ » ؛ فقابل صيغة فقال بالجمع . وقيل في آية أخرى : « عَلِيمُ السُّبُورِ » - فقابل صيغة فاعل الحال على أصل الفعل بالواحد .

الثاني : أنه نفى الظلم الكثير ، فينفي القليل^{بمعنى} ضرورة ؛ لأن الذي يظلم إنما يظلم لا يتفاحه بالظلم ؛ فإذا ترك الكثير مع زيادة نفسه فلأن يترك القليل أولى .

الثالث : أنه على النسبة ؛ أي بذى ظلم . حكاه ابن مالك عن المحققين .

الرابع : أنه أي بمعنى فاعل لا كثرة فيه .

الخامس : إن أقل القليل لو ورد منه تعالى لكان كثيراً ، كما يقال : زلة العالم كبيرة .

السادس : أنه أراد ليس بظالم ، ليس بظالم ؛ تأكيذاً للنفي ؛ فحبر عن ذلك بقوله : ليس بظلام .

(١) آل عمران : ١٢٣ (٢) ب : إثبات . (٣) فصلت : ٤٦

(٤) مريم : ٦٤

السابع : أنه أراد جواباً لمن قل : ظلام ؛ والتكرار إذا ورد جواباً للكلام خاص لم يكن له مفهوم .

الثامن : أن صيغة المبالغة وغيرها من صفات الله سواء في الإثبات ، فجرى النفي على ذلك .

التاسع : أنه قصد التعريض بأن ثم ظلاماً للعبيد من ولاة الجور .
ويُحجب عن الثانية بهذه الأجوبة ، وبما شئ — وهو مناسبة رؤوس الآيات .

قاعدة

قال صاحب الياقوتة : قال ثعلب والبرد : العرب إذا جاءت بين الكلامين بجحد ين كان الكلام إخباراً ؛ نحو^(١) : « وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام » : المعنى إنا جعلناهم جسداً يأكلون الطعام . وإذا كان الجحد في أول الكلام كان جحداً حقيقياً ، نحو : ما زيد بخارج . وإذا كان في أول الكلام جحداً كان أحدهما زائداً ، وعليه^(٢) : « فيما ين مكناكم فيه » ، في أحد الأحوال .

فصل

من أقسام الإنشاء الاستفهام ، وهو طلب التهم ، وهو بمعنى الاستخبار .
وقبل الاستخبار ما سبق أولاً ولم يفهم حق التهم ، فإذا سألت عنه ثانياً كان استفهاماً ، حكاه ابن فارس في قته اللغة .

وأدواته: الهزمة ، وهل ، وما ، ومن ، وأى ، وكى ، وأين ،
وأنى ، متى ، وآيان ؛ وستأتى فى حروف المعجم .

قال ابن مالك فى المصباح : وما عدا الهزمة نائب عنها ؛ ولكونه طلب
لرقسام صورة ما فى الخارج فى القهن لزم أن يكون حقيقة من ^(١) شك مصدق
بإمكان الإعلام ؛ فتن غير الشك إذا استغنىهم يلزم عليه ^(٢) تحصيل الحاصل ،
وإذا لم يصدق بإمكان الإعلام انضت عنه فائدة الاستغناء .

قال بعض الأئمة : وما جاء فى القرآن على لفظ الاستغناء قائما يقع فى خطاب
الله تعالى على معنى أن المخاطب عنده علم ذلك [٧١ ب] الإتيان
أو التنى حاصل .

وقد تستعمل صيغة الاستغناء فى غيره مجازاً . وألف فى ذلك العلامة
شمس الدين بن الصائغ كتاباً سماه « روض الأفهام فى أقسام الاستغناء » ^(٣) ،
قال فيه : قد توسعت العرب فأخرجت الاستغناء عن حقيقة لكان أو أشربته
تلك المعاني . ولا يختص التجوز فى ذلك بالهزمة خلافاً للمفارقة .

الأول : الإنكار ، والمعنى فيه على التنى ، وما بعده متنى ، وأنتك تصعبه
« إلا » ؛ كقوله ^(٤) : « فهل يهلك إلا القوم الفاسقون » . « وهل تجازى
إلا الكفور » ؛ وعطف عليه التنى كقوله ^(٥) : « فمن يهذى من أصل الله
وما لهم من نصيرين » ؛ أى لا يهذى . ومنه ^(٦) : « أتؤمن لك واتبعك

(١) فى الإعلان : لزم ألا يكون حيلة إلا إذا صدر ...

(٢) فى الإعلان : منه .

(٣) محمد بن عبد الرحمن الحنبلى المروى بابن الصائغ المتوفى سنة ٧٧٦

(٤) الأختلاف : ٣٥ (٥) سبأ : ١٢ (٦) الروم : ٢٩

(٧) القمر : ١١١

الأردذكون . . . ^(١) أتؤمن لبشرين مثلي ؛ أى لا تؤمن . . . ^(٢) أم لا
البنات ولكم البنون . . . ^(٣) ألكم الله كزوله الأني ؛ أى لا يكون
هذا . . . ^(٤) أشهدوا خلقهم ؛ أى ما شهدوا ذلك .

وكثيراً ما يصحبه التكذيب ، وهو فى الملقى بمنى لم يكن ، وفى المستقبل
بمنى لا يكون ؛ نحو ^(٥) : « أفأخفاكم ربكم بالبين ... » الآية ، أى لم
يفعل ذلك . . . ^(٦) أنزل مكموها وأنتم لها كارهون ؛ أى لا يكون
هذا الإلزام .

الثانى : التوبيخ ، وجهه بعضهم من قيل الإنكار ، إلا أن الأول إنكار
إبطال ، وهذا الإنكار توبيخ . والمضى أن ما بعده واقع جدير بأن يُبنى ،
فالتقى هنا قصدى ، والإتيان قصدى ، عكس ما تقدم . وسبر عن ذلك بالتفريع
أيضاً ؛ نحو ^(٧) : « أفضيت أمرى » . . . ^(٨) أتعبدون ما تنجون . . .
^(٩) أتدعون بعبلاً وتذرون أحسن الخالقين .

وأكثر ما يقع التوبيخ فى أمر ثابت وُيخ على فعله ، كما يقع ^(١٠) على ترك
فعل ينبى أن يقع ؛ كقوله ^(١١) : « أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر » .
^(١٢) ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها .

الثالث : التقرير ، وهو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر

(١) المؤمنون : ٤٧	(٢) الطور : ٣٩	(٣) النجم : ٢١
(٤) الزخرف : ١٩	(٥) الإسراء : ٤٠	(٦) هود : ٢٨
(٧) طه : ٩٣	(٨) الصافات : ٩٥	(٩) العنكبوت : ١٦٥
(١٠) فى الإحسان : كما ذكر ويخ ...	(١١) غافر : ٢٧	
(١٢) النساء : ٩٢		

عنده . قال ابن جني : ولا يستعمل ذلك سهل ، كما يستعمل بغيرها من أدوات الاستفهام . وقال الكندي : ذهب كثير من العلماء في قوله ^(١) : « هل يسمعونكم إذ تدعون . أو ينفعونكم » — إلى أن « هل » تشارك الهمزة في معنى التقرير والتوبيخ ، إلا أنني رأيت أبا علي أنكر ذلك ، وهو معذور ، فإن ذلك من قبيل الإنكار .

ونقل أبو حيان عن سيبويه أن استفهام التقرير لا يكون بهل ؛ إنما يستعمل فيه الهمزة . ثم نقل عن بعضهم أن « هل » تأتي تقريراً كما في قوله ^(٢) : « هل في ذلك قسمٌ لذي حجر » . والكلام مع التقرير موجب ؛ ولذلك يُخطف عليه صريح الموجب ، ويُخطف على صريح الموجب .

فالأول : كقوله تعالى ^(٣) : « ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك » . ^(٤) « ألم يمدك بيننا فأوى . ووجدك » . ^(٥) « ألم يحمل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم ظيئراً أبابيل » .

والثاني ^(٦) : « أكذبتُم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً » ، على ما قرره الجرجاني من جعلها مثل ^(٧) : « وجعَّـدُوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً » .

وحقيقة استفهام التقرير أنه استفهام إنكار . والإنكار نفى ، وقد دخل على النفي ، ونفى النفي إثبات .

ومن أمثله : « ^(٨) أليس الله بكاف عبده » . « ^(٩) ألسنتُ برّ بكم » .

(١) الفصح : ١ ، ٢

(٢) النجر : ٥

(٣) الشعراء : ٧٢ ، ٧٣

(٤) النمل : ٨٤

(٥) الفيل : ٣ ، ٤

(٦) الضحى : ٦ ، ٧

(٧) الأعراف : ١٧٢

(٨) الزمر : ٣٦

(٩) النمل : ١٤

وجعل منه الزنجى : «^(١) ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير » .

الرابع : التعجب أو التعجب ؛ نحو^(٢) : « كيف تكفرون بالله » .
«^(٣) ما لي لا أرى الهدهد » . وقد اجتمع هذا القسم وسابقه في قوله^(٤) :
« أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم » - قال الزنجى^(٥) : الهمة للتقرير
مع التوبيخ والتعجب من حالهم .

ومحتمل التعجب والاستغناء الحقيقي^(٦) : « ما ولاهم عن قيامهم » .

الخامس : العتاب ؛ كقوله^(٧) : « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم
لذكر الله » . قال ابن مسعود : ما كان بين إسلامهم وبين أن عوتبوا بهذه الآية
إلا أربع سنين . أخرجه الحاكم .

ومن أطف ما عاتب الله به خير خلقه بقوله^(٨) : « عفا الله عنك لِمَ أذِنتَ
لَهُمْ » ؛ ولم يتأذّب الزنجى بأدب الله في هذه الآية على عادته في سوء أدبه .

السادس : التذكير . وفيه نوع اختصار ؛ كقوله^(٩) : « ألم أعهد إليكم
يا بني آدم ألاّ تعبدوا الشيطان » . «^(١٠) ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات
والأرض » . «^(١١) هل علمتم ما فعلتم يوسف وأخيه » .

السابع : الافتخار ؛ نحو^(١٢) : « أليس لي ملك مبصر » .

(١) البقرة : ١٠٦	(٢) البقرة : ٢٨	(٣) النمل : ٢٠
(٤) البقرة : ٢٤	(٥) الكشاف : ١ - ٥٢	(٦) البقرة : ١٢٢
(٧) الحديد : ١٦	(٨) توبة : ٤٣	(٩) يس : ٦٠
(١٠) البقرة : ٢٢	(١١) - سف : ٨٩	(١٢) الزخرف : ٥٩

الثامن : الضخيم ^(١) ؛ نحو ^(٢) : « مَلِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً » .

التاسع : التهويل والتخويف ، نحو : « الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ » . « الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ » .

العاشر : عكسه ؛ وهو التسهيل والتخفيف ؛ نحو ^(٣) : « مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا » .

الحادى عشر : التهديد والوعيد ؛ نحو ^(٤) : « أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ » .

الثانى عشر : التكثير ؛ نحو ^(٥) : « فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا » .

الثالث عشر : التسوية ؛ وهو الاستفهام الداخلى على جملة يصح حلول المصدر محلها ، نحو ^(٦) : « سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ » .

الرابع عشر : الأمر ؛ نحو : « أَسْمِعْ » ؛ أى اسلموا . « فَبَلِّغْهُمْ نَبَأَهُمْ » ؛ أى ابشروهم . « أَنْصِرُوا » ؛ أى اضربوا .

الخامس عشر : التنبية ، وهو من أقسام الأمر ؛ نحو ^(٧) : « أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ » ؛ أى انظر . « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً » . ذكره صاحب الكشاف عن سيوريه ، وقلبك رفع القفل فى جوابه ^(٨) .

(١) فى ب : الضج . (٢) الكهف : ٤٩ (٣) النساء : ٣٩

(٤) المرسلات : ١٦ (٥) الحج : ٤٥ (٦) البقرة : ٦

(٧) الفرقان : ٤٥ (٨) الحج : ٦٣

(٩) قال فى الكشاف (٢ — ٦٦) قاله رفع ولم ينصب جواباً للاستفهام . قلت : لو نصب لأعطى ما هو عكس الغرض ، لأن معناه إثبات الاختصار ، فيطلب بالنصب إلى تقييد الاختصار .

وجعل منه قوم : « فإين تذهبون » ، للتنبيه على الضلال ، وكذا^(١) :
« ومن يَرْغَبُ عن ملة إبراهيم إلا من سفِه نفسه » .

السادس عشر : الترغيب ، نحو^(٢) : « مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللهَ قَرْضًا
حسنًا » . «^(٣) هل أدُلُّكم على تجارة تُنجيكم » .

السابع عشر : النهي ، نحو^(٤) : « اتخشونهم فالله أحق أن تَخْشَوْهُ » ،
بدليل قوله^(٥) : « فلا تَخْشُوا النَّاسَ وَاتَّخِذُوا اللَّهَ وَرَبَّكُمْ » . «^(٦) ما غرَّكَ بِرَبِّكَ
الكرِيم » ، أى لا تقتر به .

الثامن عشر : الدعاء ، وهو كالنهي ، إلا أنه من الأدنى إلى الأعلى ،
نحو^(٧) : « اتَّهِلِكُنَا بِمَا فَلَ الشُّفَاءُ مِنَّا » ؛ أى لا تهلكنا .

التاسع عشر : الاسترشاد ؛ نحو^(٨) : « اجْعَلْ فِيهَا مَنْ يَفْسِدُ فِيهَا » .

المشرون : التمني ؛ نحو^(٩) : « فَبَلِّغْ لَنَا مِنْ شِقَاطِهِ » .

الحادى والعشرون : الاستبطاء ؛ نحو^(١٠) : « مَتَى نَصْرُ اللَّهِ » .

الثانى والعشرون : العَرْض ؛ نحو^(١١) : « أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ
اللهُ لَكُمْ » .

الثالث والعشرون : التحضيض ؛ نحو^(١٢) : « أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا
أَيْمَانَهُمْ » .

(٣) الصف : ١٠

(٦) الانطمار : ٦

(٩) الأعراف : ٥٣

(١٢) البقرة : ٢٤

(٢) البقرة : ٢٤٠

(٥) البقرة : ٢٤٠

(٥) البقرة : ٣٠

(١١) البقرة : ٢٢

(١) البقرة : ١٣٠

(٤) التوبة : ١٣

(٧) الأعراف : ١٠٠

(١٠) البقرة : ٢١٤

الرابع والعشرون : التجاهل ؛ نحو^(١) : « أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا » .

الخامس والعشرون : التعظيم ؛ نحو^(٢) : « مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ » .

السادس والعشرون : التحقير ؛ نحو^(٣) : « أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ » .
« أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا » . ويحتمله وما قبله قراءة^(٤) :
« مَنْ فِرْعَوْنُ » .

السابع والعشرون : الاكتفاء ، نحو^(٥) : « أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ » .

الثامن والعشرون : الاستبعاد ، نحو^(٦) : « أَلَيْسَ لِّهِمُ الذِّكْرَى » .

التاسع والعشرون : الإيذان ، نحو^(٧) : « وَمَا تَلَكَ يَمِينُكَ يَا مُوسَى » .

الثلاثون : التهم والاستهزاء ، نحو^(٨) : « أَصَلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ » .
«^(٩) إِلَّا تَأْكُلُون . مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ » .

الحادى والثلاثون : التأكيد لما سبق من معنى أداة الاستفهام قبله ،
كقوله^(١٠) : « أَقْنِ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الذَّابِّ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ » .
قال الموفق عبد اللطيف البغدادي : أى من حقَّ عليه كلمة الذاب فإلك لا تنقذه .

(١) ص : ٨ (٢) البقرة : ٢٥٥ (٣) الأنبياء : ٣٦

(٤) الفرقان : ٤٦

(٥) البخان : ٣٩ ، والقراءة : من فرعون - بكسر الميم ، وفتح النون من فرعون .

(٦) الزمر : ٦٠ (٧) النجر : ٢٣ (٨) ص : ١٧

(٩) هود : ٨٢ (١٠) الصافات : ٩١ ، ٩٢ (١١) الزمر : ١٩

فمن للشرط ، وإلقاء جواب الشرط ، والهمزة في أفادت معادة مؤكدة لطول الكلام . وهذا نوع من أنواعها . قال الزمخشري ^(١) : الهمزة الثانية هي الأولى كررت لتوكيد معنى الإنكار والاستبعاد .

الثاني والثلاثون : الإخبار ، نحو ^(٢) : « أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا » .
^(٣) « هل آتى على الإنسان » .

تنبيهات

الأول : هل يقال إن معنى الاستفهام في هذه الأشياء موجود وانضم إليه معنى آخر ، أو تجرد عن الاستفهام بالكلية ؟

قال في عروس الأفراح : محل نظر . والذي يظهر الأول . قال : وباعده قول التنوخي في الأقصى القريب : إن لكل تسكون للاستفهام مع بقاء الترجي ، قال : وبما يرجحه أن الاستبطاء في قولك : « أأدعوك ؟ » معناه أن الدعاء وصل إلى حد لا أعلم عدده ، فأنا أطلب أن أعلم عدده ، والعادة تقضي بأن الشخص إنما يستفهم عن عدد ما صدر منه إذا كثر فلم يعلمه ، وفي طلب فهم عدده ما يُشعر بالاستبطاء .

وأما التعجب فلا استفهام معه مستمر ، فمن تعجب من شيء فهو بلسان الحال سائل عن سببه ، وكأنه يقول : أي شيء عرض لي في حال عدم رؤية المدهد ؟ وقد صرح في الكشف ببقاء الاستفهام في هذه الآية ^(١) .

(٢) أنور : ٤٠

(١) الكتاب : ٢ - ١٩٩

(٣) الكتاب : ٢ - ١٤١

(٢) الإنسان : ١

وأما التنبية على الضلال فلاستفهام فيه حقيقى ؛ لأن المعنى ^(١) أين تذهب ؟
أخبرنى إلى أى مكان تذهب ؟ فإنى لا أعرف ذلك . وغاية الضلال لا يُشعر بها
إلى أين [٧٢ ب] تنتهى .

وأما التقرير فإن قلنا : المرادُ به الحكم بثبوته فهو خبر بأنّ المذكور عقيب ^(٢)
الأداة واقع ، أو طلبُ إقرار المخاطب به مع كون الباطل يعلم ، فهو استفهام يقرر
المخاطب ؛ أى يطلبُ منه أن يكون متراً به ، وفى كلام أهل الفن ما يقتضى
الاحتمالين . والثانى أظهر . وفى الإيضاح تصريح به ولا يدع فى صدور الاستفهام ،
من يعلم المستفهم منه ؛ لأنه طلب الفهم ؛ إما طلب فهم المستفهم أو وقوع فهم
لمن لم يفهم كائناً من كان . وبهذا تنحل إشكالات كثيرة فى مواقع الاستفهام
ويظهر بالتأمل بقاء معنى الاستفهام مع كل أمر من الأمور المذكورة . انتهى
ملخصاً .

الثانى : القاعدة أن المبهم ^(٣) يجب أن يلى الممزة . وأشكل عليها قوله تعالى ^(٤) :
« أَفَأَصْنَأَ كُنتُمْ رَبَّكُمْ بِالْبَيْنَيْنِ » ؛ فإن الذى يابها هنا الإصفاء بالبينين ، وليس
هو المنكر ؛ وإنما المنكر قولهم : إنه اتخذ من الملائكة إناثاً .

وأجيب بأن لفظ الإصفاء يُشعر بزعم أن البنات لغيرهم ، أو بأن المراد مجموع
الجلتين ؛ وينحلّ منهما كلام واحد . والتقدير أجمع بين الإصفاء بالبينين
 واتخاذ البنات .

وأشكلُ منه قوله تعالى ^(٥) : « أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْهَوْنَ عَنْهُمْ » .

(١) فى الإيمان : لأن معنى أين تذهب ؟

(٢) فى الإيمان : عقيب .

(٣) فى الإيمان : المنكر .

(٤) الإسراء : ٤٠

(٥) البقرة : ١٧٨

ووجهُ الإشكال أنه لا جائز أن يكون المنكر أمر الناس بالبر فقط ، كما تقتضيه القاعدة المذكورة ؛ لأن أمر البر ليس بما يُنكر ، ولا نسيان النفس فقط ، لأنه يصير ذكرُ أمر الناس بالبر لا مدخل له ، ولا مجموع الأمرين ؛ لأنه يلزم أن تكون العبادة جزء المنكر ، ولا نسيان النفس بشرط الأمر ؛ لأن النسيان منكر مطلقاً ، ولا يكون نسيان النفس حال الأمر أشد منه حال عدم الأمر ؛ لأن المعصية لا تزداد بشاعتها باضمائها للطاعة ؛ لأن جهور العلماء على أن الأمر بالبر واجب ؛ وإن كان الإنسان ناسياً لنفسه وأمره لغيره بالبر كيف يضاعف معصية نسيان النفس ، ولا يأتي الخير بالشر .

قال في عروس الأفراح : ويحجب بأن فعل المعصية مع النهي عنها أفسح ؛ لأنها تجعل حال الإنسان كالتناقض ، وتجعل القول كالتخالف للفعل ، ولذلك كانت المعصية مع العلم أفسح منها مع الجهل . قال : ولكن الجواب على أن الطاعة الصرفة كيف تضاعف المعصية المقارنة لها مع جنسها ؟ فيه دقة .

فصل

من أقسام الإنشاء الأمر

وهو طالب فعل غير كف ، وصيغته افعل وليفعل . وهي حتمية في الإيجاب ، نحو : « أقيموا الصلاة » . « فليصلوا معك » . وترد مجزأً لمعان آخر ، منها : التلب : نحو ^(١) : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » . والإباحة ، نحو ^(٢) : « فكاتبوهم » - نص الشافعي على أن الأمر فيه للإباحة . ومنه ^(٣) : « وإذا حلتكم فاصطادوا » .
والعلماء من السافل للمال ، نحو : « رب اغفر لي » .

والتهديد ، نحو^(١) : « اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ » ، إذ ليس المراد الأمر بكل عمل شاموا .

والإهانة ، نحو^(٢) : « ذُقْ إِنْكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ » .

والتسخير ، أى التذليل ، نحو^(٣) : « كُونُوا فِرْدَةً » . وعبر به عن نقلهم من حالة إلى حالة إذلالاً لهم ، فهو أخص من الإهانة .

والتعجيز ، نحو^(٤) : « فَاتُّوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ » ؛ إذ ليس المراد طلب ذلك منهم ، بل إظهار عجزهم .

والامتنان ، نحو^(٥) : « كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ » .

والمعجب ، نحو^(٦) : « انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ » .

والتسوية ، نحو^(٧) : « فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا » .

والإرشاد ، نحو^(٨) : « وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ » .

والاحتقار ، نحو^(٩) : « أَلَهُوْا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ » .

والإنذار ، نحو : « قُلْ تَتَّقُوا » .

والإكرام ، نحو : « ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ » .

والتسكين - وهو أعم من التسخير ، نحو : كُنْ فَيَكُونُ .

والإنعام ، أى تذكير النعمة ، نحو^(١٠) : « كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ » .

(١) فصلت : ٤٠	(٢) البقرة : ٤٩	(٣) البقرة : ١٥
(٤) البقرة : ٢٣	(٥) الأنعام : ١٤١	(٦) الإسراء : ٤٨
(٧) الطه : ١٦	(٨) البقرة : ٢٨٢	(٩) يونس : ٨٠
(١٠) الأنعام : ١٤٢		

والتكذيب ؛ نحو^(١) : « قل فاتوا بالتوراة فاتلوها » . « قل هل من شهداءكم الذين يشهدون [١٧٣] أن الله حرم هذا » .

والتسوية ؛ نحو^(٢) : « فانظروا ماذا ترى » .

والاعتبار ؛ نحو^(٣) : « انظروا إلى ثمره إذا أثمر » .

والتعجب ؛ نحو^(٤) : « أسمع بهم وأبصر » — ذكره السكاكي في استعمال الإنشاء بمعنى الخبر .

فصل

ومن أقسامه النهي

وهو طلب الكف عن فعل . وصيغته « لا تفعل » ؛ وهي حادثة في التحريم ، وترد مجازاً لمعان ؛ منها :

الكرامة ؛ نحو^(٥) : « ولا تمش في الأرض مرحاً » .

والدعاء ؛ نحو^(٦) : « لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا » .

والإرشاد ؛ نحو^(٧) : « لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » .

والتسوية ؛ نحو^(٨) : « فاصبروا أو لا تصبروا » .

(١) آل عمران : ٩٣ (٢) الأنعام : ١٥٠ (٣) المائدة : ١٠٢

(٤) الأنعام : ٩١ (٥) مريم : ٢٨ (٦) الإسراء : ٣٢

(٧) آل عمران : ٨ (٨) المائدة : ١٠١ (٩) الطور : ١٦

والاحتقار والتقليل ؛ نحو^(١) : « وَلَا تَمْدُنْ عَيْنَيْكَ ... » الآية ، أى فهو قليل حقير .

وبيان الساقية ، نحو^(٢) : « وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ » ، أى عاقبةُ الجهاد الحياة لا الموت .

والْيَأْسَ ، نحو^(٣) : « لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ » .

والإهانة ، نحو^(٤) : « اخْشَوْا فِيهَا وَلَا تُكْكِلُوهَا » .

فصل

ومن أقسامه التمنى

وهو طلبُ حصولِ شيءٍ على سبيلِ المحبة ، ولا يشترط إمكان التمنى بخلاف المرجى ، لكن يُوزَعُ في تسمية تمنى المحال طلباً ، بأن ما لا يتوقع كيف يُطلب . قال فى عروس الأفراح : فالأحسن ما ذكره الإمام وأتباعه من أن التمنى والترجى والنداء والتقسم ليس فيها طلب ؛ بل هو تنبيه . ولا بدع فى تسميته إنشاء . انتهى .

وقد بالغ قوم فجعلوا التمنى من أقسام الخبر ، وأن معناه النفى ، والزعم شىء من جزم بخلافه ، ثم استشكل دخول التكذيب فى جوابه فى قوله^(٥) : « يَا لَيْتَنَّا نَرَوْهُ وَلَا نُكْذِبُ بآيَاتِ رَبِّنَا ... » إلى قوله : « وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ » .

(١) أخير : ٨٨ (٢) آل عمران : ١٦٩ (٣) التحريم : ٧

(٤) المؤمنون : ٦٠-٨ (٥) الأنعام : ٢٧-٢٨

وأجاب^(١) بتضمنه معنى العدة فتعلق به التكذيب .

وقال غيره : التمني لا يصح فيه الكذب ، وإنما الكذب في التمني الذي يرجع عند صاحبه وقوعه ، فهو إذاً وارد على ذلك الاعتقاد الذي هو ظن ، وهو خبر صحيح . قال : وليس المعنى في قوله : « وإنهم لكاذبون » أن ما تمنوا ليس بواقع ، لأنه ورد في معرض الذم لهم ، وليس في ذلك التمني ذم ، بل التكذيب . ورد على إخبارهم عن أنفسهم أنهم لا يكذبون وأنهم يؤمنون . وحرف التمني الموضوع له « ليت » ، نحو^(٢) : « يا ليتنا نُرَدُّ » . «^(٣) يا ليت قومي يعلمون » . «^(٤) يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً » .

وقد يُتمنى بهل حيث يُعلم قَدُّه ، نحو^(٥) : « فهل لنا من شُفعاء فيشفعوا لنا » ، أو يَلَوْ ، نحو^(٦) : « فلو أن لنا كرة ففككون » ، ولذا نُصِبَ الفعل في جوابها .

وقد يُتمنى بامل في البعيد ، فيعطى حكم ليت في نصب الجواب ، نحو^(٧) : « لعلِّي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأظلمع » .

(٢) الأنعام : ٢٧

(١) الكشاف : ١ — ٢٨٨

(٥) الأعراس : ٣

(٤) النساء : ٧٣

(٣) يس : ٢٦

(٦) الشعراء : ١٠٢

فصل

ومن أقسامه الترجي

تقل التراقي^(١) في «الفروق» الإجماع على أنه إنشاء ، وفرق بينه وبين التمني بأنه في الممكن ، والتمني فيه وفي المستحيل ؛ وبأن الترجي في القريب ، والتمني في البعيد ؛ وبأن الترجي في المتوقع والتمني في غيره ؛ وبأن التمني في المشوق للنفس ، والترجي في غيره .

وسمى شيخنا الكافي^(٢) يقول : الفرق بين التمني وبين العزم هو الفرق بينه وبين الترجي .

وحرف الترجي : لعل ، وعسى ؛ وقد ترد مجازاً لتوقع محذور ؛ ويسمى الإشفاق ؛ نحو^(٣) : « لعل الساعة قريب » .

فصل

ومن أقسامه النداء

وهو طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف نائب مناب أدعو ، ويصحب في الأكثر الأمر والنهي . والغالب تقدمه ؛ نحو^(١) : « يا أيها الناس اعبدوا

(١) القرائ هو أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المعروف بالفراء . وكتابه : « أنوار البروق في أنوار الفروق » . توفي سنة ٦٨٤ هـ .

(٢) في ب : الكافي . (٣) الشورى : ١٧ (١) الفرة : ٢٩

رَبِّكُمْ . «^(١) يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ » . « يَا أَيُّهَا الزَّمَلُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا » .
« يَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ » . « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ » .

وقد يتأخر ؛ نحو^(٢) : « تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ » .

وقد يصحب الجملة الخبرية فتعقبها جملة الأمر ؛ نحو^(٣) : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ
ضَرْبَ مَثَلٍ لِمَنِ اسْتَمِعُوا لَهُ » . «^(٤) يَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا » .
وقد لا تعقبها ؛ نحو^(٥) : « يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ » . «^(٦) يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ
الْفُقَرَاءُ » . «^(٧) يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ » .

وقد تصحبه الاستفهامية ؛ نحو^(٨) : « يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ [٧٣ ب] مَا لَا يَسْمَعُ
وَلَا يَبْصُرُ » . «^(٩) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تَحْزَنُ » . «^(١٠) يَا قَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ » .

وقد ترد صورة النداء لغيره مجازاً ، كالإغراء والتحذير ؛ وقد اجتمعا
في قوله^(١١) : « نَاقَةُ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا » .

والاختصاص ؛ كقوله^(١٢) : « رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ » .
والتنبيه ؛ كقوله^(١٣) : « أَلَا يَسْتَجِدُّوهُ » .

والتعجب ؛ نحو^(١٤) : « يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ » .

والتحسر ؛ كقوله^(١٥) : « يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا » .

(١) الحجرات : ١	(٢) النور : ٣١	(٣) الحج : ٧٣
(٤) هود : ٦٤	(٥) الزخرف : ٦٨	(٦) طه : ١٥
(٧) يوسف : ١٠٠	(٨) مريم : ٤٢	(٩) التحريم : ١
(١٠) طه : ١١	(١١) الشمس : ٣	(١٢) هود : ٢٣
(١٣) النمل : ٢٥	(١٤) يس : ٣٠	(١٥) الباء : ٠

قاعدة

أصل النداء بما أن يسكون للبعد حقيقة أو حكماً ؛ وقد يُنادى بها القريب
لنكته ، منها إظهار الحرص في وقوعه على إقبال الدعوى ؛ نحو^(١) : « يا موسى
أقبل ولا تتخف » .

ومنها كون الخطاب المتأو معتنى به ؛ كقوله^(٢) : « يا أيها الناس
اعبدوا ربكم » .

ومنها قصد تعظيم شأن الدعوى ، نحو : « يا رب » . وقد قال تعالى^(٣) :
« فإني قريب » .

ومنها قصد المخطاطه ، كقول فرعون^(٤) : « واني لأظنك يا موسى
مستوراً » .

قاعدة

قل الزمخشري وغيره : كرر^(٥) في القرآن النداء بيا أيها دون غيره ،
لأن فيه أوجها من التأكيذ ، وأسباباً من المبالغة .

منها ما في « يا » من التأكيذ والتثنية وما في « ها » من التثنية ،
وما في التدرج من الإيهام في « أي » إلى التوضيح ، والمقام يناسب المبالغة والتأكيذ ؛
« لأن » كل ما نادى الله عباده من أوامره ونواهي ، وعظائمه وزواجره ، ووعدِهِ

(٣) البقرة : ١٨٦

(٢) البقرة : ٢١

(١) القصص : ٢١

(٥) في الإيهام : كفر .

(٤) الإسراء : ١٠١

ووعيده ، ومن التناص أخبار الأمم الماضية ، وغير ذلك مما أنطق الله به كتابه —
أمور عظام وخطوب جسام ، ومعان واجب عليهم أن يفتشوا لها ، ويميلوا
بقلوبهم وببصائرهم إليها وهم غافلون ، فاتقضى الحال أن ينادوا بالآ كد الأبلغ .

فصل

ومن أقسامه القسم

نقل القرآني الإجماع على أنه إنشاء ، وفائدة تأكيد الجملة الخبرية وتحقيقها
عند السامع .

ومن أقسامه الشرط .

• • •

الوحدة التاسع والعشرون من جملة التمجيد

اقسامه تعالى في مواضع لإقامة الحجة وتأكيدها

وقد أفرد ابن القيم^(١) في مجلد سماه « التبيان » .

فإن قلت : ما معنى القسم منه تعالى ؟ فإنه إن كان لأجل التوهم فالتوهم
، صدق بمجرد الإخبار من غير قسم ، وإن كان لأجل السكافر فلا يفيد .

وأجيب بأن القرآن نزل بلغة العرب ، ومن عاداتها القسم إذا أرادت

(١) هو محمد بن أبي بكر بن أبي البركات بابن قيم الحوزية تولى سنة ٧٠٠ هـ .

أن تؤكد أمرا ، حتى جلوا مثل ^(١) : « والله يشهد إن المنافقين لكاذبون »
— قسما ، وإن كان فيه إخبار بشهادة ، لأنه لما جاء توكيدا للخبر سمي قسما .

يقول أبو القاسم القشيري : وذلك لأن الحكم يفصل باثنين ، إما بالشهادة ،
وإما بالقسم ، فذكر تعالى في كتابه النوعين ، حتى لا تبقى لهم حجة ، فقال ^(٢) :
« شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ » . وقال ^(٣) :
« قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَخَقٌّ » . وعن بعض الأعراب أنه لما سمع قوله تعالى ^(٤) :
« وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ » . فَوَرَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَخَقٌّ »
صاح ^(٥) وقال : من الذي أغضب الجليل حتى أجهأ إلى اليمين .

ولا يكون القسم إلا باسم معظّم . وقد أقسم الله تعالى بنفسه في القرآن
في سبعة مواضع : الآية المذكورة ؛ بقوله : « قُلْ إِي وَرَبِّي » . ^(٦) قل على
وَرَبِّي أَتُبَعْنَ » . ^(٧) فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ » . ^(٨) فَوَرَبِّكَ
لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ » . ^(٩) فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ » . ^(١٠) فَلَا أَقْسَمُ بِرَبِّ
الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ » .

والباقي كله قسم بمخلوقاته ، كقوله : « والتين والزيتون » . والصافات .
والليل . والشمس . والضحى . فلا أقسم بالخنس .

فإن قيل : كيف أقسم بما يَخْلُقُ ، وقد ورد النهي عن القسم بخير الله ؟
قلت : أجيب عنه بأجوبة :

- | | | |
|---|---|-------------------------------------|
| (١) المنافقون : ١ | (٢) آل عمران : ١٨ | (٣) يونس : ٥٣ |
| (٤) القاريات : ٢٢ ، ٢٣ | (٥) في الإتيان : صرح . | (٦) التين : ٧ |
| (٧) فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ | (٨) فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ | (٩) فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ |
| (١٠) فَلَا أَقْسَمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ | | |

أحدهما : أنه على حذف مضاف ، أى ورب التَّين ، ورب الشمس ، وكذا الباقى .

الثانى : أن العرب كانت تعظم هذه الأشياء وتقسم بها ، فنزل القرآن على ما يعرفون .

الثالث : أن الأقسام إنما تكون بما يعظمه القسم أو يحبه^(١) ، وهو فوقه ، والله تعالى ليس [١٧٤] شئ فوقه . فأقسم تارة بنفسه ، وتارة بمصنوعاته ، لأنها تدل على أنه بارئ صانع .

قال ابن أبى الإصبع — فى أمرار القوايح : القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع ؛ لأن ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل ؛ إذ يستحيل وجود مفعول من غير فاعل .

وأخرج ابن أبى حاتم عن الحسن ، قال : إن الله يقسم بما شاء من خلقه ، وليس لأحد أن يقسم إلا بالله .

وقال العلماء : أقسم الله تعالى بالنبي صلى الله عليه وسلم فى قوله : « لعمرُك » ، ليعرف الناس عظمتَه عند الله ومكانته لديه .

أخرج ابن مردويه عن ابن عباس ، قال : ما خلق الله ولا ذرأ ولا برأ نفساً أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا سمعت الله أقسم بحياة مخلوق غيره ، قال^(٢) : « لعمرُك » إنهم لفى سكرتهم يعمهون .

وقال أبو القاسم القشيري : القسم بالشئ لا يخرج عن وجهين : إما لفضيلة ،

أو المنفعة ، فالفضيلة كقوله : « وطُورِ سِينِينَ ، وهذا البلد الأمين » . والمنفعة ،
نحو : « والتين والزيتون » .

وقال غيره : أقسم تعالى بثلاثة أشياء : بذاته كالآيات السابقة ، وبفعله
نحو^(١) : « والسماء وما بناها ، والأرض وما طحاها ، ونفس وما سواها » ،
وبمفعوله نحو : « والنجم إذا هوى » . « والعاور » . وكتاب مسطور » .

والقسم إما ظاهر كالآيات السابقة . وإما مضمّر ؛ وهو قسمين : قسم
دلت عليه اللام نحو^(٢) : « لتبتّلون في أموالكم وأفسكم » . وقسم دل عليه
اللفظ ؛ نحو^(٣) : « وإن منكم إلا واريدها » . تقديره : والله .

وقال أبو علي الفارسي : الألفاظ الجارية بحرى القسم قسمان :

أحدهما ما تكون كغيرها من الألفاظ التي ليست بقسم ، فلا تجاب بحوايه ،
كقوله^(٤) : « وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين » . «^(٥) وإذا أخذنا
ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة » . «^(٦) فيخلقون له
كما يخلقون لكم » .

وهذا ونحوه يجوز أن يكون قسما ، وأن يكون حالا مخلوفا من الجواب .

والثاني ما يتلقى بحواب القسم في قوله^(٧) : « وإذا أخذ الله ميثاق الذين
أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه » . «^(٨) وأقسموا بالله جهد أيمانهم
لئن أمرتهم ليخرجن » .

(١) الشمس : ٥ - ٧ (٢) آل عمران : ١٨٦ (٣) مريم : ٧١
(٤) الحديد : ٨ (٥) البقرة : ١٢٣ (٦) المجادلة : ١٨
(٧) آل عمران : ١٨٧ (٨) النور : ٥٣

وقال غيره : أكثر الأقسام في القرآن المحذوفة القمل لا تكون إلا بالواو ؛
فإذا ذكرت الباء أتى بالفعل ؛ كقوله : « وأقسموا بالله جهد أيمانهم » .
« ^(١) يَحْلِفُونَ بالله » . ولا تجدد الباء مع حذف القمل . ومن ثم كان خطأ
من جعل قسما بالله ^(٢) : « إن الشرك لظلم عظيم » . « ^(٣) ادع لنا ربك بما عهد
عندك » . « ^(٤) بحق إن كنت قلته فقد علمته » .

وقال ابن القيم : اعلم أنه سبحانه يقسم بأمور على أمور ، وإنما يقسم بنفسه
المقدمة الموصوفة بصفاته أو بآياته المستلزمة لذاته وصفاته ، وإقسامه ببعض
الخلق دليل على أنه من عظيم آياته . فالقسم إما على جملة خبرية ، وهو الغالب ،
كقوله ^(٥) : « فَوَرَبُّ السَّما وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ » . وإما على جملة طلبية ،
كقوله ^(٦) : « نَوَزَيْتُكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ » . مع أن هذا القسم قد يُراد به
تحقيق المقسم عليه ، فيكون من باب الخبر ؛ وقد يُراد به تحقيق المقسم ؛ فالقسم عليه
يُراد بالقسم توكيده وتحقيقه ؛ فلا بد أن يكون مما يحسن ^(٧) فيه ؛ وذلك كالأمور
الغائبة ^(٨) الخفية ؛ إذا قسم على ثبوتها ؛ فأما الأمور المشهودة الظاهرة ،
كالشمس ، والليل ، والنهار ، والسماء ، والأرض - فهذه يقسم بها ولا يُقسم عليها .
وما أقسم عليه الرب فهو من آياته ، فيجوز أن يكون مُتَسَمِّياً به ، ولا ينعكس .
وهو سبحانه يذكر جواب القسم تارة وهو الغالب ، ويحذفه أخرى كما يحذف
جواب « لو » كثيراً للعلم .

ولما كان القسم يكثر في الكلام اختصر ، فصلا فعل القسم يحذف ويكتفى

(١) التوبة : ٦٢ (٢) لقمان : ١٣ (٣) الزخرف : ١٩
(٤) المائدة : ١١٦ (٥) القاربات : ٢٣ (٦) الحجر : ١٢
(٧) في الإحسان : يحسن . (٨) في ب : الثانية .

بالباء ، ثم عوض من الباء الواو في الأسماء الظاهرة ، والتاء في اسم الله ؛ كقوله ^(١) : « تَاللّٰهِ لَا كِبْدَنَ أَصْنَامَكُمْ » . قال : ثم هو سبحانه يُقسم على أصول الإيمان التي يجب على الخلق معرفتها ، وتارة يقسم على التوحيد ، وتارة يُقسم على أن القرآن حق ، وتارة [٧٤ ب] على أن الرسول حق ، وتارة على الجزاء والوعد والوعيد ، وتارة على حال الإنسان :

فالأول كقوله : « وَالصَّاقَاتُ صَغَا ... » إلى قوله : « إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ » .

والثاني كقوله ^(٢) : « فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَّعِلَمُونَ عَظِيمٌ . إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ » .

والثالث كقوله : « يس . وَالْقُرْآنُ الْحَكِيمُ . إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ » . « وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ... » الآيات .

والرابع كقوله : « وَالَّذَارِيَاتُ ذُرَّوَاتُ ... » إلى قوله : « إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ » . والمرسلات ... إلى قوله : « إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ » .

والخامس كقوله : « وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَىٰ ... » إلى قوله : « إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ... » الآيات . « وَالْعَادِيَاتُ ... » إلى قوله : « إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ » . « وَالْمُصِرِّينَ الْإِنْسَانَ لَقَىٰ خُسْرٌ ... الخ . وَالتِّينَ وَالزَّيْتُونَ ... » إلى قوله : « لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ » . الآيات . « لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ... » إلى قوله : « لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ » .

قال : وأكثر ما يُحذف الجواب إذا كان في نفس المقسم به دلالة على

القسم عليه . فإن المقصود يحصل بذكره ، فيكون حذفُ القسم عليه أبلغ وأوجز ، كقوله . عس ، والقرآن ذى الذكر ؛ فإن فى القسم به من تعظيم القرآن ووصفه بأنه ذو الذكر المتضمن لتذكير العباد ما يحتاجون إليه ، والشرف والقدرة — ما يدل على القسم عليه ، وهو كونه حقا من عند الله غير مُفْتَرَى كما يقوله الكافرون ؛ ولهذا قال كثيرون : إن تقدير الجواب : إن القرآن الحق ، وهذا مطرد فى كل ما شأنه ^(١) ذلك ؛ كقوله : ق ، والقرآن المجيد . وقوله : « لا أقسم بيوم القيامة » ؛ فإنه يتضمن إثبات المعاد . وقوله : والقبحر... الآيات ؛ فإنها أزمان تتضمن أفعالا عظيمة من المناسك وشعائر الحج التى هى عبودية محضة لله ، وذلك وخضوع لعظمته ؛ وفى ذلك تعظيم ما جاء به محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام .

قل : ومن لطائف القسم قوله : « والضُّحَى . والليل إذا سجى ... » الآيات ؛ أقسم تعالى على إقامه على رسوله وإكرامه له ؛ وذلك متضمن لتصديقه له ، فهو قسم على صحة نبوته ، وعلى جزائه فى الآخرة ، فهو قسم على النبوة والمعاد . وأقسم بآيتين عظيمتين من آياته . وتأمل مطابقة هذا القسم وهو نورُ الضُّحَى الذى هو يُوافى بعد ظلام الليل للقسم عليه ، وهو نورُ الوَحْيِ الذى وافاه بعد احتباسه عنه ، حتى قال أعداؤه : ودّع محمد ربه ؛ فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه .

• • •

(١) فى الإحسان : ما شابه ذلك .

الوجه المخلو من وجوه العجساره

اشتماله على جميع أنواع البراهين والأدلة

وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد يُبنى من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به ؛ لكن أوردته على عادة العرب دون دقائق طرق المتكلمين ، لأمرين :

أحدهما - بسبب ما قاله^(١) : « وما أرسلنا من رسولٍ إلا بلسان قومه ليُبينَ لهم » .

والثاني - أن المائل إلى دقيق الحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام ؛ فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم ينحط إلى الأغصان الذي لا يعرفه إلا الأقلون ، ولم يكن مُلغزاً ، فأخرج تعالى مخاطباته في حاجة خلقه في أجلى صورة ؛ ليفهم العامة من جليلها ما يقتضيه ويلزمهم الحجة ، وتفهم الخواص من أثنائها ما يُرَبِّي على ما أدركه فهم الخطباء .

وقد أفرد جدل القرآن بالتصنيف نجم الدين الطوفي^(٢) .

قال ابن أبي الإصبع^(٣) : زعم الجاحظ أن المذهب الكلامي لا يوجد منه شيء في القرآن ، وهو مشحون به ، وتريفة أنه احتجج التكلم على ما يريد إثباته بحجة تنقطع المائدة فيه على طريقة أرباب الكلام . ومنه نوع منطوق تستنتج منه

(١) إبرايم : ٤

(٢) هو سليمان بن عبد القادر بن عبد الكريم الحروف بنجم الدين الطوفي المتوفى سنة ٧١٦ هـ (الدر المنثور : ٢ - ١٥٤) .

(٣) بديع القرآن : ٢٧ ، ٢٨

التأنيح الصحيحة من المقدمات الصادقة ؛ فإن الإسلاميين من أهل هذا العلم ذكروا أن من أول سورة الحج إلى قوله ^(١) : « وَأَنَّ اللَّهَ يَبْثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ » - خمس نتائج تستتبع من عشر مقدمات : قوله ^(٢) : « ذَلِكَ [١٧٥] بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ » ؛ لأنه قد ثبت عندنا بالخبر التواتر أنه تعالى أخبر بزلزلة الساعة محظماً لها ؛ وذلك مقطوع بصحته ، لأنه خبر أخبر به من ثبت صدقه عن ثبت قدرته ، متقول إلينا بالتواتر ؛ فهو حق ، ولا يخبر بالحق عما سيكون إلا الحق ، فهو ^(٣) الولي .

وأخبر تعالى أنه يحيى الموتى ، لأنه أخبر عن أهوال الساعة بما أخبر ، وحصول فائدة هذا الخبر موقوفة على إحياء الموتى ليشاهدوا تلك الأهوال التي يسلها ^(٤) الله من أجلهم .

وقد ثبت أنه قادر على كل شيء ؛ ومن الأشياء إحياء الموتى ؛ فهو يحيى الموتى .

وأخبر تعالى أنه على كل شيء قدير ؛ لأنه أخبر أنه من يتبع الشياطين ، ومن يجادل في الله بغير علم - يذيقه من عذاب السعير ؛ ولا يقدر على ذلك إلا من هو على كل شيء قدير ؛ فهو على كل شيء قدير .

وأخبر أن الساعة آتية لا ريب فيها ؛ لأنه أخبر بالخبر الصادق أنه خلق الإنسان من تراب إلى قوله ^(٥) : « لَكَيْلًا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمِ شَيْئًا » . وضرب

(١) الحج : ٢ (٢) الحج : ٦

(٣) في الإتيان وبيع القرآن : قافه هو الحق .

(٤) في بيع القرآن : التي ضلها الله .

(٥) الحج : ٥

لذلك مثلاً بالأرض الهامدة التي ينزل عليها الماء فتَهز وتزبو، وتُنبت من كل زوج بهيج. ومن خلق الإنسان على ما أخبر به فأوجده بالخلق ثم أعدمه بالموت: ثم بعده بالبعث، وأوجد الأرض بعد الممدم فأحيها بالخلق ثم أماتها بالخلق، ثم أحيها بالخصب، وصدق خبره في ذلك كله بدلالة الواقع^(١) الشاهد على المتوقع الثابت، حتى اقلب الخبر عياناً — صدق خبره في الإتيان بالساعة، ولا يأتي بالساعة إلا من يبعث من في القبور؛ لأنها عبارة عن مدة تقوم فيها الأموات للبعث، فهي آية لا ريب فيها، وهو سبحانه يبعث من في القبور^(٢).

وقال غيره: استدل سبحانه على المعاد الجسماني بفُروب:

أحدها: قياس الإعادة على الابتداء، قال^(٣): «كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ» . «كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ» . «أَنعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ» .

ثانيها: قياس الإعادة على خلق السموات والأرض بطريق الأولى، قال^(٤): «أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَلَاةٍ» .

ثالثها: قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر والنبات.

رابعها: قياس الإعادة على إخراج النار من الشجر الأخضر.

وقد روى الحاكم وغيره أن أبي بن خلف جاء بمظلم فقه، قال: أفيُحيى الله هذا بعد ما كَلَى ورَمَ، فانزل الله^(٥): «قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَشْأَهَا أَوَّلَ

(١) لى بديع القرآن: الشاهد.

(٢) إل هنا من بديع القرآن:

(٣) الأعراف: ٢٩ (٤) الأنبياء: ١٠٤ (٥) ق: ١٥

(٦) يس: ٨١ (٧) يس: ٢٩، ٨٠

مرة وهو بكل خلق عليم ؛ فاستدل سبحانه برّد النشأة الأخرى إلى الأولى والجمع بينهما بجملة الحدوث . ثم زاد في الحجاج بقوله ^(١) : « الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا » ؛ وهذه في غاية البيان في رد الشيء إلى نظيره ، والجمع بينهما من حيث تبديل الأعراض عليها .

خامسها : في قوله ^(٢) : « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ، بلى ... » الآيتين ؛ وتقريرها أن اختلاف المختلفين في الحق لا يوجب انقلاب الحق في نفسه ، وإنما تختلف الطرق الموصلة إليه ، والحق في نفسه واحد ؛ فلما ثبت أن ما هنا حقيقة موجودة لا محالة ، وكان لا سبيل لنا في حياتنا إلى الوقوف عليها وقوفاً يوجب الائتلاف ويرفع عنا الاختلاف ؛ إذ كان الاختلاف مركزاً في فطرنا ، وكان لا يمكن ارتفاعه وزواله إلا بارتفاع هذه الجبلية ، ونقلها إلى صورة غيرها — صبح ضرورة أن لنا حياة أخرى غير هذه الحياة ، فيها يرتفع الاختلاف والعناد ؛ وهذه هي الحالة التي وعد الله بالمصير إليها ؛ فقال ^(٣) : « ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا » ؛ فقد صار الخلاف الموجود ، كما ترى ، أوضح دليل على كون البعث الذي ينكرون المنكرون ؛ كذا قرره ابن السيد .

ومن ذلك الاستدلال على أن صانع العالم واحد ، بدلالة التمايز المشار إليها في قوله ^(٤) : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا » ؛ لأنه لو كان للعالم صانعان لكان لا يجرى تدبيرهما على نظام ، ولا ينسق على إحكام ، ولكان المعجز يلحقهما أو أحدهما ؛ وذلك لأنه لو أراد أحدهما إحياء جسم [٧٥ ب] وأراد الآخر

(١) النحل : ٢٨ ، ٢٩ (٢) الأعراف : ٤٣

(١) ق : ١٥

(٢) الأبيات : ٢٢

إماتته فإما أن تنفذ^(١) إرادتهما فيتناقض ؛ لاستحالة تجزئ الفعل إن فرض الاتفاق ، أو لامتناع اجتماع الضدين إن فرض الاختلاف ، وإما ألا تنفذ إرادتهما فيؤدى إلى عجزهما ، أو لا تنفذ إرادة أحدهما فيؤدى إلى عجزه ، والإله لا يكون عاجزاً .

فصل

[السبر والتقسيم]

من الأنواع المصطلح عليها في علم الجدل السبر والتقسيم .

ومن أمثله في القرآن قوله تعالى^(٢) : « ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ... » الآيتين ؛ فإن الكفار لما حرّموا ذكور الأنعام تارة وإنثائها أخرى رد تعالى ذلك عليهم بطريق السبر والتقسيم ، فقال : إن الخلق لله ، خلق من كل زوج بما ذكر ذكرًا وأنثى ، فمِمَّ جاء تحريم ما ذكرتم ؟ وما علته ؟ لا يخلو إما أن يكون من جهة الذكورة أو الأنوثة ، أو اشتغال الرحم الشامل لهما ، أو لا يُدري له^(٣) علة ، وهو التعبدى ، بأن أخذ ذلك عن الله ، والأخذ عن الله إما بوحى ، أو بإرسال رسول ، أو سماع كلامه ومشاهدة تلقى ذلك عنه ، وهو في معنى قوله^(٤) : « أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا » .

فهذه وجوه التحريم لا تخرج عن وجه^(٥) منها :

والأول يلزم عليه أن تكون جميع الذكور حراما .

(٢) الأنعام : ١٤٣

(٤) الأنعام : ١٤٤

(١) ن ب : تفسر .

(٢) في الإحسان : أى ما علته .

(٥) في الإحسان : من واحد منها .

والثاني يلزم عليه أن تكون جميع الإناث حراما .

والثالث يلزم عليه تحريم الصنفين معا ، فبطل ما فلوه من تحريم بعض في حالة وبعض في حالة ؛ لأن العلة ، على ما ذكر ، تقتضي إطلاق التحريم ، والأخذ عن الله بلا واسطة باطل ولم يدعوه ، وبواسطة رسول كذلك ؛ لأنه لم يأت إليهم رسول قبل النبي صلى الله عليه وسلم . وإذا بطل جميع ذلك ثبت المدعى ، وهو أن ما قالوه اقراء على الله وضلال .

[القول بالموجب]

ومنها القول بالموجب ، قال ابن أبي الإصبع^(١) : وحقيقته رد كلام الخضم من نحوى كلامه .

وقال غيره : هو قسبان :

أحدهما أن تقع صفة في كلام التبر كناية عن شيء . أثبت له حكم ، فيثبتها لغير ذلك الشيء ، كقوله تعالى^(٢) : « يَقُولُونَ كَلَنَّا رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ » والله العزيز ... الآية ، فالأعز وقعت في كلام المناقذين كناية عن فريقهم ، والأذل كناية عن فريق المؤمنين ، وأثبت المناقذون لفريقهم إخراج المؤمنين من المدينة ، فأثبت الله في الرد عليهم صفة العزة لغير فريقهم ، وهو الله ورسوله والمؤمنون ، وكأنه قيل : صحيح ذلك ليخرجن الأعز منها الأذل ، لكن هم الأذل المخرج ، والله ورسوله الأعز المخرج .

والثاني حمل لفظ واقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله ، بذكر

(٢) المناقذون : ٨

(١) بدء القرآن : ٣١٤

متعلقه ، ولم أر من أورد له مثالا من القرآن . وقد ظفرتُ بآية منه ؛ وهي قوله تعالى ^(١) : « ومنهم الذين يُؤذون النبي ويقولون هو أذنٌ . قل أذنٌ خيرٌ لكم . »

[التسليم]

ومنها التسليم ؛ وهو أن يُفرض المحال ، إما متنبأ أو مشروطاً بحرف الامتناع ، ليكون المذكور ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه ، ثم بسلام وقوع ذلك تسليماً جذلياً ، ويدل على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه ؛ كقوله تعالى ^(٢) : « ما اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وما كان معه مِنْ إلهٍ ، إذا ذهب كلُّ إلهٍ بما خلق ، ولعلَّ بعضهم على بعض . » . المعنى ليس مع الله من إله ، ولو سلم أن مع الله إلهاً لزم من ذلك التسليم ذهاب كل إله من الاثنين بما خلق ، وعُلُو بعضهم على بعض ، فلا يتم في العالم أمر ، ولا ينفذ حكم ، ولا تنتظم أحواله . والواقع خلاف ذلك ، فَرَضُ إلهين فصاعداً محال ؛ لما يلزم عليه من المحال .

[الإِسْجَال]

ومنها الإِسْجَال ؛ وهو الإتيان بالفاظ تسجّل على الحاطب وقوع ما خوطب به ، نحو قوله تعالى ^(٣) : « رَبَّنَا وآتِنَا ما وَعَدْتَنَا على رُسُلِكَ . » ^(٤) رَبَّنَا وأَدْخَلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ » ؛ فإن في ذلك إسجالاتاً بالإتياء والإدخال ، حيث وُصِفنا بالوعد من الله الذي لا يُخْلِفُ وَعْدَهُ .

[الانتقال]

ومنها الانتقال ؛ وهو أن ينتقل المستدل إلى استدلالٍ غير الذي كان آخذاً فيه ، لَكَوْنِ الخصم لم يفهم وَجْهَ الدلالة من الأول ، كما جاء في مناظرة الخليل الجبار .

(٢) آل عمران : ١٩٤

(٣) المؤمنون : ٩١

(١) التوبة : ٦١

(٤) ظفر : ٨

لما قال له^(١) : « رَبِّيَ الَّذِي يُنْجِي وَيُمِيت » ، فقال الجبار : أنا أحيي وأميت ، ثم دعا [١٧٦] بَنَ وَجِبَ عَلَيْهِ الْقَتْلَ فَأَعْتَقَهُ ، وَمَنْ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْقَتْلُ فَقَتْلُهُ ، فَلَمْ يَخْلُصْ أَنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ مَعْنَى الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ ، أَوْ عِلْمَ ذَلِكَ وَغَالَطَ بِهَذَا الْقَوْلِ ، فَانْتَقَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى اسْتِدْلَالٍ لَا يَحْدِلُهُ الْجَبَارُ وَجْهًا يَتَخَلَّصُ بِهِ مِنْهُ ، فَقَالَ^(٢) : « إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ » . فَاقْطَعَ الْجَبَارُ وَبُهِتَ ، وَلَمْ يَكُنْ أَنْ يَقُولَ : أَنَا الْآتِي بِهَا مِنَ الشَّرْقِ ؛ لِأَنَّهُ مِنْ هُوَ أَسْنَمُهُ بِكَذْبِهِ .

[المناقضة]

ومنها المناقضة ، وهي تعليق أمر على مستحيل إشارة إلى استحالة وقوعه ، كقوله تعالى^(٣) : « وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَبَاجِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ » .

[مجازاة الخصم]

ومنها مجازاة الخصم ليعثر ، بأن يسلّم بعض مقدماته حيث يُراد تبكيته والزامه ، كقوله تعالى^(٤) : « إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا ... » الآية ، فقوله : « إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ » في — اعتراف الرسل بكونهم مقصورين على البشرية ، فكأنهم سلّموا انتفاء الرسالة عنهم ، وليس مراداً ، بل هو من مجازاة الخصم ليعثر ، فكأنهم قالوا : ما ادّعيتم من كوننا بشرًا حقًّا لا ننكره ، ولكن هذا لا ينافي أن يَمُنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بِالرَّسَالَةِ .

• • •

الوجه الحادي والثلاثون من وجوه المحطة

ضَرْبُ الْأَمْثَالِ فِي ظَاهِرَةٍ وَمُضْمَرَةٍ

وقد أفرد بالتصنيف الإمام أبو الحسن الماوردي^(١) رحمه الله تعالى .
قال تعالى^(٢) : « وَهَدَّ صِرَافَنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ » . وقال^(٣) :
« وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ » .

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
إن القرآن نزل على خمسة أوجه : حلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال ؛
فاعملوا بالحلال ، واجتنبوا الحرام ، واتبعوا المحكم ، وآمنوا بالمتشابه ، واعتبروا
بالأمثال^(٤) .

قال الماوردي : من أعظم علم القرآن علم أمثاله ، والناس في غفلة عنه
لاشتغالهم بالأمثال وإغفالهم المثالات ، والمثل بلا مثل كالقوس بلا لجام ، والناقة
بلا زمام .

وقال غيره : وقد قال الشافعي : مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن
معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدوال على طاعته ، المبينة لاجتناب معصيته .

وقال الشيخ عز الدين : إنما ضرب الله الأمثال في القرآن تذكيراً ووعظاً ،
فما اشتمل منها على تفاوت في ثواب أو على إحباط عمل ، أو على مدح أو ذم
أو نحوه — فإنه يدل على الأحكام .

(١) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، انتخبه الشافعي ، صاحب كتاب
« أدب الدنيا والدين » وغيره ، تولى سنة ٤٥٠ يصاد .

(٢) النكبات : ٤٣

(٣) الإسراء : ٨٩

(٤) كى ب : واعتبروا بالأمثال .

وقال غيره : ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة : التذكير ،
والوعظ ، والحث والزجر ، والاعتبار والتقدير ، وتقريب المراد للعقل ، وتصويره
بصورة المحسوس ؛ فإن الأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص ؛ لأنها أثبت
في الأذهان لاستعانة الفهن فيها بالحواس . ومن ثم كان الترخص من المثل تشبيه
الخلق بالجلي ، والتأنيب بالشاهد .

وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر ، وعلى المدح والقم ،
وعلى الثواب والعقاب ، وعلى تفخيم الأمر أو تخفيفه ، وعلى تحقيق أمر أو إبطائه ؛
قال تعالى ^(١) : « وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ » ؛ فامتّن علينا بذلك ؛ لما تضمنت
من القوائد .

قال الزركشي في البرهان : ومن حكمته تعليم البيان ، وهو من خصائص
هذه الشريعة .

وقال الزمخشري : التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعاني ، وإدناء التوهم
من الشاهد ؛ فإن كان الممثل له عظيماً كان الممثل به مثله ، وإن كان صغيراً
كان الممثل به كذلك .

وقال الأصمباني : لضرب العرب الأمثال ، واستحضار العلماء المثال والنظائر ،
شيء ليس بالخفي في إبراز خفيات الدقائق ، ورفع الأستار عن الحقائق ، تربك به
التخيل في صورة التحقق ، والتوهم في معرض التيقن ، والتأنيب كأنه مشاهد ؛
وفي ضرب الأمثال [٧٦ ب] تبكيت الخصم الشديد الخصومة ، وقمع لسورة
الجامع الأبي ، فإنه يؤثر في القلوب ما لا يؤثر وصف الشيء غيره ؛ ولذلك

(١) إبراهيم : ٤٥

(م ٣٠ - في لأصغر القرآن)

أَكثَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ وَفِي سَائِرِ كُتُبِهِ الْأَمْثَالَ ، وَمِنْ سُوَرِ الْإِنْجِيلِ سُورَةُ
تَسَى سُورَةُ الْأَمْثَالَ . وَفُشَّتْ فِي كَلَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي كَلَامِ الْأَنْبِيَاءِ
وَالْحُكَمَاءِ .

فصل

أمثال القرآن ، قسمان :

ظاهر مصرّح به ، وكامِنٌ لا ذِكرُ للمثل فيه ؛ فَمِنْ أَمْثَلَةِ الْأَوَّلِ^(١) :
« مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ... » الْآيَاتُ . ضَرْبُ اللَّهِ فِيهَا لِلْمُنَاقِقِينَ
مَثَلِينَ ؛ مَثَلًا بِالنَّارِ ، وَمَثَلًا بِالْمَطَرِ .

أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَغَيْرُهُ ، مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ،
قَالَ : هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِلْمُنَاقِقِينَ ؛ كَانُوا يَعْتَزُونَ بِالْإِسْلَامِ فِينَا كَحَبِمْ الْمُسْلِمُونَ ،
وَيُؤَارِثُونَهُمْ ، وَيُقَاسِمُونَهُمُ الْفِتْنَةَ ؛ فَلَمَّا مَاتُوا سَلِبَهُمُ اللَّهُ الْعِزَّ ، كَمَا أُصَابَ صَاحِبُ النَّارِ
ضَوْؤُهُ . « وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ » يَقُولُ : فِي عَذَابٍ . أَوْ كَصَيْبٍ - وَهُوَ الْمَطَرُ -
ضَرَبَ مَثَلَهُ فِي الْقُرْآنِ . فِيهِ ظُلُمَاتٌ - يَقُولُ ابْتِلَاءٌ ، وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ، وَتَخْوِيفٌ . يَكَادُ
الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ ، يَقُولُ : يَكَادُ مُحْكَمُ الْقُرْآنِ يَدُلُّ عَلَى عَوْرَاتِ الْمُنَاقِقِينَ .
كَلِمَاتُ أَضَاءٍ لَهُمْ مَشَافِيهِ ، يَقُولُ : كَلِمَاتُ أَصَابِ الْمُنَاقِقُونَ فِي الْإِسْلَامِ عِزًّا أَطْمَأَنَّنُوا ،
فَإِنْ أَصَابَ الْإِسْلَامَ نَكْبَةٌ قَامُوا لِيَرْجِعُوا إِلَى الْكُفْرِ ؛ كَقَوْلِهِ^(٢) : « وَمِنْ النَّاسِ
مَنْ يَبْذُؤُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ... » الْآيَةُ .

وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى^(٣) : « أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ... »

الْآيَةُ .

أخرج ابن أبي حاتم من طريق علي ، عن ابن عباس ، قال : هذا مثلٌ ضرب به الله احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها ، فأما الزبد فيذهب جفاءً ، وهو الشك ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ، وهو اليقين ، كما يجمل الحلي في النار فيؤخذ خالصه ويترك خبثه في النار ، كذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك .

وأخرج عن عطاء ، قال : هذا مثل ضرب به الله للمؤمن والكافر .

وأخرج عن قتادة قال : هذه ثلاثة أمثال ضربها الله في مثل واحد ، يقول : كما اضمححل هذا الزبدُ فصار جفاءً لا يُنتفع به ولا تُرجى بركته ، كذلك يضمحل الباطل عن أهله ؛ وكما مكث هذا الماء في الأرض فأمرعت ونمت^(١) بركته ، وأخرجت نباتها ، وكذلك الذهب والفضة حين أدخل النار ، وذهب خبثه ، كذلك يبقى الحق لأهله . وكما اضمححل خبث هذا الذهب والفضة حين أدخل النار كذلك يضمحل الباطل عن أهله .

ومنها قوله تعالى^(٢) : « وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ ... » الآية .

أخرج ابن أبي حاتم ، من طريق علي ، عن ابن عباس ، قال : هذا مثل ضرب به الله للمؤمن . يقول : هو طيب وعمله طيب ؛ كما أن البلد الطيب ثمرها طيب . والذي خبث ضرب مثلاً للكافر ، كالبلد السبخة المالحة ؛ والكافر هو الخبيث وعمله خبيث .

ومنها قوله تعالى^(٣) : « أَبَوْدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ... » الآية .

(١) ابترت : ٢٦٦

(٢) الأعراف : ٥٨

(٣) في الإفنان : وريت .

أخرج البخاري ، عن ابن عباس ، قال : قال عمر بن الخطاب يوماً لأصحاب النجود صلى الله عليه وسلم : فِيمَنْ تَرَوْنَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : أَبَوْدُ أَحَدِكُمْ ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . فَغَضِبَ عُمَرُ فَقَالَ : قُولُوا نَعْلَمُ أَوْ لَا نَعْلَمُ . فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فِي هَئِهِ مِنْهَا شَيْءٌ . قَالَ : يَا بَنُ أَخِي ؛ قُلْ وَلَا تَحْقِرْ نَفْسَكَ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : ضُرِبَتْ مِثْلًا لِعَمَلٍ . قَالَ عُمَرُ : أَيُّ عَمَلٍ ؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لِعَمَلٍ رَجُلٌ غَنِيَ بِعَمَلٍ بِطَاعَةِ اللَّهِ ، ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ لَهُ الشَّيْطَانَ فَعَمِلَ بِالْمَعَاصِي حَتَّى أَحْرَقَ ^(١) أَعْمَالَهُ .

وَأَمَّا السَّكَاةُ فَقَالَ الْمَاورِدِيُّ : سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُضَارِبٍ ابْنَ إِبْرَاهِيمَ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : سَأَلْتُ الْحُسَيْنَ بْنَ الْقُضَلِ ، قُلْتَ : إِنَّكَ [١٧٧] تَخْرُجُ أَمْثَالَ الْعَرَبِ وَالْمَعْجَمِ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَهَلْ تَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ : « خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا » ؟ قَالَ : نَعَمْ . فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ : قَوْلُهُ ^(٢) : « لَا قَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ » . وَقَوْلُهُ ^(٣) : « وَالَّذِينَ إِذَا أَفْقَرُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتَرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا » . وَقَوْلُهُ تَعَالَى ^(٤) : « وَلَا تَجْمَلْ بِذَلِكَ مَقْلُوعًا إِلَى عُنْقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ » . وَقَوْلُهُ ^(٥) : « وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا » .

قُلْتُ : فَهَلْ تَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ : « مَنْ جَهِلَ شَيْئًا عَادَاهُ » ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فِي مَوْضِعَيْنِ : « ^(٦) بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ » . « ^(٧) وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَقُولُونَ هَذَا إِنْشَاءٌ قَدِيمٌ » .

قُلْتُ : فَهَلْ تَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ : « احْذَرُ شَرًّا مِنْ أَحْسَنَتْ إِلَيْهِ » ؟ قَالَ :

(١) فِي الْإِثْمَانِ : أَغْرَقَ .
 (٢) الْقُرْآنُ : ٦٧
 (٣) يُونُسَ : ٣٩
 (٤) الْإِسْرَاءَ : ٢٩
 (٥) الْأَحْزَابَ : ٢٠
 (٦) الْفُرْقَةَ : ٦٨
 (٧) الْإِسْرَاءَ : ١١٠

نعم^(١) : « وما تَقَمُّوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَخْرِهِ » .

قلت : فهل تجدد في كتاب الله : « ليس الخير كالميتان » ؟ قال : في قوله^(٢) :
« أَوْ لَمْ تُؤْمِنُ . قُلْ : بَلَى ، وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبُ » .

قلت : فهل تجدد : « في الحركات البركات » ؟ قال : في قوله^(٣) : « وَبَنَى
يُهَاجِرُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدُ فِي الْأَرْضِ مُرَاغِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً » .

قلت : فهل تجدد : « كما تَدِينُ تَدَانِ » ؟ قال : في قوله تعالى^(٤) : « مَنْ
يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ » .

قلت : فهل تجدد فيه قولهم : « حِينَ ثَقُلِي تَلْدِي » ؟ قال^(٥) : « وسوف
يعلمون حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا » .

قلت : فهل تجدد فيه : « لَا يُلْدَغُ الْوَمِنْ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ » ؟ قال^(٦) :
« هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ » .

قلت : فهل تجدد فيه : « مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا سَلَطَ عَلَيْهِ » ؟ قال^(٧) : « كُتِبَ
عليه أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابٍ شَدِيدٍ » .

قلت : فهل تجدد به قولهم : « لَا تِلْكَ الْحَيَةُ إِلَّا الْحَيَةُ » ؟ قال^(٨) : « وَلَا يَلِدُوا
إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا » .

قلت : فهل تجدد فيه قولهم : « لِلْجِبْطَانِ آذَانٌ » ؟ قال^(٩) : « وفيكم
سَمَاعُونَ لَهُمْ » .

(٣) النساء : ١٠٠

(٦) يوسف : ٦١

(٩) التوبة : ١٧

(٢) البقرة : ٢٦٠

(٥) الفرقان : ٤٢

(٨) نوح : ٢٧

(١) التوبة : ٢٤

(٤) النساء : ١٢٣

(٧) الحج : ٤

قلت : فهل تجد فيه قولهم : « الجاهل مرزوق والعالم محروم ؟ » قل ^(١) :
« قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا » .

قلت : فهل تجد فيه : « الحلال لا يأتيك إلا قوتاً ، والحرام يأتيك
جزأفا ؟ » قال ^(٢) : « إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبَقْتَهُمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ
لَا تَأْتِيهِمْ » .

قاسدة

[الفاظ من القرآن تجري مجرى المثل]

عقد جعفر بن محمد شمس الخلافة في كتاب « الآداب » باباً في ألقاظ
من القرآن جارية تجرى المثل ، وهذا هو النوع البديعي المسمى بإرسال المثل ،
وأورد من ذلك قوله سبحانه ^(٣) : « لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ » .
« ^(٤) كُنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ » . « ^(٥) الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ » .
« ^(٦) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ » . « ^(٧) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ » .
« ^(٨) قُفِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ » . « ^(٩) أَلَيْسَ الصَّبْحُ بِقَرِيبٍ » .
« ^(١٠) وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ » . « ^(١١) لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ
تَعْلَمُونَ » . « ^(١٢) وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ » . « ^(١٣) قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ

- | | | |
|-------------------|-------------------|----------------|
| (١) مريم : ٧٥ | (٢) الأعراف : ١٦٣ | (٣) التجم : ٥٨ |
| (٤) آل عمران : ٩٢ | (٥) يوسف : ٥١ | (٦) يس : ٢٨ |
| (٧) الحج : ١٠ | (٨) يوسف : ٤١ | (٩) هود : ٨١ |
| (١٠) سبأ : ٥٤ | (١١) الأنعام : ٦٧ | (١٢) طه : ٤٣ |
| (١٣) الإسراء : ٨٤ | | |

على شاككتيه . . . (١) وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم . . . (٢) كل نفس بما كسبت رهينة . . . (٣) ما على الرسول إلا البلاغ . . . (٤) ما على المحسنين من تبيل . . . (٥) هل جزاء الإحسان إلا الإحسان . . . (٦) كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله . . . (٧) آلآن وقد عصيت قبل . . . (٨) تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى . . . (٩) ولا يذنبك مثل خبير . . . (١٠) كل حزب بما لديهم فرحون . . . (١١) ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم . . . (١٢) وقليل من عبادي الشكور . . . (١٣) لا يكلف الله نقلاً إلا وُسْماً . . . (١٤) لا يستوي الخبيث والطيب . . . (١٥) ظهر الفساد في البر والبحر . . . (١٦) ضعف الطالب والمطلوب . . . (١٧) إنشأ هذا فليعمل العاملون . . . (١٨) وقليل ما هم . . . (١٩) فاعتبروا يا أولى الأبصار . . . في الفاظ آخر .

• • •

(١) البقرة : ٢١٦	(٢) المدثر : ٢٨	(٣) الأئمة : ٩٩
(٤) التوبة : ٩١	(٥) الرحمن : ٦٠	(٦) البقرة : ٢٤٩
(٧) يونس : ٩١	(٨) المعمر : ١٤	(٩) فاطر : ١٤
(١٠) الروم : ٣٢	(١١) الأهل : ٢٣	(١٢) سبأ : ١٣
(١٣) البقرة : ٢٨٦	(١٤) الأئمة : ١٠٠	(١٥) الروم : ٤١
(١٦) الحج : ٢٣	(١٧) الصافات : ٦١	(١٨) ص : ٦٤
(١٩) المعمر : ٢		

الرحمة الشان والشافون من وجوه العجساره

ما فيه من الآيات الجامعة للرجاء والعذل والتخويف

فتارة يرجى وتارة يخوف

قال السّاني في المختار من الطيوريات : عن الشعبي ، قال : لقي عمر
ابن الخطاب ركباً في سفر فيهم ابن مسعود ، فأمر رجلاً يناديهم من أين القوم ؟
قالوا : أقبلنا [٧٧ ب] من القعج العميق نريد البيت العتيق . فقال عمر : إن فيهم
لعالم ، فأمر رجلاً أن يناديهم : أي القرآن أفضل ^(١) ؟ فأجاب عبد الله ^(٢) :
« الله لا إله إلا هو الحي القيوم » . قال : نادهم أي القرآن أحكم ، فقال
ابن مسعود ^(٣) : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » . قال : نادهم أي القرآن
أجمع ؟ قال ^(٤) : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة
شراً يره » . قال : فنادهم أي القرآن أحزن ؟ قال ^(٥) : « من يعمل سوءاً
يجزّ به » . قال : فنادهم أي القرآن أرحم ؟ قال ^(٦) : « قل يا عبادي الذين
أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله » ؟ قال : أفبكم ابن مسعود ؟
قالوا : نعم . أخرجه عبد الرزاق في تفسيره بنحوه .

وأخرج عبد الرزاق أيضاً عن ابن مسعود ، قال : أعدل آية في القرآن ^(٧) :
« إن الله يأمر بالعدل والإحسان » . وأحكم آية ^(٨) : « فمن يعمل مثقال
ذرة خيراً يره ... » الآية .

(١) في الإقنات : أعظم .	(٢) البقرة : ٢٥٥
(٣) النحل : ٩٠	(٤) الزلزلة : ٧ : ٨
(٥) النساء : ١٢٣	(٦) الزمر : ٥٣
(٧) الزلزلة : ٨ : ٧	(٨) الزلزلة : ٨ : ٧

وأخرج الحاكم أنه^(١) قل : إن أجمع آية في القرآن للخير والشر^(٢) :
« إن الله يأمر بالعدل والإحسان » .

وأخرج الطبراني عنه ، قال : ما في القرآن آية أعظم فَرَجًا من آية في سورة
الفرق^(٣) : « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ... » الآية .
وما في القرآن آية أكثر تفويضاً من آية في سورة النساء القصص^(٤) : « ومن
يتوكل على الله فهو حسبه ... » الآية .

وأخرج أبو ذر المروزي في فضائل القرآن ، من طريق يحيى بن يعمر ،
عن ابن عمر ، عن ابن مسعود ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : إن أعظم آية في القرآن : « الله لا إله إلا هو الحي القيوم » . وأعدل
آية : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان ... » الخ . وأخوف آية : « فمن يعمل
مثقال ذرة خيراً يره ... » الآية . وأرجى آية : « يا عبادي الذين أسرفوا
على أنفسهم » .

وقد اختلف في أرجى آية في القرآن ؛ فقبل^(٥) : هذه .

وقال ابن عباس^(٦) : « أو لم تؤمن ؟ » قال : بلى ، ولكن ليطمئن قلبي .
قال : فرضي منه بقوله : بلى ؛ فهذا لما يعترض في الصدر مما يؤسوس به
الشيطان .

وقال أبو نعيم في الحلية ، عن علي بن أبي طالب ، أنه قال : إنكم يا معشر

(١) في الإتيان : عنه . (٢) النحل : ٩٠ (٣) الزمر : ٥٣

(٤) الطلاق : ٣

(٥) في الإتيان : وقد اختلفنا في أرجى آية في القرآن على بضعة أسرار ، أحدها :

(٦) البقرة : ٢٦٠

آية الزمر ...

أهل المسراق تقولون : أرجى آية في كتاب الله : « قل يا عبادي الذين
أسرفوا ... » الآية ؛ لكننا أهل البيت نقول : إن أرجى آية في كتاب الله ^(١) :
« وَلَسَوْفَ يُمْطِرُكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى » . وهي الشفاعة .

وأخرج الواحدى ^(٢) ، عن علي بن الحسين ، قال : أشد آية على أهل
النار ^(٣) : « فَذُوقُوا قُلْنَ تَزِيدُنَا إِلَّا عَذَابًا » . وأرجى آية في القرآن لأهل
التوحيد ^(٤) : « إِنْ لَمْ يَنْفِرْ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ » .

وأخرج مسلم في صحيحه ، عن ابن المبارك ، أيما آية أرجى عندي لهذه الأمة
من قوله تعالى ^(٥) : « وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ ... » إلى قوله :
« أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ » ؛ لأنه أوصى بالإحسان إلى التاذف ، وعاتب
حبيبه على عدم الإحسان إليه ، فقال : « أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ » ؛
أى كما تحبون أن يغفر الله لكم كذلك اغفروا أنتم لمن أساء إليكم . ولما زلت
قال أبو بكر : إني لأحب أن يغفر الله لي ، ثم ردّ الثقة التي كان ينفق على مسطح
إليه ، وكفر عن يمينه .

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب التوبة ، عن أبي عثمان النهدي ، قال :
ما في القرآن أرجى عندي لهذه الأمة من قوله : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم ،
خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا » ؛ لأن عسى من الله لما يرجى أن يتحقق
وقوعه .

وقال أبو جعفر النحاس : إن قوله تعالى ^(٦) : « فَبَلَّ يَهُنَّكَ إِلَّا الْقُوَّةُ »

(١) النهدي : ٤ (٢) في ب : الرازي . (٣) البأ : ٣٠ (٤) الأخطاف : ٣٥ (٥) النور : ٢٢ (٦) البأ : ٣٠

القاسقون » — أرجى آية ، إلا أن ابن عباس قال : أرجى آية في القرآن ^(١) : « وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم » ، ولم يقل على إحسانهم .

وروى المروى في مناقب الشافعي ، عن ابن عبد الحكم ، قال : سألت الشافعي أي آية أرجى ؟ قال ^(٢) : « يَنبِئُنا ذَا مَقَرَّبَةٍ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ » .

وسأله عن أرجى حديث للمؤمن ، قال : إذا كان يوم القيامة يُدفع لكل مسلم رجلٌ من الكفار فداؤه .

وحكى الكرماني في كتاب العجائب أن أرجى آية ^(٣) : « إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى » .

وحكى النووي — في ردوس المسائل — أن أرجى آية ^(٤) : « قل كلُّ عَمَلٍ عَلَى شَاكِلَتِهِ » . ^(٥) « وَهَلْ يُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ » . ^(٦) « وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ » .

وفي مُسند أحمد عن علي بن أبي طالب ، قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله تعالى ، حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ » . وسأفسرها [١٧٨] لك يا علي : ما أصابكم من مرض ، أو عقوبة ، أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أَيْدِيكُمْ ، والله أكرم من أن يثني العقوبة ، وما عفا الله عنه في الدنيا فافق أحلم من أن يعود بعد عَفْوِهِ .

وقال الشُّبْلِيُّ : أرجى آية ^(٧) : « قل للذين كفروا إِن يَنْتَهُوا يَغْفِرَ لَهُم

(١) الرعد : ٦ (٢) البلد : ١٥ ، ١٦ (٣) طه : ٤٨
(٤) الاسراء : ٨٤ (٥) سبا : ١٧ (٦) النور : ٢٠
(٧) الأتفال : ٢٨

ما قد سلف ، لأنه إذا أذن للكافر بدخول الباب إذا أتى بالتوحيد والشهادة
أقترأه يخرج الداخل فيها والقيم عليها .

وقيل : إن قوله تعالى ^(١) : « غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب
ذو الطول » . لتعقيب هذا الوعيد العظيم بوعده كريم ، وهكذا رحمة الله
عز وجل تطلب غضبه . وهذه كالأية الأخرى ^(٢) : « فإن مع العسر يسرا . إن مع
العسر يسرا » .

وحكى الطبري عن أهل الإشارة أنه تعالى غافر الذنب فضلاً ، وقابل التوب
وعداً ، شديد العقاب عدلاً .

فإن قلت : ما بال الواو في قوله : وقابل التوب ؟ قلت : فيها نكتة جلية ،
وهي إفادة الجمع للذنوب الثابت بين رحمتين ، بين أن تُقبل توبته فيكتبها له
طاعة من الطاعات ، وأن يحملها ممحاة للذنوب كأن لم يذنب ، كأنه قال : جامع
المغفرة والقبول .

وحكى الطبري عن أبي عبيد الله أن رجلاً جاء إلى عمر رضي الله عنه ، فقال :
إني قتلت نفساً فهل لي من توبة ، فقال : نعم ، أفضل ولا تيأس . ثم قرأ هذه الآية
إلى قوله : غافر الذنب وقابل التوب .

وروى ^(٣) أنه اقتدر رجلاً ذا بأس شديد من أهل الشام ، فبيل : له نتائج
في هذا ^(٤) الشراب . فقال عمر لكتابه : اكتب من عمر إلى فلان : سلام
عليك ، وأنا أحداً الله إليك الذي لا إله إلا هو . بسم الله الرحمن الرحيم . حم

(١) غافر : ٣ (٢) المرح : ٦ ، ٥ (٣) الطبري : ١٥ - ٢٩١

(٤) في ب : منه .

تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ، غافر الذنب وقابل التوب ... إلى قوله :
«إليه المصير» .

وختم الكتاب وقال لرسوله : لا تدفعه إليه حتى تجده صاحباً ، ثم أمر
من عنده بالدعاء له بالتوبة .

فلما أتته الصحيفة جعل يقرأها ويقول : قد وعدني . قد وعدني الله
أن يفر لي ، وحذرتني عقابه ، فلم يبرح يردد ما حتى بكى ، ثم نزع فأحسن
الزروع ، وحسنت توبته .

فلما بلغ عمر أمره قال : هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخاكم قد زلّ زلة
فدعوه ، ووقفوه ، وادعوا الله له أن يتوب عليه ، ولا تكونوا أعواناً
لشياطين عليه .

أخذ ذلك من الحديث الذي أمر صلى الله عليه وسلم برجه فقالوا : أخزاه الله .
فقال صلى الله عليه وسلم : هَلَّا قَلْتُمُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ ! لا تكونوا عوناً للشيطان
على أخيكم .

وقيل : أرجى آية آية الدين ؛ ووجهه أن الله أرشد عباده إلى مصالحهم
الدنيوية ، حتى انتهت العناية بمصالحهم إلى أمرهم بكتابة الدين الكثير والخير ؛
فقتضى ذلك ترجى عفوه عنهم ؛ لظهور العناية العظيمة بهم .

قلت : ويلحق بهذا ما أخرجه ابن المنذر ، عن ابن مسعود ، أنه ذكر عنده
بنو إسرائيل وما فضلهم الله به ، فقال : كان بنو إسرائيل إذا أذنب أحدهم ذنباً
أصبح وقد كُتبت كفارته على أسكفة^(١) بابه ، وجعلت كفارة ذنوبكم قولاً

تقولونه ، تستغفرون الله فيزلكم . والذي همى به ، لقد أعطانا الله آية
لمن أحب إلى من الدنيا بما فيها^(١) : « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظالموا
أنفسهم ... » الآية .

وما أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب التوبة عن ابن عباس ، قال : ثمانى
آيات في سورة النساء من خير هذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت :
أولهن^(٢) : « يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب
عليكم » . والثانية^(٣) : « والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون
الشهوات » . والثالثة^(٤) : « يريد الله أن يخفف عنكم » . والرابعة^(٥) :
« إن تجنبوا كبائر ما نهون عنه ... » الآية . والخامسة^(٦) : « إن الله لا يظلم
ميتاً ذرة ... » الآية . والسادسة^(٧) : « ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه
ثم يستغفر الله ... » الآية . والسابعة^(٨) : « إن الله لا يفر أن يشرك به ... »
الآية . والثامنة^(٩) : « والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد
منهم ... » الآية .

وما أخرجه ابن أبي حاتم ، عن عكرمة ، قال : سئل ابن عباس : أى آية
أرخص^(١٠) في كتاب الله ؟ قال : قوله تعالى^(١١) : « إن الذين قالوا ربنا الله
[٧٨ ب] ثم استقاموا » .

- | | | |
|--------------------|-----------------|-----------------|
| (١) آل عمران : ١٣٥ | (٢) النساء : ٢٦ | (٣) النساء : ٢٧ |
| (٤) النساء : ٢٨ | (٥) النساء : ٣١ | (٦) النساء : ٤٠ |
| (٧) النساء : ١١٠ | (٨) النساء : ٤٨ | (٩) النساء : ٥٢ |

(١٠) منافي الأصول . وهو من الرخصة كما سيأتي بعد قليل .

(١١) فصلت : ٣٠

أشد آية : أخرج ابن راهويه في مسنده ، أخبرنا أبو عامر^(١) المعقدي ، حدثنا عبد الجليل بن عطية ، عن محمد بن المنتشر ، قال : قال رجل لعمر بن الخطاب : إني لأعرف أشد آية في كتاب الله ، فأهوى عمر فصر به بالدرّة ، قال : مالك ! فنقبت عنها حتى علمتها ؟ ما هي ؟ قال^(٢) : « مَنْ يَمَلُّ سَوْءاً يُجْزَ بِهِ » . فامتنا أحدٌ يَمَلُّ سَوْءاً إِلَّا جُوزَى بِهِ . فقال عمر : لبثنا حين نزلت ما ينفعنا طعام ولا شراب ، حتى أنزل الله بعد ذلك ورخص^(٣) : « وَ مَنْ يَمَلِّ سَوْءاً أَوْ يَظْلِمُ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرَ اللَّهَ يَحْدِثْ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً » .

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن ، قال : سألت أبا بَرَزَةَ الأَسْلَمِيَّ عن أشد آية في كتاب الله على أهل النار ، قال^(٤) : « فَذُوقُوا فَلَنْ تَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَاباً » . وروى صحيح البخاري ، عن سفيان ، قال : ما في القرآن آية أشد على عباده من^(٥) : « لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ » .

وأخرج ابن جرير ، عن ابن عباس ، قال : ما في القرآن أشد توبيخاً من هذه الآية^(٦) : « لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِلَهَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ... » الآية .

وأخرج ابن المبارك ، في كتاب الزهد ، عن الضحاك بن مزاحم في قول الله^(٧) : « لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِلَهَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ » . قال : والله ما في القرآن آية أخوف عندي منها .

(١) في الإتيان : أبو عمر — عريف ، وهو أبو عامر عبد الملك بن عمرو النخعي ، يروي عن شعبة (الباب : ١ — ١٤٤) .

(٢) النساء : ١٢٣ (٣) النساء : ١١٠ (٤) التبا : ٣٠

(٥) المائدة : ٦٨ (٦) المائدة : ٦٣

وأخرج ابن أبي حاتم، عن الحسن، قال : ما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم آية كانت أشد عليه من قوله^(١) : « وَتَخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ... » الآية .

وأخرج ابن المنذر، عن ابن سيرين، قال : لم يكن عندهم شيء أخوف من هذه الآية^(٢) : « وَرِمَنَ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ » .

وعن أبي حنيفة : أخوف آية في القرآن^(٣) : « وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ » .

وقال غيره^(٤) : « سَتَرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ » . ولهذا قال بعضهم : لو سمعتُ هذه الكلمة من خير الحارة لم أنم .

وفي النوادر لأبي^(٥) زيد : قال مالك : أشدُّ آية على أهل الأهواء قوله تعالى^(٦) : « يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ... » الآية ، وتأولها على أهل الأهواء .

وأخرج ابن أبي حاتم، عن أبي العالبة، قال : آيتان في كتاب الله ما أشدهما على من يجادل في الله^(٧) : «^(٨) مَا يَجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الْقَلِيلُ كَفَرُوا » . «^(٩) وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ » .

وقال بعضهم : إن الله تعالى أنزل على نبيه خمس آيات لو لم تكن إلا واحدة

(١) الأحزاب : ٣٧ (٢) البقرة : ٨ (٣) آل عمران : ١٣١

(٤) الرحمن : ٣١ (٥) في باب : لا إله إلا الله (٦) آل عمران : ١٠٦

(٧) في المجادلة : يجادل فيه . (٨) غافر : ٤

(٩) البقرة : ١٧٦

لِكَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَلَا نَأْكُلُ وَلَا نَشْرَبُ ؛ أَوَلَمْ يَقُولْ تَعَالَى ^(١) : « أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَنَبُوا السُّبُتَاتِ » . وَالثَّانِيَةُ قَوْلُهُ تَعَالَى ^(٢) : « أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ » . وَالثَّلَاثَةُ ^(٣) : « أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا » . وَالرَّابِعَةُ ^(٤) : « أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا » . وَالْخَامِسَةُ ^(٥) : « سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ » .

وَقَالَ السَّعْدِيُّ : سُورَةُ الْحَجِّ مِنْ أَعْجَابِ الْقُرْآنِ ؛ فِيهَا مَكِّيٌّ وَمَدَنِيٌّ ، وَحَضْرِيٌّ وَسَفْرِيٌّ ، وَلَيْلِيٌّ وَنَهَارِيٌّ ، وَحَرْبِيٌّ وَسَلْمِيٌّ ، وَنَاسِخٌ وَمَنْسُوخٌ . فَالْمَكِّيُّ مِنْ رَأْسِ الثَّلَاثِينَ إِلَى آخِرِهَا ، وَالْمَدَنِيُّ مِنْ رَأْسِ خَمْسِ عَشْرَةٍ إِلَى رَأْسِ الثَّلَاثِينَ ، وَاللَّيْلِيُّ خَمْسَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِهَا ، وَالنَّهَارِيُّ مِنْ رَأْسِ تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى رَأْسِ اثْنَيْ عَشْرَةَ آيَةً . وَالْحَضْرِيُّ إِلَى رَأْسِ الْعَشْرِينَ .

قَالَ : وَالسَّفْرِيُّ أَوَّلُهَا . وَالتَّاسِخُ ^(٦) : « أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ... » الْآيَةُ . وَالْمَنْسُوخُ ^(٧) : « اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ... » الْآيَةُ . نَسَخَهَا آيَةُ السِّيفِ . وَقَوْلُهُ ^(٨) : « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ ... » الْآيَةُ . نَسَخَهَا ^(٩) : « سَنَقِرُّكَ فَلَا تَنْسَى » .

وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ : ذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى ^(١٠) : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ ... » الْآيَةُ - مِنْ أَشْكَالِ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ حُكْمًا وَمَعْنَى وَإِعْرَابًا .

(١) الْجَانِيَةُ : ٢١ (٢) نَصَتْ : ٤٠ (٣) الْجِدَّةُ : ١٨

(٤) الْمُؤْمِنُونَ : ١١٥ (٥) الرَّحْمَنُ : ٣١ (٦) الْحَجَّ : ٩

(٧) الْحَجَّ : ٦٩ (٨) الْحَجَّ : ٥٢ (٩) الْأَعْمَلُ : ٦

(١٠) الْمَائِدَةُ : ١٠٦

وقال غيره : قوله تعالى ^(١) : « يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ »
جمعت أصول أحكام الشريعة كلها : الأمر والنهي ، والإباحة والخبر .

وقال الكرماني في المجائب في قوله تعالى ^(٢) : « نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ
النِّصَصِ » . قيل هو قصة يوسف ؛ وسماها أحسن القصص لاشتمالها على ذكر
حامد ومحسود ، ومالك ومملوك ، وشاهد ومشهود ، وعاشق ومعتشوق ، وحبيب
وإطلاق ، وسجن وخلّاص ، وخصب وجذب ، وغيرها مما يعجز عن بيانها
طوق الخلق .

وقال : ذكر أبو عبيدة عن رؤبة : ما في القرآن أغرب ^(٣) من قوله ^(٤) :
« فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ » .

وقال ابن خالويه في كتاب « ليس » : [١٧٩] ليس في كلام العرب لفظ
جمع لغات ما النافية إلا حرف واحد في القرآن جمع اللغات الثلاث ، وهي قوله
تعالى ^(٥) : « مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ » — قرأ الجمهور بالنصب ، وقرأ بعضهم بالرفع ،
وقرأ ابن مسعود ما هن بأُمَّهَاتِهِمْ — بالياء . قال : وليس في القرآن لفظ على أفعل
إلا في قراءة ابن عباس ^(٦) : أَلَا إِنَّهُمْ يَمْتَنُونَنِي صُدُورُهُمْ .

وقال بعضهم : أطول سورة في القرآن البقرة ، وأقصرها الكوثر ، وأطول
آية فيه آية الدين ، وأقصر آية فيه : والضحى ، والتجبر . وأطول كلمة فيه رسماً
فَأَسْقِنَا كُؤُوه .

وفي القرآن آيتان ^(٧) جمعت كل منهما حروف المعجم ^(٨) : « ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم

(١) الأعراف : ٣١ (٢) يوسف : ٣ (٣) في الإتيان : أعرب .

(٤) الحجر : ٩٤ (٥) المجادلة : ٢

(٦) هود : ٥ ، وقراءة حفص : أَلَا إِنَّهُمْ يَمْتَنُونَ صُدُورَهُمْ . . .

(٧) القرطبي : ٩ - ٥ (٨) آل عمران : ١٥٤

مِنْ بَعْدِ النِّمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا ... الآية . «^(١) محمد رسول الله ... الآية . وليس فيه حاءٌ بعد حاءٍ بلا حاجرٍ إلا : في موضعين : «عقدة النكاح حتى» . «لا أبرحُ حتى» . «ولا كافانٍ كذلك إلا : ما سَلَكَكُمْ . مناسككم . ولا غينانٍ كذلك إلا^(٢) : «ومن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلامِ دِينًا» . «ولا آية فيها ثلاث وعشرون كافًا إلا آية الدين . ولا آيتان فيها ثلاثة عشر وقفًا إلا آية الموارث . ولا ثلاث آيات فيها عشر واوٍ إلا : والمصر ... إلى آخرها . ولا سورة إحدى وخمسون آية فيها اثنان وخمسون وقفًا إلا سورة الرحمن . ذكر أكثر ذلك ابن خالويه .

وقال أبو عبد الله الخبازي القرشي : أول ما وردت على السلطان محمود ابن ملكشاه سألني عن آية أولها غين . قلت : ثلاث : غافر الذنب . وآيتان بخلف : «غير الغضوب عليهم» و «غُلِبَتِ الروم» .

ونقلت من خط شيخ الإسلام ابن حجر في القرآن أربع شذات متواليات : في قوله^(٣) : «نَسِياً . رَبِّ السَّمَوَاتِ» . «^(٤) في بَحْرِ لُجِّي يَنْشَأُ مَوْجٌ» . «^(٥) قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٌ» . «^(٦) ولقد زيننا السماء» .

• • •

(١) الفتح : ٢٩	(٢) آل عمران : ٨٦	(٣) ص : ٦٤ ، ٦٥
(٤) التور : ٤٠	(٥) يس : ٥٨	(٦) الملك : •

الوجبة الثالثة والثلاثون من وجوه العجساره

ورد آيات مُبهمة يُحيرُ العقل فيها

وقد أفرد به التأليف السهيلي^(١) ، ثم ابن عسك^(٢) ، ثم القاضي بدر الدين ابن جماعة^(٣) ؛ ولى فيه تأليف لطيف ، وكان من السلف من يقتضى به كثيراً : ومرجعه للنقل المحض ، وما ذكر ما يترأى الله بعد أن تعلم أن للإيهام أسباباً :

[أسباب الإيهام]

أحدها : الاستغناء ببيانه في موضع آخر ؛ كقوله : « صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِم » ؛ فإنه مبين في قوله^(٤) : « مع الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ ... » الآية .

الثاني : أن يتعين لاشتهاره ؛ كقوله^(٥) : « وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ » . ولم يقل حواء ؛ لأنه ليس له غيرها . و^(٦) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ « . فالمراد نُمرود لشهرته اسمه ؛ لأنه المرسل إليه . وقد ذكر الله في القرآن فرعون باسمه ولم يسم نُمرود ؛ لأن فرعون أذكى منه ، كما يؤخذ

(١) السهيلي : هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي ، صاحب الروض الألف على سيرة ابن هشام . توفي سنة ٥٨١ هـ ، واسم كتابه : التعريف والإعلام لمسا إيهام في القرآن من الأسماء والأعلام (إنباء الرواة : ٢ - ١٦٢) .

(٢) في الإتيان : ابن عساكر .

(٣) هو محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة : بدر الدين ، من علماء الحديث ، واسم كتابه « غرر البيان لمهمات القرآن » توفي سنة ٧٣٣ هـ .

(٤) النساء : ٦٩ (٥) البقرة : ٢٥٨ (٦) البقرة : ٢٥٨

من أجوبته لموسى . ونمرود كان بليداً ، ولهذا قال : « أنا أحيي وأميت » ،
وفعل ما فعل من قتل شخص والغزو عن آخر ، وذلك غاية البلادة .

الثالث : قَعْدَ الترع عليه ؛ ليكون أبلغ في استعطائه ، نحو^(١) : « ومنَ
الناسِ مَنْ يَعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... الآية . وهو الأخنس بن شريق ،
وقد أسلم بعد وحسن إسلامه .

الرابع : ألا يكون في تسميته كبير فائدة ؛ نحو^(٢) : « أوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى
قَرْيَةٍ . »^(٣) وأسألهم عن القرية .

الخامس : التثنية على العموم ؛ وأنه غير خاص ، بخلاف ما لو عيّن ؛ نحو^(٤) :
« وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ » . قال عكرمة : طلبته أربع
عشرة سنة .

السادس : تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم ؛ نحو^(٥) : « وَلَا يَأْتَلِ
وَلَوْ الْقَعْلُ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى » .^(٦) والذي جاء بالصدق
وصدق به .^(٧) إذ يقول لصاحبه . والمراد الصدق في الكل .

السابع : تخفيفه بالوصف الناقص ؛ نحو^(٨) : « إِنْ شَانِيكَ
هُوَ الْأَبْتَرُ » .

[البحث عن المبهات]

قال الزركشي في البرهان^(٩) : لا أبحث^(١٠) عن مذهبهم أخبر الله باستشاره
بطله ؛ كقوله^(١١) : « وَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ » .

(١) البقرة : ٢٠٤	(٢) البقرة : ٢٥٩	(٣) الأعراف : ١٦٣
(٤) النساء : ١٠٠	(٥) النور : ١٢	(٦) الزمر : ٢٣
(٧) التوبة : ٤٠	(٨) السكوت : ٣	(٩) البرهان : ١ - ١٥٥
(١٠) في البرهان : لا يبحث .		(١١) الأنفال : ٢٠

قال : والعجب ممن تجرأ وقال : إنهم قريظة ، أو من الجن .

قلت : ليس في الآية ما يدل على أن جنسهم لا يعلم ، وإنما النبي علم أعيانهم ، ولا ينافيه المسلم بكونهم من قريظة أو من الجن ؛ وهو نظير قولهم ^(١) في المنافقين ^(٢) : « وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ [٧٩ ب] وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ . لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ » . فإن النبي علم أعيانهم ، ثم القول في أولئك إنهم قريظة أخرجه ابن أبي حاتم عن مجاهد ؛ والقول بأنهم من الجن أخرجه ابن أبي حاتم من حديث عبد الله بن غريب عن أبيه ، مرفوعاً ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا جراً .

[المبهات]

ذَكَرُوا مَا أُبِيَهُمْ مِنْ رَجُلٍ أَوْ امْرَأَةٍ أَوْ مَلِكٍ أَوْ جَنِّيٍّ أَوْ مُشْنَىٍّ أَوْ مَجْمُوعٍ عَرَفَ
أَسْمَاءَ كُلِّهِمْ ، أَوْ مَنْ ، أَوْ الْقَدَى إِذَا لَمْ يَرِدْ بِهِ الْمَعْرُومُ :
قوله تعالى ^(٣) : « إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً » : هو آدم وزوجه حواء بالمد ؛
لأنها خلقت منه .

« ^(٤) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا » : اسمه عاميل ^(٥) .

« ^(٦) وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ » : هو النبي صلى الله عليه وسلم .

« ^(٧) وَأَدْرَسَى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ » : هم إسماعيل وإسحاق ومدين وزمران

(١) في الإنشقاق : قوله . (٢) التوبة : ١٠١ (٣) البقرة : ٢٠

(٤) البقرة : ٧٢

(٥) في ب : حاييل - بالباء . والتثبت في التوراة أيضاً (١ - ١١٦) .

(٦) البقرة : ١٢٩ (٧) البقرة : ١٣٢

وسرح ونشت ونشان وأميم وكيسان وسوزح ولو ملان ونافش^(١).

« الأباط » أولاد يعقوب اثنا عشر رجلا : يوسف ، ورويل ، وشمعون ، ولاوي ، ويهوذا ، ويحيى^(٢) ، ونفتالي - بقاء ومثناة ، وكاد^(٣) وأشير وإساجر^(٤) وريالون^(٥) وبنيامن .

«^(٦) وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ : هُوَ الْأَخْسَرُ مِنْ شَرِيقٍ .

«^(٧) وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ : هُوَ ضَعِيفٌ .

«^(٨) إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ : هُوَ شَمْعُونُ . وَقِيلَ يَوْشَعَ .

«^(٩) مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهَ : قَالَ مُجَاهِدٌ : مُوسَى .

«^(١٠) وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ : هُوَ مُحَمَّدٌ صَنِیُّ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

«^(١١) الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ : سُرُودُ بْنُ كَنْعَانَ .

«^(١٢) أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ : عُزَيْرٌ . وَقِيلَ أَرْمِيَاءُ : وَقِيلَ حَزْقِيلُ .

«^(١٣) امْرَأَةُ عِمْرَانَ : حَنَّةُ بِنْتُ فَاخُودَ^(١٤) .

«^(١٥) وامرأتی عاتِر : هِيَ أَشِياعُ أَوْ أَشِيْعُ بِنْتُ فَاخُودَ^(١٦) .

(١) في هذه الأسماء خلاف كثير . وانظر للملك القرطبي (٢ - ١٢٥) ، والطبري : ٤٣٥ ، وابن الأثير : ١ - ٨٧ .

(٢) في الاثنان : ودان . (٣) في الاثنان : وجاد . (٤) في الاثنان : ويشجر .

(٥) و ب : وراهن ، وانظر - في هذه الأسماء - المحبر : ٢٨٦ ، ٢٨٧ .

(٦) البقرة : ٢٠٤ (٧) البقرة : ٢٠٧ (٨) البقرة : ٢٤٦

(٩) البقرة : ٢٥٣ (١٠) البقرة : ٢٥٨ (١١) البقرة : ٢٥٩

(١٢) آل عمران : ٣٥ (١٣) في الاثنان : فاقود . (١٤) آل عمران : ٤٠

(١) مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ : هُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

« الطلغوت » ، قتل ابن عباس : هو كعب بن الأشرف ، أخرجه أحد .

(٢) وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيَبْطُلَنَّ : هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي .

(٣) وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ : هُوَ عَامِرُ بْنُ الْأَضْبَطِ

الأنشجى . وقيل مرداس . والتمثال ذلك نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة والحلم

ابن جثامة . وقيل إن الذي باشر القول بحلم . وقيل : إنه الذي باشر قتله أيضاً .

وقيل قتله القلنداد بن الأسود . وقيل أسامة بن زيد .

(٤) وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا : هُوَ ضَمْرَةُ بْنُ جَنْدَبٍ . وقيل

ابن العيص (٥) . وقيل رجل من خزاعة . وقيل أبو ضمرة بن العيص . وقيل

اسمه سبرة . وقيل هو خالد بن حزام ، وهو غريب جداً .

(٦) وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا : هم شعوب بن زكور من سبط روبيل ،

وشوقط بن حورا من سبط شمعون ، وكالب بن يوفنا من سبط يهوذا ،

وبعرك (٧) بن يوسف من سبط أشاجرة (٨) ، ويوشع بن نون من سبط أفرايم

ابن يوسف ، و (٩) بلطاي بن روف (١٠) من سبط بنيامين ، وكرايل بن سوط (١١) من سبط

(١) آل عمران : ١٩٣ (٢) النساء : ٧٢ (٣) النساء : ٩٤

(٤) النساء : ١٠٠

(٥) في القرطبي (٥ - ٢٤٩) : والذي ذكره عكرمة : هو ضمرة بن العيص ، أو العيص

ابن ضمرة بن زباج ، حكاه الطبري . (٦) الأئمة : ١٢

(٧) في الإتيان : بعورك .

(٨) في الخبر : إساخر بنوول بن يوسف . وفي الإتيان : إشاخر .

(٩) في القرطبي : يعللى . (١٠) في الإتيان : روفو ، وفي القرطبي : رلو .

(١١) في القرطبي : سوطا ، وفي الإتيان : سوطى .

زبالون ، وكذا ابن سوسن^(١) من سبط منشا بن يوسف ، وعمائيل بن كسل
من سبط دافن ، وستور بن ميخايل من سبط آشير^(٢) ، ويوحنا بن وقوس^(٣) من
سبط قتالي ، وإيل بن نوخا^(٤) من سبط كاذلوا^(٥) .

» ^(٦) قال رجُلان : هما يوشع وكالوب^(٧) .

» ^(٨) نبأ ابني آدم : هما قاييل وهابيل ، وهو المقتول .

» ^(٩) الذي آتينا آياتنا فانسَخ منها : باعم ، ويقال بلعام بن آير .
ويقال باعر ، ويقال باعمور . وقيل هو أُمِّيَّة بن الصلت . وقيل صيفي بن الراهب .
وقيل فرعون ، وهو أغربها .

» ^(١٠) راني جار لكُم : عني سراقه بن جفشم .

» ^(١١) فأتيلوا أئمة الكفر : قال قتادة : هم أبو سفيان ، وأبو جهل ،
وأمية بن خلف ، وسهيل بن عمرو ، وعتبة بن ربيعة .

» ^(١٢) إذ يقول لصاحبه : هو أبو بكر .

» ^(١٣) وفيكم سمعون لهم : قال مجاهد : هم عبد الله بن أبي بن سلول ،
ورقاعة بن النابوت ، وأوس بن قيسظي .

(١) في القرطبي : ابن شوسا ، وفي الإتيقان : ابن شاس .

(٢) في القرطبي : ومن سبط شبرستور .

(٣) في القرطبي : وقوسى .

(٤) في القرطبي والإتيقان : وإل بن موخا .

(٥) في القرطبي : كاذكو ، وأخرى هذه الأسماء : الحبر لاين حيب : ٤٦٤ ،

والقرطبي : ٦ — ١١٢ ، وتفسير الطبري : ١ — ١١٤ ، والإتيقان : ٤ — ٨٣ .

(٦) المائة : ٢٣ (٧) في القرطبي : كالب ، وفي الخبر : كوكب .

(٨) المائة : ٢٧ (٩) الأعراف : ١٢٥ (١٠) الأغفال : ٤٨

(١١) التوبة : ١٢ (١٢) التوبة : ٤٠ (١٣) التوبة : ٤٧

- «^(١) ومنهم من يقول انذني لي » : هو الجدي بن قيس .
- «^(٢) ومنهم من يلزمك في الصدقات » : هو ذو الخويصرة .
- «^(٣) إن نف عن طايفة منكم » : هو نخشي بن حير .
- «^(٤) ومنهم من عاهد الله » : هو ثعلبة بن حاطب .
- «^(٥) وآخرون اعترفوا بذنوبهم » : قال ابن عباس : هم سبعة : أبو لبابة وأصحابه . وقل قتادة : سبعة من الأنصار : أبو لبابة ، وجد بن قيس ، وخذام ، وأوس ، وكردم ، ومزداس .
- «^(٦) وآخرون مرجون » : هم هلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، وكعب ابن مالك ، وهم الثلاثة الذين [١٨٠] خلفوا .
- «^(٧) الذين اتخذوا مسجداً ضراباً » : قال ابن إسحاق : اثنا عشر من الأنصار : خذام بن خالد ، وثعلبة بن حاطب ، [وهزال بن أمية]^(٨) . ومعتب بن قشير ، وأبو حبيبة بن الأزعر ، وجارية بن عامر ، وابناه مجمع وزيد ، ونبتل ابن الحارث ، وبمخرج ، وبجاد بن عثمان ، ووداعة^(٩) بن عتاب .
- «^(١٠) لمن حارب الله ورسوله » : هو أبو عامر الراهب .
- «^(١١) أقمن كان على بينة من ربه » : هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

(١) التوبة : ٤٩	(٢) التوبة : ٥٨	(٣) التوبة : ٩٦
(٤) التوبة : ٧٥	(٥) التوبة : ١٠٢	(٦) التوبة : ١٠٦
(٧) التوبة : ١٠٧		
(٨) ليس في القرطبي ، والإنقاذ ، وذكر فيها بطله : عباد بن حنيفة .		
(٩) في القرطبي (٨ - ٢٥٤) : ووداعة بن ثابت .		
(١٠) التوبة : ١٠٧	(١١) هود : ١٧	

«^(١) وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ » : هو جبريل . وقيل أبو بكر . وقيل علي .

«^(٢) وَنَادَى نَوْعَ ابْنَةٍ » : اسمه كنعان . وقيل يام .

«^(٣) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ » : اسمها سارة .

«^(٤) بَنَاتِ لُوطَ » : ريثا^(٥) ورغوئا .

«^(٦) كَيْسَفُ وَأَخُوهُ » : هو بنيامين شقيقه .

«^(٧) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ » : هو روييل ، وقيل يهوذا ، وقيل شمعون .

«^(٨) فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ » : مالك بن دعر^(٩) .

«^(١٠) وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ » : هو قطير أو إطفير ، « لَامْرَأَتِهِ » هي راعيل ،

وقيل زليخا .

«^(١١) وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانِ » ؛ هما مجلث ونبو^(١٢) الساق . وقيل

راشان ومرطش ، وقيل شرم وشرم .

«^(١٣) لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ » : هو الساق .

« عِنْدَ رَبِّكَ » : هو ريان بن الوليد .

(١) هود : ١٧ (٢) هود : ٤٢ (٣) هود : ٧١

(٤) هود : ٧٨ ، أشير إليهن في قوله تعالى : هؤُلاءِ بناتى من أظهر لكم .

(٥) في ب : ريثا . (٦) يوسف : ٨ (٧) يوسف : ١٠

(٨) يوسف : ١٩

(٩) التماموس ، وقاله بالتدال تصعيف . وهو بالتدال المهسلة في الفرطبي أيضا

(١٠٢ - ٩) .

(١٠) يوسف : ٢١ (١١) يوسف : ٣٦

(١٢) يوسف : ٤٢

(١٣) والفرطبي : ٩ - ١٨٩

﴿٣٥﴾ بَأَخْرَجَكُمْ : هو بنيامين ، وهو المكرر في السورة .

﴿٣٦﴾ قَدْ سَرَقَ أَخَاهُ : عتوا يوسف .

﴿٣٧﴾ قُلْ كَيْدِهِمْ : هو شمعون . وقيل روبيل .

﴿٣٨﴾ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ : هما أبوه وخاله ليا . وقيل أمه واسمها راحيل .

﴿٣٩﴾ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ : هو عبد الله بن سلام . وقيل جبريل .

﴿٤٠﴾ أَمَكَّنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي : هو إسماعيل .

﴿٤١﴾ وَلَوْلَا الَّذِي : هو أبوه تارح . وقيل آزر . وقيل يازر . واسم أمه مثنى .

وقيل نوحا . وقيل ليوثا .

﴿٤٢﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ : قال سعيد بن جبيرة : هم خمسة : الوليد

ابن المنهارة ، والعماسي بن وائل ، وأبو زمعة ، والحارث بن قيس ، والأسود

ابن عبد يثوث .

﴿٤٣﴾ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبُكُم : هو أسيد بن أبي الصيص .

﴿٤٤﴾ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ : عثمان : بن عفان .

﴿٤٥﴾ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا : هي ربيعة بنت سعيد بن زيد مناة

ابن تميم .

﴿٤٦﴾ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ : عنوا به عبد بنقي الحضرمي ، واسمه مقيس . وقيل

(٣) يوسف : ٨٠

(٢) يوسف : ٧٧

(١) يوسف : ٥٩

(٦) إبراهيم : ٣٧

(٥) الرعد : ٤٣

(٤) يوسف : ٩٩

(٩) النحل : ٧٦

(٨) الحجر : ٩٥

(٧) إبراهيم : ٤١

(١١) النحل : ١٠٣

(١٠) النحل : ٩٢

عَبْدَيْنَ لَهُ : يسار ، وجبر . وقيل عنوا قَيْنَا بِمَكَّةَ اسْمُهُ بِلْعَامَ . وقيل سلمان
القمي .

« (١) اصحاب الكهف » : تملينا رئيسهم ، والقائل (٢) : « رَبِّكُمْ اَعْلَمُ
بِمَا لَيْتُمْ » ، وتكلمينا ؛ وهو القائل : « كم لبثتم » ومرطوش وبواشق وأيونس
والرسلان وسلططيوش (٣) .

« (٤) فابشروا اخذكم بورقكم » : هو تملينا .

« (٥) مَنْ اَغْفَلْنَا قَلْبَهُ » ؛ هو عينة بن حصن .

« (٦) واضرب لهم مثلاً رجلين » ؛ هما تملينا — وهو الخبير ، وفرطوش ،
وهما المذكوران في سورة الصافات .

« (٧) قال موسى لقتاده » : هو يوشع بن نون . وقيل أخوه يثري .

« (٨) فوجدنا عبداً » ، واسمه بليل .

« (٩) لَقِيَا غُلَامًا » : واسمه جيسور (١٠) بالجيم — وقيل بالخاء .

« (١١) فناداهما مِنْ تَحْتِهَا » ؛ قيل عيسى . وقيل جبريل .

« (١٢) وقول الإنسان » : هو أبي بن خلف . وقيل أمية بن خلف . وقيل

الوليد بن الخيرة .

(١) الكهف : ٩ (٢) الكهف : ١٩

(٣) بالسين في آخره في الإصحاح . (٤) الكهف : ١٩

(٥) الكهف : ٢٨ (٦) الكهف : ٣٢ (٧) الكهف : ٦٠

(٨) الكهف : ٦٠ (٩) الكهف : ٧٤

(١٠) في ب : جيسون — بالتون في آخره .

(١١) مريم : ٢٤ (١٢) مريم : ٦٦

« (١) أفرأيت الذي كفر بآياتنا » : هو العاصي بن وائل .

« (٢) وقتلت قساً » : هو القبطي ، واسمه قاقون .

« (٣) السامري » اسمه : موسى بن ظفر .

« (٤) من أثر الرسول » : هو جبريل .

« ومن الناس من يجادل » : هو النصر بن الحارث .

« (٥) هذان خصمان » : أخرج الشيخان ، عن أبي ذر ، قال : نزلت هذه الآية في حمزة ، وعبيدة بن الحارث ، وعلى بن أبي طالب ، وعتبة ، وشيبة ، والوليد ابن عتبة (١) .

« (٦) ومن يرد فيه بإلحادٍ بظلم » : قال ابن عباس : نزلت في عبد الله ابن أنيس .

« (٨) الذين جاءوا بالإفك » : هم حسان بن ثابت ، ومسطع بن أثانة ، وحنينة بنت جحش ، وعبد الله بن أبي . وهو الذي تولى كبره .

« (٩) ويوم يعض الظالم » : هو عتبة بن أبي معيط .

« (١٠) لم أتخذ فلاناً » : هو أمية بن خلف ، وقيل أبي بن خلف .

« (١١) وكان الكافر » : قال الشعبي هو أبو جهل .

(١) مريم : ٢٧	(٢) طه : ٤٠	(٣) طه : ٩٦
(٤) النحل : ٣	(٥) الحج : ١٩	(٦) الفرقان : ١٢ — ٢٥
(٧) الحج : ٢٤	(٨) النور : ١١	(٩) الفرقان : ٢٧
(١٠) الفرقان : ٢٨	(١١) الفرقان : ٥٥	

«^(١) امرأة تملِكُهُمْ» وهي بلقيس بنت شرجيل .

«^(٢) فلما جاء سُليمان» اسم الجاني منذر .

«^(٣) قل عِفْرِيت» : اسمه كَوْزَن .

«^(٤) الذي عنده علم» ؛ وهو آصف بن برخيا كاتبه . وقيل هو رجل يقال له ذو النور . وقيل أسطور^(٥) . وقيل تملِخا . وقيل بلخ . وقيل هو ضبة أبو القيلة . وقيل جبريل . وقيل ملك آخر . وقيل الخضر .

«^(٦) تِسْعَةُ رَهْط» هم دعما ، ودعيم ، وهري وهريم وداب وصواب ودياب ، ومسطح ، وقُدَّار^(٧) بن سالف عاقر الناقة .

«^(٨) فالتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ» : اسم الملتقط طايروث .

«^(٩) امرأة فرعون» : آسية بنت مزاحم^(١٠) .

«^(١١) أم موسى»^(١١) بحانة بنت يصهر بن لاوى . وقيل ياء وخاء . وقيل أباذخت .

«^(١٢) وقالت لأختيه» : اسمها مريم . وقيل كلثوم .

«^(١٣) هذا مِنْ شِيعَتِهِ» ؛ هو السامري .

(١) النمل : ٢٣ (٢) النمل : ٣٦ (٣) النمل : ٣٩

(٤) النمل : ٤٠ (٥) في الإتيان : أسطور . (٦) النمل : ٤٨

(٧) في القرطبي (١٣ - ٢١٦) : ذكرهم مكنا الماوردي من ابن عباس . وفي الإتيان : رعى ورعى - بدل الأولين .

(٨) القصص : ٨ (٩) القصص : ٩ (١٠) القصص : ١٠

(١١) في الإتيان : يحاند . (١٢) القصص : ١١

(١٣) القصص : ١٥

« وهذا من عَدُوَّة » اسمه مايوان^(١) .

«^(٢) وجاء رجل من أقصى المدينة » هو مؤمن آل فرعون ، واسمه شمان .
وقيل شمعون . وقيل جبر . وقيل حبيب . وقيل حزقييل .

«^(٣) امرأتين تَدُودَان » ؛ هما ليا وصفوريا ، وهى التى نكحها . وأبوها
شعيب . وقيل يثرون^(٤) بن أبى شعيب .

«^(٥) قال لقمان لابنه » : اسمه باران بالوحدة . وقيل داران . وقيل أنعم .
وقيل مِشْكَم .

«^(٦) مَلِكُ الْمَوْتِ » اشتهر على الألسنة أن اسمه عزرايل . ورواه أبو الشيخ
ابن حبان عن وهب .

«^(٧) أَقْمَنَ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ قَاسِقًا » نزلت فى على بن أبى طالب ،
والوليد بن عتبة .

«^(٨) وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ » ؛ قال السدى : هما رجلان من بنى حلثة :
أبو عرابة بن أوس ، وأوس بن قَيْظَى^(٩) .

«^(١٠) قُلْ لَأَزْوَاجُكُمْ » ؛ قال عكرمة : كان تحته يومئذ تسع نساء :
عائشة ، وحفصة ، وأم حبيبة ، وسودة ، وأم سلمة ، وصفية ، وميمونة ، وزينب
بنت جحش ، وجويرية . وبناته : فاطمة ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم .

(١) فى الالتقان : فاتون . (٢) القصص : ٢٠ . (٣) القصص : ٢٣

(٤) فى الالتقان : يثرون . (٥) لقمان : ١٣ . (٦) السجدة : ١١

(٧) السجدة : ١٨ . (٨) الأحزاب : ١٣

(٩) فى الترمذى : قال ذلك أوس بن قَيْظَى عن ملاء بن قومه . ثم حل قول السدى هذا أيضاً

(١٠) (١٤٨ - ١٤٩)

(١٠) الأحزاب : ٢٩

«^(١) أَهْلَ الْبَيْتِ » ؛ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هُم عَلَى ، وَفَاطِمَةُ ، وَالْحَسَنُ ، وَالْحُسَيْنُ .

«^(٢) الَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ » ؛ هُوَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ .

«^(٣) وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ » ؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : هُوَ آدَمُ .

«^(٤) أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ » ؛ هُمَا شِمُونُ وَيُوحَنَّا ، وَالثَّلَاثُ يُولُسُ .
وَقِيلَ : هُمُ صَادِقٌ وَصَلُوقٌ وَشَلُومُ .

«^(٥) وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ » ؛ هُوَ حَبِيبُ النَّجَّارِ .

«^(٦) أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ » ؛ هُوَ الْعَاصِمُ بْنُ وَائِلٍ . وَقِيلَ أَبُو بَنِي خَلْفٍ . وَقِيلَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ .

«^(٧) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ » ؛ هُوَ إِسْمَاعِيلُ ، أَوْ إِسْحَاقُ ؛ قَوْلَانِ شَهِيرَانِ .

«^(٨) نَبِيًّا أَخْلَصَ » ؛ هُمَا مَلَكَاةٌ ، قِيلَ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ .

«^(٩) جَسَدًا » ؛ هُوَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ أَسِيدٌ . وَقِيلَ ضَمْرَةٌ . وَقِيلَ حَقِيقٌ^(١٠) .

«^(١١) مَسْنَى الشَّيْطَانِ » قَالَ نَوْفٌ : الشَّيْطَانُ الَّذِي مَعَهُ يُقَالُ لَهُ مُسْقَطٌ .

(١) الأحزاب : ٣٣ (٢) الأحزاب : ٣٧ (٣) الأحزاب : ٧٢

(٤) يبر : ١٤ (٥) يس : ٢٠ (٦) يس : ٧٧

(٧) الصافات : ١٠١ (٨) ص : ٢١ (٩) ص : ٣٤

(١٠) في ب : حقيق ، وفي القمطبي (١٥ - ١١٩) : اسمه صخر بن عمر صاحب البحر ، وهو الذي دل سليمان على المار حين أمر سليمان ببناء بيت المقدس .

(١١) ص : ١٠

(٣٢ - في إسطر القرآن)

«^(١) والذي جاء بالصدق هو محمد ، «^(١) وصدق به محمد صلى الله عليه وسلم . وقيل أبو بكر .

«^(٢) الَّذِينَ أَضَلَّانَا إبليس ، وقابيل .

«^(٣) رَجُلٌ مِنَ التَّوْبَتَيْنِ : عَنَّا الوليد بن المغيرة من مكة ، ومسعود ابن عمرو «^(٤) التقي ؛ وقيل عروة بن مسعود من الطائف .

«^(٥) وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا ؛ الضارب له عبد الله بن الزبير .

«^(٦) طَعَامُ الْأَثِيمِ ؛ قال ابن جبير : هو أبو جهل .

«^(٧) وَشَهِيدٌ شَهِدَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ؛ هو عبد الله بن سلام .

«^(٨) أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ : أَصْحَابُ الْأَقْوَالِ أَنَّهُمْ : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد صلى الله عليه وسلم .

«^(٩) يُنَادِي الْمُنَادِي ؛ إسماعيل .

«^(١٠) ضَيْفَ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ؛ قال عثمان بن محصن : كانوا أربعة من الملائكة : جبريل ، وميكائيل ، وإسماعيل ، وروفايل .

«^(١١) وَبَشَرُوهُ بَغْلَامَ ؛ قال الكِرْمَانِي : أجمع الفسرون على أنه إسحاق ، إلا مجاهد ، فإنه قال : هو إسماعيل .

«^(١٢) شَدِيدُ الْقُوَى ؛ جبريل .

(١) الزمر : ٢٩	(٢) فصلت : ٢٩	(٣) الزخرف : ٣١
(٤) ق ب : هـ .	(٥) الزخرف : ٥٧ .	(٦) الدخان : ٤٤
(٧) الأحقاف : ١٠	(٨) الأحقاف : ٣٥	(٩) ق : ١
(١٠) الداريات : ٢٤	(١١) الداريات : ٢٨	(١٢) البجم : ٥

« (١) أفرأيت الذي نَوَّلِي » ؛ هو العاصي بن وائل . وقيل الوليد بن المغيرة .

« (٢) يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِي » ؛ هو إسماعيل .

« (٣) قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ » ؛ هي خولة بنت ثعلبة « في زوجها » ؛ هو أوس

ابن الصامت .

« (٤) لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ » ، هي سريته مارية .

« (٥) إِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا » ؛ هي حفصة .

« (٦) تَبَيَّنَتْ بِهِ » ؛ هي عائشة .

« (٧) تَتُوبَا » و « تظاهرا » : هما عائشة وحفصة . « وصالح المؤمنين »
هما أبو بكر وعمر ، أخرجه الطبراني في الأوسط .

« (٨) امرأة نوح » والمه .

« وامرأة لوط » والمه (٨) . وقيل والله (٩) .

« (١٠) وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حُلَافٍ » ، نزلت في الأسود بن عبد يغوث . وقيل :

الأخنس بن شريق . وقيل : الوليد بن المغيرة .

« (١١) سَأَلَ سَائِلٌ » [١٨١] ؛ النضر بن الحارث .

(١) النجم : ٣٣ (٢) القمر : ٦ (٣) المجادلة : ١

(٤) التحريم : ١ (٥) التحريم : ٣ (٦) التحريم : ٤

(٧) التحريم : ١٠

(٨) في ب : والمه . والتبث في الترمذي أيضاً (١٨ - ٢٠١) .

(٩) في الإتيان : والمه ، وقبل : واءه .

(١٠) القلم : ١٠ (١١) الخارج : ١

« (١) رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ » ؛ اسم أبيه ملك بن متوشلح ، وأمه شمنحا بنت أنوش .

« (٢) سَفِينُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا » ؛ إبليس .

« (٣) ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا » ؛ هو الوليد بن المغيرة .

« (٤) فَلَا صَدَقَ ... » الآيات . نزلت في أبي جهل .

« (٥) هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ » ؛ هو آدم .

« (٦) وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا » ؛ هو إبليس .

« (٧) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى » ؛ هو عبد الله ابن أم مكتوم .

« (٨) أَمَّا مَنْ اسْتَفْنَى » ؛ هو أمية بن خلف ، وقيل عتبة بن ربيعة .

« (٩) لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ » ؛ هو جبريل . وقيل محمد صلى الله عليه وسلم .

« (١٠) فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ ... » الآيات . نزلت في أمية

ابن خلف .

« (١١) وَوَالِدٍ » ؛ هو آدم .

« (١٢) قَالِ لِمَ رَسُولُ اللَّهِ » ؛ هو صالح .

« (١٣) الْأَشَقَى » ؛ هو أمية بن خلف .

(١) نوح : ٢٨	(٢) الجن : ٤	(٣) النمل : ١١
(٤) القيامة : ٣١	(٥) الإنسان : ١	(٦) النازعات : ٤٠
(٧) عبس : ٢ - ٥	(٨) عبس : ٥	(٩) التكاثر : ١٩
(١٠) البقر : ١٦	(١١) البلد : ٣	(١٢) الشمس : ١٣
(١٣) الليل : ١٥		

- « (١) الأتقى » ؛ هو أبو بكر الصديق .
 « (٢) الذي ينهى عبداً » ؛ هو أبو جهل . والعبدُ هو المتبوعُ صلى الله عليه وسلم .
 « (٣) إن شأنتك » ؛ هو العاصي بن وائل . وقيل أبو جهل . وقيل عتبة ابن أبي سفيان . وقيل أبو لب . وقيل كعب بن الأشرف .
 « (٤) وامراته حمالة الحطب » ؛ أم جميل الموزنة بنت حرب بن أمية .

ذكر المجموع من المبهات الذين عرف أسماء بعضهم

- « (٥) قال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله » ؛ سُمي منهم رافع ابن خزيمة^(٦) .
 « (٧) يقول السفهاء » ؛ سمي منهم رفاعه بن قيس ، وقردم بن عمرو ، وكعب بن الأشرف ، ورافع بن خزيمة^(٦) ، والحجاج بن عمرو ، والربيع ابن أبي الحقيق .
 « (٨) وإذا قيل لهم اتبعوا » ؛ سمي منهم مالك بن عوف ، ورافع .
 « (٩) يسألونك عن الأهلة » ؛ سمي منهم مُعَاذُ بْنُ جَبَل ، وثعلبة بن غنم .
 « (١٠) يسألونك ماذا ينفقون » ؛ سمي منهم عمرو بن الجموح .

(١) قبل : ١٧	(٢) الطلق : ٩ ، ١٠	(٣) الكوثر : ٣
(٤) للد : ٤	(٥) البقرة : ١١٨	(٦) في الإتيان : حرمة .
(٧) البقرة : ١٤٢	(٨) البقرة : ١٧٠	(٩) البقرة : ١٨٩
(١٠) البقرة : ٢١٥		

«^(١) يسألونك عن النخمر » ؛ سمي منهم عمر ، ومعاذ ، وحمزة .

«^(٢) ويسألونك عن اليتامى » ؛ سمي منهم عبد الله بن رواحة .

«^(٣) ويسألونك عن الحيض » ؛ سمي منهم ثابت بن الدحداح ، وعباد ابن بشر ، وأسيد بن الحضير .

«^(٤) ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً » ؛ سمي منهم النعمان بن عمرو ، والحارث ابن يزيد .

«^(٥) الخواريثون » ؛ سمي منهم فطرس ، ويعقوبس ، ويحنس ، والورابلس^(٦) ، وفيلس ، وابن تيم ، ومقسا ، وتوماس ، ويعقوب بن خلفيا ، وجداوسميس ، وماديواس ، ودرمايوطا ، وسرجس ؛ وهو الذي ألقى عليه شبهه .

«^(٧) وقالت طائفة من أهل الكتاب » ؛ هم اثنا عشر من اليهود . سمي منهم عبد الله بن الضيف ، وعدى بن زيد ، والحارث بن عمرو .

«^(٨) كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم » ؛ قال عكرمة : نزلت في اثني عشر رجلاً ، منهم : أبو عامر الراهب ، والحارث بن سويد بن الصامت ، ووحوح بن أسلم^(٩) . زاد ابن عسك : وطعيمة بن أثيرق .

(١) البقرة : ٢١٩ (٢) البقرة : ٢٢٠ (٣) البقرة : ٢٢٢

(٤) آل عمران : ٢٣ (٥) آل عمران : ٥٢

(٦) في الإتيان : اندريس . وفي الخبر : أندريوس . وفي المعجم أسماء هؤلاء الخواريث ، وفيها خلاف كثير ، فارجع إليه إن شئت .

(٧) آل عمران : ٧٢ (٨) آل عمران : ٨٦

(٩) في الإتيان : ابن الأسلم .

«^(١) يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ » ؛ سَمِيَ مِنَ الْقَاتِلِينَ عَبْدَ اللَّهِ
ابْنَ أَبِي بَرْزَاءٍ ، وَمُعْتَبَرٌ بِنَ قُشَيْرٍ .

«^(٢) وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا » ؛ الْقَاتِلُ ذَلِكَ عَبْدَ اللَّهِ ، وَالِدُ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
الْأَنْصَارِيِّ . وَالْقَوْلُ لَهُمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ أَبِي وَأَصْحَابُهُ .

«^(٣) الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ » ؛ مِ سَبْعُونَ ، مِنْهُمْ : أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ،
وَعُثْمَانُ ، وَعَلِيٌّ ، وَالزُّبَيْرُ ، وَسَعْدٌ ، وَطَلْحَةُ ، وَابْنُ عَوْفٍ ، وَابْنُ سَعْدٍ
الْأَشْجَعِيُّ .

«^(٤) الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ قَبِيرٌ » ؛ قَالَ ذَلِكَ فَخَامٌ . وَقِيلَ حِينَئِذٍ بَنِي أَخِي .
وَقِيلَ كَتَبَ بِنَ الْأَشْرَفِ .

«^(٥) وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ » ؛ نَزَلَتْ فِي النَّبِيعَاتِ . وَقِيلَ
فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ .

«^(٦) وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً » ؛ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : أَوْلَادُ آدَمَ لَصُلْبِهِ
أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ بَطْنًا ، كُلُّ بَطْنٍ ذَكَرٌ وَأُنْثَى ؛ وَسَمِيَ مِنْ بَنِيهِ قَايِلٌ ، وَهَامِيلٌ ،
وَأَيْمَادٌ ، وَشُبُونَةُ ، وَهَنْدٌ ، وَضَرَايِسُ^(٧) ، وَغُفُورٌ ، وَسَنْدٌ ، وَبَارِقٌ ، وَشَيْثٌ ،
وَعَبْدُ الْمَنِيثِ ، وَعَبْدُ الْحَارِثِ ، وَوَدٌّ ، وَسَوَاعٌ ، وَيَنْفُوثٌ ، وَيَعْقُوقٌ ، وَنَشْرَاءٌ .
وَمِنْ بَنَاتِهِ : أَقْلِيَّةٌ ، وَأَشُوفٌ ، وَجَزُوزَةٌ ، وَبَيْنٌ ، وَعَزٌّ ، وَرَاءٌ ، وَأَمَّةٌ
الْمَنِيثِ [٨١ ب] .

(١) آل عمران : ١٦٧ (٢) آل عمران : ١٧٢ (٣) آل عمران : ١٨١

(٤) آل عمران : ١٩٩ (٥) النساء : ١

(٦) في الاطمان : أَرْبَعُونَ وَ عِشْرُونَ بَطْنًا .

(٧) بِالْمَادِ فِي الْاَطْمَانِ .

«^(١) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَاةَ ؛ قَالَ عِكْرِمَةُ : نَزَلَتْ فِي رِفَاعَةَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ السَّابُوتِ ، وَكَرْدَمَ بْنِ زَيْدٍ ، وَأُسَامَةَ ابْنِ حَبِيبٍ ، وَرِفَاعَ بْنَ أَبِي رَافِعٍ ، وَحَيَّ بْنَ أَخْطَبٍ .

«^(٢) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ ؛ سَمِيَ مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ عَوْفٍ .

«^(٣) إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ ؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : نَزَلَتْ فِي هَلَالِ ابْنِ عُيُومٍ الْأَسْلَمِيِّ ، وَسُرَّاقَةَ بْنِ مَالِكِ الْمَدَلْجِيِّ ، وَفِي بَنِي خَزِيمَةَ بْنِ عَلَمَرِ ابْنِ عَبْدِ مَنَافٍ .

«^(٤) سَتَجِدُونَ آخَرِينَ ؛ قَالَ السُّدِّيُّ : نَزَلَتْ فِي جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ نُصَيْمُ ابْنُ مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِيُّ .

«^(٥) إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ؛ سَمِيَ مِنْهُمْ عِكْرِمَةُ : عَلَى بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ ، وَالْحَارِثُ بْنُ زَمْعَةَ ، وَأَبَا قَيْسٍ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، وَأَبَا الْعَاصِ بْنِ مَنِبْهٍ^(٦) ، وَابْنُ الْحَبَّاجِ ، وَأَبَا قَيْسٍ بْنُ الْقَارِكَ .

«^(٧) إِلَّا السَّضَفَيْنِ ؛ سَمِيَ مِنْهُمْ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَأُمُّهُ أُمُّ الْفَضْلِ ، وَعَبَّاسُ ابْنِ أَبِي رِيْمَةَ ، وَسَلْمَةُ بْنُ هِشَامٍ .

«^(٨) الَّذِينَ يَخْتَكِنُونَ أَنْفُسَهُمْ ؛ بَنُو أَيْرُقَ : بَشْرٌ ، وَبَشِيرٌ ، وَمُبَشَّرٌ .

«^(٩) لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلَوْكَ ؛ أَسِيدُ بْنُ عُرْوَةَ وَأَصْحَابُهُ .

(١) النِّسَاءُ : ٤٤	(٢) النِّسَاءُ : ٧٧	(٣) النِّسَاءُ : ٩٠
(٤) النِّسَاءُ : ٩٠	(٥) النِّسَاءُ : ٩٦	(٦) فِي الْأَعْيَانِ : بَيْنَ مَنِبْهٍ .
(٧) النِّسَاءُ : ٩٨	(٨) النِّسَاءُ : ١٠٧	(٩) النِّسَاءُ : ١١٣

«^(١) وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ » ؛ سَمِيَ مِنَ الْمُسْتَفْتِينَ خُزْلَةَ بِنْتُ حَكِيم .
«^(٢) يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ » ؛ سَمِيَ مِنْهُمْ ابْنُ عَسْكَرٍ : كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ ،
وَفِيْهِ خَاصًا .

«^(٣) لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ » ؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : هُمُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ .
«^(٤) وَلَا آمَنَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ » ؛ سَمِيَ مِنْهُمْ الْحُطَمُ «^(٥)» بَنُ هِنْدَ الْبَكْرِي .
«^(٦) يَسْأَلُوكَ مَاذَا أَحْلَلَ لَهُمْ » ؛ سَمِيَ مِنْهُمْ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ ، وَزَيْدُ
ابْنِ مَهْلَبٍ الطَّائِيَانِ ، وَعَاصِمُ بْنُ عَدِيٍّ ، وَسَعْدُ بْنُ خَيْشَمَةَ ، وَعَدِيُّ «^(٧)» بَنُ سَاعِدَةَ .
«^(٨) إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا » : سَمِيَ مِنْهُمْ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ ، وَحَيٍّ
ابْنُ أَخْبَلٍ :

«^(٩) وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً ... » الْآيَاتُ ؛ نَزَلَتْ فِي الْوَفْدِ الَّذِينَ جَاءُوا
مِنْ عِنْدِ النَّجَاشِيِّ ، وَهُمُ اثْنَا عَشَرَ . وَقِيلَ ثَلَاثُونَ . وَقِيلَ سَبْعُونَ . وَسَمِيَ مِنْهُمْ :
إِدْرِيسُ ، وَإِبْرَاهِيمُ ، وَالْأَشْرَفُ ، وَتَمِيمٌ ، وَدَرِيدٌ .
«^(١٠) وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ » : سَمِيَ مِنْهُمْ زَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، وَالنَّضْرُ
ابْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ ، وَأَبِيُّ بْنُ خَلْفٍ ، وَالْعَاصِي بْنُ وَائِلٍ .
«^(١١) وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ » ؛ سَمِيَ مِنْهُمْ : جُضَيْبٌ ، وَعُمَارٌ ،
وَحَبَّابٌ ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَابْنُ مَسْعُودٍ ، وَسُلَيْمَانُ الْقَارِسِيُّ .

(١) النساء : ١٢٧ (٢) النساء : ١٥٣ (٣) النساء : ١٦٢

(٤) الثالثة : ٣

(٥) في القرطبي (٦ - ١٣) : قِيلَ كَانَ هَذَا الْآمُ شَرِيحَ بْنِ ضَبِيحَةَ الْبَكْرِي ، وَيُلَقَّبُ
بِالْحُطَمِ . وَفِي أَسْبَابِ النُّزُولِ لِوَأَحَدِي : نَزَلَتْ فِي الْحُطَمِ ، وَاسْمُهُ شَرِيحُ بْنُ ضَبِيحِ الْكَنْدِيِّ .

(٦) الثالثة : ٤ (٧) في الاثنان : عَوَمرُ بْنُ سَاعِدَةَ .

(٨) الثالثة : ١١ (٩) الثالثة : ٨٢ (١٠) الأنعام : ٨

(١١) الأنعام : ٥٢

﴿١﴾ إِذْ قَالُوا مَا أَتَزَلُ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ ۖ سِى مِنْهُمْ فِتْنَانِ ،
ومالك بن النضيف .

﴿٢﴾ قَالُوا لَنُؤْمِنَ بِحَقِّ تَوَاتُرِ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُلُ اللَّهِ ۖ سِى مِنْهُمْ
أبو جهل ، والوليد بن النخيلة .

﴿٣﴾ يَا لَوْنَكَ عَنِ السَّاعَةِ ۖ سِى مِنْهُمْ حُلٌّ بِنِ قَتِيرٍ ، وَشَمُوِيلُ
ابن زيد .

﴿٤﴾ يَا لَوْنَكَ عَنِ الْأَخَالِ ۖ سِى مِنْهُمْ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ .

﴿٥﴾ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَسَكَارِهُونَ ۖ سِى مِنْهُمْ أَبُو أَيُّوبَ
الأنصاري . وَمِنَ الَّذِينَ لَمْ يَكْرَهُوا الْقَدَادَ .

﴿٦﴾ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا ۖ سِى مِنْهُمْ أَبُو جَهْلٍ .

﴿٧﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ هُمْ أَهْلُ دَارِ الْغُلُوَّةِ ۖ سِى مِنْهُمْ عُبَيْةُ
وَشَيْبَةُ ابْنَا رَيْمَةَ ، وَأَبُو سَفْيَانَ ، وَأَبُو جَهْلٍ ، وَجُبَيْرُ بْنُ مُطْعَمٍ ، وَطُعْبَةُ بْنُ عَدِيٍّ ،
وَالْحَارِثُ بْنُ عَامِرٍ ، وَالتَّغْرِ بْنِ الْحَارِثِ ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسَدِ ، وَحَكِيمُ بْنُ حَزَامٍ ،
وَأُمِيَّةُ بْنُ خَلْفٍ .

﴿٨﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ ... ۖ الْآيَةُ ۖ سِى
مِنْهُمْ أَبُو جَهْلٍ ، وَالتَّغْرِ بْنِ الْحَارِثِ .

﴿٩﴾ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءُ دِينُهُمْ ۖ

(٣) الأعراف : ١٨٧

(٦) الأخال : ١٩

(٩) الأخال : ٤٩

(٢) الأنعام : ١٢٤

(٥) الأخال : ٥

(٨) الأخال : ٣٢

(١) الأنعام : ٩٧

(٤) الأخال : ٩

(٧) الأخال : ٣٠

سمى منهم عتبة بن ربيعة ، وقيس بن الوليد ، وأبو قيس بن العاكه ، والحارث ابن زمة ، ولعاصم بن منبه .

«^(١) قل لئن في أيديكم من الأسرى » ؛ كانوا سبعين ، منهم : العباس ، وعقيل ، ونوفل ، والحارث ، وسهل^(٢) ابن بيضاء .

«^(٣) وقالت اليهود عزير ابن الله » ؛ سمي منهم سلام بن مشكم ، ونعمان ابن أوفى ، ومحمد بن حمية ، وشأس بن قيس ، ومالك بن الضيف .

«^(٤) الذين يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ » سمي من المطَّوِّعِينَ عبد الرحمن بن عوف ، وعاصم بن عدى .

«^(٥) والذين لَا يَحِدُّونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ » ؛ أبو عقيل ، ورقاعة بن سعد .

«^(٦) ولا على الذين إذا ما أتواكَ لَتَحْمِلَهُمْ » ؛ سمي منهم العسرياض ابن سارية ، وعبد الله بن مغفل المزني ، وعمر بن المزني ، وعبد الله بن الأذرق الأنصاري ، وأبو ليلي الأنصاري .

«^(٧) فيه رجال يُحِبُّونَ أَنْ يَتَغَلَّظُوا » ؛ سمي منهم عويم بن ساعدة .

«^(٨) إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ » ؛ نزلت في جماعة ، منهم : [١٨٢] عمار بن ياسر ، وعباس بن أبي ربيعة .

«^(٩) بَعَثْنَا لَكُمْ رَسُولًا لَنَا » ؛ هم جالوت^(١٠) وأصحابه .

(١) الأنفال : ٧٠

(٢) في الالتقان : ونوفل بن الحارث ، وسهل بن بيضاء . والمثبت في : ذنابة أيضاً .

(٣) التوبة : ٣٠ (٤) التوبة : ٢٩ (٥) التوبة : ٩٢

(٦) التوبة : ١٠٨ (٧) النحل : ١٠٦ (٨) الأسراء : ٥

(٩) في الالتقان : جالوت .

«^(١) وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ » ؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، مِنْهُمْ : أَبُو جَهْلٍ ، وَأُمِّيَّةُ بْنُ خَلْفٍ .

«^(٢) وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا » ؛ سَمِيَ ابْنُ عَبَّاسٍ مِنْ قَاتِلِي ذَلِكَ : عَبْدَ اللَّهِ بْنُ أُمِيَّةٍ^(٣) ، وَذَرِيَّتُهُ . وَسَمِيَ مِنْ أَوْلَادِ إِبْلِيسَ : ثُورٌ^(٤) ، وَالْأَعُورُ ، وَزَنْبُورٌ ، وَمِسْوُوطٌ ، وَدَاسِرٌ^(٥) .

«^(٦) وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ » ؛ سَمِيَ مِنْهُمْ الْحَارِثُ بْنُ عَامِرٍ ابْنُ نُوْفَلٍ .

«^(٧) أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا » ؛ هُمُ الْمُؤَذَّوْنُ عَلَى الْإِسْلَامِ ؛ سَمِيَ مِنْهُمْ عِمَارُ بْنُ يَاسِرٍ .

«^(٨) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا » ؛ سَمِيَ مِنْهُمْ الْوَلِيدُ ابْنُ الْغُبَرَةِ .

«^(٩) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ » ؛ سَمِيَ مِنْهُمْ التَّضَرُّ ابْنُ الْحَارِثِ .

«^(١٠) فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ » ؛ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ .

«^(١١) قَالُوا الْحَقُّ » ؛ أَوَّلُ مَنْ يَقُولُهُ جِبْرِيلُ ، فَيَتَّبِعُونَهُ .

(١) الْأَسْرَاءُ : ٧٣ (٢) الْأَسْرَاءُ : ٩٠

(٣) فِي الْإِنْفَانِ : ابْنُ أَبِي أُمِيَّةٍ .

(٤) فِي الْمَجْمَرِ : الْجَبَرُ .

(٥) فِي الْمَجْمَرِ : دَاسِمٌ . وَاطَّلَعَ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ فِيهِ مِنْعَةٌ ٣٩٥ ، وَابْنُ فِيهِ زَنْبُورٌ .

(٦) التَّصْوِيفُ : ٥٧ (٧) الْغُلَّابُ : ١ (٨) الْغُلَّابُ : ١٢

(٩) الْإِنْفَانِ : ٦ (١٠) الْأَحْزَابُ : ٢٣ (١١) — : ٢٣

«^(١) واطنق الملائكة منهم » ؛ سُمي منهم عُتْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَأَبُو جَهْلٍ ،
وَالْعَاصِي بْنُ وَائِلٍ ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَشُوثَ .

«^(٢) وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً » ؛ سُمي من القائلين أَبُو جَهْلٍ ،
وَمِنْ الرِّجَالِ : عَمَارٌ ، وَبِلَالٌ .

«^(٣) فقراء من الجن » ؛ سُمي منهم زُوبَةُ ، وَحِثِّي ، وَمَسِي ، وَشَاصُو ،
وَمَاصُو ، وَالْأَزْدُ ، وَائِيَانٌ ، وَالْأَحْقَمُ ، وَمَرْقٍ .

«^(٤) إِنْ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ » ؛ سُمي منهم الْأَقْرَعُ
ابْنُ حَابِسٍ ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ بَدْرٍ ، وَعُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ ، وَعَمْرُو بْنُ الْأَهْمِ .

«^(٥) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا » ؛ نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُبَيْلٍ^(١)
مِنَ الْمُنَافِقِينَ .

«^(٦) لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ » ؛ نَزَلَتْ فِي قَبِيلَةِ أُمِّ أَسْمَاءَ
بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ .

«^(٨) إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ » ؛ سُمي منهن أُمُّ كَلْثُومٌ بِنْتُ عَتْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ،
وَأَسِيَّةُ^(٩) بِنْتُ بَشَرَ .

«^(١٠) يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا » . «^(١١) يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا » ؛ سُمي منهم
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي .

(١) م : ٦ (٢) م : ٦٢ (٣) الأحطاف : ٢٩
(٤) الخجرات : ٤ (٥) المجاداة : ١٤ (٦) والله أعلم ١٧ - ٣٠٤
(٧) المنحة : ٨ (٨) المنحة : ١٠
(٩) في الترمذي : أَسِيَّةُ بِنْتُ بَشَرَ ، وَكَانَتْ عِدَّةً نَابِتٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ (١٨ - ٦١) .
(١٠) - أَسِيَّةُ : ٧ (١١) - منافقون : ٨

«^(١) وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ ...» الآية ؛ سمي من حملة العرش إسرئيل ،
ولوثان^(٢) وروفيل .

«^(٣) أصحاب الأعداء » ؛ فونواس : زرعة^(٤) بن أسعد الحميري
وأصحابه .

«^(٥) أصحاب الفيل » ؛ هم الحبشة ، قاتدم أبرهة الأشرم ، ودليلهم
أبورغال .

«^(٦) قتل يائثها الكافرون » ؛ نزلت في الوليد بن المغيرة ، والعامر بن وائل ،
والأسود بن المطلب ، وأمّية بن خلف .

«^(٧) النفاثات » ؛ بنات لبيد بن الأعصم .

[مبهات الأقوام والحيوانات وغيرها]

وأما مبهات الأقوام والحيوانات والأمكنة والأزمنة ، ونحو ذلك
فقد استوفيت الكلام عليها في تأليفنا المشار إليه .

(٢) في الالتان : ولثان .

(١) الحاقة : ١٧

(٣) البروج : ٤

(٤) في الفرطبي (١٩ - ٢٩٢) : قال ابن إسحاق : وذو نواس هذا اسمه زرعة
ابن ثيان بن أسعد الحميري .

(٧) الطلق : ٣

(٦) الكافرون : ١

(٥) الفيل : ١

تنبيه

[في أسماء من نزل فيهم القرآن]

قال قيس عن الأعمش ، عن المنهال ، عن عباد بن عبد الله ، قال : قال علي :
ما في قریش أحد إلا وقد نزلت فيه آية . قيل له : فما نزل فيك ؟ قال ^(١) :
« وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ » .

وأخرج الإمام أحمد ، والبخاري في الأدب ، عن سعد بن أبي وقاص ،
قال : نزلت في أربع آيات ^(٢) : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ » . « ^(٣) وَوَصَّيْنَا
الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا » . وآية تحريم الحر ، وآية الميراث .

وأخرج ابن أبي حاتم ، عن رفاعة القرظي ، قال : نزلت ^(٤) : « وَلَقَدْ وَصَّيْنَا
لَهُمُ الْقَوْلَ » في عشرة ، أنا أحدهم .

وأخرج الطبراني ، عن أبي جمعة جنيد بن سبع ، وقيل حبيب بن مبيع ،
قال : فينا نزلت ^(٥) : « وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ » ، وكنا تسعة
نفر ؛ سبعة رجال وامرأتين .

• • •

(٢) الأنفال : ١

(٣) الفصحة : ١٧

(٤) الفصحة : ١٧

(٥) الفصح : ٢٥

(٦) الفصح : ١٧

الوجبة الرابع والثلاثون من وجوه محسنة

احتواؤه على أسماء الأشياء والملائكة والكنى والألقاب
وأسماء القبائل والبلاد والجبال والكواكب

أما أسماء الأنبياء فسيأتي ذكرهم إن شاء الله على حروف المعجم في أول
كل حرف ما يناسبه ، وذلك خمس وعشرون ، هم مشاهيرهم .

وأما الكنى فليس منها فيه غير أبي لمب ، واسمه عبد العزى ؛ وذلك
لم يذكر باسمه لأنه حرام شرعاً . وقيل للإشارة إلى أنه جهنمى .

والألقاب تأتي في حروف المعجم .

وأما أسماء القبائل فيأجوج وماجوج ، وعاد ، وثمود ، وقريش ، ومدين ،
والروم .

وأسماء البلاد يأتي ذكرها مع أسماء الجبال .

وأما أسماء الكواكب فالشمس والقمر ، والطارق ، والشمس .

وفيه من أسماء الأماكن الأخروية : الفردوس ؛ وهو أعلى [٨٢ ب] مكان
في الجنة . وعليون : قيل هو أعلى مكان في الجنة . وقيل اسم لما دون فيه أعمال
صالحى الثقلين . والكوثر هو نهر في الجنة ، كما في الأحاديث المتواترة . وسلسيل ،
وتسليم : عينان في الجنة . وسجين : اسم لمكان أرواح الكفار . وصعود : جبل
في جهنم ، كما أخرجه الترمذى من حديث أبي سعيد مرفوعاً .

وموئيق ، ونغى ، وأثام ، وويل ، والشعر ، وسائل ، وسحق : أودية
في جهنم ، وسيأتي كلها في الحروف .

قال بعضهم : سَمَّى اللهُ في القرآن عشرة أجناس من الطير : اللوى ،
والبعوض . والذباب ، والنحل ، والمنكبوت ، والجراد ، والمدهد ، والقراب ،
وأبابل ، والنمل ، والطير؛ أقوله في سليمان^(١) : « علمنا مَنَطقَ الطير » ، وقد فهم
من كلامها .

وأخرج ابن أبي حاتم عن الشعبي ، قال : النملة التي^(٢) فقه سليمان كلامها
كانت ذات جناحين ، ولإفراط إدراكها قالت هذا القول .
وروى أن سليمان عليه السلام سمعه ، وكان بينه وبينها ثلاثة أميال ؛ وذلك
أنها لا يسمعها البشر إلا من خصه الله بذلك .

وروى أنه قال لها : لم قلت للنمل : « ادخلوا مساكنكم » ؟ أخفت عليها
منى ظلمي ؟ قالت : لا ، يا نبي الله ، ولكن خشيت أن يُفتنوا بما يرون من جمالك
وزينتك ، فيشغلهم ذلك عن طاعة ربهم .

وقيل : إنها قالت : خفت عليهم من كثرة رؤية النعم ، فيكفرون بنعمة الله
عليهم .

فتأمل إحساس البهائم ومالها حس ؛ ملأنا بطوننا من الحرام ، فقلبت
علينا سكرة النسام ، وتراكت على قلوبنا معائب المخالفة ، فادعينا الدعاوى
الباطلة ؛ وعن قريب ينكشف السحاب ، تهب عصف نسائم الأسف والحزن ،
وتقول : يا حسرتنا على ما فرغطنا .

فيا الله أيها الأخ ، قُم على قدم الاعتذار ، واكشف رأس الاستغفار ، وندد
بلسان الاضطرار : «^(٣) رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ
من الخاسرين » .

(١) : النمل : ١٦ . (٢) : النمل : ١٧ . (٣) : الأعراف : ٢٣ .

(م ٢٣ - في زعماء القرآن)

قال بعضهم : بت ليلة ألوم نفسي ، وأعددت عليها ، ثم نمت ، فرأيتُ كأن
القيامة قد قامت ، والناس يجمعُ جمعٌ ، فجئتُ إلى قوم عليهم ثيابٌ حسنة ، ورائحة
طيبة ، فأردتُ الجلوس معهم ، فأخذ بيدي شخص فأزالني ، وقال : أين أنت ؟
وما أنت منهم ؟ أين حالك من حالهم ؟ أين نورك من نورهم ؟ فلم أزلُ أصرف
من جمع إلى جمع حتى انتهيت إلى قوم عليهم أطمار رثّة ، ووجوههم مغبرة ،
فلما رأوني قالوا : تقدم إلينا ؛ فأنت من أصحابنا ، فملت ذُلّي ومقامي ؛ فلزمت
الحزن إلى يوم ألقاه .

اللهم إنك أنعمت على هذا العبد بالزام الحزن قلبه ، اخلع علينا بُرد حزن ،
حتى أقوم على ساق سبق توبة تكابد الحزن إلى يوم ألقاك بجاه من أنزلت عليه
هذا الكتاب الشافع الشفع ، الماحل المصدق ، صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه وسلم .

• • •

الوجه الخامس والثلاثون من وجوه إعجازه

ألفاظه المشتركة

وهذا الوجه من أعظم إعجازه ، حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف
إلى عشرين وجهاً ، وأكثر وأقل ، ولا يوجد ذلك في كلام البشر .

وقد صنّف في هذا النوع وفي عكسه — وهو ما اختلف لفظه واتحد معناه —
كثير من المتقدمين والتأخرين ؛ منهم ابن الجوزي ، وابن أبي الهيثم ،
وأبو الحسين محمد بن عبد الصمد المصري ، وابن فارس ، وآخرون .

قال مقاتل بن سليمان في صدر كتابه المصنف في هذا المعنى حديثاً مرفوعاً :
لا يكون الرجل قتيها كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة .

قلت : هذا أخرجه ابن سعد وغيره عن أبي الدرداء موقوفاً ، ولفظه :
لا يفقه الرجل كل الفقه . وقد فسر بعضهم بأن المراد أن يرى اللفظ الواحد
يحتمل معاني متعددة فيحمله عليها إذا كانت غير متضادة ، ولا يقتصر به
على معنى واحد .

وأشار آخرون إلى أن المراد به استعمال الإشارات الباطنة ، وعدم الاختصار
على التفسير الظاهر .

وقد أخرجه ابن عساكر من طريق حماد بن زيد عن أيوب ، عن أبي قلابة ،
عن أبي الدرداء ، قال : إلك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها . قال حماد :
قلت لأيوب : أرايت قوته حتى ترى للقرآن وجوها ؟ أهو أن يرى وجوها فيها
بالإقدام عليه ؟ قال : نعم ، هو هذا .

وأخرج ابن سعد من طريق عكرمة ، عن ابن عباس ، عن علي بن أبي طالب ،
أنه أرسله إلى الخوارج ، قال : اذهب إليهم وخاصمهم ، ولا تخاصمهم بالقرآن ؛
فإنه ذو وجوه ، ولكن خاصمهم بالسنة .

وفي وجه آخر قيل له : يا أمير المؤمنين ؛ فأننا أعلم بكتاب الله في بيوتنا نزل .
قال : صدقت ؛ ولكن القرآن حال في وجوه : تقول ويقولون ، ولكن حاجتهم
بالسنة ، فإنهم لن يجلدوا عنها محيصة ؛ فأخرج إليهم فحاجهم بالسنة ، فلم تبق
بأيديهم حجة .

وقد من الله علينا في حلب بمض أفاض في هذا المعنى ، وكان هو السبب
في هذا المبني ، فلشدد بكتك يدك على هذا الكتاب المتني في أعجاز القرآن

ومعترك الأقران، مع أى - علم الله - لست من فرسان هذا الميدان ، ولا ممن يحول
 فى هذا الشأن ، لكنى تطلعت على المتقدمين ، رجاء أن يضمنى جميل الاحتمال
 معهم ، ويسخى من حسن التجاوز ما وسعهم ؛ وأنا أرغب ممن وقع بسيد
 هذا الكتاب أن يدعو لساعى له فيه ؛ لأنه يجد فيه مالا يجد فى كثير من المطولين
 الصاب ، وكيف لا يذكره عند ربه وقد استخرجته له منهم سهل المرام ، خفف
 عليه سحله وثمنه ، وقرئت عليه القهيم باختصار الكلام ، وإيتم الله أو أراد
 الاستثناء به عن النظر فى غيره لكفاه ، مع أنى زدت مع اللفظ المشترك تفسير
 مفردات لا بد له منها ، ليتم له معناه . وأعقب كل حرف بحروف تشاكلها
 منها من الأسماء والظروف ، لأن معرفة ذلك من المهمات المطلوبة ، لاختلاف
 مواضعها ؛ ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها ، كما فى قوله تعالى (١) :
 «وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين» . فاستعملت «على» فى جانب
 الحق و «فى» فى جانب الضلال ؛ لأن جانب الحق كأنه مستقل بصرف نظره
 كيف شاء ، وصاحب الباطل كأنه فى ظلام منخفض لا يدرى أين يتوجه .

وقوله تعالى (٢) : «فابمشوا أحدكم يورثكم هذه إلى المدينة فلينظروا أيها
 أزكى طعاما فليأتكم رزق منه وليتلطف» . عطف الجمل الأولى بالقاء ،
 والأخيرة بالواو لما انقطع نظام الرتب ؛ لأن التلطف غير مرتب على الإتيان
 بالطعام ، كما كان الإتيان به مرتباً على النظر فيه ، والنظر فيه مرتباً على التوجه
 فى طلبه ، والتوجه فى طلبه مرتباً على قطع الجدال فى المسألة عن مدة البث وتسليم
 العلم له تعالى .

وقوله (٣) : «إنا الصدقات للفقراء والمساكين ... الآية» . عدل (٤)

(١) سبأ : ٢٤ (٢) الكهف : ١٩ (٣) التوبة : ٦٠
 (٤) الكشاف (١ - ٣٩٨)

عن اللام . إلى « في » في الأربعة الأخيرة ، إيداناً بأنهم أكثر استحقاقاً للتصدق عليهم ممن سبق ذكره باللام ؛ لأن « في » للوعاء ؛ فنبه ، باستعمالها ، على أنهم أحق بأن يحملوا مظنة لوضع الصدقات بهم ، كما يُوضع الشيء في وعائه مستقراً فيه .

وقال القارسي : إنما قال : « وفي الرقاب » ولم يقل للرقاب ؛ ليدل على أن العبد لا يملك .

وعن ابن عباس قال : الحمد لله الذي قال ^(١) : « عن صلاحهم ساهون » ، ولم يقل في صلاحهم .

فقد علمت من هذا أنه لا بد من ذكر معاني هذه الأدوات وتوجيهها .

وقد أفردنا بالتصنيف خلائق من المتقدمين والمتأخرين ، كالهرودي ، وابن أم قاسم ، وابن هشام ، وأنعمنا ^(٢) هذا الكتاب البديع المثال ، النبيع المقال ؛ بنيت لك مصاعد ترتقي عليها إلى مقاصد ، وتطلع فيه على فهم الكتاب المنزل ؛ وفتحت لك من كنوزه كل باب مقفل . فخذ هذه كفرصة نقي منقى من كل خلط ردي ، وكل إن كنت آكلًا ، وإلا فلا تمنعه من الناقل إن لم تسكن ناقلًا .

على أني ليس لي فيه مزية ، وإنما الفضل لتقدمي علماء الأمة المحمدية ، ملأ الله قبورهم نوراً ، وزاد قلوبهم حيوراً ، وأفاض من ركانهم يوم تلقى كتابنا منشوراً ، فنظرنا إليه لا ينادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ولا خفية محرقة عندنا إلا عدّها واستقصاها ؛ وأسماها تعالى عظيم كلامه ، وخاطبنا بعبابه ومآلامه . وقال : عبدى ؛ إذن منى ؛ قدسوت منه ثلث حائق وجيل ؛ فقول : عبدى ظالماً

(١) ساهون : •

(٢) في ب : وأشرنا في هذا الكتاب ...

أمرُك فصيتني ، وأمهلتك فمأرعتني ، وخوفتك عقابي فما خفتني ، ونسرتني
بالتقيح عن عبادي ، وبه بارزتنني . ألم أكن على قلبك وجوارحك رقيقاً . اقرأ
كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً .

فهنالك يخرسُ اللسان ، وتطيش العقول والأذهان ؛ ولا تطيق من الهبة
البیان ؛ بل تشهد جوارحُ الإنسان . اللهم إني أعلم أنه ليس لي من ينقذني
من والد علم ولا والد علم في ذلك الموقف العظيم غير الاشتغال بخدمة كتابك ،
واستخراج زبدته ودُرَره ، واقتطاف ثمره وأزهاره . فاجعله لنا شافعاً مشفعاً ،
وخصوصاً هذا الكتاب ؛ فإني أودعت فيه فنون العلوم على تنوعها ، ومررتُ
على رياض التفسير على كثرة عددها ، وختمته بأقوال كلية ؛ فخلصت سبائلكها ؛
وفوائد مهمة سبكت تَبَرَّها ، وأقوال محمّدية على بعض آياتك رجاء بركتها ؛
لأن بركة الكتاب ختمته . ختمته بما صحّ من التفسير عن سيدك البشير الذير .
السراج النير ، راجياً منك حُسْنَ الخاتمة على ديبك المستقيم ؛ فلا تزغ قلوبنا
بعد إذ هدّيتنا ، وثبتنا على صراطك القويم ، بجاء سيدنا ومولانا الفاتح الخاتم
منتقداً من العذاب الأليم . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأمه أفضل
صلاة وأزكى تسليم .

حرف الهمة

(آدم) أبو البشر^(١) ، ذكر أنه أصل مشتق من الأدمة^(٢) ؛
لنا منع صرفه .

قال الجواليقي^(٣) : أسماء الأسياء كلها أعجمية ، إلا أربعة : آدم ، وصالح ،
وشعيب ، ومحمد . وأخرج ابن أبي حاتم عن طريق أبي الضحى عن ابن عباس ،
قال : إنما سُمي آدم ، لأنه خلق من أديم الأرض .

وقال قوم : هو اسم سرياني أصله آدام ، بوزن خاتام ، عوّب بمحذف الألف
الثانية .

وقال الثعلبي : التراب بالعبرانية آدام^(٤) فسمي آدم به .

قال ابن أبي خيثمة : عاش تسعمائة وستين سنة^(٥) .

وقال النووي في تهذيبه : اشتهر في كتب التاريخ أنه عاش ألف سنة .

(إدريس) قيل إنه قُتل بوح . قال ابن إسحاق : إدريس أول بني آدم ،
أعطى النبوة ؛ وهو أخنوخ^(٦) بن يرد بن مهليل^(٧) بن أنوش بن قينان
ابن شيث بن آدم .

(١) الإتيان : ٤ - ٥٨ ، والمحرر : ٢ ، ٣ ، والظاهر : ١ - ٨٩

(٢) من أدمة الأرض : لأنها (السان - آدم) .

(٣) المريب : ١٣ ، (٤) (السان - آدم) .

(٥) في المحرر (٢) : تسعمائة وثلاثون سنة

(٦) المحرر : ٣ ، وفيه : أخنوخ - بالحاء المهملة بعد الميم .

(٧) أوجع إلى نسب قريبه . (٤) ، وفيه مهليل .

وقال وهب بن منبه : إندريس جد نوح الذي يقال له خنوخ ، وهو اسم سرياني ، وقيل عربي مشتق من الدراسة لكثرة درسه الصحف .

وفي المستدرک بسند رواه الحسن عن سمرة ، قال : كان نبي الله إندريس أبيض طويلاً ضخماً البطن ، عريض الصدر ، قليل شعر الجسد ، كثير شعر الرأس ، وكان إحدى عينيه أعظم من الأخرى ، وفي صدره نكتة بيضاء من غير برص ، فلما رأى الله من جور أهل الأرض واعتدائهم نفسه إلى السماء السادسة ، وهو حيث يقول ^(١) : « وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا » .

وذكر ابن قتيبة أنه رُفِعَ وهو ابن ثلاثمائة وخمسين سنة ، وفي صحيح ابن حبان : كان نبيًا رسولاً ، وأنه أول من خط بالقلم .

وفي المستدرک عن ابن عباس ، قال : كان فيما بين نوح وإندريس ألف .

(إبراهيم) قال الجواليقي ^(٢) : هو اسم قديم ليس بعربي ، وقد تكلمت به العرب على وجوه ؛ أشهرها إبراهيم ، وقالوا إبراهيم ، وقرئ به في السبع ، وإبراهيم ^(٣) بحذف الياء ، وإبراهيم ، وهو اسم سرياني ، معناه أب رحيم ، وقيل مشتق من البرهة وهي شدة النظر ، حكاه الكرماني في عجائبه ؛ وهو ابن ^(٤) آزر واسمه تارح — بمثناة وراء مفتوحة وآخره حاء مهملة — ابن ناحور — بتون ومهملة مضمومة — ابن شاروخ ^(٥) — بمعجمة وراء مضمومة وآخره خاء معجمة — ابن داغو ^(٦)

(١) مريم : ٥٧ (٢) المرب : ١٣

(٣) الماء منتنة الحركات — كما في القاموس .

(٤) نسب قريش : ٤ ، والإيمان : ٦٠ ، والحبر : ٣ ، ،

(٥) ل. نسب قريش (٤) : ابن أسرع ، وفي الحبر : أسرع . وفي الطبري : ١ — ٢٣٣ :

داغوخ .

(٦) ف. نسب قريش (٦) ، والحبر (٤) : من أرغو .

بخين بمجعة - ابن مالف - يفاء ولام مفتوحة ومجعة ، ابن عاير - بمهلة وموحدة -
ابن شالخ - بمجعتين - ابن أرفخشذ بن سام بن نوح .

قال الواقدي : ولد إبراهيم على رأس ألفي سنة من خلق آدم .

وفي المستدرک من طريق ابن السيب عن أبي هريرة ، قال : اختن إبراهيم
بعد عشرين ومائة سنة ، ومات ابن مائتي سنة .

وحكى النووي وغيره قولاً إنه عاش مائة وخمسة وسبعين .

(إسماعيل) قال الجواليقي^(١) : ويقال بالنون آخره . قال النووي وغيره :
هو أكبر ولد إبراهيم .

(إسحاق) ولد بعد إسماعيل بأربع عشرة سنة ، وعاش مائة وثمانين سنة .
وذكر أبو علي بن مسكويه في كتابه القريد : إن معنى إسحاق بالعبرانية
الضحك .

(أيوب) قال ابن إسحاق : الصحيح أنه كان من بني إسرائيل ، ولم يصح
في نسه شيء ، إلا أن اسم أبيه أيض .

وقال ابن جرير^(٢) : هو أيوب بن موسى^(٣) بن رَوح^(٤) بن عيص
ابن إسحاق .

وحكى ابن عساكر أن أمه بنت لوط ، وأن أباه ممن آمن بإبراهيم ؛ وعلى هذا
فكان قبل موسى .

(١) الحرب : ١٤

(٢) تاريخ الطبري : ١ - ٣٢٢ ، وانظر المحبر : ٣٨٨ ، ٥

(٣) في الطبري : موسى . (٤) في الطبري : بن دازح . وفي المحبر : بن زارح .

وقال ابن جرير : كان بعد شبيب . وقال ابن أبي خيثمة : كان بعد سليمان
أبتلي وهو ابن سمين ، وكانت مدة بلائه سبع سنين ، وقيل ثلاث عشرة ، وقيل
ثلاث سنين .

وحكى الطبراني أن مدة عمره كانت ثلاثاً وتسعين سنة .

(إلياس) قال ابن إسحاق في المبتدأ : هو ابن ياسين بن قنحاص بن العيزار
ابن هارون أخى موسى بن همران .

وقال ابن عسكر : حكى القتيبي أنه من سبط يوشع . قال ابن وهب :
إنه عمر كما عمر الخضر ، وإنه بقي إلى آخر الدنيا . وعن ابن مسعود أن إلياس
هو إدريس . وإلياس بهزة قطع : اسم عبراني . وقد زيد في آخره ياء ويون
في قوله ^(١) : « سَلَامٌ عَلَى الْيَاسِينَ » ، كما قالوا في إدريس إدريسين ^(٢) .
ومن قرأ آل ياسين قبل الزاد آل محمد .

(إليسع) قال ابن جرير ^(٣) : هو ابن أخطوب بن العجوز . قال : والعامّة
تقرؤه بلام واحدة مخففة . وقرأ بعضهم ^(٤) : والليسع بلامين وبالتشديد ،
فلى هذا هو أعجمي ، وكذا على الأول . وقيل عربي منقول من القمل ،
من وسع يسع .

(إسرائيل) لقب يعقوب ، ومعناه عبد الله . وقيل حَقْوَةُ الله . وقيل
مَرَى الله ؛ لأنه أسرى لما هاجر .

(٢) في ب : إدريس .

(١) العاقبات : ١٣٠

(٣) في الإمتان : ابن جبر .

(٤) من قوله تعالى : وإسماعيل وإليسع (الأنعام : ٨٦) .

فخرج ابن جرير من طريق عمير عن ابن عباس أن إسرائيل كقولك
عبد الله .

وأخرج عبد بن حميد في تفسيره عن أبي مجلز ، قال : كان يعقوب رجلاً
بطيئاً فلقى ملكاً فعالجه ، فصرعه الملك ، فضرب على فخذيه ، فلما رأى يعقوب
ما صنع به بطش به ، قال : ما أنا بتاركك حتى تسميني باسم ؛ فسماه إسرائيل .
قال أبو مجلز : ألا ترى أنه من أسماء الملائكة .

وفيه لغات^(١) أشهرها ياء بعد الهزة ولام ، وقرئ إسرائيل ياء بلا همز .
قال : ولم يخاطب اليهود في القرآن إلا يا بني إسرائيل دون يا بني يعقوب
لنكته ؛ وهي أنهم خوطبوا بعبادة الله ، وذُكروا بدين أسلافهم موعظة لهم
وتنبيهاً من غفائهم ؛ فسُئِلوا بالاسم الذي فيه تذكُّر الله ؛ فإن إسرائيل اسم مضاف
إلى الله في التأويل ، ولما ذكر موته لإبراهيم وتبشيره به قل يعقوب - وكان
أول من إسرائيل ، لأنها موهبة بمقتب آخر ، فناسب ذكر اسم بشر بالتنقيب .
(أحد) نينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، وله أسماء كثيرة حتى أنهاها^(٢)
إلى مائة وخمسة وعشرين . قال الراغب : وخص لفظ أحد فيما بُشِّر به عيسى ،
تنبيهاً على أنه أحد منه ، ومن الذي قبله .

وأخرج ابن أبي حاتم عن عمرو بن مرة ، قال : خمسة سوا قبل أن يكونوا :
محمد ، وه^(٣) ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد . . ويحيى : «^(٤)
إنا نبشرك بك بسلاماً اسمه يحيى . . وعيسى : «^(٥) مُصَدِّقاً بكلمة من الله . .

(١) هذه اللغات هي : إسرائيل ، إسرائيل ، إسرائيل ، كما في العرب : ١٤

(٢) حقها : حتى أنهاها بينهم ، ولكن هكنا الأصول .

(٣) الصف : ٦ (٤) مريم : ٧

(٥) آل عمران : ٢٩

واسحاق وسقوب : «^(١) فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ » .

(أباريق) حكى الثعالبي في قه اللغة أنها فارسية . وقال الجواليقي^(٢) :
الإبريق فارسي معرب ، ومعناه طريق الماء ، أو صب الماء على هيئة .

(أب) قال بعضهم : هو الحشيش بلغة أهل المغرب ، حكاه شَيْذَلَه^(٣) .

(أبلى) أخرج ابن أبي حاتم ، عن وهب بن منبه في قوله^(٤) : « أَبْلَى
مَاءُكَ » - قال بالحشية أردميه . وأخرج أبو الشيخ من طريق جعفر بن محمد
عن أبيه ، قال : اشريه - بلغة الهند .

(أخلد) قال الواسطي في الإرشاد : « أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ » : ركن
بالعبرانية .

(الأرائك) حكى ابن الجوزي في فنون الأفتان : أنها السُّدُر بالحشية .

(آزر) عدّ في العرب على قول أنه ليس بعلم لأب إبراهيم ولا الصم .
وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن معتمر بن سليمان قال : سمعت أني يقرأ^(٥) :
« وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ » - يعني بالرفع : أنها أعوج ، وأنها أشد كلمة قلما
إبراهيم لأبيه . وقال بعضهم هي بلفتهم يا مخلى^(٦) .

(أسباط) حكى أبو الليث في تفسيره أنهم بلفتهم كالبساتين بلغة العرب .

(١) هود : ٧١ (٢) العرب : ٢٣

(٣) هو عزيزي بن عبد الملك الشافعي ، أبو المعالي القاضي المعروف بشيخة ، توفي
سنة ٤٩٤ . (شذرات الذهب : ٣ - ٤٠١) .

(٤) هود : ٤٤ (٥) الأنعام : ٧٤

(٦) قال الراغب : قيل آزر معناها الضال في كلامهم .

(استَبْرَق) أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك أنه الذي ساج الغليظ
بلغة المعجم .

(أسفَار) قال الواسطي في الإرشاد : هي الكتب بالسريانية . وأخرج
ابن أبي حاتم عن الضحاك قال : هي الكتب بالنبطية .

(إصْرِي) قال أبو القاسم في لغات القرآن : معناه عَهْدِي بالنبطية .

(أكوَاب) حكى ابن الجوزي أنها أكواز بالبطية . وأخرج ابن جرير
عن الضحاك أنها بالنبطية الجِرَار ليس لها عُرى .

(إل) بكسر الهزة - قال ابن جنى : ذكروا أنه اسم الله تعالى بالنبطية .

(أليم) حكى ابن الجوزي أنه المُوْجِع بالزنجية . وقال ابن شينة :
بالعبرانية .

(إنَاه) نُضِجَه بلسان المغرب ، ذكره شينة . وقال أبو القاسم بلغة البربر .
وقال في قوله : حميم - إنه هو الذي انتهى حره بها . وقال في قوله ^(١) : « مِنْ
عين آيَةٍ » ؛ أى حارّة بها .

(أَوَاه) أخرج أبو الشيخ ابن حبان عن عكرمة عن ابن عباس قال :
الأَوَاه ^(٢) : الوقن ، لسان الحبشة . وأخرج ابن أبي حاتم مثله عن مجاهد وعكرمة .
وأخرج عن عمرو بن شرحبيل قال : الرحيم - بلسان الحبشة . وقال الواسطي :
الأَوَاه الدعاء بالعبرانية .

(أَوَاب) أخرج ابن أبي حاتم عن عمرو بن شرحبيل قال : الأَوَاب

المسبح بلسان الحبشة . وأخرج ابن جرير عنه في قوله ^(١) : « أوَّيَّ منه » ، قال :
سبحى بلسان الحبشة .

(الأولى) الآخرة ، قال في قوله الجاهلية الأولى ، أى الآخرة فى الله .

(الآخرة) أى الأولى بالتبعية . والقبط يسمون الآخرة الأولى ، والأولى
الآخرة ، حكاه الزركشى فى البرهان .

(آية) له معنيان : أحدهما عبارة ورهان ، والثانى آية من القرآن ، وهى كلام
متصل إلى القاصلة . والقواصل هى رؤوس الآيات .

(آتى) بقصر الهمزة ، معناه جاء ، ومضارعه يأتى ، ومصدره إتيان ، واسم
الفاعل منه آت ، واسم الفعول مأتى . ومنه قوله تعالى ^(٢) : « إنه كان وعدء
مأتياً » .

(وآتى) بمد الهمزة معناه أعطى ، ومضارعه يؤتى ، ومصدره إيتاء ، واسم
الفاعل مؤتى ؛ ومنه ^(٣) : « الكؤتون الزكاة » .

(أبى) أى امتنع .

(أثر) الشيء : بقيته وأمارته ، وجمعه آثار . والأثر أيضاً الحديث ،
وأثارة من علم : بقيته . وأثاروا الأرض : حراثوها . وأثر الرجل بالشيء يؤثره :
أى فضله .

(إنم) ذنب ، ومنه آثم وأريم : مذنب .

(أجر) ثواب . وبمعنى الأجرة ؛ ومنه ^(٤) : استأجره . وعلى ^(٥) أن

(٣) النساء : ١٦٢

(٢) مريم : ٦١

(١) سبأ : ١٠

(٥) القصص : ٢٨

(٤) القصص : ٢٦

تَأْجُرُنِي . وَيُجْزِمُ^(١) مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ . وَمَنْ^(٢) يَجِيرُنِي مِنَ اللَّهِ . وَيُجِيرُ^(٣)
وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ . فَذَلِكَ كُلُّهُ مِنَ الْجَوَارِ بِمَعْنَى التَّامِينَ .

(آمَنَ) إِيْمَانًا : أى صدق . والإيمان فى اللغة التصديق مطلقاً ، وفى الشرع
التصديق [١٨٥] بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . والمؤمن فى الشرع
المصدق بهذه الأمور . والمؤمنُ اسمُ الله تعالى إذ هو المصدق لنفسه . وقيل :
إنه من الأمن ، أى يُؤْمِنُ أوليائه من عذابه . وأمين - بكسر الميم وقصر الألف -
أمانة ، وأمينتُ ضد الخوف . وأمين أيضاً من الأمانة ، وأمين غيره من التامين .
(إمام) له أربعة معان : القدوة ، والكنف ، والطريق ، وجمع آم^(٤) ؛
أى تابع ؛ وهو^(٥) « اجعلنا للتقين إماماً » .

(الأجل) عبارة عن الوقت الذى تنقطع به الحياة ، فإذا قيل : أجل الحياة
وأجل الموت ، فالمراد به الوقت الذى يحل فيه الدين وتنقطع به الحياة ، خلافاً
للمتزمة القائلين بأن القتل لو لم يقتل لبقى ؛ وهذا باطل للآية^(٦) : « فإذا جاء
أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » .

(أُمِّي) لا يقرأ ولا يكتب ؛ ولذلك وصِفَ العرب بالأميين .

(أُم) له معنيان : الوالدة ، والأصل . وأم القرى : مكة .

(آل) له معنيان : الأهل ، ومنه : آل لوط . والأتباع والجنود ؛ ومنه :

آل فرعون .

(١) الأحقاف : ٣٩ (٢) الجن : ٢٢ (٣) المؤمنون : ٨٨
(٤) فى المسان : جمع أم كصاحب ، وصحاب . وقيل لـ « وجمع إمام ، وهو جمع مكسر .
وفى المفردات (٢٤) : قال أبو الحسن : جمع إمام ، وقال غيره : هو من باب درج دلام ،
ودروع دلامر .

(٥) العرقان : ٧٤ (٦) الأعراف : ٣٤

(أَمْسَ) اليوم الذى قبل يَوْمِكَ . والزَّمان الماضى .

(إِنَاءَ) وَقَعَهُ ، وَجَعَهُ إِنَاءً ؛ وَمِنْهُ : إِنَاءُ اللَّيْلِ .

(أَمْرٌ) لَهُ مَعْنِيَانِ : أَحَدُهُمَا مَطْلَبُ الْقَعْلِ عَلَى الْوُجُوبِ أَوْ النَّدْبِ أَوْ الْإِبَاحَةِ .
وَمِنْ قَدَمِنَا^(١) صِيغُ الْأَمْرِ ، كَالْتَهْدِيدِ ، وَالتَّعْجِيزِ ، وَالتَّعْجِيبِ ، وَالتَّخْبِيرِ .
وَالثَّانِى بِمَعْنَى الشَّأْنِ وَالصِّفَةِ ؛ وَقَدْ يَرَادُ بِهِ الْمَذَابُ . وَمِنْهُ^(٢) : « جَاءَ أَمْرُنَا » .

(إِيَابٌ) : رَجُوعٌ ، وَمِنْهُ^(٣) : « إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ » . وَ^(٤) إِلَيْهِ مَأْبٌ .

(إِفْكَ) أَشَدُّ الْكُذْبِ ، وَالْأَفْكَ الْكُذَابُ . وَأَفْكَ عَنْهُ ؛ أَيْ صَرَفٌ ،
وَمِنْهُ : تُؤْفَكُونَ .

(أَوَى) الرَّجُلُ إِلَى الْمَوْضِعِ بِالْقَصْرِ ، وَأَوَاهُ غَيْرُهُ — بِاللَّدِّ . وَمِنْهُ الْمَأْوَى .

(أَفَّ) كَلِمَةً شَرًّا .

(آلَاءُ اللَّهِ) نِعَمُهُ .

(أَسَفٌ) لَهُ مَعْنِيَانِ : الْحُزْنُ وَالْقَضْبُ . وَمِنْهُ^(٥) : « فَلَا أَسْفُوتُ » .

(أَسُوءُ) بِكَسْرِ الهمزة وَضَمِّهَا : قَدْوَةٌ .

(أَسَى) الرَّجُلُ يَأْسَى أَسَى ؛ أَيْ حُزِنَ . وَمِنْهُ^(٦) : « فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ » . وَ^(٧) فَكَيْفَ آسَى .

(أَذَانَ) بِالْقَصْرِ : إِعْلَامُ الشَّيْءِ . وَمِنْهُ الْأَذَانُ بِالصَّلَاةِ ، وَالْأَذَانُ بِاللَّدِّ :
جَمْعُ أَذُنٍ .

(٣) الناعية : ٢٥

(٢) هود : ٤٠

(١) صفة : ٤٢٢

(٦) الثالثة : ٢٦

(٥) الخ : ٥٥

(٤) الرعد : ٣٦

(٧) الأمراء : ٦٢

(إِذْنُ اللَّهِ) يَأْتِي بِمَعْنَى الْعِلْمِ ، وَالْأَمْرِ ، وَالْإِرَادَةِ ، وَالْإِبْلَاحَةِ . وَأَذِنْتُ بِالشَّيْءِ .
عَلِمْتُ بِهِ - بَكَسْرِ الذَّالِ . وَأَذَنْتُ بِهِ غَيْرِي - بِالْأَلِفِ .

(أَكُلُ) بِضَمِّ الْهَمْزَةِ : اسْمٌ لِلْمَأْكُولِ . وَيَجُوزُ فِيهِ ضَمُّ الْكَافِ وَإِسْكَانُهَا .
وَالْأَكْلُ - بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ : الْمَصْدَرُ .

(أُنَيْكَةُ) غَيْصَةٌ .

(أُنَيْمًا) مَطْعٌ قَلِيلٌ .

(أَجَاجٌ) مُرٌّ .

(آيَةٌ) لَهَا مَعْنَيَانِ : جَمْعُ إِيَاءٍ ، وَمِنْهُ ^(١) : « بَآيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ » . وَشَدِيدُ
الْحَرِّ ، وَمِنْهُ ^(٢) : « عَيْنٌ آيَةٌ » . وَوَزْنُ الْأَوَّلِ أَفْصَلَةٌ ، وَالثَّانِي فَاعِلَةٌ ، وَمَذَكَّرَةٌ .
أَنْ . وَمِنْهُ ^(٣) : « تَحِيْمُ أَنْ » .

(أُنْذَرْتَهُمْ) أَعْلَمْتَهُمْ بِمَا نَحْذَرُهُمْ مِنْهُ ، وَلَا يَكُونُ الْمَعْلُومُ مُنْذَرًا حَتَّى يَحْذَرُ
بِإِعْلَامِهِ ، فَكُلُّ مُنْذَرٍ مُعَلِّمٌ ، وَلَيْسَ كُلُّ مُعَلِّمٍ مُنْذَرًا .
(أُنْذَادًا) أَمْثَالًا وَنُظَرَاءَ ، وَاحِدُهَا نَذٌّ .

(أَزَلُّ) : أَيْ نَحْيٌ . يَقَالُ : أَزَلَّتْهُ فِرَاقٌ ، وَمِنْهُ ^(٤) : « فَازَلَهُمَا
الشَّيْطَانُ » .

(١) الْإِنْسَانُ : ١٥

(٢) الطَّاشِيَةُ : ٧٨ . وَفِي الْمُرُودَاتِ : وَأَنْ أَسْأَلَ : لِمَنْ لَبَّيْ . وَ « تَحِيْمُ أَنْ » : بِضَمِّ إِيَاءٍ .
وَفِي شُعْبَةِ الْحَرِّ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : مَنْ عَيْنُ آيَةٍ .

(٣) الرَّحْنُ : ٤٤ (٤) الْفُرْقَةُ : ٣٦

(م ٣٤ - فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ)

(أَمَانِي) جمع أَمْنِيَّة ، وهي التلاوة . ومنه : «^(١) أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أَمْنِيَّتِهِ » ؛
 أى فى تلاوته . والأَمَانِي الأَكَاذِبُ أَيْضًا . ومنه قول عَمَّان^(٢) : مَا تَمْنَيْتُ
 مِنْذُ أُحِلَّتْ . ومنه قول بعض العرب لَابْنِ دَأْبٍ وهو يُحَدِّثُ^(٣) : أَهَذَا شَيْءٌ
 رَوَيْتَهُ أَمْ شَيْءٌ تَمْنَيْتَهُ ؛ أى اقْطَعْتَهُ . والأَمَانِي أَيْضًا : مَا يَتَمَنَّهُ الْإِنْسَانُ وَيَشْتِيهِ .
 (أَبْدَنَاهُ) قَرَيْنَاهُ .

(الْأَبُ) مَنْ لَهُ وَلَادَةٌ ، وَالْعَرَبُ تَجْعَلُ الْمَمَّ أَبَا وَالْحَلَّةَ أُمًّا . ومنه^(٤) :
 « وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ » .

(أَسْبَابُ) : وَصَلَاتُ ، الْوَاحِدُ سَبَبٌ وَوَصْلَةٌ ، وَأَصْلُ السَّبَبِ الْحَبْلُ يَشُدُّ
 بِالشَّيْءِ فَيَجْتَنِبُ بِهِ ، ثُمَّ جُعِلَ لِكُلِّ مَا جَرَّ شَيْئًا سَبَبًا .

(أَصْبَرَمَ) وَصَبَرَمَ وَاحِدٌ . وَيُقَالُ : « مَا أَصْبَرَمَ عَلَى النَّارِ » ؛
 أَيْ مَا أَجْرَأَمَ عَلَيْهَا .

(أَفْقَيْنَا) وَجَدْنَا .

(أَهْلَةٌ) جَمْعُ هَلَالٍ ، يُقَالُ لَهُ هَلَالٌ إِلَى أَنْ يَكُلَّ نُورُهُ إِلَى سَبْعِ لَيَالٍ ،
 ثُمَّ قَرٌّ ، ثُمَّ بَدْرٌ لَا سَتَارَ لَهُ ، وَقِيلَ لِمَبَادِرَتِهِ الشَّمْسُ بِالطُّلُوعِ إِذَا غَرَبَ .

(أَفْضَتُمْ) دَفَنْتُمْ بِكَثْرَةٍ .

(أَيَّامُ مَعْلُومَاتٍ) أَيَّامُ التَّشْرِيقِ وَالْمَعْلُومَاتِ : شَوَّالٌ ، وَذُو الْقَعْدَةِ ، وَعِشْرِينَ
 مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ؛ أَيْ خَفُوا فِي أَسْبَابِ الْحَجِّ وَتَهَيَّأُوا لَهُ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ مِنَ التَّلْبِيَةِ
 وَغَيْرِهَا .

(١) الحج : ٥٢ . (٢) مغربات الراغب : ١٧٦ ، والمسان - ص ١٠٠ .
 (٣) يوسف : ١٠٠ . (٤) المسان - ص ١٠٠ .

(الأشهر الحرم) رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ؛ واحد
فرد وثلاثة سرد .

(ألف الخصاصم) أى شديد الخصومة .

(أفرغ) أصب ، ومنه ^(١) : « أفرغ علينا صبراً » .

(أقبط) اعدل .

(٢) آتت أكلها ضيعتين (أى ضيعى غيرها من الأرضين .

(٣) أسلمت وجهى) أخلصت .

(أقلامهم) قِداحهم ، يعنى سيّامهم التى كانوا يحيلونها عند العزم
على الأمر ، ويكتبون اسم الخصم على القلم ، ويذقونه فى الماء ، فإذا جرى القلم
على الماء علم أنه حق ، وإذا رسب فى الماء علم أنه باطل .

كما أن القربان كان حاكماً آدم عليه السلام ، فمن احترق قربانه علم أنه حق ،
ومن لم يحترق قربانه علم أنه باطل .

والسفينة كانت حاكماً نوح ، فمن وضع يده على السفينة ولم تتحرك علم أنه
حق ، ومن وضع يده عليها وتحركت علم أنه باطل .

والسلسلة كانت حاكماً داود عليه السلام ، فمن مدّ يده إليها وأخذها فهو
حق ، ومن لم يقدّر على أخذها فهو باطل .

والنار كانت حاكماً إبراهيم عليه السلام ، فمن وضع يده على النار فلم تحرقه
فهو على الحق ، ومن وضع يده عليها وأحرقته فهو على الباطل .

والصاع كانت حاكم يوسف عليه السلام ، فمن وضع يده عليه وسكت فهو حق ، ومن وضع يده على الصاع وصاح وصوت فهو باطل .

والحفرة التي كانت في صومعة سليمان عليه السلام كانت حاكمه ، فمن وضع رجله فيها ولم تأخذه وخرجت علم أنه حق ، ومن وضع رجله فيها وانضمت عليه علم أنه باطل .

فإن قلت : كان أولى بهذه الخواص نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، فما به منها ؟

والجواب أنه أعطى البينة على الدعي واليمين على النكر لتلا يهتك ستر من كذب في دعواه في الدنيا ، فكيف يهتك ستر من شهد الشهادة في القربى . وفي الحديث : إذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى كل نبي أن يحاسب مع أمته ، ويقول : يا محمد ، ألا تحاسب مع أمتك ! فيناجى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ، ويقول : إلهي لا تفضحني في أمتي ، واجعل حسابهم في يدي حتى لا يطلع على مساوئهم غيري . فيقول : يا محمد ، أنت تريد ألا يطلع على مساوئهم غيرك ، وأنا لا أريد أن يطلع على مساوئهم أنت ولا غيرك ، لأنني أرقق بهم منك . اللهم كما أنست علينا به وشرفتنا بشرفه ، اقبل من مُحسننا وتجاوز عن مُسيئنا ، ولا تشف فينا الأعداء ، إنك ذو الفضل العظيم .

(الأكمة) الذي يُولد أعمى .

(أحسن) علم ووجد .

(أولى) ^(١) التمس إبراهيم : أحقهم به .

(الإيَّاس) الرؤية ، والعلم بالشيء ، والإحساس به ؛ ومنه ^(١) : « قُلْنَ
آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا » . وه ^(٢) آنَسْتُ تَلَرَأْ .

(أَذَاعُوا بِهِ) أَفْشَوْهُ .

(أَزَكَّهُمْ) نَكَّسَهُمْ وَرَدَّهُمْ فِي كُفْرِهِمْ ^(٣) .

(آمِنَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ) أى عامدين . وأما في الدعاء فتخفف الميم وتعدّ
وتنصر ، وتغيره : اللهم استجب . ويقال « آمين » اسم من أسماء الله عزّ وجل .

(الْأَزْلَامُ) : الْقِدَاحُ الَّتِي كَانُوا يَقْرِبُونَهَا عَلَى النَّيْسِرِ ، وَاحِدُهَا زَلَمٌ
وَزَلَمٌ ^(٤) .

(أَجَلَ ذَلِكَ) أى من سببه ، ويقال : من أجل ذلك ، ومن جرّاء ذلك
بالد والقفز .

(أَغْرَيْنَا بَيْنَهُمْ) هَيَّجْنَا . ويقال أغرينا : أَلْعَنَاهُمْ . وأصل ذلك -
من الغراء . والمدلولة تباعد القلوب والتيلات . والبغضاء : البغض .

(الْأُولَى) وَاحِدُهَا الْأَوَّلَى ، وَالْجَمْعُ الْأَوَّلُونَ . وَالْأُنْثَى الْأَوَّلَةُ ، وَالْجَمْعُ
الْأَوَّلَاتُ ^(٥) .

(أَكِنَّةٌ) أَعْلِيَّةٌ ، وَاحِدُهَا كَنَّانٌ .

(أَسَاطِيرُ) أَبَاطِيلُ وَتُرُكُمَاتُ ، وَاحِدُهَا أَسْطُورَةٌ وَأَسْطَارَةٌ .

(١) الفناء : ٦ (٢) له : ١٠ (٣) قال ابن عباس : بددتم .

(٤) في القاموس : الزلم - عمرة ، وكسر د : سهام كانوا يستعملون بها في الجمالبيّة .
جهه أزلّام .

(٥) حقا في الأصول - وفي اللسان أيضا : أوله جهه أولون . وأول جهه أوليات .

(أَوْزَلَهَا) آثَمَهَا ؛ ومنه ^(١) : « وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَلَهُمْ » ؛ وأصل الوزر ما حمل الإنسان ، فسئى السلاح أوزاراً ، لأنه يحمل . وأما قوله ^(٢) : « وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى » ؛ أى لا تؤخذ نفس بذنب غيرها .

(أَقْل) غاب .

(أكابر) عظماء .

(الأعراف) سُورٌ بين الجنة والنار ، وُسِّىَ بذلك لارتفاعه . ومنه سُمِّيَ عُرْفُ الديك ؛ ويستعمل في الشرف والمجد ، وأصله في البناء .

(أَقَلَّتْ) حملت ؛ وإنما سُمِّيَت الكيزان قللاً لأنها مُتَقَلِّ بِالْأَيْدَى فَيُشْرَبُ فِيهَا .

(أنفال) غنائم . والنفل : الزيادة على القرض . ويقال لولد الناقة نافلة ؛ لأنه زيادة على أمه . وأما قوله تعالى : « ^(٣) وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً » ؛ أى دعاء إسماعيل ، فاستجيب له وزيد يعقوب ، كأنه تفضل من الله عز وجل ، وإن كان كلُّ بتفضله .

(أَمْطَرْنَا) عليهم ^(٤) . - بالهمزة : معناه العذاب ، والرحمة مطرنا .

(أَقَامُوا الصَّلَاةَ) حافظوا عليها بشروطها ، يقال : قام بالأمر ، وأقاموا به ؛ إذا جاء به مُعْطٍ لِحَقْوِهِ .

(أَسَلَفْتُ) قدّمت .

(أَخْبَتِ) تواضع وخشع . وأخبت : ما اطمان من الأرض .

(١) الأنعام : ٣١ (٢) الأنعام : ١٦٤ (٣) الأنبياء : ٧٢ (٤) الأعراف : ٨٤

(الأراذل^(١)) : الناقص القدر والقيمة .

(لوجس) أحس في نفسه خوفاً .

(أسرى) من سُرى الليل ؛ يقال سرى وأسرى - لُفْتان .

(أذلى) دَلَّوْه : أرسلها ليملاها . ودلاها : أخرجها .

(أشدّه) منتهى شبابه وقوته ، واحدها شَدَّ ، مثل قلس وأفلس . قال مجاهد : ثلاثاً وثلاثين سنة . واستوى : قال أربعين سنة . وأشدّ اليتيم : قالوا ثمان عشرة سنة .

(أكبرته) أعظمته .

(أصب إليهن) أَمِلَ إليهن ، ويقال أصباني فصبوت ؛ أى حملني على الجهل ، وعلى ما يفعل الصبي ، فقطعت .

(أضغاث أحلام^(٢)) : أخلاط ، مثل أضغاث الحشيش ، واحدها ضِفْث ، وإنما قالوا أضغاث أحلام بالجمع وكانت واحدة ، لأنه كقولهم : فلاں يركب الخيل وإن رَكِبَ فرساً واحداً .

(استنبأ الباب^(٣)) من المسابقة ، معناه : سابق كل واحد منها صاحبه إلى الباب ، قصد هو الخروج والمروء منها ، وقصدت هي أن تردّه .

فإن قلت : لم قل هنا الباب بالإنفراد ، وقد قل : وغُلِّقت الأبواب بالجمع ؟

فالجواب أن المراد هنا الباب البراني الذي هو الخرج من الدار .

(١) هود : ٢٧ في قوله تعالى : وما نراك مبينك إلا الذين هم أراذلنا .

(٢) يوسف : ٢٢ (٣) يوسف : ١٧ (٤) يوسف : ٢٥

(آثرك) الله ، أى فضلك . ويقال على أثره^(١) : أى فضل .

(أصنام) جمع صنم ، وهو ما كان مصوراً من حجر أو صُفر^(٢) أو نحو ذلك . والوثن ما كان من غير صورة . وقد سمي الله تعالى في كتابه أسماء الأصنام التي كانت أسماء لأناس : وُدّ ، وسواع ، ويعنوث ، ويعوق ، وقسر . وهي أصنام قوم نوح . والآلات والعزى ومناة ، وهي أصنام قريش . وكذا الرُّجَز^(٣) فيمن قرأه بضم الراء ، ذكره الأخفش في كتاب الواحد والجمع على أنه اسم صنم .

(أصفاد) أغلال ، واحداً صَفَد .

(أَسْقَيْنَا كُمُوه) يقال لما كان من يدك إلى فمه سقيته ، فإذا جعلت له شرباً وعرضته لأن يشرب أو لزرقه قلت أسقيته . ويقال سقى وأسقى بمعنى واحد .

(أَرَذَلَ الْعُمَرُ) الهرم الذي يُنْقِص قُوته وعقله ، ويَصِيرُهُ إلى الخرف ومحوه .

(أَكْنَأَا) جمع كَنَ ، وهو ما سَرَّ ووقى من حر البرد .

(أَمَرْنَا) بالتشديد : جعلناهم أمراء .

(أَرَبِي) أى أزيد عدداً . ومن هذا سمي الرُّبَا .

(اجْلِبْ عَلَيْهِم) جَمَعَ عَلَيْهِم .

(أَعْرَبْنَا) أطلنا .

(١) في التاموس : الأثرة - بالضم : المكرمة المتوارثة .

(٢) الصفر : النحاس .

(٣) قال الراغب ١٨٨ : وقوله : والربز فاهجر : فيسل هو صنم . وقيل : هو كتابة

من القلب فساء بالمآل كنمية الهندي شعها .

(أَسَاوِر) جمع أسورة ، وأسورة جمع سِوَار ، وهو الذي يُلبس في الذراع من ذهب ، فإن كان من فضة فهو قُلب ، وجمعه قَلَبَة ، وإن كان من قرْن أو عاج فهو مَسَكَة ، وجمعه مِسَك .

(أَهْش^(١)) بها على غَنَمِي (أضرب بها الأغصان ليستقط ورقها على غنمي فتأكله ، وإنما سأله تعالى ليريه عظم ما يفعلُهُ في العصا من قلبها حية ؛ فمضى السؤال تقرير أنها عصا لينين له الفرق بين حالها قبل أن يقلبها وبعد أن يقلبها . وقيل : إنما سأله لِيُؤَنِّسَهُ وَيَسْطِطَهُ بالكلام .

(أَزْرَى) عَزَى وظَهَرَى . ومنه^(٢) : « فَأَزَرَهُ » ؛ أى أعانه .

(أَمَثَلَهُمْ طَرِيقَةً) أى أعد لهم طريقة وقولا عند نفسه .

(أَمْنًا) ارتفاعاً وهبوطاً .

(أَتَرَفْنَاهُمْ) نَعَمْنَاهُمْ ؛ والتَرَفُ التقلب في لين العيش .

(أَحَادِيث) أى عِبَرًا يتمثل بهم في الشر ، ولا يقال جعلته حديثاً في الخير .

(الْأَيْم) الذى لا زوج لها ، ويقال للرجل والمرأة .

(أَشْتَاتًا) فَرَقًا ، واحدم شت .

(أَصِيل) ما بين العَصْرِ إلى الليل ، وجمعه أَصْل ، ثم أصائل جمع الجمع .

(أَنَاسَى) جمع إنسى ، وهو واحد الإنسان ، جمعه على لفظه ، مثل كرسى وكراسى ، والإنس جمع الجنس يكون بطرح ياء النسب ، مثل رومى وروم .

ويحوز أن يكون أناسي جمع إنسان ، وتكون الياء بدلا من النون ؛ لأن الأصل أناسين بالنون ، مثل سراحين جمع سرحان ، فلما أُلغيت النون من آخره عوضت الياء .

(أَزَقْنَا) أي جئناهم في البحر حتى غرقوا ، ومنه لِيْلَةُ الزُّدْقَةِ ؛ أي ليلة الاجتماع . وقال : أَزَقْنَا : قربنا ؛ أي قربناهم من البحر . ومنه ^(١) : « وَإِنْ لَمْ نَكُنْ لَزُلْزِلَ » .

(أَعْجَبِينَ) جمع أعجم ^(٢) وأعجمي أيضا إذا كان في لسانه عجمة ، وإن كان من العرب . ورجل عجمي منسوب إلى العَجَم وإن كان فصيحاً ؛ ورجل أعرابي إذا كان بدوياً وإن لم يكن من العرب . ورجل عربي منسوب إلى العرب وإن لم يكن بدوياً . وقال القراء : العجمي منسوب إلى قومه من العجمة ، كما قيل للأعرابي : « وَكَقَوْلِهِ ^(٣) : « وَالْقَهْرُ بِالْإِنْسَانِ دَوْلَى » ؛ إنا هو دَوَّار ، وقد نسب الله في كتابه إلى الأماكن :

الْأُمِّيُّ قِيلَ إِنَّهُ نَسَبٌ إِلَى أُمِّ الْقُرَى : مَكَّةَ . وَعَبْقَرَى قِيلَ إِنَّهُ مَنْسُوبٌ إِلَى عَبْقَرٍ ^(٤) : مَوْضِعٌ لِلْجَنِّ يُنْسَبُ إِلَيْهِ كُلُّ فَادِرٍ . وَالسَّامِرِيُّ قِيلَ مَنْسُوبٌ إِلَى أَرْضٍ يُقَالُ لَهَا سَامِرُونَ وَقِيلَ سَامِرَةٌ ^(٥) . وَالْعَرَبِيُّ قِيلَ مَنْسُوبٌ إِلَى عَرَبَةٍ ،

(١) من : ٢٥

(٢) في قوله تعالى : وَلَوْ تَرَى إِلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (الشعراء : ١٩٨) .

(٣) الشعر دَوَّارٌ بِالْإِنْسَانِ وَدَوَّارَى : أَي دَاتَرٌ بِهِ عَلَى إِسْنَادِ النَّسَبِ إِلَى قَوْمِهِ . قَالَ ابْنُ سَبِيحٍ : هَذَا قَوْلُ الْقَوَّيْنِ . قَالَ الْفَارَسِيُّ : هُوَ عَلَى لَفْظِ النَّسَبِ وَلَيْسَ بِغَسَبٍ . الْبَيْتُ : الدَّوَلِيُّ بِالْإِنْسَانِ أَحْوَالًا . وَهُوَ خَطَرٌ يَتَلَبَّاجُ (اللسان - دور) .

(٤) ل : ب : عبقر .

(٥) في اللسان : والسامرة : قرية من لِبَاتِلَ بْنِ إِسْرَائِيلَ ، قَوْمٌ مِنَ الْيَهُودِ يَخَالِفُونَهُمْ فِي بَعْضِ دِينِهِمْ ، لِإِسْمِ غَسَبِ السَّامِرِيِّ الَّذِي عَدَّ السَّجْلَ . وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ التَّحْقِيرِ : السَّامِرِيُّ : عَلَاحٌ مِنْ أَهْلِ كَرْمَانٍ (مادة - سمر) . وَلِلْفَرَّطِيِّ (١٩ - ٢٢٤) وَقِيلَ : كَانَ عَطِيًّا مِنْ صُلَاحِيَّةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ قَبْلِ عَرَفَ بِالسَّامِرَةِ ، وَهُوَ قَوْمٌ مَعْرُوفُونَ بِالدِّمَامِ ..

وهي ناحية دنر إسماعيل عليه السلام ، وأنشد :

ونزبة أرض ما يحمل ^(١) حرامها

من الناس إلا التوذعي الحلاجي

يعني النبي صلى الله عليه وسلم .

(أوزعني) ألهمني ؛ يقال فلانٌ —وزع بكنا ومولع ومنرى

بمعنى واحد .

(أهون عليه) أى هين ، كما تقول فلان أوحده أى وحيد ، وإنى لأرجل ^(٢)

أى رجل . وفيه قول آخر : أى وهو أهون عليه عندكم أيها المخاطبون ؛ لأن

الإعادة عندكم أسهل من الابتداء . وأما قوله : الله أكبر — فالعنى الله أكبر

من كل شيء .

(أنكر الأصوات) أفصحها ، وإنما يُكْرَهُ رَفْع الصوت في الخصومة

والباطل ؛ ورفع الصوت محمود في مواطن ؛ كالتلبية والأذان .

(أدعياءكم) ^(٣) جمع دَعَى ^(٤) ، وهو الذى يُدعى ولد فلان وليس بولده .

وسببها أمر زيد بن حارثة ، وذلك أنه كان فق من كلب فسباه بعض العرب

وباعه ^(٥) من خديجة ، فوهبته للنبي صلى الله عليه وسلم فتبناه ، فكان يقال له :

زيد ابن محمد ، حتى نزلت هذه الآية .

فسبحان من قاده بسلاسل العناية : واحد من كلب ، وآخر من الحبشة ،

(١) فى ياقوت : فار لا يحمل حرامها .

(٢) فى اللسان : وهنا أرجل الرجلين : أى أعضاهما .

(٣) الأحزاب : ٤ (٤) د ب : داح — تحريف .

(٥) فى الترمذى : سبته خيل نهامة ، فابتاعه حاكم بن حزام بن خويلد ، فوهبه لعمته

خديجة . . . (١١٨ — ١١٩) .

وآخر من لروم . وآخر من فارس ، وأبو طالب واقف على الباب ينصره ويذب عنه ، وحرم من الدخول ؛ اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ، لا إله إلا أنت .

(أفطارها) جوانبها ، وقرىء بالتاء ، وهو بمعنى واحد . الواحد قَطْر وقُتْر .

(أشيعة) عليكم : جمع شحيح ؛ أى بخيل .

(أسلنا^(١)) أذبننا ، من قولك : سل الشيء وأسلته . قال ابن عباس : كانت تسيل له باليمن حين من نحاس يصنع منها ما أحب . والمعنى أن الله أذاب له النحاس بغير نار ، كما صنع بالحديد للود ، فطلب من الله أن يسيل منها صور رجل يقاتل بها أعداءه ، ويستعين بهم في خدمته لأهم أقوى . فأجابه إلى ذلك ، وفتح فيهم الروح ، فكان يستعين بهم في حوائجه ؛ فهذا هو الملك العظيم ؛ ومع هذا سماه رُخَاءً ليتنبه العبد على أن جميع ما في الدنيا لا عبرة به عنده .

(أثل) شجر يشبه الطرقات ، إلا أنه أعظم منه .

(أسروا) أظهروها^(٢) ، وقيل كتموها ، يعنى كتمها الغطاء من السفه الذين أضلّوهم ، فهو من الأضداد .

(أذقان) جمع ذقن ، وهو مجمع القهقين .

(أجداث) قبورهم ، واحدا جدت ، يعنى أنهم ينسلون من قبورهم

عند النفثة الثانية .

(الأحزاب) الذين تمزّبوا على أنبيائهم ، وصلوا فرقاً .

(١) من الآية : وأسلا له عين الظلم (سبأ : ١٢)

(٢) من قوله تعالى : وأسروا النجاسة راوا الغلاب (سبأ : ٢٢)

(الخَيْرُ^(١)) : الخيل ، سميت بذلك لما فيها من النافع ، وفي الحديث : الخير معبود في رِأسي الخيل . وقيل المال . وهذا يختلف بحسب الاختلاف في القصة . فأما الذين قالوا إن سامان عقر الخيل لما اشتغل بها حتى فاتته الصلاة ، فاختلَفوا في هذا على ثلاثة أقوال : الأول وهو الذي قدمناه . وأُحييت بمعنى آثرت ، أو بمعنى فعلٍ يتعدى بمن ، كأنه قال : آثرت حب الخير فشغلتني عن ذكر ربي . والآخر أن الخيل هنا يراد به المال ، لأن الخيل وغيرها مال ؛ فهو كقوله تعالى : « إِنَّ تَرَكَ خَيْرًا^(٢) » : أى مالا .

والثالث أن المفعول محذوف وحب الخير مصدر ، والتقدير أُحييت هذه الخيل مثل حب الخير ، فشغلتني عن ذكر ربي .

وأما الذين قالوا إنه كان يصلي فمُرِضت عليه الخيل فأشار بإزالتها ؛ فالمرى أنه قال : أُحييت حب الخير الذي عند الله في الآخرة بسبب ذكر ربي ، فشغلتني ذلك عن النظر إلى الخيل .

(أَكْفَلْنِيهَا) ضُمًّا إِلَى ، واجلتي كافلها ؛ أى تلزم نفسي حياطتها ؛ وأصله اجلها في كفالتى . وقيل اجلها كِفْلًا ؛ أى نصيبى .

(أَتَرَاب) أقران ، واحدها تَرَب ، يعنى أن أسنان الأحميات وأسنان أزواجهن سواء ، من سن ثلاثين سنة والطول ستين ذراعًا . وأما الحور العين فلي حب ما تشبهه الأفس وتلد الأعين .

(أشرفت الأرض) أضاءت .

(٣) أَمَنَّا اثْنَيْنِ وَأَخْيَيْنَا اثْنَيْنِ (هذا كقوله : «^(٤) كُنْتُمْ أَمْوَانًا

(١) من قوله تعالى : إني أحييت حب الخير عن ذكر ربي حتى تولموت ، المحطوب (٣٧: ٥)

(٢) البقرة : ١٨٠ (٣) ظفر : ١١ (٤) البقرة : ٢٨

فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم . فاللوة الأولى عبارة عن كونهم عدما ، أو كونهم في الأرحام ، أو في الأصلاب . واللوة الثانية اللوة المروقة . والحياة الأولى حياة القبر . والحياة الثانية حياة البعث في القيامة .

وقيل الحياة الأولى حياة الدنيا ، والثانية الحياة في القبر . واللوة الأولى اللوة المروقة ، واللوة الثانية بعد حياة القبر . وهذا قول قلد ؛ لأنه لا بد من الحياة للبعث فتجىء الحياة ثلاث مراتب .

فإن قيل : كيف اتصال قولهم : أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين بما قبله ؟

فالجواب أنهم كانوا في الدنيا يكفرون بالبعث ، فلما دخلوا النار مقتوا أنفسهم على ذلك ، فأقرؤا به حينئذ ليرى الله إقرارهم بقولهم : « أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين » ؛ إقراراً بالبعث على أكل الوجوه ؛ طمعا منهم أن يخرجوا عن اللقى الذى مقهم الله ؛ إذ كانوا يدعون إلى الإيمان فيكفرون .

(أقوات) أرزاق بقدر ما يحتاجون إليه . وقيل ينى أقوات الأرض من المعادن وغيرها من الأشياء التى بها قوام الأرض . والأول أظهر .

(أرزداكم^(١)) أملككم .

(أكلما) أوعيتها التى كانت فيها مستخرة قبل تظرفها ، واحداكم^(٢) . وقوله^(٣) : « والنخل ذات الأكمام » ؛ أى [الطلع]^(٤) قبل أن ينفثق .

(أكلوب) : أباريق ، لا عرى لها ولا خراطيم ، واحداكم كُوب .

(١) من قوله تعالى : وذلك ظنكم بربكم اوحاكم (سورة فصلت : ٢٢)

(٢) بكسر الكلف ، كافى القاموس .

(٣) الرحمن : ١١

(٤) مكن هذه الكلمة يابى لى ب ، والمكت فى ١ ، والقرطبي (١٧ - ١٥٦)

(أُبرمُوا) أحكموا .

(آفًا) أى الساعة ، من قولك : استأففتُ الشيء : ابتدأته .

(أحطاف) : جمع حِطَف^(١) ، وهو الكُدْس من الرمل . واختلف أين كانت ؟ قيل بالشام . وقيل : بين عمان وحضرموت . والصحيح أن بلاد عاد كانت باليمن .

(أُتَحْتَمَوْهُمْ) : أكثرتم فيهم القتل والأثر .

(آسِن^(٢)) مُتَغَيِّرُ الرَأْيَةِ وَالطَّم .

(أشراطها) : علاماتها ، وقال أشراطُ قبه الأمر^(٣) إذا جَلَّ قَسَبُ عِنا فيه . ولهذا سُمِيَ أصعبُ الشُّرَطِ ؛ لبسهم ليلًا يكون علامةً لهم . والشُّرَطُ في البَيْعِ علامة بين المتبايعين ، والذي كان قد جاء من أشراطِ الساعة مَبْتُثٌ مولانا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه قل : أنا من أشراطِ الساعة ، وَبُشْتُ أنا والساعة كهاتين .

(أَمْثَلِي لَهُمْ) : أى مَدَّ لَهُمْ فِي الْأَمَانِي وَالْأَمَلِ . والقاعِلُ هو الشيطان . وقيل الله تعالى . والأول أظهر ، لتَنَاسُبِ الضَّمِيرَيْنِ القَاعِلَيْنِ فِي سَوَّلِ وَأَمْثَلِ^(٤) .

(أَضْنَانَهُمْ) أَحْقَادَهُمْ ، ويراد به هنا التَّفَاقُّ وَالتَّبْخِضُ فِي الْإِسْلَامِ وَأَمَلِهِ .

(أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ^(٥)) أى اسْتَمَعَ كِتَابَ اللَّهِ وَهُوَ شَهِيدُ الْقَلْبِ وَالتَّهْمِ ، ليس يناظر ولا ملأ .

(١) الحُطَفُ - بالكسر : الموج من رمل (القاموس) .

(٢) من قوله تعالى : مثل الجنة التي وعد المحسنون فيها أهلها من ماء غير آسن (محمد : ١٥)

(٣) في القاموس : أشراطُ قبه لكنا : أعياها وأعداها .

(٤) الآية : الشيطان سول لهم وأملى لهم (محمد : ٢٥) .

(٥) في : ٢٧

(أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ ^(١)) خطاب للمساكين السابق والشديد . وقيل : إنه خطاب
لواحد على أن يكون بالنون للركدة الخفيفة ، ثم أبدل منها ألفاً ، على أن يكون
معتد ألقى ألقى ، فتنى مبالغة وتأكيداً ، وعلى أن يكون على عادة العرب من مخاطبة
الاثنتين كقولهم : خليني وصاحبي . وهذا كله تكلف جيد .

ومما يدل على أن الخطاب للاثنتين قوله ^(٢) : « فَأَلْقِيَا فِي النَّارِ
الشديد » .

(أَذْبَارُ السَّجُودِ) جمع دُبُر . والإدبار مصدر أدير . قل عمر بن الخطاب
وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهما : لركعتين بعد المغرب . وقل ابن عباس :
هي النوافل بعد الفرائض . وقيل الوتر .

(اللَّاتُ وَالْعُزَّى) أصل اللات رجل كان يلت السويق للحاج . والعزى
كانت صخرة بالطائف ، مؤنثة الأعز .

وقيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد فقطع شجرة
يقولون لها العزى ، فخرجت منها شيطانة ناشرة شفرها تدعو بالويل والتبور ،
فضرى بها بالسيف حتى قتلها .

وهذه مخاطبة لمن كان يعبد ما من العرب على جهة التوبيخ لهم .

(أَلَكَدَى) أى قطع السقاء ، وأمسك ، مأخوذ من كُدَيْة الركبة ،
وعو أن يحفر الحافر فيبلغ إلى الكُدَيْة ، وهى الصلابة من حجر أو غيره ،
فلا يصل بموتله شيئاً فيش وينقطع عن الحفر .

(أَفْنَى^(١)) : أَكْثَبَ عِبَادَهُ الْمَالَ ، فَهُوَ مَنْ كَسَبَ الْمَالَ وَادَّخَرَهُ .

وقيل معنى أفنى أقر ؛ وهذا لا يتنضميه الله . وقيل معناه أَرْضَى . وقيل أَفْنَعَ عَبْدَهُ .

(أَزِفَتْ) ؛ أى قُرِبت ، سُمِيت بذلك لقربها ، يقال : أَزِفَ شَخْصٌ فَلَانِ أَى قَرَبَ . وقوله^(٢) : « وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ » ؛ يعنى القيامة .

(أَعْجَازُ نَخْلٍ^(٣)) : أَصُولُ نَخْلٍ مُتَقَمِّرٍ . وَأَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَلَعٍ . وَأَعْجَازُ^(٤) نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ؛ أى بَالِيَةٍ . شَبَّهَ اللَّهُ عَادًا لِمَا هَلَكُوا بِذَلِكَ ، لِأَنَّهُمْ طَوَّلُوا عِظَامَ الْأَجْسَامِ ، كَانَ طَوْلُ أَحَدِهِمْ مِائَةَ ذِرَاعٍ كَالنَّخْلِ . وَقِيلَ : كَانَتْ الرِّيحُ تَقْلَعُهُمْ حَتَّى حَفَرُوا حَفْرًا يَمْتَمُّونَ بِهَا مِنَ الرِّيحِ فَهَلَكُوا فِيهَا ؛ فَشَبَّهَهُمْ بِأَعْجَازِ النَّخْلِ إِذَا كَانَتْ فِي حَفْرِهَا .

(أَبْشَرًا^(٥)) : هُوَ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ وَاتَّصَبَ بِفِعْلِ مُضْمَرٍ . وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ أَنْكَرُوا أَنْ يَتَّبِعُوا أَشْرًا ، وَطَلَبُوا أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ؛ ثُمَّ زَادُوا أَنْ أَنْكَرُوا أَنْ يَنْبِعُوا وَاحِدًا وَمِنْ جَلْعَةِ كَثِيرُونَ .

(أَشِيرَ) ؛ أى بَطَرَ^(٦) مُتَكَبِّرًا ، وَدَبَّحَ كَانَ لِلدَّحِ مِنَ الشَّاطِطِ .

(الْأَنَامُ) : الْخَلْقُ كُلُّهُمْ . وَقِيلَ الْحَيَوَانُ كُلُّهُ .

(١) من قوله تعالى : وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى (النجم : ٥٣) .

(٢) غافر : ١٨

(٣) أى فاعب في قبر الأرض (المرحلات) ، والآية في سورة القمر ، آية ٢٠

(٤) القمر : ٢٤

(٥) المائدة : ٧

(٦) من قوله تعالى : بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (القمر : ٢٥)

(الأعلام) : الجبال ، شبه الشُّن بها ، وإنما سمّاها منشآت لأن الناس ينشئونها .

· (أفنان) : أغصان ، واحدها قَن (١) وهو القُنن . أو جمع قَن ، وهو الصنف من القواكه وغيرها .

(أول الحشر (٢)) ، في معناه أربعة أقوال :

أحدها - أنه حشر القيامة ؛ أى خروجهم من حصونهم أول الحشر ، والقيام من القبور آخره .

وروى في هذا المعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم : امضوا ، هذا أول الحشر وأنا على الأثر .

الثانى - أن المعنى لأول موضع الحشر ، وهو الشام ؛ وذلك أن أكثر بنى النضير خرجوا إلى الشام ، وقد جاء في الأثر أن حشر القيامة إلى الشام .

وروى في هذا المعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبنى النضير : اخرجوا ، قالوا : إلى أين ؟ قال : إلى أرض الحشر .

الثالث - أن المراد بالحشر في الدنيا هو الجلاء والإخراج ، وإخراجهم من حصونهم أول الحشر ، وإخراج أهل خيبر آخره .

الرابع - أن معناه إخراجهم من ديارهم لأول الحشر لقتالهم ؛ لأنه قل قاتلهم . قال الزمخشري (٣) : اللام في قوله «لأول» بمعنى عند ، كقولك : جئت لوقت كذا .

(أوجفتم) : من الإيجاف ، وهو السير السريع . والمعنى أن ما أعطى الله

(١) ق ب : قن ، والقن : الصرب من النوى (القاموس) .

(٢) الحشر : ٢ (٣) الكشف : ٢ - ٤٤٤

رسوله من أموال بني النضير لم يَمْشِ المسلمون إليه بحتل ولا رِكاب ، ولا تَعْبُوا فيه ولا مَعْلُوهُ بَحْتَال ، ولكن حصل بتسليط رسوله صلى الله عليه وسلم على بني النضير ، فأعلم الله في هذه الآية أن ما أخذ لبني النضير وما أخذ من فذلك^(١) ، فهو خاصٌّ بالنبي صلى الله عليه وسلم فضل فيه ما شاء ؛ لأنه لم يُوجِف عليها ولا قُوتٌ كبير قتال ، بخلاف الغنيمة التي تؤخذ بالقتال ؛ فأخذ صلى الله عليه وسلم لنفسه من أموال بني النضير قوت عياله ، وقسم سائرهما في المهاجرين ، ولم يُعْطِ الأنصار شيئاً ، غير أن أبا دُجَانَةَ وسهل بن حُنَيْف شكوا قاقاة فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم منها . هذا قول جماعة .

وقال عمر بن الخطاب : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَنْفِقُ منها على أهله نفقة سنة ، وما بقي جعله في السلاح والكرراع عدة في سبيل الله .
قال قوم من العلماء : وكذلك كل ما فتحه الأئمة مما لم يوجِف عليه فهو لهم خاصة يأخذون منه حاجتهم ، ويصرفون باقيه في مصالح المسلمين .

(أفاء الله) ، من الفاء . ويسمى أن الله جل فينا رسوله صلى الله عليه وسلم .
(الذي) ، واحد الألى والذين جميعاً^(٢) . والآتي واحدها التي .

(أرجائها^(٣)) : نواحيها وجوانبها ، واحدها رَجَاءٌ - متصور ، يقال ذلك كحرف البئر وكحرف القبر وشبههما . والنضير يعود على السماء ؛ لأنها إذا وهت^(٤)

(١) فذلك - بالتحريك ، وآخر ما كلف : قرية بالجهاز بينها وبين المدينة يومئذ ، أفاء ما الله على رسوله في سنة صبح صلحا (ياقوت) .

(٢) قال ابن مالك :

جمع التي الألى الذين مطلقا ويضم بالواو ضمنا فلتا

(٣) المائة : ١٢ ، والله على أرجائها .

(٤) في قوله تعالى : وانتفتت السماء فهي جردت وأمية ، وهو الآية التي قبلها في السورة نفسها .

وقفوا على أطرافها . وقيل يعود على الأرض ؛ لأن المعنى يقتضيه وإن لم يتقدم ذكرها . وروى في ذلك : إن الله يأمر الملائكة فتقف صفوفاً على جوانب الأرض .
:والأول أظهر وأشهر .

(أوسطهم) : أعدلهم وأفضلهم . ومنه ^(١) : « أمة وسطاً » .

(أوعى) ، يقال : أوعيت الملوغيزه إذا جمعتها في وعائه ، فالمعنى جمع المال وجعله في وعاء . وهذه إشارة إلى قوم من أغنياء الكفار جمعوا المال من غير حله ، ووضعوه في غير محله .

(أصرّوا) : أقاموا على المعصية .

(أطواراً) : أى طَوَّراً بعد طَوَّير ، يعنى أن الإنسان كان نُظْفَةً ، ثم عَقَّة ، ثم مُنْفَعَةً إلى سائر أحواله .

وقيل : الأطوار الأنواع المختلفة ، فالمعنى أن الناس على أنواع في ألوانهم وألستهم وأخلاقهم وغير ذلك .

(أفوم قِيلاً) : أصبح قولاً ؛ لهدأة الناس ومكون الأصوات . والمعنى تحريض على قيام الليل لكثرة الأجر فيه .

(أنكالا) : جمع نِكَل ^(٢) وهو القيد من الحديد . وروى أنها قيود سود من نار لو وضع قيد منها على الأرض لأحرقها .
(أسفر) : أضاء ، ومنه الإسفار بصلاة الصبح .

(أمشاج ^(٣)) : أى أخلاط ، واحدها مَشَج — بفتح الميم والشين . وقيل مَشَج بوزن عدل .

(٢) بكسر التون ، كما في القاموس .

(١) البقرة : ١٤٣

(٣) الإنسان : ٢

وقال الزمخشري^(١) : ليس أمشاج بجمع ، وإنما هو مفرد ، كقولهم :
 بُرْمَةٌ^(٢) أعشار . ولفك وقع صفة للمفرد . واختلف في معنى الاختلاط هنا ؛
 قيل اختلاط الدم والبلغم والصفراء والسوداء . وقيل اختلاط ماء الرجل والمرأة .
 وروى أن عظام الإنسان وعصبه من ماء الرجل ، وأن لحمه وشحمه من ماء المرأة .
 وقيل معناه أطوار ، وألوان : أى يكون نقطة ثم علة . . الخ .

(أسرم^(٣)) : خلقهم . وقيل المفاصل والأوصال . وقيل القوة .

(ألقاقا) : مانعة من الشجر ، وهو جمع لف - بضم اللام . وقيل بالكسر .
 وقيل لا واحد له .

(أفواجاً) : جماعات . يعنى بعد نفخة القيامة من القبور .

(أحقاباً) : جمع حبة أو حُب^(٤) وهى المدة الطويلة من الدهر غير محدودة .
 ثم اختلف في مقدارها ؛ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها ثلاثون سنة . وقال
 ابن عباس : ثمانون سنة . وقيل ثلاثمائة . وعلى القول بالتحديد فالعنى أنهم
 يتقون فيها أحقاباً كلما انقضى حتب جاء آخر إلى غير نهاية . وقيل : إنه كان يقتضى
 أن مدة المذاب تمتضى ، ثم نسخ بقوله^(٥) : « فذوقُوا فَإِنْ فَرِيدَ كُمْ إِلَّا عَذَاباً » ،
 وهذا خطأ ؛ لأن الأخبار لا تنسخ . وقيل هى فى عصاة المؤمنين الذين يخرجون
 من النار ؛ وهذا خطأ لأنها فى الكفار لقوله^(٦) : « وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً » .

(١) الكشف : ٢ - ١٠٥

(٢) البرمة : قعر من حجارة . وبرمة أعمار : مكسرة على عشرة أقطار . أو عظيمة
 لا يحلبها إلا عشرة (القاموس) .

(٣) من قوله تعالى : نحن خلقناهم وجعلناهم أسرم (الإنسان : ٤٨) .

(٤) بالضم ، وبضمين (القاموس) . (٥) النبأ : ٣٠

(٦) النبأ : ٢٨

وقيل معناه أنهم يبتغون أحياناً لا يذوقون لا برزداً ولا شراباً ، ثم يُبدّل لهم نوع آخر من العذاب ؛ وهذا أليق .

(أَغَطَّشَ^(١) لَيْلَهَا) : أى جعله مظلماً . يقال غَطَّشَ الليلُ إذا أظلم ، وأَغَطَّكَ اللهُ .

(أَقْبَرَهُ^(٢)) : جعله ذا قبرٍ ، يقال قُبِرَتِ المَيِّتُ إذا دُفِنَتْ ، وأَقْبَرَتْهُ إذا أُمِرَتْ أَنْ يُدْفَنَ .

(أَنْشَرَهُ^(٣)) : أى بعثه من قبره يوم القيامة .

(أُذِنَتْ لِرَبِّهَا^(٤)) : أى استمعت ، وهو هنا عبارة عن طاعتها لربها ، وإنما لمقادت إليه حين أراد انشقاقها ، وكذلك طاعة الأرض لِمَا أَرَاهَا مَدَّهَا وَابْتِغَاءَ مَا فِيهَا ؛ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَنْشَقَّ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ . أقال الله عثراتنا .

(أَقْلَحَ^(٥)) : نجأ ، يعنى ظفِرٌ مَنْ طَهَّرَ نَفْسَهُ بِالْعَمَلِ ، وَجَانِبَ الظُّفْرِ مَنْ أَهْمَلَهَا بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي .

(أَهَانَنِي^(٦)) : يعنى لم يحسن إليّ . وقد أنكر الله على الإنسان قوله عند النعماء . أَكْرَمَنِي^(٧) ، ويقول عند الضرر به « أَهَانَنِي » ، على وجه التشكي من الله وقلة التسليم لقضائه ، فاعتبر هذا العبدُ الدنيا ، وجعل بسط الرزق فيها كرامةً ، وتضييقه إهانة ؛ وليس الأمر كذلك ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَسِطُ الرِّزْقَ لِأَعْدَائِهِ ، وَيَضَيِّقُهُ لِأَوْلِيَائِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي زَمَانِ مُوسَى أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ ، وَقَدْ قَطَعَ الشُّوكَ

(٢) عبس : ٧٢

(٣) عبس : ٢١

(١) النازعات : ٢٩

(٤) الانشقاق : ٢

(٥) الآية : قد أطلع من زكاهما ، وقد خاب من دساها (النسب : ١٠) دساها : أغواها .

(٦) الآية التي قبلها .

(٧) القجر : ١٦

رجليه من الحفا ، وكان يرى على بطنه أثر البتول . وفرعون حينئذ يدعى الربوبية ، وقد أمر الله نبيه بالإعراض عن زهرة الدنيا ، والنظر إليها في قوله ^(١) : « وَلَا تَمُدَّنْ عَيْنَيْكَ » .

وأخرج البزار وأبو يعلى عن أبي رافع ، قال : أضاف النبي صلى الله عليه وسلم ضيفا ، فأرسلني إلى رجل من اليهود أن أسقني دقيقا إلى هلال رجب . فقال : لا ، إلا برهن . فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فقال : والله إني لأمين من في السماء أمين من في الأرض ، فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذه الآية : « لَا تَمُدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ » .

فإن قلت : قد أثبت الله تعالى في قوله ^(٢) : ربي أكرم من .

فالجواب من ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه لم ينكر عليه ذكره الإكرام ، وإنما أنكر عليه ما يدل عليه كلامه من التمر والتخلياء ، وقلة الشكران ، ومن اعتبار الدنيا دون الآخرة .

الثاني : أنه أنكر عليه قوله : ربي أكرم من إذا اعتقد أن إكرام الله باستحقاقه الإكرام على وجه الفضل والإنعام ، كقول قارون ^(٣) : « إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي » .

الثالث : أن الإنكار إنما هو لقوله : رَبِّي أَهَانِي ، لا لقوله : ربي أكرم من ؛ فإن قوله : ربي أكرم من اعتراف بنعمة الله ، وقوله : ربي أهان شكاية من فضل الله .

(أنقض^(١) ظهرك) : النقص البعير الذي قد أتعبه السفر والعمل فنقص
لحمه ، فيقال له حيثئذ ينقض ، وهو هنا عبارة عن ثقل الوزر المذكور وشدة عليه .
قال الحارث المحاسبى : إنما وُصفت ذنوب الأنبياء بالثقل وهي مغفورة لهم
لو صدرت منهم ، فهي ثقيلة عندهم لشدة خوفهم من الله ، وهي عند الله خفيفة .
وهذا كما جاء في الآر أن المؤمن يرى ذنوبه كالجبل يقع عليه ، والنفاق يرى
ذنوبه كالذبابة تطير فوق أنفه . وعلى هذا قول من جوّز صغائر الذنوب
على الأنبياء . أو على أن ذنوبه كانت قبل النبوة . والصحيح أن الوزر على أفعال
النبوة وتكاليفها ، فأعانه عليها .

(أثقالها^(٢)) : جمع ثقل ، وإذا كان الميت في بطن الأرض فهو ثقل لها ،
وإذا كان فوقها فهو ثقل عليها . وقيل هي الكنوز ؛ وهذا ضعيف ؛ لأن إخراجها
للكنوز وقت الدجال . والمراد إخراج الموتى الذين في جوفها عند النفخة الثانية
في الصور .

(أوحى لها^(٣)) : أوحى إليها ؛ إما بكلام أو إلهام . وقيل معناه أوحى
إلى الملائكة من أجلها ؛ وهذا بعيد . وفي التفسير أوحى إليها أمرها .

(ألهاكم^(٤) التكاثر) : أى شغلكم التكاثر في الدنيا للباهلة بكثرة
الأموال والأولاد عن محاسبة أنفسكم ، ستعلمون ما يحل بكم . وإنما كرر «كلا»^(٥)
سوف تعلمون ، للتأكيد والتهويل ، وعطفه «بشم» إشارة إلى أن الحسان
أعظم من الأول ، وإنما حذف معمول «تلمون» لتعذر التهويل ، فيقدر السامع
أعظم ما يخطر بباله .

(٢) الزلزلة : •

(٢) الزلزلة : •

(١) المرح : •

(٥) في السورة نفسها .

(٤) التكاثر : •

(أَبَايِل^(١)) : جماعات متفرقة ، شيئاً بعد شيء .

قال الزمخشري^(٢) : واحدها إِبَالَةٌ^(٣) . وقال جمهور الناس : هو جمع لا واحد له من لفظه .

وقصتهم أن الله أرسل على أصحاب القيل طيوراً سوداً وقيل خضراً ، عند كل طائر ثلاثة أحجار في منقاره ورجليته ، فرمتهم الطيور بالحجارة ، فكان الحجر يقتل من وقع عليه .

وروى أنه كان يدخل في رأسه ويخرج من دبره ، ووقع في سائرهم الجذري والأسقام وانصرفوا ، فأتوا في الطريق متفرقين في المراحل ؛ وتقطع أبرهة أئمة .

وروى أن كل حجر منها فوق العدة ودون الخمسة . وقال ابن عباس : أدركت عند أم هانئ نحو قفيز من هذه الحجارة ، وأنها كانت مخططة بحجرة .

وروى أنه كان على كل حجر اسم من يقع عليه مكتوب .

(الأبتر) : هو الذي لا عقب له ، ونزلت هذه الآية^(١) في العاصي بن وائل : وقيل في أبي جهل على وجه الرد عليه ؛ قال : إن محمداً أبتر ، لا ولد له ؛ فإذا مات استرحنا منه وانقطع أمره بموته ، فأخبر الله أن هذا الكافر هو الأبتر ، وإن كان له أولاد ؛ لأنه مبتور من رحمة الله ؛ أي متطوع عنها ، وأنه لا يذكروا — إذا ذكروا — إلا باللعنة ، بخلاف نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم

(١) من قوله تعالى : وأرسل عليهم طيراً أبابيل (النمل : ٢) .

(٢) الكشاف (٢ - ٥٦١)

(٣) الإبالة كإبانة : ويخفف للطفة من الطير ، والابيل أو المتابعة منها

(القاموس) *

فلن ذكره خالد إلى آخر الدهر بالصلاة والسلام ، مرفوع على المنابر والصوامع ، مقرون بذكر الله .

(القلق) : قيل الضبح . ومنه ^(١) : « فَأَتَى الْإصْبَاحَ » . قال الزمخشري ^(٢) : هو فعل بمعنى مفعول . وقيل : إنه كل ما يقوله الله ؛ كقلق الأرض عن النبات ، والجلال عن السيون ، والسحاب عن المطر ، والأرحام عن الأولاد ، والحب والنوى ، وغير ذلك .

وقيل : إنه جب في جهنم . وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم .
(أهل) بضم الهزة : ذكر عند ذبحه اسم غير الله . وأهل الإهلال رَفَعُ الصوت .

(اضطر) : أُلْجِئ ، وهو مشتق من الضرورة ، ووزنه اضطل وأبدل التاء طاء . واختلف في حد الاضطرار ؛ وانصحیح أنه ثلاثة أيام . والحكمة فيه أن الميتة إنما حرمت لسمها وضرتها ، والآدمي إذا خلت معدته من الطعام نشأ منها سم قاتل ، يخلب على سم الميتة ؛ فلما أبيع أكلها .

(أمة) : يرد لمان : جماعة ؛ ومنه ^(٣) : « وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً » . ورجل جامع للخير ، ومنه ^(٤) : « إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً » . ودين وملة ؛ كقوله ^(٥) : « إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ » . وحين وزمان ؛ كقوله تعالى ^(٦) : « إِلَى أُمَّةٍ مَّدُودَةٌ » . و ^(٧) « وَإِذْ كَرَّمْنَا نُوْحًا » ؛ أي نبيان . ^(٨) « وَأُمَّةٌ قَانِمَةٌ » . يقال فلان حسن

(١) الأنعام : ٩٦ (٢) الكشاف : (٢ — ٥٦٨) .
(٣) القصص : ٢٣ (٤) التحمل : ١٢٠ (٥) الزخرف : ٢٢
(٦) هود : ٨ . والآية : ولكن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة مطودة ليعلموا ما بهم .
(٧) يونس : ٩٥ (٨) آل عمران : ١١٣

الأمة ؛ أي (١) قائمة .

وأمة رجل منفرد بدين لا يشركه فيه أحد ، كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : بيعت زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده .
وأمة أم ، يقال هذه أمة زيد ؛ أي أمه .

(أَحْصِرْتُمْ) : مُنَعِم . والمشهور في اللغة أحصره المرض بالآلف ، وحصره العدو . وقيل بالعكس . وقيل ما بمعنى واحد ؛ فقال مالك : أحصرتم هنا بالمرض على مشهور اللفظ ، فأوجب عليه الهدى ولم يوجب على من حصره العدو .
وقال الشافعي وأشهب : يحب الهدى على من حصره العدو ؛ وحملوا الآية على ذلك ، واستدلوا بنحو الهدى بالحديثية .

وقال أبو حنيفة : يحب الهدى على المحصر بحدو وبمرض .

(أَخْرَاكُم) : أَخْرَكُم ؛ وفيه مَدْخٌ للنبي صلى الله عليه وسلم ؛ فإن الآخر هو موقف الأبطال يرفع جريحتهم ، ويقوى منبرهم .

(أَجُورَهُنَّ) : مهورهن وصدقاتهن ، يضى إذا استمتعتم بالزوجة بالوطء فيجب إعطاء الصداق كاملاً .

(أَبْلُوا) (٢) : ارتهنوا وأسلموا للهلكة .

(اسْتَهْوَتْهُ) ؛ أي ذهبت به الشياطين في مَهَامِهِ الأرض ، وأخرجته عن الطريق ، فهو استفعال من هوى في الأرض إذا ذهب فيها .

(١) حكنا في الأصول : وفي القرطبي : قال الأخفش : التقدير من أهل الكتاب ذو أمة : أي ذو طريقة حسنة ، وقيل في الكلام حذف ، والتقدير : من أهل الكتاب أمة قائمة ، وأخرى غير قائمة فترك الأخرى اكتفاءً بالأول ، وفي المفردات (٢٣) : أمة قائمة : أي جماعة ، وجعلها الزجاج هنا للاستقامة ، وقال : تقديره ذو طريقة واحدة .

(٢) من قوله تعالى : « أولئك الذين أبلاوا بما كسبوا » (الأنعام : ٧٠) ،

وقال الفارسي : استهوى بمعنى أهوى ، مثل استزل بمعنى زل .

(أُمِّلِي لَهُمْ) ؛ أى أطيل لهم المدة ، وأنتركهم ملاوة من الدهر مع إرادة العقوبة ؛ فظاهره إحسان وباطنه خذلان .

(أُذُنٌ^(١)) بمعنى يقبل كل ما قيل له ويصدق . ورُوي أن قاتل هذه اللقاة نبئت بن الحارث ، وكان من مرده المناقين . وقيل عتاب بن قيس^(٢) فرد الله عليه قوله بأنه يسمع الخير والحق ويؤمن للمؤمنين .

(اجْتُثَّتْ) ؛ معناه استوصلت واقتلعت ، وحمية الاجتثاث أخذ الجنة ، وهذا في مقابلة قوله^(٣) : « أصلها ثابت » .

(أَخْفِيهَا^(٤)) : أسترها وأظهرها أيضاً ؛ فهو من الأضداد . قل ابن عطية : هذا قولٌ مختلفٌ ؛ وذلك أن المعروف في اللغة أن يقال أخفى بالالف من الإخفاء ، وخفى بغير ألف بمعنى أظهر ؛ فلو قال بمعنى الظهور لقال أخفيا بفتح الهمزة في المضارع . وقد قرئ بذلك في الشاذ .

وقال الزمخشري^(٥) : قد جاء في بعض اللغة أخفى بمعنى^(٦) خفى ؛ أى ظهر ؛ فلا يكون هذا القول مختلفاً على هذه اللفظة . والصحيح أن الله أبهم وقت الساعة فلم يُطلع عاينه أحداً حتى كاد أن يخفى وقوعها لإبهام وقتها ، ولكنه لم يخفها

(١) التوبة : ٦١ ، ومنهم الذين يؤولون هو أذن .

(٢) في القرطبي : عتاب بن قيس .

(٣) إبراهيم : ٢٥ ، ألم تركب الله مئلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء .

(٤) طه : ١٥ ، إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى .

(٥) الكشاف (٢ - ٢١)

(٦) عبارة الكشاف : من خفاء ؛ إذا أظهره ، أى قرب إخبارها .

إذ أخبر بنوعها ؛ فالإخفاء على معناه في اللغة ، « وكاد » على معناها من مقاربة الشيء دون وقوعه ؛ وهذا هو اختبار المحققين .

(اضمُّم ^(١)) واسلُك ^(٢) ، بمعنى الدخول .

(اغضُض) : أنقص منه . ومنه ^(٣) : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » ؛ أى يتقصوا من نظرم عما حرم الله عليهم ، فقد أبيض لهم ما سوى ذلك .

(اركُض) : يركلك : اضرب الأرض . والتقدير قلنا له اركُض الأرض ؛ فضرب الأرض برجله ، فنبئت له عينٌ باردة صافية ، فشرب منها ، فذهب كل مرض كان في جسده . وروى أنه ركض الأرض موتين ، فنجع له عَيْنَان ، فشرب من إحداها واغتسل من الأخرى .

(أم الكتاب) : أصل كل كتاب ، وهو اللوح المحفوظ الذى كتب الله فيه مقادير الأشياء كلها .

(أولو) العزم من الرسل : نوح وإبراهيم وعيسى وموسى . وقيل هم الثمانية عشرة المذكورون في سورة الأنعام بقوله ^(٤) : « فِيهِدَاهُمْ أَقْنَدَةً » . وقيل كل من لقي من أمته شدة . وقيل الرسل كلهم أولو عزم .

(ازدجر) : انتهر وشم ، وقالوا له ^(٥) : « لئن لم تلتقه يا نوح لتكونن من المرجومين » .

(أجلت) : أخرت ، وهو من الأجل ، كالتوقيت من الوقت ، وفيه توقيف

(١) في التروحات : الضم : الجمع .

(٢) الغض : ٢٢ ، اسلك يلك في جنبك تخرج يضاء من غير سوء .

(٣) الأنعام : ٩٠

(٤) النور : ٣٠

(٥) الشعراء : ١١٦

يراد به تعظيم تلك اليوم ، ثم بينه بقوله ^(١) : « وما أدراك ما يوم القتل » .

(إبليس) : إفيل من أباس أى ينس . وقد كان اسمه أولاً عزرائيل .
وأخرج ابن أبى حاتم وغيره من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال :
كان اسم إبليس عزرائيل . وقال السدى : إبليس هو عزرائيل . وقال ابن عسكرو :
قيل اسمه قتر ^(٢) . وقيل أبو مرة ^(٣) ، وقيل أبو لبينى ^(٤) ، حكاه السهلى
فى « الروض الأنف » .

(استوقد) : أى أوقد . وقيل طلب الوقود على الأصل فى استعمال .

(ارهبون) : خافوني . وإنما حذفت الياء لأنها فى رأس آية ، ورددوس الآيات
بنوا الوقوف عليها ، والوقوف على الياء يستقل ، فاستغنوا عنها بالكسرة .

(اذأرأتم ^(٥)) : أى اختلفتم ، وهو من الداراة أى المدافعة ، وأصله تدارأتم ،
أى تدافعتم ، أى ألقى بعضكم على بعض ، فأدغمت التاء فى الدال لأنها من مخرج
واحد ، فلما أدغمت سكنت ، فاجتلبت لها ألف الوصل للابتداء ، وكذلك
اذلركوا ^(٦) فيها واثاقلم ^(٧) .

(ابتلى) : أى اختبر ، أى اختبره بما تعبد به من السنن . وقد اختلف فيها
اختلافاً كثيراً ، فعيل خصال القطرة . وقيل مناسك الحج . وقيل ثلاثون خصلة ،

(١) الرسائل : ١٣ ، ١٤ .

(٢) فى القاموس : وأبو قتر : إبليس . أو قتر : علم للشيطان .

(٣) فى القاموس : أبو مرة : كنية لإبليس .

(٤) فى ب : لبى . والمثبت فى القاموس . قال : ولبنى . اسم ابنة إبليس (لبى) .

(٥) البقرة : ٧٢ ، ولما قطعتم ثياباً تدارأتم فيها .

(٦) الأعراف : ٣٨ ، حتى إذا اذرلركوا فيها جيأ قالت أفرام لأولاهم . واذلركوا :

اجتمعوا .

(٨) التوبة : ٣٨ ، ما لكم لقا قبل لكم افروا الى سبيل الله اتاكم الى الأرض .

عشرة ذكرت في « براءة » من قوله ^(١) : « التائبون... » ، وعشرة في الأحزاب من قوله ^(٢) : « إن المسلمين والمسلمات... » . وعشرة في الخارج من قوله ^(٣) : « إلا المصلين » .

(الإمام) : الذي يؤم الناس إليه في الطريق ويتبعونه ، ويقال للطريق إمام .
ومنه قوله ^(٤) : « وإنيها كلب إمام مبين » ، أي بطريق واضح يمرُّون عليها في أسفارهم — يعني القرَّبتين المهلكتين : قريتي قوم لوط ، وأصحاب الأيكة ، فيرونهما ، ويعتبر بهما من خاف وعبد الله تعالى . والإمام الكتب ، ومنه قوله تعالى ^(٥) : « يوم ندعُو كلَّ أناسٍ بإمامهم » ، أي بكتابهم . ويقال بدينهم .
والإمام كل ما اتسمت به واتحدت به .

(اصطفى) : اختار .

(استجاب) : أجاب .

(اعتمر) : أي زار البيت ، ومنه سُميت العمرة ، لأنها زيارة للبيت .
ويقال : اعتمر ، أي قصد .

(استيسر) : أي تيسر وسهل ، وذلك شاة .

(انقِصام) : انقطاع .

(إعصار) : ريح عاصف ، ترتفع تراباً إلى السماء كأنه عمود نار فيه تموم مخرقة .

(إلخافاً) : إلخافاً في السؤال . والمعنى أنهم إذا سألوا يتلففون ولا يدجئون .
وقيل : هو تنقُّل السؤال والإلخاف معاً .

(اذْنُوا بِحَرْبٍ) : اعلوا ذلك واسمعوه وكونوا على إذن منه ، ومن قرأ :
فَآذِنُوا^(١) ، أى فأعلموا ذلك غيركم . ولما نزلت قالت ثَقِيف^(٢) : لا طاعة لنا
بحَرْبِ اللَّهِ ورسوله .

(الإنجيل) : إفعال من الفعل ، وهو الأصل . والإنجيل أصل العلوم . ويقال :
هو من نجلت الشيء إذا استخرجته وأظهرته . والإنجيل مستخرج به علوم وحكم .

(استَكَانُوا) : خضعوا^(٣) . قال بعض النحاة : استكان مشتق
من السكون ، ووزنه افتعلوا ، أشبعت^(٤) فتحة الكاف فحدث عن شيعها
ألف ، وذلك كالإشباع . وقيل إنه من كان يكون فوزنه استعملوا^(٥) ، وهذا
تعريض بما صدر من بعض الناس يوم أحد .

(إسرأنا) : إفرأنا^(٦) .

(انفضوا^(٧)) : أى تفرقوا ، وأصل النفض الكسر .

(ادرءوا^(٨)) : ادفعوا . والمعنى ردّ عليهم .

(إناثا^(٩)) : مَوَاتَا^(١٠) . واختلف ما المراد بقوله ؟ قيل : هى الأصنام ؛
لأن العرب كانت تسمى الأصنام بأسماء مؤنثة ، كاللآت والعزى . وقيل المراد

(١) البقرة : ٢٧٩ (٢) القرطبي (٣ - ٣٦٤)

(٣) آل عمران : ١٤٦ (٣) أى استكنوا .

(٤) فى ب : نجلت فتحة ... بطلها . والمثبت فى القرطبي (٤ - ٢٣٠)

(٥) فى القرطبي : والأول أشبه بمعنى الآفة .

(٦) آل عمران : ١٤٧ (٧) آل عمران : ١٥٩ (٨) آل عمران : ١٦٨

(٩) النساء : ١١٧

(١٠) فى القرطبي : ٥ - ٣٨٧ : لأن الموات لا روح فيه كالخشب والحجر . والموات

تخبر عنه كما يخبر عن الموات لا تضام المذلة .

الملائكة لقول الكفار إناث ، وكانوا يعبدونهم ، فذكر ذلك على وجه إقامة الحجة عليهم بقولهم القاسد . وقيل المراد الأصنام ؛ لأنها لا تعقل فيُخبر عنها كما يُخبر عن الموث .

(إِمْلَاقٌ ^(١)) : قَر ، وإنما نهى عن قتل الأولاد لأجل القاقه ؛ لأن العرب كانوا يفعلون ذلك ، فخرج مخرج القالب ، فلا يفهم منه إباحة قتلهم بغير ذلك الوجه .

(اِفْتَرَاء) الافتراء الكذب ، وذلك أنهم كانوا قد قسموا أنعامهم وقالوا هذه أنعام ^(٢) ... الخ ونسبوا ذلك إلى الله افتراء وكذباً ، ونصبه على الحال أو مفعول من أجله أو مصدر مؤكد .

(اِذَّارَكُوا ^(٣)) نلاحقوا واجتسعوا . والمراد بأولهم الرؤساء والقادة وآخرهم الأتباع والسفلة . والمعنى أن آخرهم طلبوا من الله أن يضاعف العذاب لأولاهم ؛ لأنهم أضلّوهم . وليس المعنى أنهم قالوا لهم ذلك خطاباً لهم ، إنما هو كقولك : قال لقلان كذا ، أى قاله عنه وإن لم يخاطبه به .

(اِفْتَسَحْ بَيْنَنَا) : أى احكم .

(اسْتَرْجَبُوهُمْ ^(٤)) : أى خوفوهم بما أظهروا لهم من أنواع السحر .

(اِلْمُتَك) — بكسر الميم في قراءة من قرأها — معناها عبادتك .

(اِنْسَلَخَ مِنْهَا) : أى خرج ^(٥) كما تخرج الحية من القشر ، والانسلخ

(١) الأنعام : ١٥١ ، والإسراء : ٣١

(٢) الأنعام : ١٣٨ ، وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه .

(٣) الأعراف : ٣٨ (٤) الأعراف : ١١٦ ، واسترجبهم ، وجاءوا بسحر عظيم .

(٥) الأعراف : ١٢٥ ، واطل عليهم نيا المني آياتنا فانسلخ منها .

(م ٣٦ — في إعجاز القرآن)

من الثيلب . وقد اختلف في هذا التفسير ؛ فثبت ابن مسعود هو رجل من بني إسرائيل بنى موسى عليه السلام إلى ملك مدّين ، فرشاه الملك على أن يترك دين موسى ويتأجج الملك على دينه ، قتل ، وأضل الناس بذلك . وقال ابن عباس : هو بلعام الذي دعا على موسى ، فالآيات التي ^(١) أعطوها على هذا القول هي اسم الله الأعظم . وقال عبد الله بن عمرو بن العاصي : هو أمية بن أبي الصلت ، وكان قد أوتى علماً وحكمة ، وكان قد أسلم قبل غزوة بدر ، ثم رجع عن ذلك ، ومات كافراً ، وفيه قتل صلى الله عليه وسلم : كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم .

فالآيات على هذا ما كان عنده . وعلى قول ابن مسعود هي ما على موسى من انثريّة . وقبلهما كان عنده من صف إبراهيم .

(إِنْ لَا ذِمَّةَ ^(٢)) قد قلنا أن « إل » على خمسة أوجه : بمعنى الله ، والعهد ، والقراءة ، والخلق ، والجور ^(٣) .

(اقترنتموها) : اكتبتموها .

(إحدى الحسنين) : الصبر والظفر ، أو اللوت في سبيل الله . وكل واحد من الأمرين حسن .

(إرماداً) يقال رمدت وأرمدت في الخير والشر جميعاً ، وهو العرقب والانتظار . ومناه هنا أن بني عمرو بن عوف من الأنصار بنوا مسجد قباء ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيه ويصلي فيه ، فخدم على ذلك قومهم بنو غنم ابن عوف وبنو سالم بن عوف ، فبنوا مسجداً آخر مجاوراً له ، لينظروا الناس

(١) في ب : الذي (٢) التوبة : ٥ ، ١٠

(٣) في انثريّة : وعن عاهد أنه اسم من أسماء الله (٨ - ١٩) .

عن الصلاة في مسجد قبا ، فذلك هو الضرار الذي فصلوا . وسألوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيه ويصلي لهم فيه ، فنزلت عليه هذه الآية ^(١) . والذي حارب الله ورسوله هو أبو عامر ^(٢) الراهب الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم القاسق ، وكان من أهل المدينة ، فلما قدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهر بالكفر والتفاق ، ثم خرج إلى مكة فعزب الأحزاب من المشركين ، فلما فتحت مكة خرج إلى الطائف ، فلما أسلم أهل الطائف خرج إلى الشام ليستنصر بقيصر ، فهلك هنالك . وكان أهل مسجد الضرار يقولون : إذا قدم أبو عامر المدينة يصلي في هذا المسجد . والإشارة بقوله « من قبل » إلى ما فعل مع الأحزاب .

(إي وربّي) . أي توكيد للافهام . المعنى نعم وربّي .

(امضوا إلى) أي ^(٣) امضوا ما في أنفسكم ولا تؤخروا ، كقوله ^(٤) : « فاقض ما أنت قاض » ، أي امض ما أنت مُض . ومعناه أن نوحاً عليه السلام قال لقومه : إن صعب عليكم دعائي لكم إلى الله فامضوا في غاية ما تريدون ، فإني لا أبالي بكم لتوكل على الله ويتقى به سبحانه .

(الطيس ^(٥)) ، أي النجس ^(٦) ، من قولك : طيس الطريق إذا غشا ودرّس .

(١) التوبة : ١٠٧ ، والذين اتخنوا مسلماً ضاراً وكفراً وغرباً بين المؤمنين ولوماداً لمن حارب الله ورسوله من قبل .

(٢) وأبو عامر هنا هو والد حنظلة غيل اللاتكة .

(٣) يونس : ٧١ ، ثم لا يكن أمرنا عليكم غنة ثم انضوا إلى ولا تظن .

(٤) طه : ٧٢

(٥) يونس : ٨٨ : ربما الطيس على أموالهم واحسد على قلوبهم .

(٦) في القرطبي : أي عابهم على كفرهم بإهلاك أموالهم . قال الزجاج : طيس الشيء :

إفهامه عن صورته .

(جرأى) ، مصدر أجزمت إجرأ : أى أدبت .

(شترأك) : قصدك^(١) . ومضاه ما قول إلا أن بعض آلهة أصانتك عنون ، لأنك سببتنا ونهيتنا عن عبادتها .

(ستمرك) : أى جعلكم تعمرونها ، فهو من العمران للأرض . وقيل هو من العمر ، أى استبقاكم .

(ارتقبوا) : أى انتظروا . ومنعاه التهديد والتحذير .

(استقصم) : أى طلب العصمة وامتنع عما ردت منه من الفحشة .

(استيسوا) : أى يسوا .

(اصدع) : أظهر ، أخذ من الصديق وسو الصبح . قال الشاعر^(٢) :

• كَانَ يَأْخُذُ بِلَيْتِهِ صَدِيقٌ •

(المقتسين) : اختلف فيهم ، قيل هم أهل الكتاب الذين آمنوا ببعض كتابهم وكفروا ببعضه ، فاقسموه إلى قسمين . وقيل : هم قريش اقتسموا أبواب مكة في الموسم ، فوقف كل واحد منهم على باب ، يقول أحدهم هو شاعر ، ويقول الآخر ساحر . والكاف من قوله « كذا » ، متعلقة بقوله « كذا » أنا النذير المبين ، أى أنذر قريشاً عذاباً مثل العذاب الذى أنزل على المقتسين . وقيل

(١) هود : ٥٤ .

(٢) عجز بيت صدره :

• ترى المرحان يفترحة جديبه •

وهو عمرو بن معد يكرب (الهمان - جد غنم) .

(٣) الآية : كما أنزلنا على المقتسين : المجرم (٩٠)

(٤) آية ٨٩ من السورة نفسها

بعض بقوله^(١) : « واتممت آياتناك » ، أى أنزلنا عليك كتاباً كما أنزلنا على القسطين .

(استغفر) ؛ أى ائذع^(٢) بدعائك إلى أهل العالمى ، واستخف بهم .
(ارتدأ على آتلهما) أى^(٣) رجعا فى طريقهما يقمطان أثرهما الأول ،
لتلا يخرجنا عن الطريق .

(إمرأ^(٤)) : عجباً ، وقل داعية .

(انتبذت من أهلها) : اعتزلتهم نلحة . يقال : قد نبذت ونبذت :
أى نلحة .

(إلتحاد) ؛ أى ميل عن الحق .

(أضيع بهم) أى ما أسقمهم ، وما أبصرهم يوم القيامة ، على أنهم فى الدنيا
فى ضلال مبين .

(اخشوا) : كلمة تستعمل فى زجر الكلاب ، قبحا إهانة وإبساد .
وفى الحديث أنه قال صلى الله عليه وسلم لابن صياد : اخشأ فلن تعدو قدرك .

(إلفك) : أشد الكذب ، ونزلت الآيات الست من قوله تعالى^(٥) : « إن
الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ... » إلى قوله تعالى : « لهم مغفرة ورزق
كريم » - فى شأن عائشة وبراءتها عما رملها أهل الإفك ، وذلك أن الله برأ
أربعة بأربعة : برأ يوسف بشهادة الشاهد من أهلها ، وبرأ موسى من قول اليهود

(١) الحجر : ٨٧

(٢) فى سورة الإسراء : واستغفر من أسخط منهم يقولك (آية ٦٤) .

(٣) الكهف : ٦٤ (٤) الكهف : ٢١ (٥) النور : ١١ ، وما بعدها .

بالحجر الذي ذهب بثوبه . وبرأ مريم بكلام ولدها في حجبها . وبرأ عائشة من إلقاء بنزول القرآن في شأنها .

وانت تضمنت هذه الآيات الغاية العظمى في الاعتناء بها ، والكرامة لها ، والتشديد على من قذفها . وقد خرج حديث الإلقاء البخاري ومسلم وغيرها ؛ واختصاره أن عائشة رضي الله عنها خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني المصطلق ، فضاع لها عقد فتأخرت على التماسه حتى رحل الناس ، فجهاد رجل يقول له صفوان بن المطلب ، فرأها فنزل عن ناقته ، وتنحى عنها حتى ركبت عائشة ، وأخذ يقودها حتى بلغ الجيش ، فقال أهل الإلقاء في ذلك ما قالوا ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما بال رجال رموا أهلي ! والله ما علمت على أهلي إلا خيراً ؛ ولقد رموا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً .

وسأل جارية عائشة ، فقالت : والله ما علمت عليها إلا كما يعلم الصانع عن الذهب الأحمر . ولم يذكر في الحديث من أهل الإلقاء إلا أربعة ؛ وهم : عبد الله ابن أبي بن سلول رأس المنافقين ، وتحنة بنت جحش ، ومسطح بن أثانة ، وحسان بن ثابت . وقيل : إن حسان لم يكن معهم .

(الإزبة^(١)) الحاجة إلى الوطء . وشرط في رؤية غير ذوى المحارم شرطان : أحدهما أن يكونوا تابعين ، ومعناه أن يتبع لشيء يعطاه ، كالوكيل والتصرف ؛ ولذلك قال بعضهم : هو الذي ينبطك وحمته بطنه . والآخر ألا يكون لهم إزبة في النساء ؛ كالخمي ، والخنث ، والشيخ الهرم ، والأحمق^(٢) . فلا يجوز رؤية النساء إلا باجتماع شرطين .

(١) ثور : ٣١ ، أو التابعين غير أول الإزبة من الرجال أو الطفلة الذين لم يظهروا على عورات النساء . . .

(٢) قل في القرطبي (١٢ - ٢٢٤) : وهذا الاختلاف كله متقارب المعنى . ويجتمع فيمن لا فهم له ولا حجة ينتبه بها إلى أمر النساء .

واختلف هل يجوز أن يراها عبدٌ زوجها وعبدٌ الأختى أم لا ؟ على قولين .
وأما السيد فبيهم ثلاثة أقوال : منع رؤيتهم لبينتهم ، وهو قول الشافعى .
والجواز ، وهو قول ابن عباس وعائشة . والجواز بشرط أن يكون العبدُ وغداً^(١)
وهو مذهب مالك ، واختج بهذه الآية .

(المائدة : ٥٨) : أصله تطيؤنا ، ومنه تشاءمنا ، وكانوا قد أصابهم
التعب ، فسبوا ما أصابهم إلى صالح ، فقلت جلوبهم بقوله^(٢) : « طائرُكم
عند الله » ، أى السبب الذى يحدث عنه خيركم وشركم هو عند الله ،
وهو قضاؤه وقدره .

(اتقوا فى مشيك) : أى^(٣) احتدل فيه ، فلا تسرع فيه إسراعاً يدل
على العيش والخفة [التى تذهب^(٤)] يبهاء الوجه ؛ ولا تبطىء لأنه يدل على التثخنة
والكبر . والتقصن ما بين الإسراف والتقصير . وقد كان صلى الله عليه وسلم يمشى
متراففاً لا متبغضراً ولا كلا ، وكان بين ذلك قواماً .

(لتكافروا) أى افتردوا^(٥) عن المؤمنين وكونوا على حدة ، لتأخذكم
الزبانية .

(احملوها) : ذوقوا حرها . وقال صلب النار إذا نالك حرها .

(استفتيهم) سلمهم . والضمير للقول قريش وسائر الكفار ، أى أسألهم
على وجه التقرير والتوبيخ عما زعموا من أن الملائكة بنات الله ، فسلوا فى الإنثى
ولأجسهم المذكور ، وتلك قصة ضيزى .

(١) الرعد : ٦٢ من الرجال الذى يضم بطام بكه . وقيل : الخلف القل .

(٢) ساقط فى .

(٣) لقمان : ١٩

(٤) القمل : ٤٢

(٥) ييز : ٨٩ « وتكافروا اليوم أنها المجرمون »

(إِلْيَاسِينَ) يعنى ^(١) إلياس وأهل دينه ، جمعهم بغير إضافة بالياء والنون على العدد ، كأن كل واحد منهم سمى إلياس . وقال بعض العلماء : يجوز أن يكون إلياس وإلياسين يعنى واحد ، كما يقال ميكائيل وميكايل . وتقرأ على آل ياسين ، أى على آل محمد صلى الله عليه وسلم .

وأخرج ابن أبى حاتم بسند حسن عن ابن مسعود ، قال : إلياس هو إدريس ، وقراءته : وإن إدريس لمن المرسلين . سلام على إدراسين . وفى قراءة أبى : وإن إلياس . سلام على إليسين ^(٢) . وقيل إنه لقب إدريس . وقد أخطأ من قال إنه إليس المذكور فى أجداد النبی صلى الله عليه وسلم .

(اشْتَأَزَتْ) معناه نفرت ، والمشتز التافز . ومعنى الآية أن الكفار يكرهون توحيد الله ، ويحبون الإشراك به ، ويزلت حين قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة النجم ، فأتى الشيطان ... حسبما ذكر فى الخج ^(٣) ، فاستبشر نكفار من ذكر اللات والعزى ، فلما أذهب الله ما أتى الشيطان استكبروا واشتأزوا .

(اصْطَفَحَ) : أعرض . وأصل الصفح أن تتعرف عن الشيء ، فتوليهِ صفحةً وجهك ، وهذا الإعراض منسوخ بآية السيف كما قلنا .

(انفوا) من ^(٤) النفا ، وهو المهجر والكلام الذى لا تقع فيه . وروى أن قائل هذه المقالة أبو جهل لعنه الله ، وقال لهم : تشاغلوا عن قراءته برفع

(١) الصافات : ١٣٠

(٢) قال ابن جنى : العرب تتلاعب بالأسماء الأعجبية تلامياً ، فياسين ، وإلياس ، وإلياسين شئ واحد (المرطبي : ١٥ - ١١٩) .

(٣) الحج : ٥٢

(٤) فصلت : ٢٦ ، وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن وانفوا فيه لئلا تكفروا .

الأصوات وإنشاد الشعر ، وشبه ذلك حتى لا يسمعه أحد . وقيل المعنى : قموا فيه وغيّبوه .

(اعتلوه^(١)) : أى سوقوه بتخفيف إلى سوااء الجحيم ، يعنى وسطها . واختلف على من يعود الضمير ، فقيل على أبى جهل . وقيل على العموم ، وهو الأظهر .
(انشزوا) معناه^(٢) ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لغيركم .

واختلف فى هذا التشوز المأمور به ، فهل إذا دعوا إلى قتال أو صلاة أو فعل طاعة . وقيل : إذا أمروا بالقيام من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه كان يحب الأفراد أحيانا ، وربما جلس قوم حتى يؤمروا بالقيام . وقيل المراد القيام فى المجلس .

(استحوذ) : أى غلب^(٣) عليهم الشيطان وملك لهم أسهم . وا. نحوذ مما خرج على الأصل ولم يعمل . ومثله استزوخ ، واستنوق الجمل ، واستصوب رأيه^(٤) .
(اسعوا) : امضوا إلى ذكر الله بالهيئة الواجدة ، ولم يرد القلوب والإسراع ، للحديث : لا تأتوا الصلاة وأنتم تسمون وأتوها وعليكم السكينة والوقار .

وأمر فى هذه الآية بالسعى إلى الجمعة ، وذلك عند جلوس الإمام على المنبر وأخذ المؤذنين فى الأذان .

(واخسروا) : خُطِبَ للرجال والنساء . والمعنى أن الأمر كل واحد صاحبه

(١) الدعان : ٤٧ ، خذوه فاعتلوه إلى سوااء الجحيم .

(٢) المجاعة : ١١ .

(٣) المجادة : ١٩ ، استعوه . عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله .

(٤) زelman : وهذا الباب كله يجوز أن ينكلم به على الأصل أو نحوذ .

بخير ، من المساحة ، والمرقى ، والإحسان . وقيل : معى اشروا تثلثوا .
ومنه (١) : « يَنْتَبِهُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ » .

(اسْتَشْرَوْا ثِيَابَهُمْ) : جلوها (٢) غشوة عليهم لثلا بسموا كلامه ولثلا بمرام .
ومحتمل أنهم فعلوا ذلك حقيقة ، أو يكون عبارة عن إفراط إغرائهم . فانظر نصه
صل الله على فينا وعليه وسلم ، ذكر أولا أنه دعاهم بالليل والنهار ، ثم ذكر أنه دعاهم
جهلأ ، ثم ذكر أنه جمع بين الجهر والإسرار ، وهذه غاية الجدل في النصيحة ،
وتبليغ الرسالة .

(الْفَتْحِ السَّاقِ) (٣) هذه عبارة عن شدة كُوب الموت وسكراته ،
أى الفتح ساقه إلى ساقه الآخر عند السباق . وقيل مجاز ، كقولك : كشفت الحرب
عن ساقها ، إذا اشتدت . وقيل مشتق ماتت ساقه فلا تحمله . وقيل الفتح : أى قها
الكفن إذا كفن .

(انكدرت) : أى تساقطت من مواضعها . وقيل تبوت . والأول أرجح ،
لأنه موافق لقوله (٤) : « وَإِذَا الْكُورَاكِبُ انْتَفَرَتْ » .

(اتسق) انهم إذا تم وأمتلأ لية أربع عشرة . ووزن اتسق اخصل ،
وهو مشتق من الوسق . وقيل : اتسق استوى .

(لَدَمَ) هى قبيلة عاد ، تميم باسم أحد أجدادها ، كما يقل هاشم بنى هاشم .
ولجرا به بلد من بلد ، أو عطف يان . وقائده أن المراد عاد الأولى ، هى عادنا
الثانية لا يستون بهذا الاسم . وقيل لدم اسم مدريتهم ، فهو على حذف مضارب

تقديره جاد عاد إرم . ويدل على هذا قراءة ابن الزبير جاد إرم على الإضافة من غير تنوين عاد ، وللمتبع إرم من الصرف على القولين التحريف والتأنيث .

(اتحم القبة^(١)) الاتحام : المخول بشدة ومشقة . والقبة عبارة عن الأعمال الصالحة المذكورة . وجعلها عتبة استارة من عتبة الجبل ؛ لأنها تصعد ويشق صعودها على النفوس . وقيل هو جبل في جهنم له عتبة لا يملؤها إلا من عمل هذه الأعمال ؛ ولا هنا^(٢) تخفيف بمعنى حلا . وقيل هي دعاء . وقيل : هي^(٣) نافية . واعترض على هذا القول بأن « لا » النافية إذا دخلت على الفعل الماضي لزم تكرارها .

وأجلب الزمخشري^(٤) : بأنها مكررة في المعنى ، والتقدير فلا اتحم القبة ولا فك رقة ، ولا أطعم مسكيناً .

(انبث^(٥)) يعني خرج إلى عقر الناقة بسرعة ونشاط . وأشقأها^(٦) أحير^(٧) نمود قد ذكر^(٨) بن سالف عقر الناقة . ويحصل أن يكون أشقاها واقفاً على جملة ؛ لأن أفضل التي للتفضيل إذا أخفت يستوى فيه الواحد والجمع . والأول أظهر .

(انحر^(٩)) : اذبح . وقيل انحر : ارفع يديك بالتكبير إلى نحر . والأول أظهر ؛ لأن الله أمره بالصلاة على الإطلاق . وينحر الهدى والضحايا . وقيل إنه عليه الصلاة والسلام كان يضحى قبل صلاة العيد ، فأمره أن يصلي ثم ينحر ؛ فالتصود على هذا تأخير نحر الأضحية عن الصلاة . وقيل : إن الكفار كانوا

(١) البلد : ١١ (٢) والأصلين : ولأها - تحريف .

(٣) أي لا . (٤) الكشف : ٢ - ٥١٥ .

(٥) النحر : ١٢ (٦) المروء : آخر نمود ، كما في نحر القلوب : ٧٩

(٧) في ١ : مبرور - مضبوط .

يصلون مكاءً وتصدية^(١) ، ويشعرون للأصنام ، قال الله تعالى : صل ربك وحده ، وانحر له ، أى لوجهه لا لغيره ، فهو على هذا أمر بالتوحيد والإخلاص .

(الهمزة) تأتي على وجهين : أحدهما الاستفهام ، وحقيقته طلب الألفباء .
وهى أصل أدواتها ، ومن ثم اختصت بأمور :

أحدها - جواز حذفها .

الثانى - تأتى لطلب التصوّر والتصديق ، بخلاف هـ ، فإنها للتصديق خاصة ، وسائر الأدوات للتصور خاصة .

ثالثها - أنها تدخل على الإثبات ، نحو^(٢) : « أكان للناس عجب » .
« آلد كربين حرم » . وعلى النقي نحو : « ألم تشرخ » . وتفيد حينئذ معنيين : أحدهما التذكير والتنبية ، كالمثال المذكور ، وكتوابع^(٣) : « ألم تر إلى ربك كيف مد الظال » . والثانى التعجب من الأمر العظيم ، كقوله تعالى^(٤) : « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت » . وفى كلا الحالتين هو تحذير ، نحو^(٥) : « ألم تهلك الأولين » .

رابعها - تقدمها على العاطف تنبيها على أصالتها فى التصدير ، نحو^(٦) : « أو كلما عاهدوا عهداً » . « أفأمن أهل القرى » . « أنتم إذا ما وقع » . وسائر أخواتها متأخر عنه ، كما هو قياس جميع أجزاء الجملة المبطونة ، نحو : وكيف

(١) الأقال : ٣٥ ، وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاءً وتصدية . مكاء : إدخال أصابعهم فى أفواههم . تصدية : الضفير .

(٢) يونس : ٢	(٣) الأنعام : ١٤٣	(٤) الفرقان : ٤٥
(٥) البقرة : ٢٤٣	(٦) المرسلات : ١٦	(٧) البقرة : ١٠٠
(٨) الأعراف : ٩٧	(٩) يونس : ٩٠	

تشكروا . فدين تذهبون . فأتى مؤسكوت . فهل يهلك . فأى القرينين .
فما كفى الناقير .

خامسها - أنه لا يستفهم بها حتى يهجر في النفس إثبات ما يستفهم عنه ،
مخلاف من فيه لما لا يرجع عنده نقي ولا إثبات ، حكاه أبو حيان
عن بعضهم .

سادسها - أنها تدخل على الشرط . نحو^(١) : « أفان مات فهم
الخالدون » . «^(٢) ولئن مئتم أو قتلتم » . «^(٣) أفان مات أو قتل انقلبتم » ؛
مخلاف غيرها .

ونخرج^(٤) عن الاستفهام الحقيقي فتأتى لعن قدمتها^(٥) في الخبر والإنشاء .

فائدة

إذا دخلت على « رأيت » امتنع أن تكون من رؤية البصر أو القلب ،
وصلت بمعنى أخبرني . وقد تبدل هاء ؛ وعلى ذلك قراءة قنبل : هأنتم^(١)
هؤلاء . بالتصغير . وقد وقع في القسم : ومنه^(٢) : « ولا نكم شهادة
آله - بالتفوين ، آله بالذ .

التالي : من وجهي الممزة أن تكون حرفاً ينادى به القريب ، وجعل منه

(١) الأنبياء : ٢٤ (٢) آل عمران : ١٥٨ ، وفي ب : أفانين - تحريف .

(٣) آل عمران : ١٤٤ (٤) البرهان (٤ - ٣٧٨) .

(٥) صفة ٤٣٢ (٦) آل عمران : ٦٦ (٧) المائدة : ١٠٦

القرآن قوله تعالى^(١) : « أَمِنْ هُوَ قَانِتٌ آفَاءَ الْهَيْلِ » - على قراءة تخفيف الهمزة ،
أى يا صاحب هذه الصفات .

قال ابن هشام^(٢) : ويسمى أنه ليس في التثنية نداءً بخير ياء ، ويقربه سلامته
من دعوى المجاز ؛ إذ لا يكون الاستغناء منه تعالى على حقيقته ، ومن دعوى
كثرة الحذف ؛ إذ التقدير عند مَنْ يجعلها للاستغناء : أَمِنْ هُوَ قَانِتٌ خَيْرٌ أم هذا
الكافر ؟ أى المخاطب بقوله تعالى^(٣) : « قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا » ؛ فعُدْف
شيطان : معادل الهمة والخير .

(أحد) قال أبو حاتم في كتاب الزينة : هو اسمٌ أكمل من واحد ، ألا ترى
أنك إذا قلت : فلان لا يقوم له واحد جاز في المعنى أن يقوم له اثنان فأكثر ،
بمخلاف قولك لا يقوم له أحد .

وفي الأحد خصوصية ليست في الواحد ؛ تقول : ليس في الدار واحد ،
فيجوز أن يكون من الدواب والطيور والوحوش والإنسان ، فيعم الناس وغيرهم ،
بمخلاف ليس في الدار أحد ؛ فإنه مخصوص بالآدميين دون غيرهم .

قال : ويأتى^(٤) الأحد في كلام العرب بمعنى الأول وبمعنى الواحد ، فيستعمل
في الإثبات وفي النفي ، نحو^(٥) : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » ؛ أى واحد ، وأوّل .
« فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِرِزْقِكُمْ » ؛ وبمخلافها فلا يستعمل إلا في النفي ؛ تقول :
ما جاءني من أحد . ومنه^(٦) : « أَلَمْ تَحْسَبْ أَنَّ لَن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ » . «^(٧) أَلَمْ يَحْسَبْ

(١) الزمر : ١ (٢) المنى (١ - ١٠) . (٣) الزمر : ٨

(٤) في ب : ويأتى على الأحد .

(٥) الأنعام : ١ (٦) السكيت : ١٩ (٧) البلد : ٥

(٨) البلد : ٧

أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ، . . . (١) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ ، . . . وَلَا تَعْلَمُ عَلَى أَحَدٍ ، .
وواحد يستعمل فيها مطلقاً .

وأحد يستوى فيه الذكر والمؤنث ؛ قال تعالى (٢) : « لَسْتُ كَأَحَدٍ
مِنَ النِّسَاءِ » ؛ بخلاف الواحد فلا يقال كواحد من النساء بل كواحدة .

وأحد يصلح للأفراد والجمع .

قلت : ولهذا وُصِفَ به في قوله تعالى (٣) : « فَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ
حَاجِزِينَ » . بخلاف الواحد .

والأحد له جمع من لفظه ، وهو الأحد والآحاد ، وليس للواحد جمع
من لفظه ، فلا يقال . . . (٤) ، بل اثنين وثلاثة .

والأحد ممتنع الدخول في الضرب والعدد والقسمة وفي شيء من الحساب ،
بخلاف الواحد انتهى ملخصاً . وقد تحصل من كلامه أن بينهما سبعة فروق .

وفي أسرار التفريل لأرزى في سورة الإخلاص : فإن قلت لشهور في كلام
العرب أن الأحد يستعمل بعد النفي والواحد بعد الإثبات ، فكيف جاء أحد عنا
بعد الإثبات ؟

قلت : قد اختار أبو عبيد أنهما بمعنى واحد بحيث لا . . . أحدهما يمكن
دون الآخر ، وإن غلب استعمال أحد في النفي . ويجوز أن يكون المدلول هنا
عن الغالب رعاية لتفواصل .

(٣) الأحراب : ٣٧

(٢) التوبة : ٨٤

(١) الطلاق : ٤٧

ان : واحدون .

وقال الراغب في مفردات القرآن^(١) : أحد تستعمل على صريين .

أحدهما في النفي قط ، والآخر في الإثبات .

فالأول لاستغراق جنس الناطقين ، ويتناول القليل والكثير ؛ ولذلك صح أن يقال ما من أحد فاضل ؛ كقوله^(٢) : « فَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ » .

والثاني^(٣) على ثلاثة أوجه :

الأول — المستعمل في المدد مع المشرات ؛ كأحد عشر وأحد وعشرين .

والثاني — المستعمل مضافاً أو مضافاً إليه بمعنى الأول ، نحو^(٤) : « أَمَا أَحَدُكُمْ فَيَقْتَرِفُ رِبًّا نَهَرًا » .

والثالث — المستعمل وصفاً مطلقاً ، ويختص بوصف الله تعالى ، نحو : « قَالَ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » . وأصله وَحْدٌ^(٥) ، إلا أن وَحْدٌ^(٦) يستعمل في غيره .

(إذ) تَرِدُ على أوجه :

أحدها أن تكون اسماً للزمان الماضي ، وهو الغالب ؛ ثم قال الجمهور : لا تكون إلا ظرفاً ، نحو^(٧) : « قَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا » . ومضافاً إليها الظرف : «^(٨) بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا » . «^(٩) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ » . «^(١٠) وَأَنْتُمْ حِينَتُمْ تَنْظُرُونَ » .

(١) صفة : ١٢ (٢) الحاقة : ٤٣ (٣) أي المستعمل في الإثبات .

(٤) يوسف : ٤١

(٥) ق ب : واحد ، والتثبت في المفردات . وقد استشهد للاحتمال في كل موضع من المصنفات :

كأن رجل ولد زال النهار بنا بنى الليل على متأنس واحد

(٦) التوبة : ٤٠ (٧) آل عمران : ٨ (٨) الزلزال : ٤

(٩) الواقعة : ٨٤

وقال غيرهم : تكون مفعولا به ، نحو ^(١) : « واذكروا إذا أنتم قليل » .
وكذا المذكورة في أوائل القصص كلها مفعول به ، بتقدير اذكروا .

أو بدلا منه ^(٢) نحو : « واذكروا في الكتاب مريم إذ انتبذت » ؛ فإنها بدل اشتمال من مريم على وجه ^(٣) البدل في ^(٤) : « يسألونك عن أشهر الحرام قتال فيه » . « ^(٥) اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء » ؛ أي اذكروا النعمة التي هي الجعل المذكور ؛ فهي بدل كل من كل . والجمهور يحلوها في الأول ظرفا لمفعول محذوف ، أي واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم قليلا .
وفي الثاني ظرفا لمضاف إلى مفعول محذوف ؛ أي واذكروا قصة مريم . ويؤيد ذلك التصريح به في ^(٦) : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء » .

وذكر الزحمر أنها تكون مبتدأ ، وأخرج عليه قراءة بعضهم ^(٧) :
« لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا » ؛ قال التقدير « منه »
إذ بعث ؛ فإذا محل رفع كإذا في قولك : أخطب ما يكون الأمير إذا كان قائما ،
أي لقد من الله على المؤمنين وقت بعثه .

قال ابن هشام ^(٨) : ولا علم بذلك قائلا . وذكر كثير أنها تخرج عن المضي
إلى الاستقبال ، نحو ^(٩) : « يومئذ نحدث أخبارها » . والجمهور أنكروا ذلك
وجعلوا الآية من باب ^(١٠) : « ونفيخ في الصور » — يعني مع تنزيل المستقبل
الواجب الوقوع منزلة الماضي الواقع . واحتج المجتهدون — ومنهم ابن مالك —

(١) الأقال : ٢٦ (٢) أي المفعول ، كما في المتن (١ - ٧٢)

(٣) في المتن : على حد البدل . (٤) البقر : ١١

(٥) المائدة : ٢٠ (٦) آل عمران : ١٠٣ (٧) آل عمران : ١٦

(٨) المتن (١ - ٧٢) (٩) النزل : ٤ (١٠) الكهف : ٩٩

بقوله^(١) : « فسوف يعلمون إذا الأغلال في أعناقهم » . قال : يعلمون مستقبل
لفظاً ومتمم ؛ لدخول حرف التفتيس عليه ، وقد حل في إذ ، فيلزم أن تكون
بمنزلة إذا .

وذكر بعضهم أنها تأتي للحال نحو^(٢) : « ولا تعملون من عمل إلا كنا
عليكم شهوداً ، إذ تُفيضون فيه » .

فائدة

أخرج ابن أبي حاتم من طريق السدي عن أبي مالك ، قال : كل ما كان
في القرآن « إن » — بكسر الألف — فلم يكن ؛ وما كان إذ فقد كان .

الوجه الثاني [٩٣] أن تكون للتعليل ، نحو^(٣) : « ولن ينفعكم اليوم
إذ ظلمتم أنفسكم في العذاب مشتركون » ؛ أي ولن ينفعكم اليوم اشتراككم
في العذاب لأجل ظلمكم في الدنيا .

وهل هي حرف بمنزلة لام العلة ، أو ظرف بمعنى وقت ، والتعليل مستفاد
من قوة الكلام لا من اللفظ ؟ قولان ، المنسوب إلى سيوريه الأول ، وعلى الثاني
في الآية إشكال ؛ لأن إذ لا تبدل من اليوم لاختلاف الزمانين ، ولا تكون
ظرفاً لينفع ؛ لأنه لا يعمل في ظرفين ، ولا « مشتركون » ؛ لأن معمول خبر أن
وأخوانها لا يتقدم عليها ، ولأن معمول العلة لا يتقدم على الموصول ،
ولأن اشتراكهم في الآخرة لا في زمن ظلمهم .

(٢) يونس : ٩١

(١) غافر : ٧٠ ، ٧١

(٣) الزخرف : ٣٩

وَمَا أُحِلُّ عَلَى الْعَالِيلِ^(١) : « وَإِذَا لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ .
 »^(٢) وَإِذَا اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَتَّبِعُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوُّوا إِلَى الْكَهْفِ . وَأَنْكَرَ
 الْجُمْهُورُ هَذَا الْقِسْمَ ، وَقَالُوا : التَّقديرُ : بعدَ إِذَا ظَلَمْتُمْ .

وَقَالَ ابْنُ جَنَى^(٣) : رَاجَعْتُ أَبَا عَلِيٍّ مِرَاراً فِي قَوْلِهِ : « وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ
 الْيَوْمَ ... » الْآيَةَ . مُشْتَكِلاً بِإِدْخَالِ إِذَا مِنْ الْيَوْمِ . فَأَخِرُ مَا تَحْصُلُ مِنْهُ أَنَّ الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةَ مُتَصَلَتَانِ ، وَأَنْهِيَ فِي حُكْمِ اللَّهِ سَوَاءٌ ؛ فَكَانَ الْيَوْمُ مَاضٍ .

الوجه الثالث . . التوكيد ، بأنَّ تَحْمَلَ عَلَى الزِّيَادَةِ ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ ، وَتَبِعَهُ
 ابْنُ قُتَيْبَةَ ، وَحَمَلَا عَلَيْهِ آيَاتٍ مِنْهَا^(٤) : « إِذَا قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ » .

الرابع : التَّحْقِيقُ كَقَدَ ، وَحَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ الْمَذْكُورَةُ ، وَجُمِلَ مِنْهُ السَّهْلِيُّ
 قَوْلُهُ^(٥) : « بَعْدَ إِذَا أَنْتُمْ مُسَلِّمُونَ » . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ^(٦) : وَلَيْسَ الْقَوْلَانِ بِشَيْءٍ .

مَسْأَلَةٌ

تَلْزِمُ إِذَا الْإِضَافَةَ إِلَى جُمْلَةٍ بِمَا اسْمِيَّةٌ ، نَحْوُ^(٧) : « وَإِذَا كَرُّوا إِذَا أَنْتُمْ قَلِيلٌ » .
 أَوْ فُصِّلَتْ فَعَلَهَا مَاضٍ لِقَطْعٍ أَوْ مَعَى^(٨) ، نَحْوُ : « وَإِذَا قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ » .
 «^(٩) وَإِذَا ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ » . أَوْ مَعْنَى لَا لِقَطْعاً^(١٠) ؛ نَحْوُ : « وَإِذَا تَقُولُ
 لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ » .

وَقَدْ اجْتَمَعَتِ الثَّلَاثَةُ فِي قَوْلِهِ^(١١) : « إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذَا أَخْرَجَهُ
 الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي النَّارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ » .

- | | | |
|-----------------------|------------------------|------------------------------|
| (١) الْأَحْقَافُ : ١١ | (٢) الْكَهْفُ : ١٦ | (٣) النَّحْلِ : (١ - ٢٥) |
| (٤) الْبَقَرَةُ : ٣٠ | (٥) آلُ عِمْرَانَ : ٨٠ | (٦) النَّحْلِ : (١ - ٧٦) . |
| (٧) الْأَنْعَالُ : ٢٦ | (٨) الْبَقَرَةُ : ١٢٤ | (٩) الْأَنْعَالُ : ٣٧ |
| (١٠) التَّوْبَةُ : ٤٠ | | |

وقد تحذف^(١) الجملة للعلم بها ويعوض عنها التنوين . وتكسر الذال لالتقاء الساكنين ، نحو^(٢) : « يومئذ يفرح المؤمنون » . « وأنتم حينئذ تنظرون » . وزعم الأخفش أن « إذ » في ذلك معربة ، لزوال افتقارها إلى الجملة ، وأن الكسرة إعراب ، لأن اليوم والحين مضاف إليها .
ورُدَّ بأن بناءها لوضعها على حرفين ، وبأن الافتسار بلى في اللحن ، كالوصول تحذف صك .

(إذا) على وجهين :

أحدهما : أن تكون للمفاجأة ، فتختص بالجلل الاسمية ، ولا تحتاج إلى جواب ، ولا تقع في الابتداء ، ومعناها الحال لا المستقبل ؛ نحو^(٣) : « فألقاها فإذا هي حية نسى » . « فلما أنجاهم إذا هم يبغون » . « وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا هم مكررون في آياتنا » .

قل ابن الحاجب : ومعنى المفاجأة حضور الشيء معك في وصف من أوصافك القلبية ، تقول : خرجت فإذا الأسد في الباب ؛ ومعناه حضور الأسد معك في زمن وصفك بالخروج ، أو في مكان خروجك ؛ وحضوره معك في مكان خروجك الصق بك من حضوره في زمن خروجك ؛ لأن المكان ينحصر في ذلك الزمان ، وكلما كان الصق كانت المفاجأة فيه أقوى .

واختلف في إذا هذه ؛ قيل إنها حرف ، وعليه الأخفش ، ورجحه ابن مالك . وقيل ظرف مكان ، وعليه البرد ؛ ورجحه ابن عصفور . وقيل ظرف زمان ،

(١) المنى (١ - ٧٧) (٢) الروم : ٤ (٣) الواقعة : ٨٤

(٤) طه : ٢٠ (٥) يونس : ٢٣ (٦) يونس : ٢١

وعليه الزجاج . ورجحه الزنجشري ؛ وزعم أن عاملها فعل مقدّر مشتقّ من لفظ المفاجأة . قال : التقدير : ثم إذا دعاكم ... فاجأتم الخروج في ذلك الوقت .

قال ابن هشام^(١) : ولا يعرف ذلك لغيره ؛ وإنما [يعرف]^(٢) ناصبها عندم الخبر المذكور أو المقدّر . قال : ولم يقع الخبر معها في التنزيل إلا مصرّحاً به .

الثاني : أن تكون تثير المفاجأة ، والغالب أن تكون ظرفاً للمستقبل تضمنت معنى الشرط . وتختصّ بالدخول على الجمل الفعلية ، وتحتاج لجواب ، وتقع في الابتداء ، عكس التعجائية ؛ والتعلّ بعدها إما ظاهر ؛ نحو^(٣) : « إذا جاء نصر الله » . وإما متدّر ؛ نحو^(٤) : « إذا السماء انشقت » . وجوابها إما فعل ؛ نحو^(٥) : « فإذا جاء أمر الله قضى بالحق » . أو جملة اسمية مقرونة بالفاء ؛ نحو^(٦) : « فإذا نُفِخَ في الصور فلا أنساب بينهم » . أو ضمية طلبية كذلك ؛ نحو^(٧) : « فسبح بحمد ربك » . أو اسمية مقرونة بإذا المفاجأة ؛ نحو^(٨) : « إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون » . «^(٩) فإذا أصاب به من شاء من عباده إذا هم يستنبشرون » .

وقد يكون مقدّراً لدلالة ما قبله عليه ، أو لدلالة المقام ، كما تقدم في أنواع الحذف .

(١) النفي : ١ - ٧٨ (٢) ليس في النفي . (٣) النصر : ١

(٤) الانشقاق : ١ (٥) غفر : ٧٨ (٦) المدثر : ٨

(٧) المؤمن : ١٠٢ (٨) جواب : إذا جاء نصر الله ...

(٩) الروم : ٢٥ (١٠) الروم : ٤٨

وقد تخرج إذا عن الظرفية ؛ قال الأخفش — في قوله تعالى^(١) : « حتى إذا جاءوها » : إن إذا جَوَّ بحتى . وقال ابن جنى في قوله^(٢) : « إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة . خافضة رافعة » — فيمن نصب خافضة رافعة : إن إذا الأولى مبتدأ والثانية^(٣) خبر . والتصويبان حالان . وكذا جملة ليس ومعمولاها . والمعنى وقت وقوع الواقعة خافضة لتوم رافعة لآخرين ، وهو وقت رج الأرض .

والجمهور أنكروا خروجها عن الظرفية ، وقالوا — في الآية الأولى : إن حتى حرف ابتداء دخل على الجملة بأمرها ، ولا عمل له . وفي الثانية إن إذا الثانية ، بدل من الأولى والأولى ظرف ، وجوابها محذوف لفهم المعنى ؛ وحسنه طول الكلام . وتقديره بعد إذا الثانية ؛ أى انقسمت انقساماً ، وكنتم أزواجاً ثلاثة .

وقد تخرج عن الاستقبال فتد للحال ؛ نحو^(٤) : « والليل إذا يغشى » . فإن الغشيان مقارن لليل . «^(٥) والنهار إذا تجلّى » . «^(٦) والنجم إذا هوى » . والماضى ؛ نحو^(٧) : « وإذا رأوا تجارة أو لهواً ... » الآية . فإن الآية نزلت بعد الرؤية والانفراض . وكذا قوله تعالى^(٨) : « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحذيتهم » . «^(٩) حتى إذا بلغ مطلع الشمس » . «^(١٠) حتى إذا ساوى بين الصدفين » .

وقد تخرج عن الشرطية ، نحو^(١١) : « وإذا ما غضبوا هم يغفرون » .

(١) انظر : ٧٣ (٢) الواقعة : ١

(٣) في قوله تعالى : إذا رجعت الأرض — بعدما (آية ٤) من السورة فيها .

(٤) ليل : ١ (٥) النجم : ١ (٦) الحمة : ١١

(٧) اتوبة : ١٢ (٨) الكهف : ٩٠ (٩) الكهف : ٩١

(١٠) الشورى : ٣٧

«^(١) والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون » . فإذا في الآيتين ظرف للمبتدأ بعدها . ولو كانت شرطية والجملة الاسمية جواب قومت بالثناء .

وقول بعضهم : إنه على تقديرها مردودٌ بأنها لا تحذف إلا ضرورة . وقول آخر : إن الضمير توكيد لا مبتدأ ، وإن ما بعده الجواب — تصف .

وقول آخر إن جوابها محذوف مدلولٌ عليه بالجملة بعدها تكلفٌ من غير ضرورة .

تفسيحات

الأول - المحققون على أن ناصب « إذا » شرطية^(٢) ، والأكثرون أنه ما في جوابها من فعلٍ أو شبهه :

الثاني - قد تستعمل إذا للاستمرار في الأحوال الماضية والحاضرة والمستقبلية ، كما يستعمل الفعل المضارع لذلك . ومنه^(٣) : « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون » ؛ أي هذا شأنهم أبدا . وكذا قوله^(٤) : « وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى » .

الثالث - ذكر ابن هشام في المنى إذا ولم يذكر إذا ما ، وقد ذكرها الشيخ بهاء الدين السبكي في عروس الأفراح في أدوات الشرط ، قائما إذا ما فلم تقع في القرآن . ومنحجب سيويه أنها حرف . وقال المبرد وغيره : إنها باقية على الظرفية

(٢) و ص : شرطية لها . (٣) البقرة : ١٤

(١) النورى : ٢٩

(٤) النساء : ١٤١

وأما « إذا ما » فوقعت في القرآن في قوله ^(١) : « وإذا ما غَضِبُوا هم يُغْفِرُونَ » .
^(٢) « إذا ما أتوك لتحملهم » . ولم أجد من تعرض لكونها باقية على الظرفية
أو محمولة إلى الحرفية . ويحتمل أن يجرى فيها القولان في إذا ما . ويحتمل أن يجزم
ببقيتها على الظرفية ؛ لأنها أبعد عن التركيب بخلاف « إذا ما » .

الرابع - تختص « إذا » بدخولها على المتيقن ، والمظنون ، والكثير الوقوع ،
بخلاف إن فإنها تستعمل في الشكوك والوهوم والنادر ؛ ولهذا قال تعالى ^(٣) :
« إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم » . ثم قال : « وإن كنتم جنباً
فاطهروا » . فأتى بإذا في الوضوء لتكرره وكثرة أسبابه ، وإبان في الجنابة لقلة
وقوعها بالنسبة إلى الحدث .

وقال تعالى ^(٤) : « فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة
يطغروا » . ^(٥) « وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت
أيديهم إذا هم يقطون » ؛ أتى في جانب الحسنة بإذا لأن نعم الله على العباد كثيرة
ومقطوع بها ، وإبان في جانب السيئة لأنها نادرة الوقوع ومشكوك فيها .

نعم أشكل على هذه المعاملة آيتان الأولى ^(٦) : « ولئن ميت » . ^(٧) « أفلن
ميت » ، مع أن الموت محقق الوقوع ؛ والأخرى قوله ^(٨) : « وإذا مس الناس
ضرر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة » ؛ فأتى بإذا في الطرفين .
فأجاب الزمخشري عن الأولى بأن الموت لما كان مجهول الوقت أجرى
بمجرى غير المجزوم .

وأجاب السكاكي عن الثانية بأنه قصد التوبيخ والتفريع ؛ فأتى بإذا ليكون

(١) عبوري : ٣٧	(٢) الذوبة : ٩٢	(٣) المائدة : ٦
(٤) الأعراف : ١٣٦	(٥) الروم : ٣٦	(٦) آل عمران : ١٥٨
(٧) الأنبياء : ٣٤	(٨) الروم : ٣٣	

تخويفاً لهم ، وإخباراً بأنهم لا بد أن يمسه من العذاب ، واستفيد التقليل من لفظ السن ، وتنكير ضرر .

أما قوله ^(١) : « وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض . ونأى بجانبه وإذا مته الشتر فذود دعاء عريض » . فأجيب عنه بأن الضير في مته للمرض التكبر لا لطلق الإنسان . ويكون لفظ « إذا » للتنبيه على أن مثل هذا المرض يكون ابتلاؤه بالشر مقطوعاً .

وقال الحوفي : الذي أظنه أن « إذا » يجوز دخولها على المتيقن والشكوك ؛ لأنها ظرف وشرط ؛ فبالنظر إلى الشرط تدخل على المشكوك ، وبالنظر إلى الظرف تدخل على المتيقن ، كسائر الظروف .

الخامس - خالفت « إذا » « إن » في إفادة العموم . قال ابن عصفور : فإذا قلت إذا قام زيد قام عمرو أفادت أنه كلما قام زيد قام عمرو ؛ وهذا هو الصحيح .

وفي أن الشروط بها إذا كان عد ما يقع الجزاء في الحال . وفي « إن » لا يقع الجزاء حتى يتحقق اليأس من وجوده .

وفي أن جزاءها متعقب لشرطها على الاتصال ، ولا يتقدم ولا يتأخر ، بخلاف إن ؛ وفي أن مدخولها لا تجزئه لأنها لا تتمحض شرطاً .

خاتمة

قيل : قد تأتي « إذا » زائدة ، وخرج عليه ^(٢) : « إذا السماء انشقت » ؛ أي انشقت السماء .

(إذن) قال سيبويه : معانها الحواب والجزاء ، فقال الشلّوين :

في كل موضع . وقال القارسي في الأكثر . والأكثر أن تكون جواباً لإن
أولو ؛ ظاهرين أو مقدرتين . قال القراء : حيث جاءت بعدها اللام قبلها
« لو » مقدره إن لم تكن ظاهرة ، نحو^(١) : « إذا لذهب كل شيء
بما خلق » .

وهي حرف ينصب المضارع بشرط تصديرها واستقباله واتصالها أو انفصالها
بالقسم أو بلا النافية .

قال النحلة : وإذا وقعت بعد الواو والقاء جاز فيها الوجهان ؛ نحو^(٢) :
« وإذا لا يلبثون خلافاً إلا قليلاً » . « فإذا لا يؤثنون الناس نقيراً » .
وقرىء شاذاً بالنصب فيها .

وقال ابن هشام^(٣) : التحقيق أنه إن تقدمها شرط وجزاء وعطف فإن قدرت
المطف على الجزاء جزمتم وبطل عمل إذن أو قوعها حشواً ، أو على الجملتين جميعاً
جاز الرفع والنصب ؛ وكذا إذا تقدمها مبتدأ خبره قبل مرفوع إن عطف
على التعلية رفعت أو على الاسمية فالوجهان .

وقال غيره : إذن نوعان :

الأول -- أن تدل على السببية والشرط ، بحيث لا يفهم الارتباط من غيرها ،
نحو : أزورك ؛ فتقول : إذن أكرمك ؛ وهي في هذا الوجه عاملة تدخل على الجمل
التعلية فت نصب المضارع المستقبل للتصل إذا صدرت .

والثاني -- أن تكون مؤكدة لجواب ارتبط بتقديم ، أو منبهة على سبب حصل

(١) الفناء : ٥٢

(٢) الإسراء : ٧٦

(٣) المؤمنون : ٩١

(٤) المتن (١ - ٢٠) .

في الحال ؛ وهي حينئذ غير عاملة ؛ لأن المؤكيدات لا يعتمد عليها ، والعامل يعتمد عليها . نحو : **إِنْ تَأْتِي إِذَا أَتَيْتُكَ .** ووالله إذن لأفعلن . ألا ترى أنها لو سقطت لثم الارتباط . وتدخل على الاسمية فتقول : **إِذَنْ أَنَا أَكْرَمُكَ .** ويجوز توسطها وتأخيرها . ومن هنا قوله تعالى ^(١) : **« وَلَنْ أَتَّبِعْتَهُمْ أَهْلَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنْكَ إِذَا »** . فهي مؤكدة للجواب مرتبطة بما تقدم .

تنبيهان

الأول - تمت شيخنا العلامة الكافي ي قول في قوله تعالى ^(٢) : **« وَلَنْ أَتَّبِعْتَهُمْ أَهْلَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنْكَ إِذَا »** . ليست إذا هذه الكلمة المبهودة ؛ وإنما هي إذا الشرطية . فجملة التي تضاف إليها ، وعوض عنها التنوين ، كما في يومئذ . وكنت استحسن هذا جداً ، وأظن أن الشيخ لا سلف له في ذلك . ثم رأيت الزركشي قال في الرمان ^(٣) - بعد ذكره لإذن العنين السابقين : وذكر لها بعض المتأخرين معنى ثالثاً ، وهو أن تكون مركبة من « إذا » التي هي ظرف زمان ماض ، ومن جملة بعدها تحتية أو تقديرية ، لكن حذف الجملة تحقيراً ، وأبدل منها التنوين ، كما في قولهم : حينئذ . وليست هذه الناصبة للمضارع ؛ لأن تلك تختص به ، ولذا ^(٤) عملت فيه ، ولا يصل إلانها يختص ، وهذه لا تختص [به] ، بل تدخل على الماضي ؛ كقوله ^(٥) : **« وَإِذَا لَاتِيَنَّاكُمْ »** . ^(٦) **« إِذَا لَأْمَسْتُمْ خِيبَةَ الْإِنْفَاقِ »** . ^(٧) **« إِذَا لَأَذَقْنَاكَ »** . وعلى الاسم ، نحو ^(٨) : **« وَإِسْمُ إِذَا لِنِ الْمُتَرَبِّينِ »** .

(١) البقرة : ١٤٥ .

(٢) البقرة : ١٤٥ .

(٣) البقرة : ١٤٥ .

(٤) البقرة : ١٤٥ .

(٥) البقرة : ١٤٥ .

(٦) البقرة : ١٤٥ .

(٧) البقرة : ١٤٥ .

(٨) البقرة : ١٤٥ .

قال : وهذا المعنى لم يذكره النحاة ، ولكن قياسي ما قالوه في إذ .

وفي التذكرة لأبي حيان : ذكر لي علم الدين القسبي^(١) أن القاضي تقي الدين ابن رزين كان يذهب إلى أن إذن عوض من الجملة المحذوفة ، وليس هذا قول نحوي .

وقال الحوفي^(٢) : وأنا أظن أنه يجوز أن تقول لمن قال : أنا آتيك : « إذا » أكرمك - بل رفع - على معنى إذا أتيتني أكرمك ، فحذفت أتيتني وعوضت التنوين عن الجملة فتطت الألف لالتقاء الساكنين .

قل : ولا يقدح في ذلك اتفاق النحاة على أن الفعل في مثل هذا المثال منصوب بإذن ، لأنهم يريدون بذلك ما إذا كانت حرفاً ناصباً له ، ولا ينفي ذلك رفع الفعل بعدها إذا أريد بها إذا الزمانية معوضاً من جعلها التنوين ، كما أن منهم من يحزم ما بعد « من » إذا جعلها شرطية ، ويرفعه إذا أريد بها الموصولة .

فهؤلاء قد حاموا حول ما حام الشيخ إلا أنه ليس أحد منهم من المشهورين بالنحو ، ومن يعتمد قوله فيه . نعم ذهب بعض النحاة إلى أن أصل إذا الناصبة اسم ، والتقدير في إذن أكرمك - إذا جئتني أكرمك ، فحذفت الجملة وعوض عنها التنوين وأضمرت إن . وذهب آخرون إلى أنها أحرف مركبة من إذ وإن ، حكى^(٣) القولين ابن هشام في المعنى .

(١) في البرهان : المعنى .

(٢) في البرهان : وقال ابن الجويني .

(٣) المعنى : ١ - ١٨

الشيء الثاني — الجمهور على أن إذا يوقف عليها بالألف المبنة من النون .
وعليه إجماع القراء ، وجوز قوم منهم المبرد والملازمي في غير القرآن الوقوف عليها
بالنون كإن وأن . وينبني على اختلاف في الوقف عليها كتابتها ؛ فلي الأول تكتب
بالألف كما رسمت في المصاحف . وعلى الثاني بالنون .

وأقول : الإجماع في القرآن على الوقوف عليها ، وكتابتها بالألف — دليل
على أنها اسم متون لا حرف آخره نون ، خصوصا أنها لم تقع فيه فاعية
المضارع ؛ فالمصواب إتيان هذا المعنى لها كما جنع إليه الشيخ ومن سبق
النقل عنه .

(أف) قد فخصا أنها كلمة تستعمل عند الضجر .

وقد حكى أبو البقاء^(١) في قوله تعالى^(٢) : « فلا تقل لها أف » — قولين
أحدهما أنه اسم لفعل الأمر ، أي كُفّا وآثُرُ كَا . والثاني أنه اسم لفعل ماض ؛
أي كرهت وتضجرت .

وحكى غيره ثالثا : أنه اسم لفعل مضارع ؛ أي أتضجر منكما .

وأما قوله في سورة الأنبياء^(٣) : « أف لَكُمْ » . فأحاله أبو البقاء على ما سبق
في الإسراء ، ومتقضاه تساويهما في المعنى .

وفسّر صاحب الصحاح^(٤) أف بمعنى قذر . وقال في الارتشاف : أتضجر .

(٢) الإسراء . ١٣

(١) املاء ١ من به الرحمن : ٢ - ١٤

(٤) الصحاح : ٢ - ١٣٢١

(٣) آية ٦٧

وفي البسيط معناه التضعير . وقيل الضجر . وقيل تضجرت . ثم حكى فيها تسماً
وثلاثين لغة .

قلت : قرىء منها في السبع أفً بالكسر - بلا تنوين . وأفً - بالكسر
والتنوين . وأفً - بالفتح بلا تنوين . وفي الكذا أفً - بالضم منوناً . وأفً -
بالتخفيف .

أخرج ابنُ أبي حاتم عن مجاهد في قوله : فلا تَقُلْ لهما أف . قال : لا تنذرهما .
وأخرج عن أبي مالك قال : هو الردىء من الكلام .

(ال) على ثلاثة أوجه :

أحدها - أن تكون اسماً موصولاً بمعنى الذي وفروعه ، وهي الداخلة
على أسماء الفاعلين والمفعولين ، نحو ^(١) : « إن المسلمين والمسلمات ... » إلى آخر
الآية . ^(٢) « التائبون العابدون ... » الآية . وقيل هي حينئذ حرف تعريف .
وقيل موصول حرفي .

الثاني - أن تكون حرف تعريف ؛ وهي نوعان : عهدية وجنسية ؛
وكلٌّ منهما ثلاثة أقسام ؛ فالعهدية إما أن يكون مصحوباً معهوداً ذكرياً ؛
نحو ^(٣) : « كما أرسلنا إلى فرعون رسولا . فعصى فرعون الرسل - سول » .
^(٤) « فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري » .
وضابط هذه أن يبدأ الضمير مسدداً مع مصحوبها . أو معهوداً ذمياً ، نحو ^(٥) :
« اذهبا في النار » . ^(٦) « إذ يبأيعونك تحت الشجرة » . أو معهوداً

(١) الأحزاب : ٣٥ (٢) التوبة : ١٢ (٣) الزمل : ١٥ ، ١٦
(٤) النور : ٣٥ (٥) التوبة : ١٠ (٦) الفتح : ١٨

حضورياً ؛ نحو^(١) : « الْيَوْمَ أَكَّدْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ » . « الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ
الطَّيِّبَاتُ » .

قال ابن عصفور : وكذا كل واقعة جدد اسم الإشارة ، أو أى فى النداء ،
أو إذا القعائية ، أو فى اسم الزمان الحاضر ، نحو : الآن .

والجنسية إما لاستفراق الأفراد ؛ وهى التى تخلفها « كل » حقيقة ، نحو^(٢) :
« وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا » . «^(٣) عَالَمُ الْقَيْبِ وَالشَّهَادَةِ » . ومن دلائلها صحة
الاستثناء من مدخولها ، نحو^(٤) : « إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَاسِرٌ » ، إلا الذين آمنوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » . ووصفه بالجمع ؛ نحو^(٥) : « أَوِ الطُّغْيَانِ الَّذِينَ تَلْمِزُهُمْ النَّبِيُّ » .
وإما لاستفراق خصائص الأفراد ، وهى التى تخلفها « كل » مجازاً ؛ نحو :
« ذَلِكَ الْكِتَابُ » ؛ أى الكتاب السكامل فى الهداية ، الجامع لصفات جميع
الكتب المنزلة وخصائصها . وإما لتعريف الماهية والحقيقة والجنس ، وهى التى
لا تخلفها « كل » لا حقيقة ولا مجازاً ؛ نحو^(٦) : « وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ
حَيًّا » . «^(٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبِيَّةَ » .

قيل : والفرق بين العرف بأل هذه وبين اسم الجنس الفكرة هو الفرق
بين التقييد والمطلق ؛ لأن الحرف بها يدل على الحقيقة لا باعتبار قيد .

الثالث - أن تكون زائفة ، وهى نوعان : لازمة كالتى فى الوصولات
على القول بأن تعريفها بالصلوات ، وكالتى فى الأعلام المقارنة لتقلها ؛ كالثلاث

(١) القائمة : ٤	(٢) القائمة : ٥	(٣) النساء : ٢٨
(٤) الأنعام : ٧٣	(٥) الصر : ٢ ، ٣	(٦) النور : ٣١
(٧) البقرة : ٢	(٨) الأنبياء : ٣٠	

والعزى . أو لقلبها كالكبة ، والمدينة لطيفة ، والنجم للثريا .
وهذه فى الأصل العهد .

أخرج ابن أبى حاتم عن مجاهد فى قوله ^(١) : والنجم إذا هوى - قال : الثريا .
وغير لازمة فى الحال ، وأخرج عليه قراءة بعضهم ^(٢) : « ليخرجن الأعز منها
الأذل » - بفتح الياء ؛ أى ذليلاً ؛ لأن الحال واجبة التنكير ؛ إلا أن ذلك
غير فصيح ؛ فالأحسن ^(٣) تخريجهم على حذف مضاف ؛ أى خروج الأذل ، كما قدره
الزمخشري .

مسألة

اختلاف فى « آل » فى اسم الله ؛ فقال سيبويه : هى عوض من الهمزة المحذوفة
بناء على أن أصله إله ، دخلت آل فنقلت حركة الهمزة إلى اللام ، ثم أدغمت .

قال القاسمى : ويدل على ذلك قطع همزها وإزومها .

وقال آخرون : هى مزيدة للتعريف تفخياً وتعظيماً ، وأصله إله أو ولده .

وقال قوم : هى زائدة لازمة لا للتعريف .

وقال بعضهم : أصله هاء الكناية ، زيدت فيه لام الملك ، فصار له .
ثم زيدت آل تعظيماً ، وفخماً وتوكيداً .

وقال الخليل ، وخلائق : هى من بنية الكلمة ، وهى أصل علم لا اشتقاق له
ولا أصل .

(١) النجم : ١ (٢) المناقلون : ٨

(٣) فب : للإحسان . وهجاء المثنى . فإن قدرت الألف مفعولاً مطلقاً على حذف مضاف ،
أى خروج الأذل ، كما قدره الزمخشري لم يمنع للم دعوى زيادة آل .

خاتمة

أجاز الكوفيون وبعض البصريين وكثير من المتأخرين نيابة « ال » عن الضمير المضاف ، وخرجوا على ذلك ^(١) : « فإن الجنة هي المأوى » [٩٥ ب] . والماسعون يتقدمون له . وأجاز الزمخشري نيابتها عن الظاهر أيضا . وخرج عليه ^(٢) : « وعلم آدم الأسماء كلها » . قال : وأصل الأسماء المسميات .

(ألا) — بالفتح والتخفيف — وردت في القرآن على أوجه :

أحدها : التثنية ، فتدل على تحقيق ما بعدها . قال الزمخشري : ولذلك قل وقوع الجمل بعدها إلا مصدرية بنحو ما يُتلقى به اسم القسم ، وتدخل على الاسمية والفعلية ، نحو ^(٣) : « ألا إنهم هم السفهاء » . ^(٤) « ألا يوم تأتيهم لينس مضروفا عنهم » . قال في المنى ^(٥) : ويقول العربون فيها : حرف استفتاح فيبينون مكانها ويملون معناها . وإفادتها التحقيق من جهة تركبها مع الهمزة ، ولا ، وهمزة الاستفهام إذا دخلت على النفي أفادت التحقيق ، نحو ^(٦) : « أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى » .

الثاني والثالث : التخصيص والعرض ، ومعناها طلب الشيء ، لكن الأول طلب بحث ، والثاني طلب بلين ، وتختص فيهما بالفعلية ، نحو ^(٧) : « ألا تقاتلون »

(١) التازعات : ٢٩ (٢) البقرة : ٢٣ (٣) البقرة : ٣

(٤) هود : ٨ (٥) جزء أول ، صفحة ٦٤

(٦) القيامة : ٤٠ (٧) التوبة : ١٢

« نَكُونُوا أَيْمَانَهُمْ » . « قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ » . « أَلَا نَأْتِيكُمْ بِآيَاتٍ » .
« أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ » .

(الآ -) بالفتح والتشديد : حرف تخفيض ، لم يقع في القرآن هذا المعنى فيما أعلم ، إلا أنه يجوز عندى أن يخرج عليه^(١) : « أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ » ، وأما قوله^(٢) : « أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى » ، فليست هذه ؛ بل هي كلمتان : « أن » الناصبة ، و « لا » النافية ، أو « أن » المفسرة و « لا » النافية .

(إلا) - بالكسر والتشديد على أوجه :

أحدها - الاستثناء ، متصلاً ؛ نحو^(٣) : « قَسِرْبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ » .
« مَا فَعَلُوا إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ » . أو منقطعاً ، نحو^(٤) : « قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا » . « وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ » .

الثاني - بمعنى « غير » ، فيوصف بها وبآليها جمع منكر أو شبهه ، ويرب الاسم الواقع بعدها بـ « غير » ، نحو^(٥) : « لَوْ كَانَ فِيهَا آلَهِ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا » . فلا يجوز أن تكون هذه الآية للاستثناء ؛ لأن « آلَهِ » جمع منكر في الإثبات ، فلا عموم له ، فلا يصح الاستثناء منه ، ولأنه يصير معنى حينئذ : لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا . وهو باطل باعتبار مفهومه .

الثالث - أن تكون عاطفة بمنزلة الواو في التشريك ، ذكره الأخفش

(١) الشعراء : ١١	(٢) الصافات : ٩١	(٣) النور : ٢٢
(٤) النمل : ٢٥	(٥) النمل : ٣١	(٦) البقرة : ٢٤٩
(٧) النساء : ٦٦	(٨) المرقان : ٥٧	(٩) النمل : ١٩

والقراء وأبو عبيدة ، وخرجوا عليه ^(١) : « لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم ، لا تخشونهم » . ^(٢) لا يخف لدى المرسكون إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوءه ، أي ولا الذين ظلموا ولا من ظلم . وتأولها الجمهور على الاستثناء النقطع .

الرابع - بمعنى بل ، ذكره بعضهم وخرج عليه ^(٣) : « ما أنزلنا عليك القرآن ليتشتى . إلا تذكرة لمن يخشى » ؛ أي بل تذكرة .

الخامس - بمعنى « بدن » ، ذكره ابن الصانع ، وخرج عليه : آلهة إلا الله ، أي بدل الله أو عوضه ، وبه يخرج عن الإشكال المذكور في الاستثناء وفي الوصف بإلا من جهة المفهوم .

وغلط ابن مالك فقد من أقامها ؛ نحو ^(٤) : « إلا تنصروه فقد نصره الله » ؛ وليست منها ، بل هي كلمتان : إن الشرطية ، ولا النافية .

فائدة

قال الرماني في تفسيره : معنى « إلا » اللزوم لها الاختصاص بالشيء دون غيره ، فإذا قلت : جاءني القوم إلا زيدا فقد اختصت زيدا بأنه لم يجرى . وإذا قلت : جاءني إلا زيد فقد اختصته بالجرى ، وإذا قلت : ما جاءني زيد إلا راكبا فقد اختصته بهذه الحال دون غيرها من المشي والعدو ومحوه .

(الآن) اسم للزمان الحاضر ، وقد تستعمل في غيره مجازا . رقا قوم ^(٥) :

(١) طه : ١

(٢) النمل : ١٠

(٣) البقرة : ١٠٥

(٤) النمل : ١٠

(٥)

هي حدة الزمانين ، أى ظرف للماضى ، وظرف للمستقبل . وقد يُتجاوز بها عما قرب من أحدهما .

وقال ابن مالك : لو فت حضر جميعه ، كوقت فعل الإنشاء حال النطق به ، أو بعضه ، نحو^(١) : « الآن خفف الله عنكم وعليم أن فيكم ضعفا » .
«^(٢) فن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا » . قال : وظرفيته غالبه لازمة .

واختلف في (ال) التى فيه ، فقيل للتعريف المحضورى ، وقيل زائدة لازمة .

(إلى) حرف جرّ ، وله معنيان^(٣) :

أشهرها انتهاء الغاية زمانا ، نحو^(٤) : « أنتموا الصيام إلى الليل » . أو مكانا نحو^(٥) : « إلى المسجد الأقصى » . أو غيرها ، نحو : « والأمر إليك » . ولم يذكر لها إلا كثرون غير هذا المعنى .

وزاد ابن مالك وغيره تبعا للكوفيين معانى آخر ، منها المية كعم ، وذلك إذا [٩٦] ضمت شيئا إلى آخر فى الحكم به أو عليه أو التعلق ، نحو^(٦) : « من أنصارى إلى الله » . «^(٧) وأيديكم إلى المرافق » . «^(٨) ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم » .

قال الرضى : والتحقيق أنها للانتهاء ؛ أى مضافة إلى المرافق وإلى أموالكم .

وقال غيره : ما ورد من ذلك يؤول على تضمين السام وإبقاء « إلى »

(١) الأنفال : ١	(٢) الجن : ٩	(٣) فى الإطقان : ماض .
(٤) البقرة : ١٨٧	(٥) الاسراء : ١	(٦) آل عمران : ٢
(٧) المائدة : ٦	(٨) النساء : ٢	

على أصلها . والمعنى في الآية الأولى من 'يُضِيفُ نصرته إلى نصرته الله ؟ أو من يتصرفني حال كوني ذاهباً إلى الله ؟

ومنها الظرفية كقني ، نحو^(١) : « لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » ؛ أى فيه . وقوله^(٢) : « إِلَى أَنْ تَزَكَّى » ؛ أى في أن .

ومنها مرادة اللام ، وجعل منه^(٣) : « وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ » ؛ أى لك . وتقدم أنه من الانتهاء .

ومنها التبيين ؛ قال ابن مالك : وهي المبيّنة لقاعلية مجرورها بعد ما يُفيد حباً أو بُغضاً ؛ من فل تعجب ، أو اسم تفضيل ؛ نحو^(٤) : « رَبُّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ » .

ومنها التوكيد - وهي الزائدة نحو^(٥) : « أَفْتَدَةُ مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ » - في قراءة بعضهم بفتح الواو : أى تهوام ؛ قاله الفراء . وقال غيره : هو على تضمين تهوى معنى تميل .

تنبيه

حكى ابنُ عصفور في شرح أبيات الإيضاح عن ابن الأنباري : أن « إلى » تستعمل اسماً ، فيقال^(٦) : انصرفت من إليك ، كما يقال غلوت من عليه . وخرج عليه من القرآن قوله تعالى^(٧) : « وَهَزَى إِلَيْكِ » ؛ وبه يتدفع إشكال

(١) النساء : ٨٧	(٢) التازعات : ١٨	(٣) النمل : ٣٣
(٤) يوسف : ٣٣	(٥) إبراهيم : ٣٧	(٦) البرهان : ٤ - ٢٣٤
(٧) مريم : ٢٥		

أبي حيان فيه بأن القاعدة المشهورة أن الفصل لا يتعدى إلى ضمير متصل بضمه أو بالحرف ، وقد ربح المخل وهو لدلول واحد في غير باب ظن .

(اللهم) المشهور أن مضاهي الله ، حذفت ياء النداء ، وعوض منها الميم الشددة في آخره . وقيل : أصله يا الله أمنا بخير ، فركب تركيباً جديلاً .

وقال أبو رجاء الطاردي : الميم تجمع تسمين^(١) أسماء من أسمائه .

وقال ابن خنفر : قيل إنها الاسم الأعظم ؛ واستدل لذلك بأن الله دال على الذات ، والميم دالة على الصفات التسعة والتسمين ، ولهذا قال الحسن البصري : اللهم تجمع السماء .

وقال الضرير شميل : من قال اللهم فقد دعا الله بجميع أسمائه .

(أم) حرف عطف ، وهي نوعان : متصلة ، وهي قسبان :

الأول : أن يتقدم عليها هزة التسوية ، نحو^(٢) : « سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذروهم » . «^(٣) سواء علينا أجزعنا أم صبرنا » . «^(٤) سواء عليهم استغفرت لهم أم لم نستغفر لهم » .

والثاني : أن يتقدم عليها هزة يطلب بها وبأمر التسمين ؛ نحو^(٥) : « آله كربين حرم أم الاثنين » . وسُميت في التسمين متصلة ؛ لأن ما قبلها وما بعدها لا يُستغنى بأحدهما عن الآخر ، وتسمى أيضاً معاطة ؛ لحلاقتها الهزة في إقامتها التسوية في القسم الأول والاستغناء في الثاني .

ويُفترق القسبان من أربعة أوجه :

(١) و الاطمان : سمي (٢) ظفر : ٦ (٣) إبراهيم : ٢١

أحدها وثانيها أن الواقعة بعد همزة التسوية لا تستحق جواباً ؛ لأن المعنى معها ليس إلى الاستفهام . وأن الكلام معها قابل للتصديق والتكذيب ؛ لأنه خبر ، وليست تلك كذلك ، لأن الاستفهام معها على حقيقته .

والثالث والرابع أن الواقعة بعد همزة التسوية لا تقع إلا بين جملتين ، ولا تكون الجملتان معها إلا في تأويل المفردين ؛ وتكون الجملتان نصيتين واسميتين ومختلفتين ، نحو ^(١) : « سواء عليك أدعوتهم أم أنتم صامتون » .

وأم الأخرى تقع بين المفردين ، وهو الغالب فيها ، نحو ^(٢) : « أنتم أشد خلقاً أم السماء » . وبين الجملتين ليسا في تأويلهما ^(٣) .

النوع الثاني : منقطة ؛ وهي ثلاثة أقسام :

مبسوقة بالخبر الخفض ، نحو ^(٤) : « تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين » . أم يقولون افتراء » .

ومبسوقة بالهمزة لغير الاستفهام ، نحو ^(٥) : « اللهم أرجو يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها » ؛ إذ الهمزة في ذلك للإسكار ، وهي تميزة النفي . والمتصلة لا تقع بعده .

ومبسوقة باستفهام بغير الهمزة ، نحو ^(٦) : « هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور » .

ومعنى أم المنقطة [ب ٩٦] التي لا يفارقها الإضراب ، ثم تارة تكون له محردة ، وتارة تضمن مع ذلك استفهماً إنكارياً [أو استفهماً ظلياً] ^(٧) . فن الأول :

(١) الأعراف : ١٩٣ (٢) الذاريات : ٢٢ (٣) أم مفردتين .
(٤) (١) سورة البقرة : ٢١٠ (٥) الأعراف : ١٩٥ (٦) الزمر : ١٦

« أم هل تستوى الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء » ؛ لأنه لا يدخل الاستفهام على استفهام . ومن الثاني ^(١) : « أم له البنات ولكم البنون » ؛ تقديره : بل أله البنات ؛ إذ لو قدرت الإضراب المحض لزم الحال .

تنبيهان

الأول : قد ترد أم محتملة الاتصال والانفصال ، كقوله تعالى ^(٢) : « قل اتَّخَذْتُمُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يَخْفَ اللَّهُ عَنْهُمْ » أم تقولون على الله ما لا تعلمون . قال الزمخشري : يجوز في أم أن تكون معادلة بمعنى أى الأمرين كائن على سبيل التقرير لحصول العلم بكون أحدهما ، ويجوز أن تكون منقطعة .

الثاني : ذكر أبو زيد أن أم تقع زائدة ، وخرج عليه قوله تعالى ^(٣) : « أَفَلَا تَبْصِرُونَ أم أنا خير » ، قال : التقدير : أفلا تبصرون أنا خير .

(أمّا) - بالفتح والتشديد - حرف شرط وتفصيل وتوكيد ، أما كونها شرطاً فبدليل لزوم القاء بعدها ، نحو ^(٤) : « فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ » . ^(٥) « فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيُجْلُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ، وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ » . وأما قوله تعالى ^(٦) : « فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ » - فلي تقدير القول ؛ أى فيقال لهم أكفرتم ؛ فحذف القول استغناء عنه بالقول ، فتبعت القاء في الحذف . وكذا قوله ^(٧) : « وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتٍ » .

(٣) الزخرف : ١١

(٦) آل عمران : ١٦

(٢) البقرة : ٨٠

(٥) البقرة : ٢٦

(١) الطور : ٣٩

(٤) النساء : ١٧٢

(٧) الجاثية : ٣١

وأما التفضيل فهو غالب أحوالها ، كما تقدم ؛ وكنز قوله^(١) : « أَمَّا السَّيِّئَةُ فَكَانَتْ يَمَّا كُنَ » . « وَأَمَّا الْعَلَامُ فَكَانَ » . « وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ » .

وقد يُترك تكريرها استثناءً بأحد القسمين عن الآخرين ، وقد تقدم^(٢) في أنواع الحذف .

وأما التوكيد ، فقال الزمخشري^(٣) : « قَائِدَةُ أَمَّا فِي الْكَلَامِ أَنْ تُعْطِيَهُ فَضْلًا تَوْكِيدًا ، تَقُولُ : زَيْدٌ ذَاهِبٌ ، فَإِذَا قَصَدْتَ تَوْكِيدَ ذَلِكَ ، وَأَنْهُ لَا مُحَالَةَ ذَاهِبٌ ، وَأَنْهُ بِصَدَدِ الذَّهَابِ ، وَأَنْهُ مِنْهُ عَزِيمَةٌ قُلْتَ : أَمَّا رَيْدٌ فَذَاهِبٌ ، وَلِذَلِكَ قَالَ مَيْبُوتِيهِ فِي تَفْسِيرِهَا : مَهْمَا يَكُنْ مِنْ شَيْءٍ فَزَيْدٌ ذَاهِبٌ . »

وبفصل بين أَمَّا والقاء إما مجازاً كالأيات السابقة ، أو خبر ، نحو : أَمَّا فِي الدَّارِ فَزَيْدٌ ، أو جملة شرط ، نحو^(٤) : « فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُتَكْرِمِينَ فَزَوْجٌ ... » الآيات . أو اسم منصوب بالجواب ، نحو^(٥) : « فَأَمَّا الْبَيْتُ فَلَا تَقْهَرْ » . أو اسم معمول لمحذوف يفسرُه ما بعد القاء ، نحو^(٦) : « فَأَمَّا ثَمُودَ فَهَدَيْنَاهُمْ » . في قراءة بعضهم بالنصب .

تفصيله

ليس من أقسام أَمَّا - أَمَّا التي في قوله تعالى^(٧) : « أَمَّا ذَاكَ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » . بل هي كلمتان : « أَم » المنقطعة ، و « مَا » الاستيعابية .

(٢) نسخة ٣٣٣

(١) الكهف : ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ على الترتيب .

(٤) الرواقية : ٨٨

(٣) البرهان : ٢ — ٧٤٢

(٧) فصل : ٨٤

(٦) فصل : ١٧

(٥) الضمى : ٩

(إِذَا) بالكسر والتشديد - تَرَدُّ لِمَا :

الإيهام ، نحو ^(١) : « وَآخَرُونَ مَرْجُؤُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِذَا بُعْذُهُمْ وَإِذَا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ » .

والتخيير ، نحو ^(٢) : « إِذَا أَنْ تَعْذِبَ وَإِذَا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا » .
^(٣) « إِذَا أَنْ تُلْقَى وَإِذَا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أُنْتَقَى » . ^(٤) « إِذَا مَنَّا بَعْدُ وَإِذَا فِدَاءً » .

والتفصيل ، نحو ^(٥) : « إِذَا شَاكَرًا وَإِذَا كَفُورًا » .

تفسيحات

الأول : لا خلاف في أن إِمَا الأولى في هذه الأمثلة ونحوها غير عاطفة .
 واختلف في الثانية : فلا كثرون على أنها عاطفة ، وأنكره جماعة منهم ابن مالك ،
 للامتناع غالباً الواو العاطفة . وادعى ابن عصفور الإجماع على ذلك ، قل :
 وإِذَا ذكروها في باب العطف لمصاحبها لحرفه . وذهب بعضهم إلى أنها عطف
 الاسم على الاسم ، والواو عطف إِمَا على إِمَا ، وهو غريب .

الثاني : يستأنى هذه المعاني لأَوْ ، والتمرق بينها وبين « إِمَا » إما لأن « إِمَا »
 ينبنى الكلام معها من أول الأمر على ما جرى بها لأجله ، ولأنك وجب
 تكرارها ، وأَوْ يفتتح الكلام معها على الجزم ثم يطرا الإيهام ، أو غير ذلك ،
 ولهذا لم تتكرر .

الثالث : ليس من أقسام إماما التي في قوله تعالى^(١) : « قَامَا تَرْيَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا » بل هي كلمتان : إن الشرطية ، وإما الزائدة .

(إن) بالكسر والتخفيف - على أوجه :

الأول : أن تكون شرطية ، نحو^(٢) : « إِنْ يَنْتَهَوْا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا قَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ » . وإذا دخلت على لم فالجزم يلزم لا بها ، نحو^(٣) : « وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا » [١٩٧] ، وعلى لا فالجزم بها لا بلا ، نحو^(٤) : « وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي » . «^(٥) إِلَّا تَنْصُرُوهُ » .

والفروق أن لم عامل يلزم معموله ، ولا يفصل بينهما شيء ، و « إن » يجوز الفصل بينها وبين معمولها بمذولة^(٦) ، ولا لا تعمل الجزم إذا كانت نافية ، فأضيف العمل إلى إن .

الثاني : أن تكون نافية ، وتدخل على الاسم والصفة ؛ نحو^(٧) : « إِنْ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ » . «^(٨) إِنْ أُمَمَاتُهُمْ إِلَّا فِي لَأَلٍ وَلَأْسَةٍ » . «^(٩) إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى » . «^(١٠) إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا » . قيل : ولا تنفع « إن » إلا وبعدها إلا كما تقدم ، أو لئلا المشددة ، نحو^(١١) : « إِنْ كَلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ » - في قراءة التشديد .

ورد بقوله^(١٢) : « إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا » . «^(١٣) إِنْ أُدْرِيَ لَكُمْ فِتْنَةٌ لَكُمْ » .

(١) مريم : ٢٦	(٢) الأفعال : ٢٨	(٣) البقرة : ٢٤
(٤) هود : ٤٧	(٥) التوبة : ١٠	(٦) (١٧) ٢٠
(٧) في البرهان : وبين معمولها ومذولة معمولها .	(٨) (١٩) للتوبة : ١٠	(٩) (١٠) البقرة : ١١٢
(١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨) (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤) (٣٥) (٣٦) (٣٧) (٣٨) (٣٩) (٤٠) (٤١) (٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) (٤٦) (٤٧) (٤٨) (٤٩) (٥٠) (٥١) (٥٢) (٥٣) (٥٤) (٥٥) (٥٦) (٥٧) (٥٨) (٥٩) (٦٠) (٦١) (٦٢) (٦٣) (٦٤) (٦٥) (٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) (٧٠) (٧١) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) (٧٦) (٧٧) (٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠)	(١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨) (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤) (٣٥) (٣٦) (٣٧) (٣٨) (٣٩) (٤٠) (٤١) (٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) (٤٦) (٤٧) (٤٨) (٤٩) (٥٠) (٥١) (٥٢) (٥٣) (٥٤) (٥٥) (٥٦) (٥٧) (٥٨) (٥٩) (٦٠) (٦١) (٦٢) (٦٣) (٦٤) (٦٥) (٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) (٧٠) (٧١) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) (٧٦) (٧٧) (٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠)	(١٢) (١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨) (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤) (٣٥) (٣٦) (٣٧) (٣٨) (٣٩) (٤٠) (٤١) (٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) (٤٦) (٤٧) (٤٨) (٤٩) (٥٠) (٥١) (٥٢) (٥٣) (٥٤) (٥٥) (٥٦) (٥٧) (٥٨) (٥٩) (٦٠) (٦١) (٦٢) (٦٣) (٦٤) (٦٥) (٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) (٧٠) (٧١) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) (٧٦) (٧٧) (٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠)

ومما حمل على النافية قوله ^(١) : « إن كُنَّا فاعِلين » . ^(٢) قل إن كان
للرحمن ولَدٌ . وعلى هذا فالوقف هنا . ^(٣) ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه .
وقيل هي زائدة ، ويؤيد الأول قوله ^(٤) : « مكناهم في الأرض ما لم تَسْكُنْ
لكم » ، وعدل عن ما ^(٥) لثلاث يتكرر فينقل اللفظ .

قلت : وكونها للنفي هو الوارد عن ابن عباس كما تقدم .

وقد اجتمعت الشرطية والنافية في قوله ^(٦) : « ولئن زالتا إن أمسكهما
من أحدر من بعده » .

وإذا دخلت النافية على الاسم لم تعمل عند الجمهور ، وأجاز الكسائي
والبرد إعمالها عمل ليس ، وخرج عليه قراءة سعيد بن جبير ^(٧) : « إن الذين
تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ » .

فائِدة

أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال : كل شيء في القرآن إن فهو إنكار .
الثالث : أن تكون مخففة من الثقيلة ، فتدخل على الجملتين ، ثم لاكثر
إذا دخلت على الاسم إعمالها ، نحو ^(٨) : « وإن كل ذلك لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » .
^(٩) « وإن كل لما جميع لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ » . ^(١٠) « إن هذان لساحران » —
في قراءة حفص وابن كثير .

(١) الأنبياء : ١٧	(٢) الزخرف : ٨١	(٣) الأحقاف : —
(٤) الأنعام : ٩٠	(٥) أي فيما ما مكناكم فيه	(٦) طه : ٤١
(٧) الأعراف : ١٩٤	(٨) الزخرف : ٣٥	(٩) يس : ٣٢
(١٠) طه : ٦٣		

وقد تصل ، نحو^(١) : « وإن كَلَّا لَمَّا لِيُؤْفِيَنَّهُمْ » - في قراءة الحرميين .
 وإذا دخلت على التمسك فالأكثر كونه ماضياً ناسخاً ، نحو^(٢) :
 « وإن كانت لكيرة » . «^(٣) وإن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ » . «^(٤) وإن وَجَدْنَا
 أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ » . ودونه أن يكون مضارعاً ناسخاً ، نحو^(٥) : « وإن يَكَادُ
 الَّذِينَ كَفَرُوا » . «^(٦) وإن تَطَنَّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ » . وجئت وجلت إن
 وبعدها اللام المفتوحة فهي المحقة من الثقيلة .

الرابع : أن تكون زائدة ، وخرج عليه^(٧) : « فيما إن مكناكم فيه » .

الخامس : أن تكون للتحليل كإذ ، قاله الكوفيون وخرجوا عليه^(٨) :
 « واتقوا الله إن كنتم مؤمنين » . «^(٩) لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
 آمِنِينَ » . «^(١٠) وأنتم الاعلون إن كنتم مؤمنين » . ونحو ذلك مما القل فيه
 يحقق الوقوع .

وأجاب الجمهور عن هذه الشبهة بأنه تعليم للعباد كيف يتكلمون إذا أخبروا
 عن المستقبل ، وبأن أصل ذلك الشرط ، ثم صار يذكر للتهويل . أو بأن المعنى
 لتدخلن المسجد جميعاً إن شاء الله ولا يموت منكم أحد قبل الدخول .

وعن سائر الآيات بأنه شرط جيء به للتوبيخ والإلهاب ، كما تقول لابنك :
 إن كنت ابني فأطعني .

السادس : أن تكن بمعنى قد ، ذكره قطرب ، وخرج عليه^(١١) : « قَدْ ذَكَرَ

(١) هود : ١١٢ (٢) البقرة : ٤٥ (٣) الإسراء : ٧٣

(٤) الأعراب : ١٠٢ (٥) القم : ٥١ (٦) الشعراء : ٨٦

(٧) الأحقاف : ٢٦ (٨) الألف : ٥٧ (٩) القصص : ٢٧

(١٠) آل عمران : ١٣٩ (١١) الأعلى : ٦

إِنْ تَنَعَّتِ الْقُدُّ كَرَى ؛ أَيْ قَدْ نَفَعَتْ . وَلَا يَصِحُّ مَعْنَى الشَّرْطِ فِيهِ ، لِأَنَّهُ مَأْمُورٌ
بِالتَّذْكِيرِ عَلَى كُلِّ حَالٍ .

وَقَالَ غَيْرُهُ : هِيَ لِلشَّرْطِ ، وَمَعْنَاهُ ذَمُّهُمْ وَاسْتِيعَادُ لِنَفْعِ التَّذْكِيرِ فِيهِمْ . وَقِيلَ
الْجَنْدِيرُ : وَإِنْ لَمْ تَنْفَعْ ، عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ ^(١) : « سَرَّابِيلٌ تَغِيكُمُ الْحَرَّ » .

فَائِدَةٌ

قَالَ بَعْضُهُمْ : وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ إِنْ بِصِيغَةِ الشَّرْطِ ، وَهُوَ غَيْرُ مِرَادٍ فِي سِتَّةِ
مَوَاضِعَ ^(٢) : « وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا » .
« وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ » ^(٣) . « وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ
وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ » ^(٤) . « إِنْ أَرْتَبْتُمْ فُسَلِتُنَّ » ^(٥) . « إِنْ
تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ » ^(٦) . « وَبِعُوثَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ
إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا » .

(أَنْ) بِالْفَتْحِ وَالتَّخْفِيفِ - عَلَى أَوْجِهٍ :

الأول : أَنْ تَكُونَ حَرْفًا مَصْدَرِيًّا نَاصِبًا لِلْمُضَارِعِ ؛ وَتَقَعُ فِي مَوْضِعَيْنِ :
الابتداء ، [٩٧ب] فَتَكُونُ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ ؛ نَحْوُ ^(٧) : « وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ » .
« وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى » ^(٨) .

وبعد فَعْلٍ دَالٌّ عَلَى مَعْنَى غَيْرِ الْيَقِينِ ، فَتَكُونُ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ ؛ نَحْوُ ^(٩) :

(١) النحل : ٨١	(٢) النور : ٣٣	(٣) النحل : ٩١٤
(٤) البقرة : ٢٨٣	(٥) الطلاق : ٤	(٦) النساء : ١٠١
(٧) البقرة : ٢٦٢	(٨) البقرة : ١٨٤	(٩) البقرة : ٢٢٧
(١٠) الحديد : ١٦		

« أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ » (١) . « وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ » . « وَنَسِبَ نَحْوُ (٢) : « فَخَشِيَ أَنْ تُصِيبًا : آثَرُهُ » . « (٣) وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى » . « (٤) فَارْتَمَتْ أَنْ أُعِيبَهَا » . « وَخَفَضَ نَحْوُ (٥) : « أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلٍ أَنْ تَأْتِيَنَا » . « (٦) مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ » .

وَأَنْ هَذِهِ مُوَصُولٌ حَرْفِيٌّ ، وَتَوَصَّلَ بِاتِّعَالِ التَّصَلُّ : مُضَارِعًا كَامِرًا ، وَمَاضِيًا ؛ نَحْوُ (٧) : « لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا » . « (٨) وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ » .

وَقَدْ يَرْفَعُ الْمَضَارِعَ حَذْمًا إِهْمَالًا لَهَا ، حَلًّا عَلَى مَا أَخْتَارَهَا ، كَقِرَاءَةِ ابْنِ مَيْمُونٍ : « (٩) لَيْحَنٌ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ » .

الثَّانِي : أَنْ تَكُونَ مُخَفَّفَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ ، فَتَقَعُ بَعْدَ فَعْلِ الْيَقِينِ ، أَوْ مَا مُنْزَلٌ مِثْلَهُ ، نَحْوُ (١٠) : « أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا » . « (١١) عِلْمٌ أَنْ سَيَكُونُ » . « (١٢) وَحَسْبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً » - وَ قِرَاءَةُ الرِّفْعِ .

الثَّالِثُ : أَنْ تَكُونَ مَمْرُورَةً بِمَنْزِلَةِ أَيْ ، نَحْوُ (١٣) : « فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْقُلُوبَ بَأَعْيُنِنَا » . « (١٤) وَنُودُوا أَنْ تَتَكَلَّمَ الْجَنَّةُ » .

وَشَرْطُهَا أَنْ تَسْبِقَ بِحِمْلَةٍ ؛ فَذَلِكَ غَلِطَ مَنْ جَلَّ مِنْهَا (١٥) : « وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » . وَأَنْ يَتَأَخَّرَ عَنْهَا جَمَلَةٌ ، وَأَنْ يَكُونَ

(١) البقرة : ٩٦	(٢) المائدة : ٥٢	(٣) يونس : ٢٧
(٤) السجدة : ٧٩	(٥) الأعراف : ١٢٩	(٦) المائدة : ١٠
(٧) القصص : ٨٢	(٨) الإسراء : ٧٤	(٩) البقرة : ٢٤٣
(١٠) طه : ٨٥	(١١) النمل : ٢٠	(١٢) المائدة : ٧١

في الجملة السابقة معنى القول . ومنه^(١) : « وانطلق الملائكة منهم أن امتثوا وأصبروا » ، إذ ليس المراد بالانطلاق المشي ، بل انطلاق ألسنتهم بهذا الكلام ، كما أنه ليس المراد بالشي المتعارف ، بل الاستمرار على الشيء . وزعم الزمخشري أن التي في قوله^(٢) : « أن اتخذي من الجبال بيوتاً » — مفسرة . ورد بأن قوله : « وأوحى ربك إلى النخل » ، والوحى هنا الإلهام باتفاق ، وليس في الإلهام معنى القول ، وإنما هي مصدرية ؛ أي باتخاذ الجبال .
والأ يكون في الجملة السابقة أحرف القول ؛ وذكر الزمخشري في قوله^(٣) : « ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله » — إنه يجوز أن تكون مفسرة بالقول على تأويله بالأمر ؛ أي ما أمرتهم إلا بما أمرتني به أن اعبدوا الله .

قال ابن هشام^(٤) : وهو حسن . وعلى هذا فيقال في الضابط : ألا يكون فيها حروف القول إلا والقول مؤول بغيره .

قلت : وهذا من الترائب كونهم يشترطون أن يكون فيها معنى القول ، فإنما جاء لفظه أوله بما فيه مع صريحه ، وهو نظير ما تقدم من جعلهم « ال » في الآن زائدة مع قولهم بتضمنه معناها وألا يدخل عليها حرف جر .

الرابع : أن تكون زائدة ؛ والأكثر أن تقع بعد لما التوقيفية ؛ نحو^(٥) : « ولما أن جاءت رسلنا لوطاً » . وزعم الأخفش أنها قد تنصب المضارع وهي زائدة ، وخرج عليه^(٦) : « وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله » . «^(٧) وما لنا ألا نتوكل على الله » ؛ قال : فهي زائدة ، بدليل^(٨) : « وما لنا لا تؤمن بالله » .

(١) ص : ٦	(٢) النحل : ٦٨ ، واضطر الخ : ١ - ٣٠	(٣) المائدة : ١١٧
(٤) المائدة : ١١٧	(٥) المشكوت : ٣٣	(٦) البقرة : ٢٤٦
(٧) إبراهيم : ١٢	(٨) المائدة : ٨٤	

... أن تكون شرطية كالكسورة ، قاله الكوفيون ؛ وخرج عليه^(١) : « أن تَصِلَ إحداها » . «^(٢) أن صَدَّوْكَ عن السجدة الحرام » . «^(٣) صَفَّحَا أن كنتم قوما مُسرِّين » . قال ابن هشام^(٤) : ويرجعه عندي نواردهما على محل واحد . والأصل التوافق . وقد قرئ بالوجهين في الآيات المذكورة ؛ ودخول القاء بعدها في قوله : « فذكر » .

السادس : أن تكون نافية ، قاله بعضهم في قوله^(٥) : « أن يُؤْتَى أحدٌ مثل ما أُوتيتُمْ » ؛ أى لا يؤتى . والصحيح أنها مصدرية ؛ أى ولا تؤمنوا أن يؤتى ، أى بآيات أحد .

السابع : أن تكون لتحليل كإذ ؛ قاله بعضهم في قوله^(٦) : « بل عَجَبُوا أن جاءهم مُذِيرٌ منهم » . «^(٧) يخرجُونَ الرسولَ وإياك أن تؤمنوا » . والصواب أنها مصدرية وقبلها لام التحليل مقدر .

الثامن : أن تكون تعي لثلاث ؛ قاله بعضهم في قوله^(٨) : « يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أن تَصِلُوا » ، أى ثلاث تَصِلُوا . والصواب أنها مصدرية ، والتقدير كراهة أن تَصِلُوا .

(إن) بالكسر والتشديد - على أوجه :

أحدها : التأكيد والتحقيق ، وهو الغالب ، نحو : « إن الله غفورٌ رحيمٌ » . «^(٩) إنا إليكم لمرسلون » . قل عبد القاهر : والتأكيد بها أقوى

(١) البقرة : ٢٨٢	(٢) الأمانة : ٢	(٣) لَزَّخَرَف : ٥
(٤) الظن : ٣٣ - ٣٤	(٥) آل عمران : ٧٣	(٦) ن : ١٠
(٧) النحل : ١٠	(٨) التوبة : ١٢٦	(٩) يس : ١٠

١٠ . في آية التوبة (٩)

من التأكيد باللام . قال : وأكثر . واقعها بحسب الجواب لسؤال ظاهر أو مقدر إذا كان السائل فيه ظن .

الثاني : التحليل ، أثبت ابن جني وأهل البيت — إن ، ومثله بنحو^(١) : « واستغفروا لله إن الله غفورٌ رحيم » . «^(٢) وصلَّ عليهم إن صلاتك سكنٌ لهم » . «^(٣) وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء » — وهو نوع من التأكيد .

الثالث : معنى نعم ، أثبت الأكتون ، وخرج عليه قوم^(٤) : « إن هذان لساحران » .

(أن) بالفتح والتشديد — على وجهين :

أحدهما : أن تكون حرف تأكيد . والأصح أنها فرع المكسورة ، وأنها موصول حرفي تؤول مع اسمها وخبرها بالصدر ؛ فإن كان الخبر مشتقا فالصدر المؤول به من لفظه ؛ نحو^(٥) : « ليتعلموا أن الله على كل شيء قدير » ؛ أي قدرته . وإن كان جامدا فقدر بالكون .

وقد استشكل كونها للتأكيد بأنك لو صرحت بالصدر المنسبك لم يُفد توكيدها .

وأجيب بأن التأكيد للمصدر المنحل ؛ وبهذا لم يُفرد بينها وبين إن المكسورة ، لأن التأكيد في المكسورة للإسناد ، وهذه لأحد الطرفين .

الثاني : أن تكون لنة في لعل ؛ وخرج عليه^(٦) : « وما يُشعِرُكم أنها إذا جاءت لا يؤمنون » — في قراءة الفتح ؛ أي لعلها .

(٣) يوسف : ٥٣

(٦) الأنعام : ١٠٩

(٢) التوبة : ١٠٤

(٥) الطلاق : ١٢

(١) البقرة : ١١٩

(٤) طه : ٦٣

(أَنْتَ) اسم مشترك بين الاستفهام والشرط ؛ فأما الاستفهام فترد فيه بمعنى كيف ، نحو^(١) : « أَنْتَ بِحَسْبِ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا » . «^(٢) فَأَنْتَ يُؤْتِكُون » .

ومن أين ، نحو^(٣) : « أَنْتَ لَكَ هَذَا ؟ » . « أَيْ مِنْ أَيْنَ » . «^(٤) قُلْتُ أَيْ هَذَا » ؛ أَيْ مِنْ أَيْنَ جَاءَ .

قال في عروس الأفراح : والفرق بين أين ومن أين أن أين سؤال عن المكان الذي حل فيه الشيء . ومن أين سؤال عن المكان الذي برز منه الشيء ؛ وجعل من هذا المعنى ما قرئ شاذاً^(٥) : « أَنْتَ صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً »^(٦) .

وبمعنى متى ؛ وقد ذكرت المعاني الثلاثة في قوله تعالى^(٧) : « فَأَتُوا حَرَثَكُمْ أَنْتَ شَيْئَمْ » ؛ فأخرج ابن جرير الأول من طريق ابن عباس ، وأخرج الثاني عن الربيع بن أنس واختاره ، وأخرج الثالث عن الضحاك ، وأخرج قولاً رابعاً عن ابن عمر وغيره : أنها بمعنى حيث شتم .

واختار أبو حنيفة وغيره أنها في الآية شرطية ، وحذف جوابها لدلالة ما قبلها عليه ؛ لأنها لو كانت استفهامية لاكتفت بما بعدها كما هو شأن الاستفهامية أن يكتفى بما بعدها وأن^(٨) يكون كلاماً يحسن السكوت عليه أو اسماً أو فعلاً .

(١) البقرة : ٢٥٩ (٢) النكبات : ٦١ (٣) آل عمران : ٣٧

(٤) آل عمران : ١٦٥ (٥) عيسى : ٢٤

(٦) أَيْ مِنْ أَيْنَ ؟ فيكون الوقف عند قوله : لِلْطَّامَةِ (المرمان : ٤ — ٢٤٩) .

(٧) البقرة : ٢٢٣

(٨) والإيجاز : أَيْ تكون كلاماً يحسن السكوت عليه إن كان اسماً أو فعلاً .

(أو) حرف عطف ترد لمان :

الشك من التكلم ؛ نحو^(١) : « قالوا آميناً يوماً أو بعض يوم » .

والإيهام على السامع ؛ نحو^(٢) : « وإنا أو إناكم أعلیٰ هدى أو فى ضلالٍ مبين » .

والتخيير بين المعطوفين بأن يمتنع الجمع بينهما .

والإباحة بالأ يمتنع الجمع .

ومثل اثنى بقوله تعالى^(٣) : « ولا علىٰ أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم ... » الآية . ومثل الأول بقوله^(٤) : « قذية من صيام أو صدقة أو نكح » . وقوله^(٥) : « فسكفارتہ اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة » .

وامتشكل بأن الجمع فى الآيتين غير ممتنع .

وأجاب^(٦) ابن هشام بأنه ممتنع بالنسبة إلى وقوع كل كفارة أو فدية ، بل جمع واحدة منهن كفارة أو فدية . والثانى^(٧) قرينة مستقلة خارجة عن ذلك .

قلت : وأوضح من هذا التمثيل قوله^(٨) : « أن يقتلوا أو يصلبوا ... » الآية . على قول من جعل الخيرة فى ذلك إلى الإمام ، فإنه يمتنع عليه الجمع بين هذه الأمور ؛ بل يصل منها واحداً يؤدي اجتهاده إليه .

والخصيل بعد الإجمال ؛ نحو^(٩) : « وقتلوا كونا هوداً أو نصارى

(١) الكهف : ١٩	(٢) صبا : ٢٤	(٣) النور : ٦١
(٤) البقرة : ١٩٦	(٥) المائدة : ٨٦	(٦) الضحى (١ - ٥٥) .
(٧) فى الضحى : والبقول .	(٨) المائدة : ٢٢	(٩) البقرة : ٢٢٥

تَهْتَدُوا : «^(١) قالوا : ساحر أو مجنون » ؛ أى قال بعضهم كذا ، وقال بعضهم كذا .

والإضراب كِبَاءٌ ؛ وخرج عليه قوله^(٢) : « وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون » . «^(٣) فكان قَابَ قَوْسَيْنِ أو أدنى » . وقراءة بعضهم^(٤) : « أو كلما عاهدوا عهداً » - بسكون الواو .

ومطلق الجمع كالواو ؛ نحو^(٥) : « لله يذْكُرُ أو يَنْفُسُ » . «^(٦) لهم يتَّقُونَ أو يُحَدِّثُ لهم ذكراً » .

والقريب، ذكره الحريري وأبو البقاء^(٧) ، وجعل منه^(٨) : « وما أمرُ الساعةِ إلا كتلح البصر أو هو أقربُ » .

ورُدَّ بأن القريب مستغاد من غيرها ؛

ومنى إلا فى الاستثناء ، ومعنى إلى ، وهاتان يُنصب المضارع بعدها بأن مضرة ، وخرج عليه^(٩) : « لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تقرضوهن فريضة » . قيل : إنه منصوب لا يجوز بالطف على « تمسوهن » ، لئلا يصير المعنى : لا جناح عليكم فيما يتعلق بمهور النساء إن طلقتموهن فى مدة اثناء أحد هذين الأمرين ، مع أنه إذا اتى القرض دون الميس لم يهر المثل ، وإذا اتى الميس دون القرض لزم نصف المسمى ، فكيف يصح رفع الجناح عند اثناء أحد الأمرين ؟ ولأن المطلقت القروض لهن

(١) القاريات : ٣٩ (٢) الساعات : ١٤٧ (٣) التيم : ٩
(٤) البرة : ١٠٠ (٥) طه : ٤٤ (٦) طه : ١٠٣
(٧) فى إملأ ما من به الرحمن : ٢ - ٨٤
(٨) التحل : ٧٧ (٩) البرة : ٢٣٦

قد ذكر ثانياً بقوله : « وإن طلقتموهن . . . » الآية . وترك ذكر المسومات بما تقدم من المفهوم . ولو كان « ترضوا » مجزوماً لكانت المسومات والمقروض لهن مستويات في الذكر . وإذا قدمت « أو » بمعنى إلا خرجت المقروض لهن عن مشاركة المسومات في الذكر ؛ وكذا إذا قدمت بمعنى « إلى » وتكون غاية لنفي الجناح لا لنفي المسيس .

وأجاب ابن الحاجب عن الأول بمنع كون المعنى مدة انقضاء أحدهما ؛ بل مدة لم يكن واحد منهما ؛ وذلك بينهما جميعاً ؛ لأنه نكرة في سياق النفي الصريح .

وأجاب بعضهم عن الثاني بأن ذكر المقروض لهن إنما كان لتحين النصف لهن لا لبيان أن لهن شيئاً في الجملة .

ومما خرج على هذا المعنى قراءة أبي^(١) : « تقاتلونهم أو يسلمون » .

تنبيهات

الأول : لم يذكر المتعلمون لأو هذه المعاني ؛ بل قالوا : هي لأحد الشئين أو الأشياء .

قل ابن هشام^(٢) : وهو التحقيق ؛ والمعاني المذكورة مستفادة من القرائن .

الثاني : قل أبو البقاء^(٣) : أو في النهي نقيضة أو في الإباحة ، فيجب اجتناب الأمرين ؛ كقوله^(٤) : « ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً » ؛ فلا يجوز فعل

(١) الفتح : ١٦٢ (٢) النفي : ١ - ٦٤

(٣) لملاء ما من به الرحمن : ١ - ١٤٩

(٤) الانسان : ٢٤

أحدهما ؛ فهو جمع بينهما كان فاعلاً للنهي عنه مرتين ؛ لأن كل واحد منهما كان منهيًا عنه لا أحدهما .

وقال غيره : « أو » في هذا بمعنى الواو تفيد الجمع .

وقال الخطيب^(١) : الأولى أنها على بابها ؛ وإنما جاء التعميم فيها من النهي الذي فيه معنى النفي ؛ والذكرة في سياق النفي تعم ؛ لأن المعنى قبل النهي : تطيع آتياً أو كفوراً ؛ أى واحداً منهما ، فإذا جاء النهي ورد على ما كان ثابتاً ، فالمعنى لا تطع واحداً منهما ؛ فالتعميم فيها من جهة النفي ، وعلى بابها .

الثالث : لـ « كَوْن » مبناهما على عدم التشريك عاد الضمير إلى مفردهما بالإفراد ، بخلاف الواو . وأما قوله^(٢) : « إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَآتُ أَوَّلَىٰ بِهِمَا » ؛ قبل إنها بمعنى الواو . وقيل المعنى إن يكن الحصان غنيين أو فقيرين .

فائدة

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس ، قال : كل شيء في القرآن فيه « أو » فهو مخير ، فإذا كان ممن لم يخير^(٣) فهو الأول فالأول .

وأخرج البيهقي في مسنده عن ابن جريج . قال : كل شيء في القرآن فيه « أو » فالتخير إلا قوله^(٤) : « أَنْ يَقْتُلُوا أَوْ يُصَلِّبُوا » ليس بمخير فيهما . قال الشافعي بهذا أقول .

(١) البرهان : ٤ - ٢١٣ والخطيب : هو محمد بن ظمر . كان إماماً في العلوم العربية والتلخيص ،

شرح التلخيص وتولى سنة ٧٤٥ (بنية الوفاة : ١٠٦) .

(٢) النساء : ١٣٥

(٣) البرهان : ٤ - ٢١٣

(٤) الأئمة : ٢٣

(٤) في ب : فإذا كان ممن لم يخير .

(أَوَّلِي) في قوله ^(١): «أَوَّلِي لَكَ فَأُولَى» . وفي قوله ^(٢): «فَأَوَّلِي لَهُمْ» .
قال في الصحاح: قولهم: «أَوَّلِي لَكَ» كلمة تهديد ووَعِيد؛ قال الشاعر ^(٣):

• فَأَوَّلِي نَمِ أَوَّلِي نَمِ أُولَى •

قال الأصمعي: معناه قارب ما يهلكه، أي زل به .

قال الجوهري: ولم يقل أحد فيها أحسن مما قاله الأصمعي .

وقال قوم: هو اسم فعل مبني، ومعناه أُولَى لَكَ ^(٤) شر بعد شر،
ولك تبين .

وقيل: هو علم للوعيد غير معروف؛ ولنا لم ينون، وإن محله رفع على الابتداء
ولك الخبر، ووزنه على هذا فعلى للإلحاق . وقيل أفل .

وقيل معناه لَوَّلِي لَكَ، وإنه مقلوب منه . والأصل أَوَّلِي؛ فأختر حرف الهمزة .
ومنه قول الخليل ^(٥):

هَمَمْتُ بِنَفْسِي بَعْضُ ^(٦) الْهَمِّمْ فَأَوَّلِي لِنَفْسِي أَوَّلِي لَهَا

وقيل معناه اقم لك أُولَى مِنْ تَرَكَه، فعطف البدأ لكثرة دورانه
في الكلام .

وقيل المعنى أنت أُولَى وأجدر بهذا الذاب، كأنه يقول: قد وليت الهلاك،
أو قد دانيت الهلاك . وأصله من أَوَّلِي وهو اقرب؛ ومنه قوله تعالى ^(٧):
«فَاتَّبِعُوا الْقَدِينَ لَكُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ»، أي يغربون منكم .

(١) القلمة: ٣٥ (٢) نجد: ٢٠

(٣) اللسان (ولنا) غير منسوب . ومجزة: • وحل تدو بحلب مرد •

(٤) في الامتلاء: وإليك . (٥) الديوان: ٢٣ (٦) في الديوان: كل لمعير

(٧) النجوى: ١٢٤

وقتل التحس : العرب تقول أولى لك ؛ أى كدت تهتك ، وكان تقديره
أولى لك الملكة .

(إى) بالكسر والسكون - حرف جواب بمعنى نعم ، فتكون لتعديق
الخبر ولإعلام المستخبر ، ولوعده الطالب . قل النعاة : ولا تمنع إلا قبل القسم .
قل ابن الحاجب : والابد الاستفهام ؛ نحو^(١) : « وَيَسْتَنْبِئُوكَ أَحَقُّ هُوَ ؟ »
قل إى وربى .

(أى) بالفتح والتشديد - على أوجه :

الأول : أن تكون شرطية ؛ نحو^(٢) : « أَيُّهَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ
فَلَا عُدْوَانَ » . « أَيُّهَا مَا تَدْعُوا فَاللهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى » .

الثانى : استغماية ؛ نحو^(٣) : « آيَكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا » . وإنما يُسأل بها
عما يميز أحدَ التشاركون فى أمر يصحها ؛ نحو^(٤) : « أَيُّ الْقَرِيْقَيْنِ خَيْرٌ مَنَّا » ؟
أمن أم أصحاب محمد ؟

الثالث : موصولة ؛ نحو^(٥) : « لَنُفْرَعَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ آيَهُمْ أَشَدَّ » .

ومى فى الأوجه الثلاثة مربة . وتبنى فى الوجه الثالث على الضم إذا حذفت
غائما وأضيفت كالأية المذكورة . وأعربها الأخص فى هذه الجهة أيضا ،
وخرج عليه قراءة بعضهم بالنصب . وأول قراءة الضم على الحكاية ، وأولها غيره
على التلحق لقل . وأولها لم يخشى على أنها خبر مبتأ محذوف . وتقدر الكلام

(١) الاسراء : ١١٠

(٢) القصص : ٢٨

(٣) يونس : ٤٢

(٤) مريم : ٦٩

(٥) مريم : ٧٢

(٦) لقمة : ١٧٥

لنزع عن بعض كل شعبة ، فكأنه قيل من هذا البعض ؟ قيل : هو الذى بالمكر أشد ، فحذف المبتدأ ثم المكتنفان لأى .

وزعم ابن الطراوة على ^(١) أنها فى الآية مقطوعة عن الإضافة مبنية ، وأيهم ^(٢) أشد مبتدأ وخبر .

ورُد برسم الضمير متصلاً بأى ، وبالإجماع على إعراسها إذا لم تُصَف .

الرابع : أن تكون وصاة إلى نداء ما فيه أل ، نحو : يا أيها الناس .
يا أيها النبی .

(إيا) زعم الزجاج أنه اسم ظاهر . والجمهور أنه ضمير . ثم اختلفوا فيه على أقوال :

أحدها : أنه كله ضمير هو وما اتصل به .

والثانى : أنه وحده ضمير ، وما بعده اسم مضاف له يفسره ما يراد به من تكلم أو غيبة أو خطاب ، نحو ^(٣) : « فإيتاى فارهبون » . « ^(١) بل إياه تدعون » . « ^(٥) إياك نعبد » .

والثالث : أنه وحده ضمير وما بعده حروف تفسر المراد .

والرابع : أنه عباد وما بعده هو الضمير . وقد غلط من زعم أنه مشتق .

وفيه سبع لغات - وقرى بها : تشديد الياء ، وتحقيفها مع الهمزة ، وإبدالها هاء مفتوحة ومكسورة . هذه ثمانية يسقط منها فتح الهاء مع التشديد .

(١) مكنا بالأولين . (٢) فى الاطلاق . وأن هـ م أشد هـ مبتدأ وخبر .

(٣) اتصل : ٥١ (٤) الأنعام : ٤١ (٥) القاعة : هـ

(أَيَّانَ) اسم استفهام ؛ وإنما يُستفهم به مع الزمان المستقبل ، كما جزم به ابن مالك وأبو حيان ، ولم يذكر فيه خلافاً . وذكر صاحب إرشاد المعاني مجيئها للماضي .

وقال السكاكي : لا نستعمل إلا في مواضع التفعيم وغيره . وقال بالأول من النحاة علي بن عيسى الرُّبَعي ، وتبعه صاحب البسيط ، فقال : إنما نستعمل في الاستفهام عن الشيء المعظم أمره .

وفي الكشف^(١) : قيل إنها مشتقة من أيّ ، فعَلان منه ، لأن معناه أي وقت؟ وأي فعل؟ من أويت إليه ، لأن البعض أوى إلى الكل ومنانده ، وهو سيد . وقيل أصله أي آن . وقيل أي أوان ، حُدِّثت الهمزة من أوان والياء الثانية من أي ، وقلب الواو ياء ، وأدغمت الياء الساكنة فيها . وقرئ بكسر همزتها .

(أَيْنَ) اسم استفهام عن المكان ، نحو^(٢) : « فَاين تَذْهَبُونَ » . ويرد شرطاً عاماً في الأمكنة .

وأينما أعمُّ منها ، نحو^(٣) : « أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ » .

حرف الباء المفردة

(بَطَانَتُهَا^(١)) أى ظواهرها بالقطبية ؛ قاله الزركشى وابن شيدنة .

(بلاء) على ثلاثة معان : نعمة ، واختبار ، ومكروه ؛ ومنه : ابْتَلَى .
وَبَلَّوْكُمْ .

(بارئكم) خالقكم . وإنما خص هنا اسم البرىء لأن فيه توييخاً للذين
عبدوا المِجَل ، كأنه يقول : كيف عبدتم غير الذى برأكم . وروى أن من لم يعبد
الجل قتل من عبده حتى بلغ التمل سبعين ألفاً ، فمنا الله عنهم .

(باءوا) انصرفوا بذلك . ولا يقال « باء » إلا بشر . ويقال باء بكذا
إذا أقر به . والضمير فى هذه الآية راجع إلى بنى إسرائيل ؛ فتارة دعاء بالملاطفة .
وذكر الإناص عليهم وعلى آبائهم ؛ وتارة بالتخفيف ، وتارة بإقامة الحجة وتوبيخهم
على سوء أعمالهم ، وذكر العقوبات التى عاقبهم بها .

فذكر من النعم عليهم عشرة أشياء ؛ وهى^(٢) : « إِذْ أَجَاكُم مِّنْ آلِ
فِرْعَوْنَ » . «^(٣) وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ » . «^(٤) وَبَعَثْنَاكُم مِّنْ بَدْمٍ مَّوْتَكُم » .
«^(٥) وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى » . «^(٦) وَغَوَّيْنَا
عَنكُمُ ذَاب^(٧) عَلَيْكُم . وَخَفَر^(٨) لَّكُم » . «^(٩) وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » . «^(١٠) فَأَخْرَجَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا » .

(١) فى سورة الرحمن : ٥٤ ؛ بطانتها من استبرق . (٢) إبراهيم : ٦

(٣) البقرة : ٥٠ (٤) البقرة : ٥٦ (٥) البقرة : ٥٧

(٦) البقرة : ٥٢ (٧) البقرة : ٥٤ (٨) البقرة : ٥٨

(٩) البقرة : ٥٣ (١٠) البقرة : ٦٠

وذكر من سوء أفعالهم عشرة أشياء ، قولهم ^(١) : « سَمِعْنَا وَتَعَيْنَا » .
^(٢) ثم اذْثُمُ الْعِجْلُ » . وقولهم ^(٣) : « أَرِنَا اللَّهَ جَهَنَّمَ » . ^(٤) فَبَدَّلَ
 الَّذِينَ ظَلَمُوا » . ^(٥) لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ » . ويحرفونه ^(٦) .
^(٧) وَتَوَكَّلْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ » . ^(٨) وَقَسَتْ قُلُوبُكُمْ » . ^(٩) وَكَأْزَمَ
 بآيَاتِ اللَّهِ » . ^(١٠) وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغِيرَ حَقِّ » .

وذكر من عقوبتهم عشرة أشياء : ^(١١) فَمَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ
 وَبَاغُوا بِغَضَبِ اللَّهِ » . ^(١٢) وَيُعْطُوا الْجَزِيَّةَ » . ^(١٣) وَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ » .
^(١٤) وَكُونُوا قِرَدَةً » . ^(١٥) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ » . ^(١٦) وَأَخَذْتَهُمُ
 الصَّاعِقَةُ » . ^(١٧) وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ » :

وهذا كله جزاء لأبائهم المتقدمين . وخُوطب به المعاصرون لولنا عند
 صلى الله عليه وسلم ، وقد وُتِّخَ المعاصرون له توبيخاً آخر ، وهي عشرة : كتابهم
 أمر محمد صلى الله عليه وسلم مع معرفتهم به . ويحرفون ^(١٨) الْكَلِمَ . ويقولون
 هذا من عند الله . وَتَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ . وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْ دِيَارِكُمْ . وحرصهم
 على الحياة وعداوتهم ليعزى . وإثباتهم للسحر . وقولهم : « نحن أبناء الله
 وأحباؤه » . ^(١٩) يَدُّ اللَّهُ مَخْلُوقَهُ » .

(١) البقرة : ٩٣	(٢) البقرة : ٩٢	(٣) القاء : ١٥٣
(٤) الأعراف : ١٦٧	(٥) البقرة : ٩١	(٦) البقرة : ٧٥
(٧) البقرة : ٦٤	(٨) البقرة : ٧٤	(٩) القاء : ١٥٥
(١٠) القاء : ١٥٥	(١١) البقرة : ٦١	(١٢) التوبة : ٢٩
(١٣) البقرة : ٥٤	(١٤) البقرة : ٦٥	(١٥) الأعراف : ١٦٦
(١٦) القاء : ١٥٧	(١٧) القاء : ٢٥٨	(١٨) القاء : ٤٥
(١٩) البقرة : ١٧٧		

(بديع) : مخترع ، وخالق .

(بَثَّ فيها) : أى فَرَّقَ .

(باغ) : طالب . وقوله ^(١) : « غير باغ ولا عاد » ، أى لا يبنى الميتة ؛ أى لا يطلبها وهو يَحِدُّ غيرها ، ولا عادٍ فى تجاوزها على الشَّعْب ؛ ولهذا لم يُجْزِ الشافى الشَّعْب من الميتة . وقال مالك : بل يشع ويتزوّد ، فإن استغنى عنها طرحتها ، ولم يرخص - فى رواية عنه - للعاصى بغيره أن يأكل الميتة . والمشهور عنه الترخيص له .

(باشروهن) : المشهور أنه كناية عن الجماع ، مُتَمِّى بذلك لمسّ البشرة البشرية ، والبشرة : ظاهر الجلد . والأدعة : باطنها ، وفيها تحريمٌ للباشة حين الاعتكاف .

(نَسْطَة) : أى سعة ؛ من قولك : بسطت الشيء إذا كان مجموعاً فتحتته ووسعته ، ووصف فى آية ^(٢) البقرة طالوت بزيادته على قومه زيادة علمه بالحروب وقيل بالعلم ، وكان أطول رجل يصل إلى منكبيه .

قال وهب بن منبه : أوحى الله إلى نبيهم إذا دخل عليك رجلٌ قَشَّ الدهن الذى فى القرآن ^(٣) فهو ملكهم .

وقال السدى : أرسل الله إلى نبيهم اشمويل ^(٤) وقيل شمعون ، وقال له : إذا دخل عليك رجل على طول هذه العصا فهو ملكهم ، فكان ذلك طالوت .

(٢) آية ٢٤٧

(١) البقرة : ١٧٣

(٣) نش : صوت . والقرآن - بالتعريك : الجلبة من جملود تكون مشقولة ثم تخرور (وانظر القرطبي : ٣ - ٧٤٥) .

(٤) والاشفاق : ١٣٦

وقوله في الأعراف^(١) : « وزادكم في الخلق بصطة » ؛ فمعناه طول قوم عاد كما قدمنا أن طول أحدم مائة ذراع . وكان الظبي بيض وُفَرخ في عين أحدم .

(بَكَّة) هي مكة ، والباء بدل من الميم . وقيل : مكة الحرم كله ، وبكة^(٢) المسجد وما حوله ؛ وسميت بذلك لاجتماع الناس فيها من كل أفق .

وقيل : تَمَكَّكْتُ العظم : أى اجتذبت ما فيه من النخ . وتمكك القصيل ما في صرع الناقة ، فكأنها تجذب لنفسها ما في البلاد من الأقوات ببركة دعاء إبراهيم . وقيل : إنها تمك الذنوب أى تذهبها . وقيل لقلة ماؤها ، لأنها في بطن واد ، تمكك الماء من جبالها عند نزول المطر ، وتنجذب إليها السيول . وقيل الأصل^(٣) الباء ، وماخذه من البكة ، لأنها تبتك أعناق الجبابرة ، أى تكسرهم فيذلون لها ويخضعون خفاة عمارة . وقيل من التباك وهو الازدحام ؛ لازدحام الناس فيها في الطواف .

(بيئات) يعنى أن في مكة آيات كثيرة ، منها الحجر الذى هو مقام إبراهيم وهو الذى قام عليه حين رفع القواعد من البيت ، فكان كلما طال البناء ارتفع الحجر في الهواء حتى أكل البناء وغرقت قدم إبراهيم في الحجر كأنها في طين ، وذلك الأثر باق في الحجر إلى اليوم .

ومنها أن الطير لا تملوه : ومنها هلاك القيل ورد الجبابرة عنه ، ونبتع زمزم لهاجر أم إسماعيل بهمز^(٤) جبريل بعقه . وحفر عبد المطلب لها بعد دثور ماؤها ، وأن ماءها ينفع لما شرب له ، إلى غير ذلك .

(١) آية ٦٨ (٢) اللسان - بك . (٣) و الإتيان : وقيل الباء أصل .

(٤) فوقها في ب : بهز .

وكان أول من بنى المسجد الحرام آدم عليه السلام ، يجعل لحيته حبة وعشرين ذراعاً وعرضه عشرين ، وحج إليه من الهند على قلمي سبعين حبة وقيل إنه دفن فيه . وُرد بأن طوله ستون ذراعاً . قيل : ما فضل منه فهو خارج عن البيت . وقيل : إنه دور بالبيت . وهذا فيه ضعف ؛ ثم بناء إبراهيم عليه السلام ثم الملائكة من بعده ، ثم قريش حين كان صلى الله عليه وسلم ينقل الحجر على عاتقه ، وهو القدي وضع الحجر الأسود لتحكيم قريش عنده . ثم بناء المحاجر بعد أن هدم بعضه عبد الله بن الزبير .

(يَتَّ) : أى قدم رأيه بالليل ؛ ومنه قوله ^(١) : « فعاها بأُسنا يَّاتنا » . وكذلك بيتهم كدوة .

(بَهِيْمَة) : كل ما كان من الحيوان غير ما يعقل . ويقال : البهيمة ما استحبهم من الجواب ، أى استنقوا .

(بِحَيْرَة) : إذا شجت الناقة حمة أبطن فإن كان الخالص ذكراً نحرَّوه ، فأكله الرجال والنساء ، وإن كان الخالص أنثى نحرَّوها ، أى شتوها ، وكانت حراماً على النساء لحما ولبنها . فإذا ماتت حلت للنساء .

ولما سأل قوم عن هذه الأمور التي كانت في الجاهلية : هل تنظم كتظيم الكعبة والهدى ؟ أخبرهم الله أنه لم يجعل شيئاً لعباده من هذه البدائع التي كانت عندهم ؛ وإنما جوا الكفار ذلك .

(بَغْتَة) : أى فجأة ، وفيه تشبيه على الاستعداد لها والاضطرار في أمرها .
(ارْغَا) : طالعاً . والضمير في الآية ^(٢) يعود على القمر القدي رآه إبراهيم

قبل البلوغ والتكليف ؛ وذلك أن أمه ولدته في غار خَوْفًا من عمود ؛ إذ كان يقتل الآء من ؛ لأن للنجمين أخبروه أن هلاكه على يد صبي .

ويحتمل أن يكون جرى له ذلك بعد بلوغه وتكليفه ، وأنه قل ذلك لقومه على وجه الرد عليهم والتوبيخ لهم ، وهذا أرجح ، لقوله بعد ذلك ^(١) : « إني بريء مما تُشركون » . ولا يتصور أن يقول ذلك وهو مفرد في الغار ، لأن ذلك يقتضي حاجة وردا على قوم ، وذلك أنهم كانوا يمسكون الأصنام والشمس والقمر والكواكب ، فأراد أن يبين لهم الخطأ في دينهم ، ويُرشدَهم إلى أن هذه الأشياء لا يصح أن يكون واحد منها إلهاً لقيام الدليل على حدوثها ، وأن الذي أحدثها ودبر طلوعها وغروبها وأقولها وانتقالها هو الواحد للنفرد .

فإن قلت : إجماع بالأقول دون الطلوع ، وكلامها دليل على الحدث لأنها انتقل من حال إلى حال ؟

قلت : الأقول أظهر في الدلالة ؛ لأنه انتقل مع خفاء واحتجاب .

(يتحكم) : وصلكم . ومن قرأ ^(٢) يرفع أسند الفعل إلى الظرف ، واتصله اسماء الأسماء ، أو يكون الين بمعنى القرّة ، أو بمعنى الوصل ، لآء من الأخلاق . ومن قرأ بالتمب فالفاعل مصدر الفعل ، أو محذوف تقديره تطلع الاتصال بينكم .

(بَعَاثَر ^(٣)) ، جمع بَصِيرَة ، وهي نور القلب . والبصر نور العين ، وهذا الكلام على لسان النبي صلى الله عليه وسلم لقوله ^(٤) : « وما أنا عليكم بحفيظ » .

(٢) الأنعام : ٩٤ : لقد تطلع بينكم ..

(١) الأنعام : ٧٧

(٣) الأنعام : ١٠٤

(يَوَّأُكُمْ^(١)) : أَرْزَلَكُمْ ، وَالضَّمِيرُ يَقُومُ صَلَاحٌ ، وَكَأَمَّتْ أَرْضُهُمْ بَيْنَ الْحَبَاوِزِ وَالشَّامِ ، وَقَدْ دَخَلَهَا لِحُلِيِّ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ ، قَالُوا لَهُمْ : لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُتَذَبِّينَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مَا كُنْتُمْ مَخَافَةَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ الَّذِي أَصَابَهُمْ .

(بَأْسًا) : شِدَّةٌ . وَيُقَالُ أَيْضًا : بَوَسَ ، أَيْ قَرَّ وَسُوءَ حَالٍ .

(بَنَانٌ) : أَصَابِعٌ ، وَاحِدَتُهَا بَنَانَةٌ .

(بِرَاهَةِ) : خُرُوجٌ مِنَ الشَّيْءِ وَمُفَارَقَتُهُ . وَالْمُرَادُ التَّجَرُّيُّ مِنَ الشَّرْكَائِنِ .

(يَوَّأُنَا) ، أَيْ أَرْزَلْنَا^(٢) . وَالْمُرَادُ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْزِلًا حَسَنًا ، وَهُوَ مَعْمَرٌ وَالشَّامُ . وَيُقَالُ جَعَلْنَاهُمْ مَبَوَّأً ، وَهُوَ الْمَنْزِلُ الْمَلْزُومُ .

(بَادَى الرَّأْيِ) : أَيْ أَوَّلُ^(٣) الرَّأْيِ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ وَلَا تَدَبُّرٍ . وَبَادَى مَصْرُوبٌ عَلَى الطَّرِيقَةِ ، أَصْلُهُ وَقْتُ حُلُوثِ أَوَّلِ رَأْيِهِمْ . وَالْمَعْنَى فِيهِ اتَّبَعُوكَ عَلَى أَصَحِّ الْأَقْوَالِ . وَلِلْمَعْنَى اتَّبَعُوكَ الْأَرَادِزِلَ ، وَإِنَّمَا وَصَفُوهُمْ بِذَلِكَ لِغَفَرِهِمْ جَهْلًا مِنْهُمْ ، وَاعْتِقَادًا أَنَّ الشَّرَفَ بِذَلِكَ وَالْجَاهُ ؛ وَابْسَ الْأَمْرَ كَمَا اعْتَقَدُوا ، بَلِ الْمُؤْمِنُونَ كَانُوا أَشْرَفَ مِنْهُمْ عَلَى حَالِ قَفَرِهِمْ وَخَوَلِهِمْ فِي الدُّنْيَا ، وَهَذِهِ عَادَةُ اللَّهِ فِي أَنْبَاءِ الرُّسُلِ ؛ لَا يَنْبَغِيهِمْ إِلَّا الصِّفَاءُ ، لِأَنَّ الْمَالَ يُورِثُ التَّجَبُّرَ عَلَى اللَّهِ وَرُسُلِهِ .

وَقِيلَ : إِنَّهُمْ كَانُوا جَاهِكَةً وَنَجَامِينَ .

وَالْخَطَرُ ابْتِغَاءُ عَطِيَّةِ أَنْهُمْ أَرَادُوا أَنْهُمْ أَرَادُوا فِي أَفْصَالِهِمْ ؛ لِقَوْلِ مَوْحٍ : وَمَا عَلِمُوا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بَادَى الرَّأْيِ بِخَيْرِهِمْ ، أَيْ ظَاهِرِ الرَّأْيِ ، أَيْ ظَهَرَ لَهُؤُلَاءِ صَلَاحُ رَأْيِهِمْ فَهَكَكُمُوا بِهِمْ .

(بَعْلًا) : ربًا ، بنة اليمن . وأما قوله في الصافات ^(١) : « أَتَدْعُونَ بَعْلًا » ، فهو اسم من كان لقوم الياس .

وروى البخاري عن ابن عباس قال : ودّ ، وسوّاع ، وضوث ، ويثوق ، ونسرا ، وبلا ؛ أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن المعبود ^(٢) في بحالهم التي كانوا يجلسون أنصابا ، وسموها بأسمائهم ، فقلعوا ، فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك وتفتت العلم عبادت .

(بَعِير) قال مقاتل : هو كل ما يحمل عليه بالبرانية . وأخرج البزار عن مجاهد في قوله ^(٣) : « كَيْلَ بَعِير » ؛ أي كيل حمار على وجه الجمل .

(بَقِيَّةُ اللَّهِ ^(٤)) ، أي ما أبقاه الله لكم من الملل فلا تحرموا أياكم ، فيه مقنع ورضا عن الحرام .

(بَعِدَتْ) ، أي هلكت . والضير يعود ^(٥) على قوم صالح .

(بَخْس) : نقصان ؛ وإنما نهامهم عن البخس لأنهم كانوا ينفصون في السكيل والوزن ، فبث الله شيئا لينهاهم عن ذلك .

(بَقِيَ) : أي شدة حزني ، وإنما ردّ يعقوب شكواه إلى الله لتفنيدهم ، أي إنما أشكو إلى الله لا لكم ولا لغيركم . والجزن : أشدّ الهم .
فالغنى أنه لا يصبر عليه صاحبه حتى يشكوه .

(بَعِيرَة) : إشارة إلى شريعة الإسلام ، أي أدعو الناس إلى عبادة الله وأنا على بعيرة من أمرى وحبّة واضحة .

(١) الصافات : ١٢٥

(٢) كفى ما ربح واستحل به شرب نكاح نساء (الأنبياء) .

(٣) هود : ١٥

(٤) هود : ٥٦

(٥) يوسف : ١٥

(بشير) المراد به في قصة يوسف يهوذا ، لأنه الذي جاء بقميص الدم ،
قال لإخوته : إني ذهبت إليه بقميص الرّاحة ، فدعوني أذهب إليه بالفرحة ،
وهو من البشارة والإعلام بالخير قبل وروده . وقد تكون للبشر إذا ذكر معها ،
كقوله : نبشّركم بجزاب أليم - تهكّما بهم . ويجوز في العمل الشديد والتخفيف .
ومنه المبشّر والبشير ، واستبشر بالشيء إذا فرح به .

(بستانم) : أحييتهم من قبورهم . ويقال : بعث الرسل إلى قومهم
ساروا إليهم .

(الباقيات الصالحات ^(١)) : هي سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ،
والله أكبر . هذا قول الجمهور .

وقد روى في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم . وقيل الصلوات الخمس .
وقيل الأعمال الصالحة على الإطلاق .

(بارزة ^(٢)) : ظاهرة بزوال الجليل عنها ، فليس فيها ظل ولا قبة ،
وقد وصفها صلى الله عليه وسلم في الحديث كقصة النقي ليس فيها علم لأحد ،
ويقول للأرض تنظّارة البرّاز .

(بنينا) النبي : المرأة المجاهرة بالزنى ، ووزن بنى فعول . ومنه ^(٣) :
« وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ » . وكان لعبد الله بن أبي بن سلول
جلوستان ، فكان يأمرهما بالزنى لتكسبا ويولد لهما ، ويضربهما على ذلك ،
فشكّتا النبي ﷺ في الله عليه وسلم ، فزلت الآية فيه وفيمن قل مثل فعله .

(يهيج) : حسن ، أي يهيج من يراءة ويسرّه . والبهجة السرور أيضا .

(يَتَّعِيقُ) : المراد بالبيت^(١) المسجد الحرام ، وُسِّمَ عَتِيقاً لأنه أقدم ما في الأرض ولم يملك . وقيل إن الله يَتَّقِي من دخله من النار إذا توفاهم على توحيدِهِ وما عليه فيه صلى الله عليه وسلم . وقيل العتيق : الكريم ، كقولهم فَرَسٌ عَتِيقٌ .

(بَادِرٌ) : أى قدم عليه . والمعنى أن الناس سواء في المسجد الحرام ، فيجوز للقادم أن ينزل منها حيث شاء ، وليس لأحد فيها ملك .

(بَرْزَخٌ)^(٢) : أى حاجر . والمراد به مكان المؤمنين في المدة التي بين الموت والقيامة ، وهي تحول بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا . وأما قوله في الفرقان^(٣) : « وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً » ، أى فاصلاً يفصل ما بينهما من الأرض حيث لا يختلطان . وقيل : البرزخ يعلمه الله ولا يراه البشر .

(بَنَى عَلَيْهِ)^(٤) : تكبر وطمع . والضمير لقارون ؛ وذلك أنه كفر موسى للمال الذي أعطاه الله ، فدعا عليه فحسف الله به وهداه الأرض ثلاثاً تقول بنو إسرائيل إنما دعا عليه ليرث ماله ، لأنه كان ابن عم موسى ، وقيل عمه .

(يَبِضُّ مَكْنُونٌ) شبه^(٥) الجولوى بالبيض بياضاً وملامه وصفاء لون ، وهي أحسن منه ، وإنما وقع التشبيه بلون قشر البيضة الداخلى ، وهو المكفون ؛ أى المصون تحت القشر الأول .

(عَطِشَةٌ) أخذه بشدة ، والمراد بها فى آية^(٦) الدخان يوم يَدْرُ وتقال ابن عباس : هي يوم القيامة .

(١) فى سورة الحج ٢٣ : إلى البيت العتيق .

(٢) القصص : ٢٦

(٣) الفرقان : ٥٣

(٤) الرحمن : ٢٠

(٥) البخل : ١٦

(٦) العنكبوت : ٢٩

(بَدْر) : قرية قرب المدينة .

وأخرج ابن جرير عن الشعبي قال : كانت بدر لرجل من جُهينة يسمى بدرًا
فسميت به .

قال الواقدي : فذكر ذلك لعبد الله بن جعفر وعبد بن صالح فأنكروا ذلك ،
وقالا : فلا شيء . سميت العفراء^(١) ورابع . هذا ليس بشيء ، إنما هو اسم
الوضع .

وأخرج الضعائف قال : بدر ماء بين مكة والمدينة .

(البيت المصور^(٢)) : بيت في السماء الرابعة يحيا الكعبة يدخله كل يوم
سبعون ألف ملك ولا يمودون إليه ، وهذا عُمرانه .

وقيل البيت المصور الكعبة ، وعمرانها بالحجاج والطائفين ، فلا يدخلونها
أبدًا إن لم تكن من البشر كانت من الملائكة .
والأول قول علي وابن عباس .

(برق البصر^(٣)) بفتح الراء ، معناه لم وصار له بريق . وقرئ بكسر
الراء ، ومعناه تحير من الفزع . وقيل معناه شخص ، فيتقارب معنى الفتح
والكسر .

وهذا إخبار عن يوم القيامة . وقيل عن حالة الموت ، وهذا خطأ ، لأن القمر
لا يُخسف عند موت أحد ، ولا يجمع بينه وبين الشمس .

(٢) الطور : ٤

(١) الاقان : ٤ - ٧٣

(٣) القيامة : ٧

(ناصية^(١)) : منكراً ، أى تظهر عليها الكراهة ، والبور أشد من العوس .

(برّدا^(٢)) ، أى بوما . وليس بصحيح ، وإنما هو البرد ؛ بنى أنهم لا يذوقون فيها برودة تخفف عنهم حرّ النار . وقيل : لا يذوقون ملةً بارداً .

(البلد الأمين^(٣)) ، هو مكة بأنثاق . والأمين من الأمانة ، أو من الأمن لقوله : اجعل هذا بلداً آمناً . وقوله^(٤) : « أو لَمْ نَكُنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا » ، أى لا يُنْأَرُ عليه .

(برية^(٥)) خلق . مأخوذ من برا الله الخلق ، فترك همزها . ومنهم من يجعلها من البرى ، وهو التراب لخلق آدم عليه السلام من التراب . وتخفيف المزأ كثر استعمالاً عند العرب .

(بصيرة) من البصر ، يقال أبصرته وبصرت به . والبصائر : البراهين ، جمع بصيرة . وقوله^(٦) : « بل الإنسان على نفسه بصيرة » ، أى من الإنسان على نفسه عين بصيرة ، أى حوارجه بشهدن عليه بجميع عمله .

وقيل معناه الإنسان بصير على نفسه . والماء دخلت للمبالغة كما دخلت في علامة ونسابة .

« نحو ذلك مُبلسون^(٧) » جمع مُبلس ، وهو البأس ، وقيل الساكت لندى انقاعات حجته . وقيل الحزين النادم . ومنه يلبس ؛ ومنه اشتق إبليس .

(١) القحاة : ٢٤	(٢) عم : ٢٤	(٣) التين : ٢
(٤) القصص : ٢٧	(٥) البقرة : ٢٠٩	(٦) الأنبياء : ١١
(٧) الأنعام : ١١		

معروف ، ومصدره بيأت .

(بُكِّمَ) : خُرِّسَ . والضمير راجع للناس ، وليس المراد به فقد الحواس ، وإنما هذه الأوصاف مجاز عبارة عن عدم انتفاعهم بسمعهم وأبصارهم وكلامهم .

(برهانكم) : حجَّتكم ؛ وإنما طلب منهم الحجة على وجه التمييز والرد عليهم . يقال : برَّهن على الشيء إذا بينه بحجة .

(فُهِتَ^(١) الذي كفر) : أى انقطع وقامت عليه الحجة . والضمير يعود على نمرود .

فإن قيل : لم انتقل إبراهيم عن الدليل الأول من الإحياء والإماتة إلى الثانى ، والانتقال علامة الانقطاع ؟

فالجواب أنه لم ينقطع ، ولكنه لما ذكر الدليل الأول وهو الإحياء كان له حقيقة ، وهو فل الله ؛ ومجاز وهو فل غيره ؛ فخلق نمرود بالمجاز غلطاً منه أو مخالطة ؛ فينتقل إبراهيم إلى الدليل الثانى ؛ لأنه لا مجاز له ، ولا يمكن الكافر عدول عنه .

(يُروِج) : حصون ، واحدها بُرْج . ويروِج السماء من الشمس والقمر ، وهى اثنا عشر برجاً تقطعها الشمس فى سنة . وقيل هى النجوم العظام ؛ لأنها تدرِّج أى تظهر .

(يُورَأ) : هَلَكَى .

(بُكِّيَا^(٢)) جمع بك ، ووزنه فـول ، فأدغمت الراء فى الياء وكسرت الكاف فصارت بكيا .

(بُذُن) : جمع بَذَنَة ، وهي ما جعل في الأرضي للتذر والنحر وأشياء ذلك ؛
فإذا كانت النحر على كل حال فهي تجزور .

(بُسَّتِ الْجِبَالُ ^(١)) ، أي فُتَّتْ . وقيل سُيِّرَتْ حتى صارت كاللدقيق
والسويق المبسوس ، أي البلول .

(بُنْيَانٌ مَرصُومٌ ^(٢)) لاصق بصبه يعض لا يخلو منه شيء منه شيئاً ،
ولا يعد أن يكون هذا أصل اللفظة .

(بِرٌّ) ، ومنه . « ولكن البر من آمن بالله » . فحذف المضاعف وأقيم المضاعف
إليه مقامه .

(بَطَانَةٌ) : دخلا . وبطانة لرجل أهل سره ممن يسكن إليه ويشق بمودته .
ومنى ^(٣) الآية نهى عن استخلاص الكفار وموالياتهم .

وقيل لمرضى الله عنه إن هنا رجلاً من النصارى لا أحد أحسن خطاً منه ؛
أفلا يكتب عنك ؟ فقال : إذا أخذت بطانة من دون المؤمنين .

(يَدَارُوا) أن يكبروا ^(٤) : معناه مبادرة لكبرهم ؛ يبنى أن الومى يستهم
أكل مال اليتيم قبل أن يكبر .

وموضع أن يكبروا نصب على المفعولية يداروا ، أو على القول من أجله
تقديره مخافة أن يكبروا .

(بَخَاعَةٌ) : قطة من المال يتجبر فيها .

(يَضِغُ سِنَّينَ) : من الضلالة إلى الشر . وقيل إلى القصة . وقيل
إلى البسة .

وروى أن يوسف عليه السلام سُجِنَ خمس سنين أولاً ، ثم سُجِنَ بِدَقْوِهِ
فَكَثُرَ سَجْنُ سِنِينَ .

(بَيْعَ) : جَمْعُ بَيْعَةِ التَّصَارُفِ ، وَهِيَ كُنَاسُهُمْ .

قال الجواليقي في كتاب المرب^(١) : البَيْعَةُ وَالْكُنْيَةُ جُمْلُهُمَا بَعْضُ الْمَاءِ
فَارْسِيَّيْنِ مَعْرَبَيْنِ .

والله لو لا دفاعُ الله لاستولى الكفار على أهل اللل المتعلمة في أزمانهم ،
ولا استولى المشركون على هذه الأمة فهَدَمُوا مواضع عبادتهم .

(بِدَعَاً) من الرُّسُلِ . البَدِيعُ من الأشياء : ما لم يُرْ مِثْلُهُ ؛ أَيِ مَا كُنْتُ
أَوَّلَ رَسُولٍ وَلَا جُنْتُ بِأَمْرِ لَمْ يَحْيَ . بِهِ أَخَذَ قَبْلِي ؛ بَلْ جُنْتُ عَاجِئًا بِهِ قَبْلِي نَاسٌ
كَثِيرُونَ ، فَلَأَيَّ شَيْءٍ تَتَكَبَّرُونَ عَلَيَّ ؟

(الباء حرف جر) ، لَهُ مُعَانٌ :

أولاً : الإِلصَاقُ ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ سَبِيوِيَهْ غَيْرُهُ . وَقِيلَ : إِنَّهُ لَا يَفَارِقُهَا ؛ قَالَ
فِي شَرْحِ اللَّبِّ^(٢) : وَهُوَ تَطَلُّقُ أَحَدِ الْمُتَعَلِّقِينَ بِالْآخِرِ . ثُمَّ قَدْ يَكُونُ حَقِيقَةً عَوْدُ^(٣) :
«وَأَسْحَوْا بِرُءُوسِكُمْ» ؛ أَيِ أَلْقُوا السَّحْبَ بِرُءُوسِكُمْ . «^(٤) فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ
وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ » . وَقَدْ يَكُونُ مَجَازاً ؛ نَحْوُ^(٥) : «وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ» ؛
أَيِ بِمَكَانٍ يَقْرَبُونَ مِنْهُ .

الثاني : التَّحْدِيَةُ كَالْمُزْمَةِ ؛ نَحْوُ^(٦) : «ذَهَبَ اللَّهُ بِخَوْرِهِمْ» . «^(٧) وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ» ؛ أَيِ أَذْعَبَهُ ، كَمَا قُلَّ^(٨) : «لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ لَرَجْسٌ» .

(٢) هَذَا فِي أ ، ب ، وَالْآخَرَانِ .

(١) للمرب : ٨١

(٥) : الخليل : ٣٠

(٤) : اللامعة : ٦

(٣) : اللامعة : ٧

(٦) : المرة : ١٧

وذهب المبرد والسهلي أن بين تعدية الباء والمهزة فرقا ، وأنتك إذا قلت ذهبت يزيد كنت مصلحاً له في التغلب ، ورد في الآية .

الثالث : الاستعانة ، وهي الداخلة على آفة الفعل ، كباء البسطة .

الرابع : التبيية ؛ وهي التي تدخل على سبب الفعل ، نحو ^(١) : « فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ » . « ^(٢) ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ باتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ » . وسُيِّرَ عنها أيضاً بالتليل .

الخامس : الصلابة ، كمع ؛ نحو ^(٣) : « أَهْبِطْ بِلَامٍ » . « ^(٤) جَاءَكَ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ » . « ^(٥) نَسِيعٌ يَعْتَدِرُ رَبُّكَ » .

السادس : الظرفية ، كغني زماناً ومكاناً ؛ نحو ^(٦) : « نَجِينَاهُمْ يَسْعَى » . « ^(٧) نَصَرَكَ اللَّهُ يَدْرُ » .

السابع : الاستعلاء كعلی ، نحو ^(٨) : « إِنْ تَأْمَنَّا بِغِنطَارٍ » ، أى عليه .

الثامن : المجاوزة كمن ، نحو ^(٩) : « فَاسْأَلْ بِهِ خَيْراً » ، أى عنه ، بدليل : بآلون عن أنبائكم . ثم قيل : تختص بالسؤال . وقيل لا ، نحو ^(١٠) : « بِسْمِ نُورِهِمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ » ، أى وعن أيمانهم . « ^(١١) وَيَوْمَ تَشْهَقُ السُّمُومُ بِالتَّعَامِ » ؛ أى عنه .

(١) النكيت : ٤٠	(٢) البرة : ٥٤	(٣) هود : ٤٨
(٤) النساء : ١٦٩	(٥) النصر : ٣	(٦) القمر : ٢٤
(٧) آل عمران : ١٢٣	(٨) آل عمران : ٧٥	(٩) الفرقان : ٥٩
(١٠) خدع : ١٠	(١١) الفرقان : ٢٥	

التاسع : التبييض كين ، نحو^(١) : « عَيْنًا بِشَرِّبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ » ،
أى منها .

العاشر : الناية كيلي ، نحو^(٢) : « وقد أحسن بي » ، أى إلى .

الحادى عشر : المقابلة ، وهى الداخلة على الأعوانض ، نحو^(٣) : « ادْخُلُوا
الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » . وإنما لم يقدِّرها بالسببية كما قالت العنزلة ، لأن المعطى
يعوض قد يُعْضَى بجان . وأما السبب فلا يوجد بدون السبب .

الثانى عشر : التوكيد ، وهى الزائدة ، فتزاد فى الفاعل وجوفاً : نحو^(٤) :
« أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْعِرْ » . وجوازاً غالباً ، نحو^(٥) : « وَكُنْ بِاللهِ شَهِيداً » ،
فإن الاسم الكريم فاعل . وشهداً نصب على الحال أو التمييز ، والباء زائدة ؛
ودخلت لتأكيد الاتصال ، لأن الاسم فى قوله : « كُنْ بِاللهِ » - متصل بالفعل
اتصال الفاعل .

قال ابن السَّجَرى : وفعل ذلك إيذاناً بأن الكفاية من الله ليست كالكفاية
من غيره فى عظمة المنزلة ، فضعف لفظها لتضعف معناها .

وقال الزجاج : دخلت لتضمن كفى معنى اكفى .

قال ابن هشام^(٦) : وهو من الحسن بمكان .

وقيل : القائل مقدر . والتقدير كفى الا كفاء بالله ، فعُذِفَ المصدر وبقى
مسموؤه دالاً عليه ، ولا تُزَادُ فى فاعل كفى بمعنى وفى ، نحو^(٧) : « فَيَكْفِيكَمُ
لَهُ » . « وَكُنْ أَقْبَلُ الْمُؤْمِنِينَ اتِّمَالًا » .

(١) البصر : ٦ .	(٢) يوسف : ١٠٠ .	(٣) البطل : ٣٢ .
(٤) مريم : ٣٨ .	(٥) النساء : ٧٨ .	(٦) القصص : ١ - ٩٢ .
(٧) البقرة : ١٢٧ .	(٨) الأعراف : ٢٥ .	

وفي الفعول ؛ نحو^(١) : « وَلَا تَأْتُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ » . «^(٢) وَهُزِّي
إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ » . «^(٣) فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ » . «^(٤) وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ
بِالْحَادِ » .

وفي المبتدأ ، نحو^(٥) : « يَا أَيُّكُمُ الْمُفْتُونُ » ، أى أيكم . وييسل :
هى ظرفية ، أى فى أى طائفة منكم .

وفي اسم ليس فى قراءة حمزم^(٦) : « وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا » —
بنصب البر .

وفي الخبر المنق ؛ نحو^(٧) : « وَمَا اللَّهُ بِخَفِيلٍ » . قبل : والوجب ، وخرج
عليه : « جزاء صيته بمنزلها » .

وفي التوكيد ، وجعل منه^(٨) : « يَرْبِضُنَّ بِأَنْفُسِهِنَّ » .

فائدة

اختلف فى الباء من قوله^(٩) : « وَاَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ » ، قيل الإصاف .
وقيل التبييض . وقيل رائدة . وقيل الاستعانة ؛ وإن فى الكلام حذفاً وقلباً ،
فإن مسح يمتدّى إلى الزلزال عنه بنفسه وإلى الزيل بالباء ، فالأصل امسحوا
رؤوسكم بالله .

(بل) : حرف إضراب إذا تلاها جملة . ثم تارة يكون معنى الإضراب

(١) البقرة : ١٩٥	(٢) مريم : ٢١	(٣) النجدة : ١٥
(٤) الحج : ٢٥	(٥) ن : ٦	(٦) البقرة : ١٨٩
(٧) آل عمران : ٩٦	(٨) البقرة : ٢٢٨	(٩) النجدة : ٧

الإبطال لما قبلها، نحو^(١) : « وقالوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ » ، أى هم عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ . «^(٢) أم يقولون به جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ » .

وتارة يكون معناها الانتقال من غرض إلى آخر ، نحو^(٣) : « وادينا كِتَابًا يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ . بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَشَاةٍ مِنْ هَذَا » . فاقبل « بَلْ » فيه على حاله . وكذا قوله^(٤) : « قد أَفْلَحَ مَنْ تَرَكَنى وَذَكَرَ اسمَ رَبِّهِ فَصَلَّى . بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا » .

وذكر ابن مالك في شرح كافيه أنها لا تقع في القرآن إلا على هذا الوجه . ووجه ابن هشام^(٥) . وسبق ابن مالك إلى ذكر ذلك صاحب البسيط ، وواقه ابن الحاجب ، فقال في شرح الفصل : إبطال الأول وإثبات الثانى إن كانت في الإثبات من باب الخلط ، فلا يقع مثله في القرآن .

أما إذا تلاها مفرد فهي حرف عطف ولم يقع في القرآن كذلك .

(بلى) : حرف أصلى الألف . وقيل : الأصل بلى ، والألف زائدة . وقيل من للتأنيث بدليل إمالتها .

ولها موضعان : أحدهما أن تكون ردًّا لِنَفْيِ يَمَعِ قبلها ، نحو^(٦) : « ما كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى » ، أى علم السوء . «^(٧) لَا يَبْتَغِ اللَّهُ مَنَ يَمُوتَ بَلَى » ، أى يموتهم . «^(٨) زَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ لَنَا يُبْعَثُونَ . قُلْ بَلَى وَرَبِّى لَيُبْعَثُنَّ » . «^(٩) قَالُوا : لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّينَ سَبِيلٌ » . ثم قال : « بلى » ، أى عليهم

(١) الأنبياء : ٢٦	(٢) المؤمنون : ٧١	(٣) المؤمنون : ٦٣ ، ٦٤
(٤) الأنبياء : ١٨	(٥) النفى : ١ - ١١٠	(٦) الرجل : ٢٨
(٧) الرجل : ٢٨	(٨) التائين : ٧	(٩) آل عمران : ٧٥

سئيل . «^(١) وقالوا لن يدخل الجنة لا من كان هوداً أو نصارى » ، ثم قال :
« بلى » ، أى يدخلها غيرهم . «^(٢) وقالوا لن نمس النار إلا أينما معودة » .
ثم قال : « بلى » ، أى تمتهم ويحدون فيها .

التالى : أن تقع جواباً لاستفهام دخل على تنفى فتفيد إبطاله . سواء كان
الاستفهام حقيقة : نحو : أليس يريد بقائم ؟ فتقول : بلى . أو توبيخاً ، نحو^(٣) :
« أيم يحسبون أننا لا نسمع سرهم ونجواهم » ، بلى . «^(٤) أيجب الإنسان
أن لن نجتمع عظامه » ، بلى .

أو تزييراً ، نحو^(٥) : « أأنت ربكم قللوا بلى » . قال ابن عباس
وغيره : لو قالوا : سم ... كفروا ، ووجهه أن « سم » تصديق للحبر بنى
أو إيجاب ، فكانهم قالوا : لست ربنا : بخلاف بلى : فإنها لإبطال التنفى ،
فالتقدير أمت ربنا .

ونازع فى ذلك السهلى وغيره بأن الاستفهام التقريرى خير موجب ، ولذلك
منع سيويه من جعل أم متصلة فى قوله^(٦) : « أفلا تبصرون أم أنا خير » ؛
لأنها لا تقع بعد الإيجاب . وإذا ثبت أنه إيجاب فمعهم بعد الإيجاب تصديق له .
قال ابن هشام^(٧) : ويشكل عليه أن « بلى » لا يُجاب به عن الإيجاب
اتفاقاً .

(بش) : لإنشاء الذم لا بتصريف . وقرئ ، بالهمز وتركه . وقرئ ، على وزن
فعل وعلى وزن فيعل ، وكلها من معنى البؤس .

(١) البقرة : ١١١ (٢) البقرة : ٨٠ (٣) الزخرف : ٨٠
(٤) القيامة : ٢ ، ٣ (٥) الأعراف : ٣ (٦) الزخرف : ٥١
(٧) ص ١ - ٢

(بين) : قال الراغب ^(١) : موضوع للخلل ^(٢) بين الشئين ووسطهما .
قال تعالى ^(٣) : « وجعلنا بينهما زرعا » ، وذلك أن أخوين من بني إسرائيل
أحدهما مؤمن والآخر كافر ورثا مالا فاشترى الكافر بماله جنتين ، وأعطى
للمؤمن ماله في طاعة الله حتى انقضى ، فمسيره الكافر بقره فأهلك الله
مال الكافر .

وتارة تستعمل « بين » ظرفا ، وتارة اسما ، فمن الظرف ^(٤) : « لا تقدموا
بين يدي الله » . « قدّموا بين يدي نجواكم صدقة » . « فاحكمم
بيننا بالحق » .

ولا تستعمل إلا فيما له مسافة نحو : بين البلدان ، أوله عدد ما اثنان
فصاعدا ، نحو : بين الرجلين ، وبين القوم .

ولا تنصاف إلى ما يقتضى معنى الوحدة إلا إذا كرر ، نحو ^(٥) : « ومن بيننا
وبينك » . وقرئ قوله تعالى ^(٦) : « لقد قطع بينكم » بالنصب على الظرف ،
وبلغ على أنه مصدر .

(١) المفردات : ٦٧	(٢) في المفردات : لفظة ...
(٣) الكهف : ٣٢	(٤) المجازات : ١
(٥) المجادلة : ١١	(٦) الأنعام : ٩٤
(٧) ص : ٢٢	(٨) نزلت : ٦

فهرس القسم الأول (٥)

الموضوع	ص	الموضوع	ص
قديم	١	الوجه الثامن من وجوه إعجازه :	١٠٨
مقدمة	١٠	وقوع ناسبه ومقصوره	١٠٨
الوجه الاول من وجوه إعجازه :	١٤	الوجه التاسع من وجوه إعجازه :	١٣٦
العلوم المستنبطه	١٤	انقسامه إلى حكمين تشابه	١٣٦
الوجه الثاني من وجوه إعجازه :	٢٧	الوجه العاشر من وجوه إعجازه :	١٦١
كونه محظوظا من الزيادة والنقصان	٢٧	اختلاف ألفاظه ...	١٦١
الوجه الثالث من وجوه إعجازه :	٢٧	الوجه الحادي عشر من وجوه إعجازه :	١٧١
حسن تأليفه والتام كله ...	٢٧	قديم بعض ألفاظه وتأخيرها ..	١٧١
الوجه الرابع من وجوه إعجازه :	١٨١	الوجه الثاني عشر من وجوه إعجازه :	١٨١
مناسبة آيه وسوره وارتباط بعضها	١٨١	إفادته حصره واختصاصه	١٨١
بعض ...	٥٤	الوجه الثالث عشر من وجوه إعجازه :	١٩٥
الوجه الخامس من وجوه إعجازه :	٧٤	اختراؤه على جميع لغة العرب ..	١٩٥
افتتاح السور وخواتمها	٧٤	الوجه الرابع عشر من وجوه إعجازه :	٢٠٧
الوجه السادس من وجوه إعجازه :	٩٤	عموم بعض آياته وخصر من بعضها	٢٠٧
مقتضيات آياته	٩٤	الوجه الخامس عشر من وجوه إعجازه :	٢١٧
الوجه السابع من وجوه إعجازه :	٩٤	ورد بعض آياته بحمله وبعضها مبدلة	٢١٧
ورد مشكك	٩٤	الوجه السادس عشر من وجوه إعجازه :	

(٥) هذا فهرس لوجوه الإعجاز في سورة و هذا الفهرس أما الفهارس التي في آخر الكتاب فمكتوبة في
فهرسها آخر الكتاب في شاء الله .

الموضوع	ص	الموضوع	ص
إعجازه :	٢٢٤	الاستدلال بمنطوقه أو بخبره	٢٢٤
وقوع الكتابة والتعريض	٢٢٦	الوجه السابع عشر من وجوه إعجازه :	٢٢٤
الوجه السادس والعشرون من وجوه	٢٢٩	وجوه مخاطبته ..	٢٢٩
إعجازه :	٢٢٩	الوجه الثامن عشر من وجوه إعجازه :	٢٢٩
إعجازه في آية وإطائه في أخرى	٢٢٩	ما انطوى عليه من الإخبار بالقياد	٢٢٩
الوجه السابع والعشرون من وجوه	٢٢٩	الوجه التاسع عشر من وجوه إعجازه :	٢٢٩
إعجازه :	٢٢٩	إخباره بأحوال القرون السالفة	٢٢٩
وقوع البدائع البليغة فيه	٢٢٩	والأمم البائسة	٢٢٩
الوجه الثامن والعشرون من وجوه	٢٢٩	الوجه العشرون من وجوه إعجازه :	٢٢٩
إعجازه :	٢٢٩	روعه وهيبته	٢٢٩
اختراؤه على البحر والإشياء	٢٢٩	الوجه الحادي والعشرون من وجوه	٢٢٩
الوجه التاسع والعشرون من وجوه	٢٢٩	إعجازه :	٢٢٩
إعجازه :	٢٢٩	أن سامه لا يجه وقاره لا يله ...	٢٢٩
اقسام تعال في مواضع	٢٢٩	الوجه الثاني والعشرون من وجوه	٢٢٩
الوجه الثلاثين من وجوه إعجازه :	٢٢٩	إعجازه :	٢٢٩
اشتماله على جميع البراهين والآله	٢٢٩	تفسيره تعال حفظه وقربه	٢٢٩
الوجه الحادي والثلاثون من وجوه	٢٢٩	الوجه الثالث والعشرون من وجوه	٢٢٩
إعجازه :	٢٢٩	إعجازه :	٢٢٩
حرب الأمم في ظلمة	٢٢٩	وتكرع الحقائق والمجازيف	٢٢٩
ومضرة ..	٢٢٩	الوجه الرابع والعشرون من وجوه	٢٢٩
الوجه الثاني والثلاثون من وجوه	٢٢٩	إعجازه :	٢٢٩
إعجازه :	٢٢٩	تفويده بإعجازه ..	٢٢٩
طائفة من الآيات الحامدة له	٢٢٩	الوجه الخامس والعشرون من وجوه	٢٢٩

الموضوع	ص	الموضوع	ص
والعدل والتخوف ..	٤٧٢	والسكنى والآفات ..	٥١٢
الوجه الثالث والثلاثون من وجوه إعجازه :		الوجه الخامس والثلاثون من وجوه إعجازه :	
ورود آيات مبهمه يحار العقل فيها	٤٨٤	القاط المشتركة :	٥١٤
الوجه الرابع والثلاثون من وجوه إعجازه :		حرف الهزة	٥١٩
احتوائه على أسماء الاشياء والملائكة		حرف الباء	٦٢٠



مركز تحقيق وتطوير علوم إسلامية

تم القسم الأول

وبله القسم الثاني ، وأوله حرف الباء . لنتاء